

كوليج ولسون موسوعة الألفاظ المستعمية

الكتبة
المستعمية

ترجم: مساك فاضل البديري

مجموع الفتاوى

الطبعة الثانية

١٩٩٥



دار الفرق للطباعة والنشر
خلف مطبع القدس ص ب ٧٧٧٢ - هاتف ٦٣٨٢٨٨
فاكس ٦٥٧٢٤٥

بسم الله الرحمن الرحيم التوطئة

بعد أن أتخفنا المفكر المبدع كولن ولسن بمجموعة إنتاجاته كاللامتمي، وما بعد اللامتمي، والقفص الزجاجي بكل ما حملته من أفكار خلاقة فجرت ثورة فكرية في أوروبا (وبالأخص اللامتمي)، وبعد أن عرج ذات المؤلف على ثوب آخر من الإبداع يتعلق بالسحر والقوى الخارقة فأثرانا بمجموعة جديدة هي ما بعد الحياة، والإنسان وقواه الخفية، والحاسة السادسة، يطل كولن ولسن علينا اليوم من نافذة جديدة دل بها على موسوعته الفكرية بأن قدم لنا هذا الكتاب الذي بين أيديكم الآن وهو عبارة عن مجموعة كبيرة من الألفاظ التي يلم نقر منا بحزء قليل أو كثير منها أو لعلنا لا نعرف عنها شيئاً.

سوف يستمتع القاريء بالإطلاع على هذه الألفاظ بعد أن نقلناها الى لغة المضاد بأسلوب سلس مباشر أفرغ فيه المؤلف بنات أفكاره بلغة الكتاب الأصلية مؤكداً رغبته بأن يتاح لجمع غفير من القراء الإطلاع عليها على اختلاف منابهم الأدبية وتباين مشاربهم الفكرية. ومع أن الخط العام لأسلوب الكتاب هو الوضوح، سيجد القاريء حالات تنسم بالصور البلاغية والمجاز وهذا راجع الى أمانة الترجمة التي حاولنا من خلالها المحافظة على سلامة نقل الصور التي تناوها المؤلف.

لقد ارتأى ولسن في كتابه هذا أن يطوق ألبازه المطروحة بسلسلة من
الحلول والآراء المتفاضلة في درجة دنوها من الحل الأمثل حسب قناعة القاريء،
أخذين بعين الاعتبار انطواءها على حقول متعددة من العلوم الانسانية والصرفة.

وتجدر الإشارة هنا الى أن القاريء لواجد في هذا الكتاب الأوحد موسوعة
علمية وفكرية شاملة تدنو فيها حقول علمية ومعرفية شتى طوع بنانه مشفوعة
بحلول استخدمها المؤلف من وحي عبقريته الفذة.

سائلين المولى أن نكون قد وفقنا في هذا الاتجاز. انه من وراء القصد.

المرجم

مالك فاضل البديري

اطلنطس

القارة الغارقة

يجد العالم في قارة اطلنطس اعظم لغز في التاريخ، وكان افلاطون حوالي ٣٥٠ ق.م اول من تحدث عن جزيرة عظيمة في المحيط الأطلسي اختفت بين عشية وضحاها وغاصت تحت امواج الأطلسي.

لقد أضاف افلاطون على آخر حوارين ل (تيايوس) و (كراشياس) صفة الخيال العلمي في الأمتاع. وتبنى الشاعر والمؤرخ الكبير كراشياس نقل القصة، مستهلاً اياها بأن سولون - المشرع اليوناني المشهور - ذهب الى (سايس) بمصر عام ٥٩٠ ق.م وسمع قصة الأطلنطس من كاهن مصري. وطبقاً لما اورده الكاهن فإن اطلنطس كانت حضارة عريقة حين تأسست أثينا عام ٩٦٠٠ ق.م، وهي قوة جبارة هددت عن سابق اصرار كيان اوربا وآسيا سوية حتى وضعت لها مدينة أثينا النهاية. وهي تمتد، على حد قول الكاهن، لما بعد أعمدة هرقل (مضيق جبل طارق)، اما مساحتها فأكبر من ليبيا وآسيا مجتمعتين، وهي إمبراطورية عظيمة وجميلة غزت ليبيا واوربا حتى (ترهينيا) (انتروبا وسط ايطاليا). بيد أن أثينا ما وهنت حتى بعد ان خسرت حلفاءها، وقاتلت اطلنطس بمفردها وتحقق لها غزوها. وهنا حدث فيضان وزلازل مخيفة سحقت الأغريق وسكان اطلنطس وغرقت القارة تحت الامواج.

ويغور افلاطون في حوارته الثاني (كراشياس) في تفاصيل اعمق بها يتعلق بتاريخ وجغرافية القارة المفقودة موضحاً أن بوسيدان (نبتون) اله البحر قد اوجد السلالة الأطلنطية بأن أنسب أباً لعشرة اطفال لسيدة عذراء من البشر (كليتو)

كان قد أبقاها على تل تحيطه عدة قنوتات. لقد تميز سكان الأطلنطس بأنهم عظماء في الهندسة والعمار، فبنوا القصور والمعابد وأقاموا الموانئ والمرافئ وشيدوا عاصمتهم على تل تحيطها عدة أشرطة متمركزة من الأرض اليابسة والمياه، وتربط هذه الأشرطة قنوتات ضخمة كانت تكفي لإبحار أكثر من سفينة خلالها. ويبلغ قطر المدينة حوالي (١١) ميلاً. أما حلقات المياه الخارجية فكانت تصلها بالبحر قناة عظيمة بعرض (٣٠٠) قدم وعمق (١٠٠) قدم. ويقع خلف المدينة سهل تبلغ مساحته ٢٣٠ × ٣٤٠ ميلاً استغله المزارعون لتمويل المنطقة بالغذاء، بينما تقع خلف السهل سلسلة جبال ذات قري غنية ومروج خصبة تحوي شتى أنواع الكلال. ويمضي افلاطون في سرده للمدينة فيظن أنه اسهب في تفاصيل معينة أو أنه يملك موهبة الروائي. فشرحه عن النباتات الجذابة ذات النافورات الحارة والباردة وقاعات الطعام العامه والجدران الحجرية المطلية بالمعادن الثمينة قد ابهرت اجيالاً من القراء لأكثر من ألفي سنة.

يقول كراشيساس ان اهل الاطلنطس أضاعوا الحكمة والفضيلة اللتين أورثتهما اياهما الآلهة، فعاثوا في الأرض فساداً وغدا الجشع ايمانهم والجبروت عقيدتهم. وما هنا قرر زيوس (كبير آلهة اليونان) أن يريهم مكروهاً إستحقوه، فأجمع عليهم الآلهة. أما وقد بلغ هذا الحد، توقف افلاطون عن سرده للأحداث تاركاً حوار كراشيساس مبتوراً، ومتوقفاً من جانب آخر عن كتابة الحوار الثالث ليكمل به ثلاثية (آلهة ماكرتس). بيد أننا قد نفترض أن نهايتها هي تدمير قارة اطلنطس.

لم ير العديد من الباحثين والمعلقين اللاحقين في قصة الاطلنطس غير خرافة أو رمز إنخذة افلاطون تعبيراً مجازياً لقصة سياسية، بل أنهم جنحوا بعيداً فخالوا تلميذه ارسطو أحد أولئك الذين رفضوا الخرافة وهو امر أبعد الى المعقول لسبب وجيه هو أن افلاطون أراد من حوار (السيابوس) الذي إستهل به قصته، غاية

عمره الصموحة، وقد بلغ به حداً كناه فيه مترجمه (جاويت) كأعظم جهد للعقل
شري في مسعاه الى فهم العالم أنى تشعب. هو ذا العقل الذي أورثنا اياه
عقبة العصور القديمة، فلم يحشر افلاطون إذا خرافة في حوار كهذا؟؟. إنني
رى المنظر يسجل في أن افلاطون أراد منها موروثاً لأجيال عديدة قادمة.

وبقيت قصة الاطلنطس مجرد قصة غريبة تثير الفضول لقرائتها ما يزيد على
عقبي سنة حتى شذت اليها اواخر القرن التاسع عشر وبين طواير قرائتها رجلا
في مجلس الشيوخ الامريكى يسمى (اغناطيوس دونيللي) فكانت حصيلة ذلك
كتابه الموسوم (اطلنطس عالم ما قبل الطوفان) سنة ١٨٨٢ الذي حقق اكثر
البيعات وكان اكثر كتاب اعيد طبعه وبقي مقروءا ومعاصرا حتى بعد مرور قرن
عليه - ويتساءل دونيللي في كتابه هذا فيما اذا كان افلاطون قد سجل كارثة
حقيقية أم لا. ويتوصل الى الجواب ايجابا بأنه سجل كارثة حقيقية مستندا بذلك
الى الاضرار السوخيمية التي تسببها الزلازل والبراكين في عصرنا هذا وان هناك
دليلا آخر هو أن قارة استراليا هي الجزء المرئي الوحيد من قارة كانت تمتد من
افريقيا الى المحيط الهادي والتي اسماها العلماء (ليموريا) (اسماها الليموريا عالم
حيوان أ. بي. سكلاتر الذي لاحظ أن حيوان الليمور وهو الهبار من فصيلة
الفردة يتواجد في المنطقة الممتدة بين افريقيا الى مدغشقر ويفترض ان كتلة ارضية
واحدة قد ربطت الاثنين معا). كما درس اساطير الفيضان من مصر الى المكسيك
مشيرا الى نقاط الشبه وموضحا جميع سمات القربى التي تربط التتاج الانساني من
كلا الجانبين من الاطلنطس ويشير ايضا الى ان هناك قمة وسطية في الاطلنطس
ومن أن الأزورس تبدو كأنها قمم جبال لجزيرة غارقة كبيرة.

لقد ساعد دونيللي إمامه في الجغرافية وعلم الأرض وتاريخ الحضارات
العالم وعلم اللغة أن يكون موسوعيا فوجد الكتاب وقد ترك بصماته ايضا على
رئيس وزراء بريطانيا كلاسستون الى درجة محاولته اقتناع مجلس الوزراء بتخصيص

مبالغ وإرسال سفينة لتعقب حدود الاطلنطس (ولكنه فشل).

أما المؤلف الامريكى آل. سبراغ دي كامب فيقول في كتابه (القارات المفقودة) الذي صدر بعد حوالي ٧٠ سنة من صدور كتاب دونيللي: (أن معظم ما جاء به دونيللي من حقائق انها هي حقائق مخطوءة عندما تكون من بنات افكاره أو أن الاكتشافات اللاحقة أثبتت عدم صحتها)، ويضيف (انها ليست الحقيقة ان هنود البيرو نظاما في الكتابة ومن أن نبات القطن في العالمين القديم والحديد ينتمي الى نفس الجنس وان الحضارة المصرية ظهرت فجأة الى الوجود وان هانيسال استخدم البارود في عملياته الحربية). ويوضح دي كامب ان ثقافة دونيللي لا يمكن الوثوق بها الى الدرجة التي تبدو عليها ومع هذا فإن هناك الكثير في كتابة ذي الاربعائة والتسعين صفحة ما يستحق المراجعة والذي بقي بلا منازع.

وقد سبق صدور كتاب دونيللي بخمس سنوات كتاب آخر جاء بجريئين أشار موضوع الاطلنطس الموسوم ب (رفع الحجاب عن ايزيس آلهة الامومة) لكاتبة روسية مغمورة تدعى هيلينا بلافاتسكي التي اخرجت كتابها ذا الالف والخمسةائة صفحة بسرعة ظن فيها البعض انها تكتب أليا بيد انها لم تتجاوز في تعليقها عن الاطلنطس الصفحة الواحدة وردت في الجزء الأول (ص ٥٩٣) ذكرت فيها ان سكان الاطلنطس مثلوا السلالة الرابعة على الارض وانهم كانوا جميعا وسائط طبيعية. ولأن هؤلاء القوم قد اكتسبوا علمهم دون جهد جهيد فقد باتوا لقمة سائغة لثنين عظيم يسمى (الملك ثيفيتات) الذي افسدهم خلقهم واصبحوا أمة للسحرة والدجالين واشعلوا فتيل حرب انتهت بأنظهار قارة اطلنطس.

لقد ادهش الكتاب حتى ناشره بعد أن حقق اكثر المبيعات ويات الكتاب

الاكشر رواجاً بين الكتب لتتال مؤلفته الشهرة الواسعة منه فغادرت نيويورك الى
هند وأسست هناك جمعية المتصوفين. بيد انها اتهمت بالمرؤعة بعد قتل بيانها
وعادت ادراجها الى لندن لتموت فيها بمرض (برايت) سنة ١٨٩١ بعمر ٦٠ عاماً.
وقد خلفت وراءها مخطوطة لكتاب اضخم واكشر اثارة من كتابها (رفع الحجاب
عن ايزيس) ألا وهو كتاب (المذاهب السرية) وقد جاء تعليقا على عمل سابق
يسمى كتاب دزيان وهو خرافة كتبت عن الاطلنطس باللغة السينيزيرية. وتقول
مدام بلافاتسكي في كتابها هذا ان الانسان لايمثل السلالة الذكية الاولى على
الارض فالسلالة الاولى تكونت من احياء لا مرئية خلقت من سديم النار. اما
السلالة الثانية فقد استوطنت شمالي آسيا والثالثة اتخذت من قارة الجزيرة المفقودة
في ليموريا او (مو) في المحيط الهندي موطنها وضمت عمالقة أشبه بالقردة
كانت تفتقر الى العقل. ويمثل الاطلنطيون السلالة الرابعة وقد ارتقوا اعالي
السلم في حضارتهم والتي أفل نجمها بعد عرق قارتهم نتيجة حرب نشبت
لدوافع انانية شريرة. أما نحن سكان اليوم فنمثل السلالة الخامسة وهي من اكثر
السلالات صلاحية لحد الآن بينما ستكون السلالتان القادمتان السادسة والسابعة
اكثر اثيرة. وطبقا لما اورده السيدة بلافاتسكي فإن جميع معرفة الماضي ستسجل
على وسط اثيري يسمى (أكاسا) وتسمى هذه المعرفة (سجلات أكاسا) وتدعى
ايضا أن من بقي على قيد الحياة من الاطلنطيين قد استوطن مصر وبنى
الاهرامات قبل حوالي ١٠٠ الف سنة (فيما يؤرخ الدارسون المعاصرون بناء اول
الاهرامات الى حوالي ٢٥٠٠ ق.م). وفي الوقت الذي ظهر فيه كتاب (المذاهب
السرية) كان كتاب دونيللي قد منح قصة الاطلنطس شهرة واسعة مما حدا بأحد
اعضاء الجمعية الثيوصوفية البارزين في لندن ويدعى سكوت ألبوت بأصدار
عمله الموسوم (قصة الاطلنطس) عام ١٨٩٦ الذي ذاع صيته كثيرا. لقد ادعى
سكوت انه يملك القدرة على قراءة سجلات أكاسا بل انه ادلى برأي مدهش
أخر هو أن حضارة الاطلنطس قد ازدهرت قبل حوالي مليون سنة وأن هناك

سبع سلالات فرعية أحدها سلالة (تولتكس) غزت القارة بأسرها وبنيت مدينة عظيمة سبق وإن تحدث افلاطون عن سماتها. ولما مارس احد الاطلنطين السحر الأسود تحركت أسرة خبراء كبيرة الى مصر وأقاموا فيها سلالة حاكمة بينها بنى قسم آخر مدينة ستون هينج في بريطانيا.

وقبها بعد لم يأل سكون جهدا في توظيف بصيرته على سجلات أكاسا ليصدر كتابا آخر عن ليموريا حقق الشهرة الطيبة الواسعة فأعد الكتابان ومعهما كتابا (رفع الحجاب عن ايزيس) و (المذاهب السرية) على انها الكتب المقدسة الأساسية للمعجم الصوفي.

وكان اكثر الشيوصوفيون تأثيرا بعد مدام بلافاتسكي هو النمساوي (رودولف شتاينر) الذي كان على خلاف مع المتصوفين الانجليز وطور نظامه الخاص في (فلسفة السحر) والمعروفة بأسم (انثروبوسوفي). وقبل المقاطعة وبالتحديد سنة ١٩٠٤ أصدر شتاينر كتابه الموسوم (من سجلات الاكاشية) (والاكاشية هي التهجئة البديلة للاكاشية) والذي يتناول اطلنطس وليموريا. وليس من العسير رفض هذا العمل واعتباره مجرد نتاج مماثل من الآراء المتطرفة والطائفة. ومع هذا نجده يملك جوهرها حقيقيا ينم على فهم عقلائي يفرغ من خلاله اجراس الحقيقة شأنه في هذا شأن معظم أعمال شتاينر الاخرى. فهو يصب تفكيره في اطار تطور العوالم وطبقا لنظامه فان الكائنات الحية العليا والمسماة بالهرميات (السلطة) هي المسؤولة عن هذه العملية. ان الهدف من الرقي هو أن تطيح الروح بعرش مملكة المادة. لقد بدأ الانسان اثيريا رقيقا وازداد صلابة مع كل مرحلة من مراحل الرقي. بيد أن تطور الانسان عبر العوالم الثلاثة البدائية الاولى ولد من جديد على كوكبنا (الأرض) وكان جسده اكثر من مجرد سحابة بخار. وفي الوقت الذي تطور فيه الى السلالة الثالثة (الليموريين) تعلم الانسان سر التخاطر (التبليسي) وكذلك الاستخدام المباشر لقوة ارادته.

وفي هذه الحقبة من الزمن دخل المرض والموت والخوف تأريخ الانسان. وسيطر الانسان في المرحلة التالية من عمر الاطلنطس على قوى الحياة النباتية ليستثمرها مصدر طاقة وكان كذلك يفتقر الى التعقل ويملك في ذات الوقت ذاكرة قوية بشكل غير اعتيادي. الا ان القوى العدائية التي اسماها شتاينر (اهزيان) دفعت بالانسان ليكون مجرد اداة تحقيق علمي فأزاد فسادا وتيجحا وان محاولته توظيف قوى مدمرة قد سببت اخيرا الكارثة التي حلت بالاطلنطس. وقد أرخ شتاينر وعلى خلاف مدام بلافاتسكي تأريخ هذه الكارثة حوالي ٨٠٠٠ سنة ق.م مما يجعل منه احتمالا عقلانيا. (وحقيقة ان اولى المزارع في العصر الحجري الاوسط قد ظهرت وطبقا لما جاءت به الابحاث الاثرية لاول مرة على الارض في هذه الفترة، فان أحد اساتذة التأريخ الامريكان ويدعى جارلس هويجود أصر ان هناك خرائط للملك البحر القدماء تشير الى وجود حضارة متطورة سادت المعمورة حوالي ٨٠٠٠ سنة ق.م) ويبدو ان قصة الاطلنطس قد وقعت في أيدي السحرة ورواد الخيال العلمي. فقد برز الى الساحة هذه المرة نصير جديد اكثر جدية من سابقيه ألا وهو المحرر الصحفي الاسكتلندي لويس سبنس الذي سبق له كتابة بحوث دراسية عن اساطير بابل ومصر والمكسيك وامريكا الوسطى.

وقد نال كتابه (مشكلة الاطلنطس) عام ١٩٤٢ ما ناله كتاب دونيللي من شهرة واسعة. لقد اقترح سبنس أن هناك أدلة جيولوجية تؤكد وجود قارة عظيمة في منطقة الاطلنطس في الفترة المتأخرة من العهد الموسوني (قبل حوالي ٢٥-١٥ مليون سنة) وقد انقسمت الى مجاميع جزر صغيرة وتقع اكبر مجموعتين للجزر في المحيط الاطلسي اقرب الى منطقة المتوسط اما الجزيرة الكبيرة الاخرى فقد ظهرت في منطقة الهند الغربية ثم بدأ انقسام آخر في القارة الشرقية قبل حوالي (٢٥) ألف سنة حتى انتهت قبل حوالي (١٠) آلاف سنة كما ذكر افلاطون. اما القارة الأخرى الواقعة غرب (انتيليا) فقد بقيت حتى وقت قريب

مضى . ويجادل سبنس ان الانسان لم يكن بحارا قبل حوالي (١٠) آلاف سنة (وربما سيعترض هيجود على ذلك) وعليه يجب ان يكون هناك دليل على ان سكان الاطلنطس قد لجأوا الى اراض مجاورة .

وبعد دراسته للساحل الجنوبي الغربي لفرنسا واسبانيا الشمالية وخليج إسكاي، استنتج سبنس دليلا مفاده ان السلالات البدائية الثلاثة وهي (الكروماكتون) و (الكاسين) و (الازيلين) قد هاجرت جميعها من الغرب معتقدا ان انسان الكروماكتون قد وصل قبل حوالي ٢٥ الف سنة وازاح انسان النيندرتال (فيما تقول الدراسات الحديثة لعصر ما قبل التاريخ ان انسان النيندرتال انقرض قبل حوالي ١٠ الاف سنة من التاريخ الذي اورده سبنس) .

اما سلالتا الكاسيين والازيلين فقد وصلتا بعد حوالي (١٥) الف سنة وعرف عن الازيلين انهم استخدموا القوارب للصيد في المياه العميقة ويعتقد سبنس ان الجسر الارضي الذي كان يربط اطلنطس بأوروبا لم يعد موجودا الان . كما ويعتقد ايضا ان الازيلين قد أوجدوا حضارتهم مصر وكريت . وقد توجهوا غربا الى انتيليا ومكثوا هناك حتى غرقت جزئيا قبل عهد المسيح واصبح سكانها (المايانس) (هذا التطابق بين المايانس والاطلنطيين هو احد صور المضاربة للاطلنطس) . اما اكثر نظريات سبنس غرابة هي ان اللاموس (وهو نوع من القوارض قصير الذيل غالبا ما تنسحب باعداد كبيرة) قد حاولت العودة الى اطلنطس . أما الحقيقة فهي وكما نعلم ان اللاموس انها يستجيب للاكتظاظ كما هو الحال مع الكثير من الحيوانات وان مسألة الانتحار الجماعي هي ليست احدى عاداتها بل انها مجرد محاولة منها للتفرق عشوائيا من المناطق التي تزداد فيها نسبة الولادة باضطراب .

ان ما ورد اعلاه لم يكن الاعتراض الوحيد لما جاء به سبنس فجداله ان

حضارات مصر وكريت وامريكا الجنوبية قد ظهرت فجأة كان موضع اعتراض علم الآثار الذي نفى ذلك مؤكدا منذ البداية انها حضارات نمت تدريجيا من مجتمعات بدائية. الا اننا نقول ان ماورد في كتب سبنس الثلاثة الاولى وهي (مشكلة الاطلنطس) و (اطلنطس في امريكا) و (تاريخ اطلنطس) الكثير مما يستحق التخصر فيه. وفي الوقت ذاته لا يحق لنا قول الشهادة نفسها على كتابيه اللاحقين وهما (هل سنلحق اوروبا ركب الاطلنطس) والذي يتساءل فيه فيما لو ان عالمنا سيعرف بتأثير الوصلية الشريرة التي دمرت الاطلنطس (وكانت في الفترة المثلثية) وكتابه الثاني (العلوم السحرية في الاطلنطس) الذي يعميل فيه ان إيجاد شيء من العدم (على القاريء ان يضع في حساباته اننا نتعامل هنا مع كيميياء القديمة للاطلنطس فقط). ويبقى سبنس رغم ذلك اكثر الكتاب وثوقا ومنفعة ممن كتبوا عن الاطلنطس وان كتابه (مشكلة ليموريا) يحمل ذات العفنية والدراسة المنهجية على الرغم من أنه اضطر الى الاعتماد كثيرا على التوقعات والتخمين.

لقد استعان الكاتب كونان دويل في كتابه (اعماق ماراكوت) من توجيهات سبنس الذي توافق (سبنس) مع المكتشف الكولونيل بريسي فاوست بنظيرته ان البريزيل كانت جزءا من اطلنطس القديمة وهي النظرية التي استثمرها دويل في كتابه (العالم المفقود) وقد اهدى الروائي (ريدلر هاجرد) فاوست صورة من السجلات نقشت عليها اشكال عدة وعندما لم يتمكن المتحف البريطاني من كشف هويتها ذهب بها فاوست الى متكهن نفسي (التكهن النفسي هو القدرة على قراءة تريح شخصية او شخص ما من خلال لمس شيء كان ذلك المرء قد لمسه). وعلى الرغم من ان هذا المتكهن لم يكن يملك مفتاحا يدل على هوية فاوست فقد اعتبره (التي ارى قارة كبيرة غير منتظمة تمتد من الساحل الشمالي لاقريقيا الى اسريخا الجنوبية وتنتشر على سطحها العديد من الجبال ويظهر بركان كأنه على

وشك الانفجار وأما على الجانب الأفريقي من القارة فنرى السكان وقد تناثروا هنا وهناك وهم حسنوا الشكل ولكنهم يتسمون الى صنف بصعب وصفه، ذوي بشرة داكنة ولكنهم ليسوا زنجوا وأكثر سماتهم تميزا بروز عظام الخد وتلاؤ العينين وكل ما استطيع قوله ان اخلاقهم تستحق منا العرفان اليها اما عبادتهم فهي اقرب الى الايمان بالشياطين والعمارة.

من ناحية اخرى نرى سكان الجانب الغربي اكثر رقا من غيرهم فالبلاد كثيرة التلال زيتها المعابد المنحوتة المشيدة باتقان لتطل جزئيا من واجهات المنحدرات الصخرية بينما تدعم واجهاتها البارزة بشكل جميل اعمدة منحوتة.. اما المعابد فداخلها مظلم وفوق المذابح يوجد ما يمثل عينا كبيرة يتهل اليها الكهنة ويغطي على كامل طقوسهم الدينية السحر والتنجيم المقترن بتقديم الضحية وعلى مواضع مختلفة من المعبد تنتشر صور كتلك الموجودة بين يدي يبدو انها لكاهن ذي منزلة رفيعة.

ومضى المتكهن النفسي في سرده ان هذه الصورة ستقع اخيرا بين يدي من يجسد الكاهن من جديد (عندما تتوضح اشياء كثيرة طواها النسيان من خلال تأثير تلك الاشياء) ويتضح ايضا ان سكان المدن العربية يتألفون من ثلاث طبقات وهي طبقة الكهنة والحرب الحاكم يقودهم ملك تولى الحكم بالوراثة والطبقة الوسطى وطبقة الفقراء او العبيد. وهؤلاء هم اسياذ العالم بلا منازع. وقد مارس العدد الكبير منهم (الفن الاسود) الى درجة خطيرة. وذهب المحلل ليقول كيف ان الارض قد تحطمت بفعل بركان وغرقت تحت البحر عقوبة على ممارسة التكهن (لا استطيع تحديد متى حدثت هذه الكارثة ولكنها قبل فترة طويلة من ظهور مصر طواها النسيان عدا ما تذكره عنها الاساطير).

وهكذا ايقر فاوست بحقيقة الاطلنطس ومن انه سيجد دليلا آخر لها في

بعض مدن الغابات المفقودة في البرازيل وبوليفيا وكان لديه سبب آخر يدعو للذهاب الى (ماتوكروسو) جنوب غرب البرازيل . فقد عثر في ريو دي جانيرو على وثيقة قديمة باللغة البرتغالية كتبها رجل يدعى (فرانسكو رابوسو) الذي ذهب الى الغابات عام ١٧٣٤ بحثا عن مناجم موريبكا المفقودة وهو ابن مغامر برتغالي وأم هندية وطبقا لمخطوطة رابوسو التي اوردها فاوست في كتابه (اكتشاف فاوست) الذي نشر بعد وفاته فإنه وجد مدينة محطمة بارزة لا بد وان يكون زلزال قد دمرها حيث نجد الاعمدة المكومة وكتل الاحجار التي تزن الواحدة منها خمسين طنا او أكثر . وبعد ان قضى رابوسو بعض الوقت في هذه المدينة المحطمة عاد وفريقه الى (باهايا) حيث كتب تقريره الى نائب الملك الذي لم يأبه له .

وهكذا وضع فاوست وهو يشرح برحلته عام ١٩٢٤ بعد احباطات وعقبات لاحد لها هدفا ذا ثلاثة ابعاد وهي البحث عن مناجم موريبكا وعن مدينة رابوسو المفقودة والعثور على بقايا من الاطلنطس بقيت كصورته البازلتية . واخيرا اتجه فاوست يرافقه ولده جاك وصديقه رالي ريميل الى مخيم الجواد الميت (ديد هورس كامب) في مدينة (زنكوباسن) وهناك التقط صورة لولده جاك وصديقه رالي وفي التاسع والعشرين من ايار (مايو) عام ١٩٢٤ كتب آخر مذكرة له الى زوجته ثم اختفى الثلاثة معا .

وفي سنة ١٩٣٢ كتب احد الصيادين السويسريين ويدعى راتن تقريرا مفاده ان فاوست اسيرا لدى احدى القبائل الهندية بعد أن كان راتن نفسه قد ذهب بحثا عن كولونيل ابيض ولم يعد . ثم كثرت الاشاعات عن اختفاء فاوست تاقلها المستكشفون والمبشرون حتى اعترف زعيم قبيلة (كسالابالوس) ويدعى (ازارزي) سنة ١٩٥١ وهو على فراش الموت انه قتل فاوست ورفيقه . لقد رفض هذا الزعيم اعطاء فاوست قوارب وحالين بحجة وجود نزاع قبلي قصفه

فاوست على وجهه فضربه الزعيم حتى الموت ثم قتل رفيقيه بعد ان هاجمه . كما ادعى ان جاك فاوست كان يضاجع احدى زوجاته وان الرجل البرازيلي الذي روى هذه القصة ذكر ان اكبر ابناء الزعيم كانت تجري في عروقه دماء رجل ابيض . بيد ان فريقا من الخبراء اعلن ان العظام التي وجدت في قبر غايي لم تكن عظام فاوست فيقي سر اختفائه غير معروف . وزعم البعض انه (فاوست) قد وجد مدينته المفقودة وفضل البقاء فيها بدلا من العودة الى المدينة .

وقضل طلبة آخرون ممن درسوا اسطورة الاطلنطس الاعتقاد بأنها موجودة على الجانب الآخر من المحيط الاطلسي وبدأ فريق من علماء الآثار الالمان (سثلتن وهيرمان وجيسن وهتكك) بحثهم عن مدينة مفقودة اخرى الا وهي (ثارثيسوس) . لقد كان الاعتقاد السائد عام ١٩٠٥ أن هذه المدينة تقع على ساحل الاطلنطس لاسبانيا بالقرب من مصب نهر (كاد لكوليفر) واستولى عليها القرطاجيون سنة ٥٣٣ ق.م . كما ويعتقد هذا الفريق ان هذه المدينة هي اطلنطس افلاطون ولا بد ان تكون على الجانب الايمن من مضيق جبل طارق . أما عالمة الآثار (ايلينا ماريو ويشو) فقد قضت (٢٥) سنة في دراسة نفس المنطقة حول قلعة (نيبلا) القديمة وقد ارشدها دليل البناء والمهندسة الهايدروليكية المتقدمة في مناجم (ريو تشو) الى الاستنتاج ان الاتلدس قد استعمرها سكان من شمال افريقيا كانوا قد فروا من اطلنطس وهذا مايفسر عنوان كتابها (اطلنطس والاندلس) سنة ١٩٣٠ .

وفي مطلع الثلاثينات من هذا القرن استقطبت نظرية شيقة اخرى عن دمار الاطلنطس ملايين الانصار لها وكانت خلاصة عمل مهندس المناجم الفينيبي (هانز هور بجر) (١٨٦٠-١٩٣١) . كان هور بجر في صباه فلكيا هاويا وبينما كان ينظر الى القمر والكواكب بواسطة تلسكوب فاجأته حقيقة ان الطريقة التي تعكس بها هذه الكواكب اشعة الشمس توحي انها مغطاة بالجليد وفيها بعد رأى

تربة مشبعة بالماء تطلق نفحات بخار عندما يمر فوقها حديد مصهور. واعتقد أنه وجد الجواب الذي يفسر تفجر الطاقات في الكون. اذ يرى هور بجر ان الفضاء مليء بالهيدروجين والاكسجين على الرغم من وجودها بحالة مخلخلة جدا (هذا صحيح بالنسبة للهيدروجين). وهذه تتكاثف متجمدة حول النجوم الصغيرة وعندما تسقط كرات الثلج هذه في نجوم حارة يحدث انفجار مدوي كالانفجار الذي اوجد نظامنا الشمسي. وهو يقول ان معظم الكواكب مغطاة بطبقة كثيفة من الجليد تصل الى مئات الاميال سمكا فيما تغطي قمرنا الحالي طبقة من الجليد تصل الى (١٢٥) ميلا. وسيكون من الضروري الحديث عن قمرنا الحالي (لونا) لانه الاخير من مجموعة القمر قد يصل عددها الى الستة. ان الحركة الطبيعية للأجسام السماوية على حد قول هور بجر هي لولبية وان الكواكب تتلوى باتجاه الشمس كالأبيرة على مسجل كرامافون وان الاجسام الصغيرة تتحرك اسرع من الاجسام الكبيرة وربما تكون قد وقعت في الاسر واصبحت اقمارا بينما هي تتلوى بجوار الكواكب الكبيرة. وقبل حوالي ربع مليون سنة كان للأرض قمر آخر عبارة عن مذنب أسير وعندما اقترب هذا المذنب اكثر الى الأرض كان يتحرك بسرعة مما جعل البحار تنضم مجتمعة لتكون اخدودا من الماء لم يكن له وقت ليتراجع وغطى الجليد باقي الأرض فاضطر الانسان الى الصعود الى قمم اجبال كما حدث في اثيوبيا وبيرو. (ويعتقد الكولونيل فاوست ان نياهو ناكو في صدير بيرو تحوي ادلة بوجود حضارة مفقودة غامضة). ان قلعة الجاذبية في هذه المرتفعات قد جعلت من الانسان عملاقا (وهكذا ورد التعليق في الانجيل ان هناك عالقة على الأرض في تلك الايام) وعندما انفجر القمر اخيرا كانت النتيجة فيضان عظيم كالذي ورد في الانجيل وبقية الكتب المقدسة.

وعندما استولت الأرض على قمرنا الحالي (حوالي ١٢ ألف سنة مضت) كانت الشجيرة فيضان مدمر آخر مع زلازل وبراكين كانت السبب وراء دمار

الاطلنطس وليموريا.

توفي هوريجر عام ١٩٣١، لكن عمله استمر على يدي واحد من ابرز تابعيه الا وهو (هانز شند لرييلامي) النمساوي الاصل الذي كتب كتابه (القمر الاسطورة والاسان) المنشور بعد سنة من وفاة هور بجر آلاف المهتمين اليه في بريطانيا وامريكا. وكان من بين من اهتموا بنظرية هوريجر (هتلر) الذي اقترح بناء مرصد اهداه الى الفلكيين العظماء الثلاثة على مر التاريخ وهم (بطليموس وكبرنيكاس وهوريجر). وربما كان ايمان هتلر بما جاء به هور بجر سبب خسارته الحرب. فقد تبنى مكتب الانواء الجوية الذي انشئ استنادا الى مبادئ هوريجر بحدوث شتاء معتدل لسنة ١٩٤١-١٩٤٢ فأرسل هتلر جنوده بملابس صيفية الى روسيا. واستمر هوريجر في كسب الآف المؤيدين حتى فترة الستينيات عندما اوضحت اكتشافات الفضاء اخيرا ان اعتقاد هوريجر بأن القمر والكواكب مغطاة بالجليد اعتقاد خاطيء. وتكمن المشكلة في الكتب (الخاذقة) مثل كتاب هور بجر (نشأت الكون الجليدية) سنة ١٩١٣ في انها غالبا ما تحوي اكثر من بذور الحقيقة. وهذا ما يصح قوله في الكتاب الذي نشر في الخمسينيات وحقق افضل المبيعات الا وهو كتاب (العوالم المتصادمة) للمؤلف ايمانا نويل فيلوكوفسكي وهو يهودي روسي الاصل ومن مواليد عام ١٨٩٥. لقد تأثر فيلوكوفسكي كثيرا بكتاب فرويد (موسى والتوحيد) الذي يقترح ان موسى ليس يهوديا بل مصريا وانه كان من اتباع (عابد الشمس) الفرعون اخناتون. ثم يخرج فيلوكوفسكي بالنتيجة المذهلة وهي ان الفرعون اخناتون هو ذاته الملك الاغريقي (أوديب) وفي سنة ١٩٣٩ وهي السنة التي التقل فيها من فلسطين الى الولايات المتحدة اصبح شاغل فيلوكوفسكي هو نظرية هور بجر ومع هذا قرر في نهاية المطاف الوقوف ضدها. الا انه تأثر بنظرية وستون (حليفة نيوتن) في جامعة كمبرج التي تقول ان المذنب لعام ١٦٨٠ قد احدث الطوفان التوراتي باول مواجهة

مع الأرض. كما وقف ضد ما جاء به كتاب دونيللي واكناروك (عصر النار والحديد) ١٨٨٣ والذي اصدره بعد كتابه (اطلنطس) والذي توصل فيه دونيللي الى نتيجة مفادها ان (رواسب الانجراف) وهي رواسب تركتها الرياح والمياه المنتشرة على بقع غير منتظمة على سطح الأرض هي نتيجة انفجار عنيف حدث عندما ضرب مذنب ما الأرض.

كان لدونيللي ووستون تأثيران رئيسيان على كتاب فيلوكوفسكي (العوامل المتصادمة) الذي يعتقد فيه ان دمار الاطلنطس اضافة الى العديد من الكوارث التوراتية تعزى الى مناوشة حدثت على مقربة جدا مع مذنب ما.

اما النظرية الاخرى الاكثر مصداقية حول الاطلنطس فهي ما قدمها عالم الآثار اليوناني أواخر الستينات (أنجلوس كالانويبولس) والتي تستند على اكتشافات الاستاذ (سباير يدون مارينوتوس) على جزيرة (سانتوريني) او (تيرا) في منطقة البحر المتوسط. في سنة ١٥٠٠ ق.م على وجه التقريب دمر بركان هائل جزيرة سانتوريني وربما ازال معظم الحضارة على الجزر اليونانية والمناطق الساحلية لشرق اليونان وشمال كريت. وهذه هي الكارثة التي دمرت اطلنطس على حد اعتقاد كالانويبولس. فدمار سانتوريني حدث قبل سولون ب (٩٠٠) سنة وليس قبل (٩٠٠٠) سنة وهذا هو جوهر جدال كالانويبولس. فهو يعتقد ان كتابا ما قد ضاعف جميع الارقام بمعدل عشر مرات وهو يقول ان جميع ارقام افلاطون تبدو كبيرة جدا. فالمقياس البعدي (١٠٠٠٠٠) (١٠٠٠٠٠) (١٠٠٠٠٠) ميل للقناة المحيطة بالسهل يعني انها تمتد حول لندن الحديثة عشرين مرة. كما أن عرض القناة وهو (٣٠٠) قدم وعمق (١٠٠) قدم لا بد وان يكون رقما مضحكا ومن الاكيد انها بعرض ٣٠ قدم وبعمق (١٠) اقدام. أما بالنسبة للسهل الواقع خلف المدينة فمن المعقول ان يكون بمساحة ٢٣ X ٣٤ ميلا. واذا ما صغرت ارقام افلاطون بهذه الطريقة فأن جزيرة سانتوريني ستكون شباها باطلنطس برغم أن

كالانوبيولس يقترح أن حضارة الاطلنطس قد امتدت على طول البحر المتوسط وان كريت نفسها كانت المدينة الملكية. ولكن كيف يمكن ان يحدث مثل هذا الخطأ؟ وهنا يقترح كالانوبيولس ان الناسخ الاغريقي قد اساء فهم الرمز المصري للرقم (١٠٠) وهو جبل ملتف إذ انه نفسه الرمز للرقم (١٠٠٠) زهرة اللوتس.

ويبقى اعتراض واحد لكل ذلك وهو ان افلاطون يؤكد بوضوح ان اطلنطس كانت وراء اعمدة هرقل. اما كالانوبيولس فيجادل بقوله ان هرقل قد انجز معظم اعماله في (بيلوبوتس) وان اعمدة هرقل يجب ان تشير الى (الجبلين) الجنوبيين النائيين لليونان وهما (كيب مانابان وكيب مايس).

أما افلاطون فيقول بوضوح انهم (الاطلنطيون) الذين تسلطوا على امتداد البلاد داخل الاعمدة حتى مصر وترهينيا. وليس بمقدور اية مراجعة جغرافية وضع مصر واتروريا داخل جبلي اليونان وهكذا يجب ان نتخلى مكرهين عن احدى النظريات المشوقة. بيد أن مجرد فكرة ان سانتو ريني كانت هي اطلنطس الاسطورة قد جلبت اليها الوف السياح وطورت كثيرا من قدراتها الاقتصادية.

وهنا عقدت في جامعة انديانا سنة ١٩٧٥ ندوة ناقشت السؤال التالي:

اطلنطس أهي خرافة ام حقيقة؟ وقد طرح العديد من الخبراء آراءهم وتوصوا الى النتيجة المتوقعة ألا وهي ان اطلنطس مجرد خرافة.

لا مندوحة من الاعتراف هنا اننا نفتقر حقيقة الى دليل قاطع واحد يثبت وجود حضارة غارقة اذا ما استثنينا في هذا الجواب الدليل الحضاري الذي قدمه دونبيلي وسبنس ووشو. كما رفض الجيولوجيون وعلماء الآثار وحتى الباحثون المنهجيون دليل (المتكهن النفسي) الذي اقنع الكولونيل فاوست، ثم أن من اطلع من القراء على هذا البرهان سيشاركسا الرأي انه برهان بحاجة الى كثير من

التوضيح ناهيك عن عجزه عن الاقناع والا كيف فكر المتكهن النفسي بأطلنطس؟ ونحن لو نشاء الحكم ان ذلك الدليل له من القيمة ما نذكر، علينا ان نعرف اشياء كثيرة عن هذا المتكهن نذكر منها على سبيل المثال: هل قرأ لدونيللي وسبنس؟ واذا ما اقمنا ان عقله اللاوعي لم يكن ينجده فستبقى احتمالية انه كان يقرأ الى حد ما أفكار فاوست ومع ذلك فان اي شخص يرغب في دراسة دليل المتكهن النفسي بعقل متفتح سينتهي الى الرأي ان هناك حالات عديدة لا يمكن تفسيرها على أنها مجرد خداع نفس دون وعي او أنها تخاطر.

وقد تم طرح الاسئلة ذاتها في شرح مفصل عن حضارة الاطلنطس جاء بها المعالج النفسي (ادجار كاسي) الذي كان يعاني من شلل نفسي-جسدي في الجبال الصوتية ولما يبلغ الثانية والعشرين من عمره (سنة ١٨٩٩) وقد تمت معالجته بواسطة التنويم المغناطيسي. اذ سأله المعالج جملة اسئلة تتعلق بمشاكله الصحية فكانت اجابة كاسي عليها توحى بالمام طبي لم يكن يملكه بوعيه. فكسب من قدرته على التشخيص (عند اللاوعي) شهرة ثانوية. كما وجه اليه سؤال سنة ١٩٢٣ عن احتمالية حياة بعد الموت وعندما استيقظ من غيبته ارهبت معرفته انه كان يوعظ بمذهب التناسخ. الا انه رفض الفكرة باعتباره مسيحيا ارثوذكسيا ثم قبل بها في نهاية المطاف. وفي سنة ١٩٢٧ وبعد أن اعطى قراءة لحياة صبي بعمر (١٤) سنة، وصف كاسي حياته السابقة في عصور لويس الرابع عشر والكسندر العظيم وفي مصر القديمة واطلنطس واستمر بقية حياته يضيف اجزاء الى كتبه عن الاطلنطس.

واستنادا الى كاسي فان اطلنطس تمتد من بحر (سار جاسو) الى (جزر الأزورس) وكانت بمساحة اوروبا، وقد شهدت فترتي دمار تقسمت في الاولى الجزيرة الرئيسة الى عدة جزر بينما حدث الانفجار الاخير حوالي (١٠) آلاف سنة ق.م استنادا لما قاله افلاطون. وأن آخر الامكنة الغارقة يقع بالقرب من الباهاما.

وكان لقوله هذا صدى كبيرا لدى (شتاينر) (لقد جلب الانسان قوى مدمرة اتحدت مع المصادر الطبيعية من الغازات والقوى الكهربائية التي احدثت الانفجارات الاولى التي بدأت من اعماق الارض البعيدة الانجاد).

وهو يقول ان الوثائق الخاصة بأطلنطس يمكن العثور عليها الان في ثلاثة اماكن في العالم احدها مصر. وقد تنبأ كاسي سنة ١٩٤٠ ان جزيرة تدعى (يوسيديا) ستظهر من جديد بين عامي ٦٨-٦٩ في منطقة الباهاما.

في مطلع عام ١٩٦٨ اصطحب مرشد صيد يدعى (يونفش سام) عالم الآثار الدكتور (مانسون فالتاين) ليرى خطأ من الاحجار المستطيلة بعمق (٢٠) قدما تحت الماء شمالي يميني في الباهاما.

لقد اندهش فالتاين لرؤية خطين متوازيين من هذه الاحجار تمتد لمسافة (٢٠٠٠) قدما طولاً وباتت تعرف بأسم (طريق يمينيو). الا ان العلماء رفضوا الفكرة في مهدها ويقول الاستاذ جون جيفورد ان هذه الاحجار لو تكونت نتيجة (شد جيولوجي) لتواجدت منها كميات في اماكن اخرى وخلص الى القول انه لا يوجد دليل واحد يدحض تدخل الانسان في هذا. وقد الف احد الباحثين ويدعى (الدكتور ديفيد زنك) كتابا اسماه (احجار اطلنطس) جاء فيه ان بعض هذه الاحجار كانت من صنع الانسان دون ادنى شك بل ان احد هذه الاشياء كان ذا رأس حجري. وحتى لو ظهر ان طريق يمين جزء من معبد، تبقى استحالة اثبات ان بناءه تم قبل عشرة آلاف سنة.

أما الرأي الارجح فهو انه نتاج حضارة أحدث من هذا التاريخ بكثير. ويات جليا ان تنبؤات كاسي ان اطلنطس (ستظهر من جديد) لم تتحقق وان هذه نفسها لم تبرهن التنبؤ بأنه محض خيال، فعلماء الباراسايكولوجي ممن درسوا (الاستبصار) غالبا ما لاحظوا ان معرفة الوقت نادرا ما كانت صحيحة ولكنها تعني وضع

كاسي في الوقت الحاضر في مصاف سكوت-اليوت وشتاينر ومدام بلافاتسكي على انه شاهد على درجة كبيرة من (الخطورة).

كما يبدو ان نظرية معاصرة قدمها عالم طبقات الارض البريطاني (الرف فرانكلين ولورث) هي واحدة من اكثر النظريات اقناعا في جوانب عديدة فكتاب ولورث (اخضاع الارض) انما يتعامل مع اطلنطس هامشيا وهو بالاساس محاولة لشرح العصور الجليدية. فلم يتوصل عالم في هذا الحقل الى نظرية مقنعة لشرح الثقل الكبير في حالة الجو والتي غطت الارض بصورة دورية بطبقات كثيفة من الجليد. فيما يضم كتاب روبرت اردري (أصل نشوء افريقيا) صفحات عديدة تطرق فيها الى مختلف النظريات بهذا الصدد. فنظرية (القطب الشمالي الجوال) لا تفسر سبب امتداد طبقات الجليد الى افريقيا. أما مسألة الاصطدام القريب مع مذنب انما هي اعجز من ان توضح سبب تعدد العصور الجليدية وكذلك عدم انتظام الفترة الفاصلة بين عصر وآخر (علما ان نفس المذنب يعود بانتظام). ويعد اليوغسلافي ميلانكوفج صاحب النظرية الاكثر مصداقية في هذا الشأن وهي تستند على حقيقة ان كوكبنا يمر بتغيرات ثانوية في المناخ واذا ما صادف وان تزامن مثل هذا التغير في الجو في وقت واحد كحدوث البرق مرتين على نفس المكان فستكون النتيجة عصرا جليديا. بيد ان اردري يقول ان الاختلاف المتزامن لميلانكوفج غير كاف ايضا لتفسير سبب وجود (٢٠) مليون ميل مكعب من الجليد. اما السيد (جورج سمبسون) فقد قدم نظريته الاكثر منطقا وهي ان العصور الجليدية انما تعزى الى ارتفاع درجة حرارة الشمس التي تسبب سقوط الامطار على المناطق المرتفعة على شكل جليد والنتيجة ان هناك كميات كبيرة من الثلج قد تراكمت يصعب اذابتها خلال مواسم الصيف وهكذا بدأ العصر الجليدي. واذا ما سلمنا بصحة نظرية سمبسون فستكون البحار اذا اكثر دفئا خلال العصور الجليدية (في الوقت الذي اوضحت فيه الدراسات

لاعماق البحار خلال فترة بليستوسن - آخر العصور الجليدية الكبرى - ان الاختلاف في درجة الحرارة لم يتجاوز بضع درجات فقط). أما نظرية أردري نفسها فهي ان الأرض تمر دوريا بسحابة غاز واسعة داخل المجرة وان الحقل المغناطيسي للأرض قد امتص غازا مظلما الى غلافنا الجوي حجب معه اشعة الشمس. الا ان أردري نفسه يقر ان نظريته نفسها قد فشلت في توضيح سبب عدم حدوث العصور الجليدية في فترات منتظمة.

وشرع ولورث موضحا بعض المشاكل التي سبقه الى الاشارة اليها دونيللي وفيلوكوفسكي والمتمثلة بارتفاع قشرة الأرض كثيرا حتى طمرت معها كافة الغابات. وهو يقول ان معظم علماء طبقات الأرض هم الان (متأثرين). فقد تشاطروا الرأي القائل ان الأرض قد نشأت ببطء عبر حقب سحيقة مضت وان الكوارث العظيمة مثل الفيضانات والزلازل وغيرها والتي افترض وجودها علماء القرن الثامن عشر حين كان الاعتقاد السائد انذاك ان الأرض قد نشأت قبل حوالي بضعة آلاف سنة فقط غير ضرورية لشرح كيفية نشوء الأرض. ويضيف ان هناك الكثير من الدلائل مازالت موجودة تتعلق بتلك الكوارث المدمرة. وقد طرح بعض الاسئلة البسيطة والمجربة في ذات الوقت نذكر منها على سبيل المثال: كيف باستطاعتنا معرفة عمر المتحجرات؟ والجواب المثالي هو ان متحجرات الاسماك والحيوانات قد غطست في الطين الذي تصلب حولها وحفظها. ولكن كيف سيكون الحال لو ماتت سمكة في النهر: إما انها ستعفن بسرعة أو تأكلها الصواري وحتى لو غطست بضعة ارجل في الطين فأنها ستعفن ايضا وهو يعتقد ان افضل حال يمكن ان تكون فيه المتحجرات هو بوجود تراب منشط قذفته البراكين.

وتتلخص نظريته ان العصور الجليدية قد احدثتها انفجارات براكين مدمرة كانت كافية لقذف الغازات والرواسب البركانية والغبار الى الفضاء وهنا سيفقد

الهواء المقذوف كامل حرارته وعندما تسحب الجاذبية هذا الهواء ثانية الى الارض سيصبح هواء متجمدا وغازا ممينا قادرا على اباده الحياة في مناطق واسعة واغراق حتى المخلوقات الكبيرة مثل الماموث ليحيلها الى حيوانات متجمدة في اللحظة . فالغبار البركاني قادر على احداث عصر جليدي اذ تسقط الثلوج على المناطق المرتفعة حتى تتحول المحيطات الى برك صغيرة . وتؤكد دلائل قياس سطح البحر انه كان ولفترات طويلة اقل عمقا مما هو عليه الان بثلاثة اميال . وهنا ستتحول مواطن اسكان الانسان الى الشواطئ القريبة من البحار حيث الحرارة فيها اكثر من المناطق الداخلية وسترفع طبقات الجليد رواسب رقيقة وثقل (تراب منشط بقذفه البركان) الى ارتفاعات عالية لتتجمع كأنها الراسات مكونة الجبال (رواسب الانجراف) التي كانت لغزا لدونيللي . وما ان بدأ العصر الجليدي بالانتهاء حتى اضطر المستوطنون بالتحرك الى اماكن اكثر ارتفاعا بعد ان غرقت بيوتهم السابقة بل ان بعضهم تحرك الى قمم الجبال كما هو الحال مع حضارة (تايمو تاكو) واختفت حضارات عظيمة تحت امواج المياه . . .

والسؤال الذي يطرح نفسه الان هو لماذا، ان كان الحال كذلك، لامتدحت مثل هذه الانفجارات في الوقت الحاضر؟ فبركان (كراكاتو) الذي اندلع سنة ١٨٨٣ وارسل موجة مد هائلة عبر المحيط الهادي حطمت معها جزرا باكملها لم يقذف بغازاته الى ابعد من سبعين ميلا في الجو . ويشير ولورث الى كوكب المشتري الذي يولد انفجارات هائلة في الطاقة كل عشر سنوات ويقترح ان هذا مجرد ظاهرة كهرومغناطيسية اذ ان التيارات الدائرية التي تنمو بحركة المشتري عبر رياح شمسية مكهربة تولد حرارة تحت سطح الكوكب، ولأن الارض اصغر بكثير وان ذات الميكانيكية قادرة على احداث مثل هذه الانفجارات يفواصل زمنية اطول بكثير، ستوصل بذلك الى سبب حدوث العصور الجليدية . وربما اكثر الجوانب تناقضا في نظرية ولورث اقتراحه ان مركز الارض

قد لا يكون كتلة حديد منصهر كما يعتقد بذلك علماء الارض . واذا ما كانت الرياح الشمسية الكهربية على حقل الارض المغناطيسي والمحدثه ضغوطا هائلة تحت السطح مباشرة وراء حدوث نشاط مغناطيسي فلا بد ان مركز الارض سيكون حينذاك بارداً وصلباً نسبياً . ولا بد ايضا ان ينجح العلم يوما ما في تطوير (محسات اعماق) مستاصر او تعارض هذه الفكرة غير المألوفة . وقدر ما يتعلق الامر بالسلالة البشرية فأننا سنتنفس الصعداء حين يشب العلم خطأ نظريته التي تنذر بحدوث كارثة مدمرة خلال الالف سنة القادمة ، يتبعها عصر جليدي سيعيد اليها الظروف نفسها التي دمرت اطلنطس .

مقبرة بربادوس

لغز التوابيت المتحركة

تم في التاسع من آب (اغسطس) سنة ١٨١٢ نقل نعش الشريف توماس جيس أحد مالكي العبيد في جزيرة الكاريبي في بربادوس الى مقبرة عائلة اسفل سلم المنزل. لقد تجل بعد تحريك جثة النعش الثقيلة وإضاءة فانوس مدخل المقبرة ان شيئاً ما غريباً قد حدث. فأحد التوابيت الثلاثة التي سبق دفنها كان ملفياً على جانبه، اما الآخر وكان نعش طفل فقد وضعوه في احدى الزوايا عالية سافله، فأمسى واضحاً أن ضريح العائلة قد تم تدنيسه. بيد أن غرابة الأمر لا تكمن هنا بل في عدم وجود دليل يثبت أن مجموعة قد دخلت القبر عنوة. ومع هذا أعادت العائلة توابيت موتاها الى مكانها السابق وأغلقت الضريح. أما اهالي المنطقة من البيض فما ظنوا بغير العمال الزنوج سوءاً وأنهم وراء عملية التدنيس هذه، ذلك أن توماس كان قاسياً غليظ القلب حتى أن آخر تابوت دخل المقبرة كان قبل شهر من وفاة توماس وهو نعش ابنته دوركاس جيس التي أشيع عنها أنها أجمعت نفسها حتى الموت بسبب وحشية والدها.

وبعد مرور اربع سنوات وبالتحديد في ٢٥ أيلول (سبتمبر) سنة ١٨١٦ تم دفن نعش صومائيل بروستر أميس وهو طفل لم يتجاوز الشهر الحادي عشر من عمره، ومرة أخرى كان كل شيء على غير ما يرام، إذ تبعثرت التوابيت الأربعة على الأرض بضمنها تابوت توماس جيس المغطى بطبقة ثقيلة جداً من الرصاص والذي احتاج الى ثمانية اشخاص لنقله. ومرة أخرى أعيدت التوابيت الى وضعها السابق وتم غلق القبر بإحكام.

لم تمض سوى سبعة أسابيع حين أعادوا فتح القبر من جديد ليستقبل هذه المرة والد الطفل صاموئيل بروسر الذي قتله العبيد في مظاهرة قاموا بها. ومن جديد وجدوا الفوضى قد عمت المقبرة وأن كل شيء في غير مكانه السليم. وبات يقيناً لدى الجميع أن الزوج وحدهم وراء عملية الإختراق هذه وأنها تمت بدافع الانتقام، بيد أن السر كان يكمن في السؤال التالي: كيف تم ذلك؟ فالقبر قد احكموا إغلاقه بالخرسانة وليس هناك ما يوحي أنهم قد كسروا الخرسانة وأعادوا بناءها.

في هذه المرة كان تابوت السيدة توماسينا كودارد-وهي أول من تم دفنها في هذه المقبرة- قد تحطم وتفتكت ألواحها على ما يبدو جراء التعامل القاسي معه، ثم شدوا الألواح المفككة إلى بعضها بحبل ووضع التابوت مقابل الجدار. كما وضعوا توابيت الاطفال، لما ضاق القبر بعدد التوابيت المدفونة فيه، وهو بمساحة ١٢ قدماً طولاً في ٦,٥ قدماً عرضاً فوق توابيت البالغين وأعادوا غلق القبر بإحكام.

وغدت قصة التوابيت الآن مدار حديث مثير وباتت كنيسة المسيح وكاهنها توماس اوردرسون مركز فضول مزعج من العامة، فأبدى الكاهن نفاذ صبره حيال مشيري الشعب وأظهر في ذات الوقت أدباً لا لبس فيه تجاه ذوي المنزلة الرفيعة موضحاً أنه قد أجرى بمعية احد القضاة بحثاً دقيقاً عن القبر بعد آخر عملية حرق له في محاولة للتوصل إلى الكيفية التي دخل بها الأديباء إليه، فلم يجد باباً سرياً. أما الممر والجدران والسقف المقوس فكانت متلازماً لا ينفذ منها حتى الهواء. ووجد أن فكرة الفيضان بعيدة الاحتمال برغم أن القبر كان بعمق قدمين تحت مستوى أرض البناء وهو فوق هذا قد تم بناؤه في أرض حجرية صلبة. ثم أن الفيضان كان سيترك أثراً ما، وهل يعقل أن يطفو نعش مطلي بالرصاصر الثقيل؟ كما رفض اوردرسون في ذات الوقت ما اشاعه سكان المنطقة السود بأن

النعش قد نزلت عليه لعنة ما وأن قوئى خارقة مسؤولة عنه .

خيم على المنطقة جو من الرغبة والإثارة العامتين حين تم في السابع من تموز «يوليو» ١٨١٩ (ويؤرخ ذلك البعض في السابع عشر من ذات الشهر) دفن الحشمان التالي والأخير العائد للسيدة نيومازينا كلارك بنعش مصنوع من خشب الارز. لقد احتاجت عملية رفع الكونكوريت من باب القبر وقتا طويلا بعد ان استخدمت بكميات كبيرة لعلفه ولم يكن سهلا فتح الباب حتى بعد تقطيع السمات الى اجزاء صغيرة ذلك ان النعش الثقيل من الرصاص للسيد توماس جيس كان يقف حجر عشرة امام بقية النعوش فكانت هي الاخرى في فوضى تامة باستثناء نعش السيدة كوادرد. وكان ذلك دليلا على ان الفيضان لم يكن تفسيرا لما حدث، أفهل يعقل أن يطفو نعش من الرصاص ولا يترحزح قيد أنملة نعش قسم الى الواح خشبية عديدة؟

في هذه المرة كان المحافظ اللورد كومبرمر من بين اول من دخلوا القبر وامر باجراء تفتيش واسع ودقيق، لكنه لم يخرج بشيء سوى ما يؤكد قول اوردرسون مبكرا من انه لا وجود لسلك شق من خلاله المخربون طريقهم ولا مدخل سري او منفذ لتسرب الماء قد يساعد على حدوث فيضان. وقبل اعادة غلق الضريح امر المحافظ برش الرمل على طول المسر لانها ستكشف عن آثار الاقدام. وفي هذه المرة ايضا وبعد غلق الباب بالحرسانة استخدم اللورد كومبرمر ختمه الشخصي ليتعذر على الجاني فتحه دون ان يترك اي اثر للعيان.

وبعد مرور ثمانية اشهر وبالتحديد في الثامن عشر من نيسان (ابريل) عام ١٨٢٠ تجمع فريق في مقر اللورد كومبرمر ودار الحديث كالعادة حول سر القبر حتى قرر المحافظ الذهاب والتحقق من ان تحوطاتهم قد اسفرت عن نتيجةيجابية ام لا. وضم الفريق تسعة اشخاص بضمنهم اللورد كومبرمر والقس

وعاملا بناء . وتأكد لهم اولا ان الخرسانة مازالت سليمة وان الختم لم يمسه احد، وفتح العاملان الباب ليجدوا ايضا ان القبر بحالة فوضى تامة . فنش الطفل كان على السلم المؤدي الى اسفل الحجرة ونش توماس جيس كان مقلوبا رأسا على عقب ولم يبق سلبيا سوى نعش السيدة كودارد بألواح الخشبية المشدودة الى بعضها . وما كان غريبا حقا ان الرمل المشور في المر لم تطأه قدم مخلوق . ولم تجد نفعاً طرقات عاملي البناء للتأكد من وجود مدخل سري للقبر وبات واضحا للجميع ان اللغز صعب عليهم معرفة سره فأمر اللورد بتقل جميع التوابيت ودفنها في مكان آخر ، فبقي الضريح بعدها فارغا .

وفي الحقيقة لم يقدم اي كاتب تناول القصة تفسيرا معقولا لها وكل ما توصلوا اليه تفسيران (طبيعيان) هما حدوث فيضان او هزة ارضية . فلو قلنا ان وراء اللغز فيضانا فلماذا لم يتحرك نعش السيدة كودارد ولم يتحرك الرمل في المر وفوق ذلك لا بد وان يكون شخص ما قد لاحظ هطول امطار غزيرة ندرجة انها قد اغرقت منطقة القبر . ولا يختلف القول ان كان وراء السر هزة ارضية كافية لتحريك التوابيت جميعها كزهز الرد في كوب خشبي . اما كون ان دويل فيرجع السبب في ذلك الى نوع من الانفجارات داخل القبر ولشرح هذا يقترح ان التبخر (التعفن) غير المرئي للزئوج قد اتحد مع قوى مجهولة داخل القبر لتولد انفجارا غازيا ولا يبدو ان هناك شيئا اقل احتمالية من ذلك . اما التعليل بوجود قوى خارقة فهو ليس باكثر معقولة من غيره ذلك ان ما اشيع قوله ان حالة الاضطراب قد عمت القبر بعد دفن امرأة يعتقد انها قد انتحرت والمقترح هو ان بقية الارواح لم تبدأ مع حالة الانتحار هذه . الا ان حركة التوابيت توحى بوجود (روح شريرة) ويرى جميع المحققين ان الروح الشريرة تحتاج الى مصدر طاقة وهي غالبا ماتكون قوى عاطفية تثير المراهقين الذين يعيشون في المناطق التابعة للقبر وان ضريحا فارغا لا يمكن ان يؤمن مصدر الطاقة هذه .

أما احتشاد الزوج فهو ان هناك نوعا من الشعوذة في العمل وان قوة
سحرية قد وظفها عمدا ساجر او مشعوذ بدافع حب الانتقام من مالك العبيد
عليه القلب توماس جيس . ويبقى هذا الرأي على الرغم من ضآلة احتماليته
أفضل تفسير تيسر لحد الان .

يمسه
فتعش
مقلوبا
شبية
لها قدم
للقر
جميع

كل ما
لنا ان
المعر
ة انها
كافية
رجع
ان
ولد
عود
نالة
ان
في
ر
ق

مثلث برمودا

بعد ظهيرة الخامس من كانون الاول (ديسمبر) عام ١٩٤٥ اقلعت خمسة قاصفات طوربيد (افنجر) من قواعدها في فورت لودردال - ولاية فلوريدا في رحلة استطلاع جوية عادية لمدة ساعتين فوق الاطلنطس بقيادة الرائد جارلس تيلور يرافقه اربعة طيارين تحت التدريب كان القصد من ورائها زيادة عدد ساعات طيرانهم دون مشرف. وفي الساعة الثانية والرابع كانت الطائرات الخمس جميعها فوق الاطلنطس تسلك طريقها المعتاد في جو صافٍ ودافئ.

في الساعة ٣ و٤٥ تسلّم برج المراقبة رسالة من القائد تيلور (حالة طواريء يبدو اننا ضللنا طريقنا - لا ترى ارضا يابسة - اكرر لا ترى ارضا يابسة).

- برج المراقبة: اين موقعكم؟

- القائد تيلور: لسنا متأكدين من موقعنا - لا يمكن لنا التأكد أين نحن - يبدو اننا قد ضللنا طريقنا.

- برج المراقبة: يجب ان يكون مسار الرحلة غربا الان.

- القائد تيلور: لا تعلم اي الاتجاهات يؤدي الى الغرب - كل شيء يبدو خطأ - غربيا - لا يمكن ان نتأكد من اي اتجاه . . حتى المحيط ليس كما يجب ان يكون عليه.

ساد الارتباك برج المراقبة اذ من المفروض ان يرى الطيارون الخمسة انخفاض الشمس في السماء الغربية حتى لو اوقف تداخل مغناطيسي جميع بوصلات الطائرات الخمسة عن العمل . وساء الاتصال اللاسلكي في هذا الوقت

واخذت الرسائل تتقطع الى جمل قصيرة وفي نقطة ما التقط البرج صوت احد الطيارين وهو يتحدث الى زميله (ان جميع اجهزة طائرته قد (اصابها الجنون)).

وفي الرابعة عصرا قرر قائد الرحلة اناطة مهمة القيادة لشخص آخر وفي الرابعة والدقيقة الخامسة والعشرين، اخبر القائد الجديد برج المراقبة (لسنا متأكدين اين نحن). لقد كان معلوما لديهم أن الطائرات اذا ما فشلت في إيجاد طريقها والعودة الى الارض خلال الساعات الاربعة القادمة ستستنفذ ما لديها من وقود وسيكون هبوطها على سطح البحر اضطراريا وعليه فقد انطلق في الساعة السادسة والدقيقة السابعة والعشرين فريق انقاذ مؤلف من ثلاثة عشر ملاحا وطائرة مائية ضخمة (مارتن مارتز) باتجاه الموقع المفقود للطيارين. ولم تمض سوى ثلاث وعشرون دقيقة حتى اومضت السماء من جهة الشرق ببريق يرتشالي وهاج لبرهة واحدة تلاشى بعدها الطيارون الخمسة (مارتن مارتز) الى الأبد. لقد اختفوا تماما كما اختفت قبلها السفن والطائرات في المنطقة التي عرفت بـ (مثلث الشيطان) او مثلث برمودا.

من المؤكد ان ما حدث في نهاية المطاف للطائرات المفقودة ليس بلغز محير فقد ساء الجو بعد ان كان صحوا بعد ظهيرة ذلك اليوم فيما ذكرت السفن وجود (رياح عالية وامواج بحر هائجة) وان الرحلة ١٩ ومعها فريق الانقاذ قد استنفذا وقودهما وهبطا في البحر. بيد أن اللغز يكمن في السؤال التالي:

لماذا أضلوا جميعا طريقهم وسادهم الارتباك التام؟ هب أن اجهزة الملاحة قد توقفت عن العمل وتحددت الرؤية بيضعة امتار لغدا ممكناً الطيران اعلى الغيوم ليحددوا اتجاههم ثانية.

الا ان الاكثر غرابة في الامر هو ان هذه المسألة لم تثر انتباه السلطات بوجود شيء غريب وخطير حول منطقة المحيط الممتدة بين ولاية فلوريدا وجزر الباهاما

وهي سلسلة جزر تبدأ على بعد خمسين ميلا قبالة شاطيء فلوريدا وفيها يبدو أن هذه هذه السلطات قد اخذت بعدئذ بوجهة نظر المشتككين وهي ان حالة الاختفاء كانت اكثر من حدث بسيط وهي تعزى الى مجموعة عوامل تفاعلت من قبيل الصدفة منها تردي حالة الطقس والتداخل الكهربائي الذي اوقف البوصلات وقلة خبرة بعض الطيارين وكذلك حقيقة ان قائد الرحلة جارس تيلور قد تم تعيينه مؤخرا في قاعدة فورت لودردال ولم يكن على اطلاع تام بجغرافية المنطقة. وتم تبني ذات التعليل طوال العقدين التاليين لشرح مآسي مشابهة حدثت، منها اختفاء (سوبر نورترس) عام ١٩٤٧، طائرة تيودور (٥) ذات المرحكات الاربعة في كانون الثاني (يناير) عام ١٩٤٨، (دي سي ٣) في كانون عام ١٩٤٨، طائرة تيودر (٥) اخرى عام ١٩٤٩، (كلوبهاستر) عام ١٩٥٠، طائرة النقل البريطانية(يورك) عام ١٩٥٢، برج البحرية العملاق عام ١٩٥٤ طائرة بحرية اخرى من نوع مارتن عام ١٩٥٦، ناقلة تابعة للقوة الجوية عام ١٩٦٢، سفيتين (ستراتو) عام ١٩٦٣، طائرة شحن صندوقية عام ١٩٦٥، طائرة نقل مدنية عام ١٩٦٦، وأخرى عام ١٩٦٧ وأخرى عام ١٩٧٣، وقد تجاوز عدد ضحايا هذه الحوادث مجتمعة مائتي شخص. ومن الغريب ايضا ان يكون اول من ادرك ان وراء هذه الحوادث لغز مخيف هو صحفي يدعى (فستنت كادس) الذي كتب مقالة عام ١٩٦٤ في مجلة (اركوس) الامريكية تحت عنوان (مثلث برمودا المميت) وكانت السبب في شهرة هذا الاسم للمنطقة الغامضة من المحيط. وبعد مرور سنة نشر كادس مقالة هذا في فصل اسماء (مثلث برمودا) في كتاب عن اسرار البحار والموسوم بـ (الافاق الخفية) وقد ضم الفصل ايضا قائمة طويلة باسماء السفن التي اختفت في هذه المنطقة استهلها بأختفاء سفينة (روسالي) عام ١٨٤٠ وحتى اختفاء اليخت (كونيارا) عام ١٩٥٦ وفي الفصل الاخير من كتابه اياه يدخل (كادس) حقل الخيال العلمي قينياً باستمرار (الزمكان) الذي قد يتواجد حولنا على الارض ليخترق عالمنا المعروف وقد ورد في هذا الفصل ان بعض الطائرات

والسفن المفقودة ربما اختفت تحت نوع من القنوات رباعية الابعاد.

وقد تلقى كادس رسالة من رجل يدعى (جيرالد هوكس) حال صدور كتابه (الآفاق الخفية) اخبره فيها عن تجربته الشخصية مع مثلث برمودا عام ١٩٥٢. فانشاء رحلة له من مطار آيد لولد (كندي حاليا) الى برمودا هبطت طائرته فجأة ٢٠٠ قدم وهو لم يكن هبوطا اضطراريا بل راوده شعور وكأنه قد اسقط (عمود رفع) في الهواء ثم عادت طائرته لترتفع ثانية (كان يبدو لي وكأن يدا عملاقة قد امسكت بالطائرة وراحت تدفع بها اعلى واسفل). واخذ جناحا الطائرة يرفرفان وكأنهما جناحا طير. ومضى الكابتن هوك في رسالته يقول انه لم يعد حينها قادرا ان يحدد موقع برمودا وعجز جهاز التشغيل عن اجراء اي اتصال مع الولايات المتحدة او برمودا. وبعد مرور ساعة نجحت الطائرة في الاتصال باحدى السفن وتمكنت من معرفة وجهتها والطيران الى برمودا. وما ان القى الطيارون بأنفسهم خارج الطائرة حتى ادركوا ان السماء صافية مزداة بالنجوم والجو صحو تماما. . . ثم اختتم الكاتب رسالته بقوله انه لا زال حتى هذه اللحظة في حيرة ان كان قد سقط في منطقة يفقد فيها المرء الشعور بالزمان والمكان.

واليوم غير البارحة فالطيارون على علم بالجيوب الهوائية التي تؤدي الى ترنح الطائرة ومن ثم سقوطها وكذلك دراينهم بالاضطراب الجوي الذي يؤدي بجناحي الطائرة الى الرفرفة. الا ان ما يبدو غريبا في هذا المسألة هو التعيم اللاسلكي التام. لقد اثار هذا حفيظة طلبة (UFO) (الاجسام الطائرة المجهولة) او الاطباق الطائرة الذين استنبطوا نظريات استثنائية منذ ذلك اليوم من شهر حزيران (يونيو) عام ١٩٤٧ عندما رأى الطيار كينيت ارنولد تسعة اطياف طائرة تتحرك خلف جبل (ريسير) في ولاية واشنطن الامريكية ثم خرج هؤلاء المتحمسون لنظرية الاطياف الطائرة بفكرة شيقة مفادها ان سطح الارض يضم

دوامات غربية تضعف فيها الجاذبية والمغناطيسية الارضيتين عن المعتاد لسبب
لا يمكن توضيحه واذا ما صادف وكشفت العقلية الارضية الفذة سر هذه
الدوامات لوجدت ان من الافضل لها (الدوامات) جمع العينات البشرية هذه
ودراستها بهدوء على كوكبهم البعيد.

الا ان ساندرسون الباحث في اسرار الارض وصديق كادس في نفس
الوقت شعر ان مثل هذه الفكرة بعيدة جدا عن الواقع فأجرى دراساته وفق
منهج علمي ووضع خارطة العالم امامه وبدأ بتعيين مواقع الاماكن الغربية التي
حدثت فيها ظواهر الاختفاء. اذ كان بجانب مثلث برمودا على سبيل المثال موقع
آخر (مثلث الشيطان) جنوب الجزيرة اليابانية في هوتشو حيث اختفت السفن
والطائرات فيها. وقد اخبر احد المراسلين ساندرسون عن تجربة غربية له في
رحلته الى (كوم) غربي المحيط الهادي حيث قطعت طائرته المروحية القديمة
(٣٤٠) ميلا في الساعة في جو هاديء قاطعة بذلك اكثر من (٢٠٠) ميل عن
المسافة المقررة لها خلال الساعة الواحدة. وقد اوضحت الدراسات ان العديد
من الطائرات قد اختفت في هذه المنطقة.

وبعد تعيين مواقع هذه الاماكن على الخارطة لاحظ اندرسون انها تتخذ
شكل المعين وان هذه المعينات تحيط بالكون بتناسق منتظم دائرة في حلقتين تقع
الواحدة منها ٣٠-٤٠ درجة جنوب وشمال خط الاستواء. وهناك حوالي (١٠)
من هذه (الاماكن الرائعة) تقع حوالي ٧٢ خارجا. اما عالم الزلازل (جورج
روز) فيرى ان الزلازل يتولد في طبقة معددة تحت سطح الارض ويتوقع وجود
قناة ما تدور حول مركز الارض والتي تحدد اتجاه النشاط الزلزالي. ان خريطة
(روز) لهذه المناطق الزلزالية المضطربة انها تتوافق وبشكل كبير مع معينات
ساندرسون الذي اخذ يميل الى الاعتقاد ان هذه الدوامات اذا ما كانت هي
السبب في اختفاء الطائرات والسفن فانها ستكون مجرد دوامات فيزيائية طبيعية

تسولد نتيجة ميل الارض الى التجشؤ.

وقد ظهرت نظرية اندرسون في كتاب (المستوطنون الخفيون) عام ١٩٧٠ .
وبعد ثلاث سنوات حاولت الصحفية (أدي كنت توماس جفري) جمع كل
الدلائل والمعلومات المتعلقة بمثلث برمودا بكتاب بذات الاسم (مثلث برمودا)
تبنت طبعه احدى دور النشر الصغيرة في ولاية بنسلفانيا . الا ان الكتاب فشل
في الوصول الى اكبر عدد من القراء لا لشيء سوى سوء حظ مؤلفته . ثم حاول
(جارس برلتز) وهو حفيد الرجل الذي اوجد اشهر مدارس اللغة في العالم
افراغ جميع المعلومات المتعلقة بمثلث برمودا في قالب جديد ليقتنع به الناشر
التجاري (دوبلدي) بتبني اصداره ليحقق وعلى حين غرة اعلى المبيعات في قائمة
المنشورات الامريكية . فقد تزامن صدوره مع مرور (٢٠) عاما على اختفاء طائرات
الرحلة ١٩ ، و (١٠) سنوات على اطلاق فنسنت كادس تسمية (مثلث برمودا) .
الا ان برلتز كان اول رجل احال اللغز الى اثاره عالمية لينال نصيبه من الثراء من
عائدات كتابه فقط .

وبرغم الاقبال المتقطع النظير الذي لقيه كتاب برلتز (مثلث برمودا) الا انه
افتقر الى المنهجية ويكفي ان نذكر انه لا يجوي على فهرست لمواضيعه . ويكمن
السبب الرئيسي في شهرته الى تحطيم برلتز حدود المؤلف فأقحم نفسه في مناطق
تنبؤات غريبة حول الاطباق الطائرة والقواعد الزمكانية والذكاء الغريب ومراكب
الآله ووسائل اخرى مشابهة . ومن اغرب توقعاته هي تلك المتعلقة بالطيار
(موريس كي جيسب) الذي توفي في ظروف غامضة بعد ان تعثر في معلومات
تتعلق بلفنز آخر اسمه (تجربة فيلادلفيا) . فهذه التجربة كان مؤملا ان تجري في
ولاية فيلادلفيا عام ١٩٤٣ عندما كانت البحرية الامريكية تجري اختبارا لجهاز
جديد كان الغرض منه احاطة السفينة بحقل مغناطيسي قوي . وطبقا لمعلومات

جيب فقد احاط السفينة ضوء اخضر ضبابي حتى تلاشت حدودها في البحر ثم اختفت لتظهر ثانية في رصيف (نور فولك) في ولاية فرجينيا على بعد (٣٠٠) ميل. وقد توفي بعض من طاقم السفينة واصاب البعض الاخر الجنون. ويضيف جيب انه وبعد التحقيق في هذه القصة طلبت منه البحرية الامريكية اعلامها ان كان راغبا في العمل بمشروع سري مشابه ام لا. الا انه رفض وبقي هكذا حتى عثر عليه عام ١٩٥٩ مقتولا في سيارته (بعد استنشاقه غازا ساما) ويتوقع برلتز انه (اسكت) قبل ان يعلن عن اكتشافاته حول ذلك المشروع.

ولكن ما علاقة كل هذا بمثلث برمودا؟ الاجابة ببساطة هي ان تجربة فيلادلفيا التي كان مقررا لها ان تكون محاولة لخلق دوامة مغناطيسية كالتى افترضها ساندرسون تملك القدرة (على حد قول جيب) في ادخال السفينة في قاعدة زمكانية تنقلها لمئات الاميال.

وكان من الطبيعي ان يتحول الشك الى غضب في مسألة كهذه فظهرت دون سابق انذار المقالات والكتب وبرامج التلفزيون استهدفت جميعها فضح زيف مثلث برمودا وتجنب الرأي العام الذي تميزت به السلطات البحرية الامريكية عام ١٩٤٥. بمعنى اخر انهم افترضوا ان حالات الاختفاء هذه انها تعزى جميعها الى اسباب طبيعية لاسيما حدوث عواصف وفي جوانب عديدة لايمكن التناقض مع هذا التفسير بل يبدو انه اكثر التفسير معقولة للمسألة. بيد انه سيغدو في الوقت ذاته تفسيرا واهنا بمجرد النظر الى القائمة الطويلة من حالات الاختفاء في هذه المنطقة والتي لم تترك جميعها اثرا او ركاما.

وعليه، أوجد بديل يتفاعل فيه الشعور العام مع الجراءة الضرورية لأدراك ان جميع حالات الاختفاء هذه لايمكن اعطاها التعليل الدقيق؟ نعم وهذا البديل يرتكز على الادلة التي يمكن الحصول عليها من اولئك الذين نجوا من

مثلث برمودا.

ففي سنة ١٩٦٤ كان الطيار جاك وكلي في طريق عودته من ناسو الى ميامي في فلوريدا عندما شاهد وهو على ارتفاع (٨٠٠٠) قدم وهجا خافتا احاط بجناحي الطائرة خاله مجرد خدعة بصرية سببها اضاءة مقصورة الطيار. لكن الضوء ازداد وهجه وتشوشت جميع معدات الطائرة الالكترونية فكان مجبرا على تشغيلها يدويا وازداد الوهج حتى اغشى بصره بعدها خفت ببطء وعادت اجهزة الطائرة للاشتغال ثانية.

وفي عام ١٩٦٦ كان الكابتن دون هنري يقود زورقه من بورتوريكو الى فورت لودردال في نهار هاديء ودافيء وقد سمع دوياء فأسرع الى منصة الربان ليزي ان البوصلة آخذة بالدوران السريع باتجاه حركة عقرب الساعة وحجبت عنه سحابة سوداء رؤية الافاق الزرقاء وبدا الماء وكأنه قادم من كل اتجاه وعلى الرغم من ان المولدات الكهربائية مازالت عاملة فان الطاقة الكهربائية قد توقفت وتوقف معها المولد الثانوي وكل ما كان يتراءى اليه ان الضباب قد احاط بالزورق ولحسن حظه ان المولدات مازالت تشتغل ليخرج من مطبته هذه. الا ان ما ادهشه في الامر هو ان الضباب قد تركز على ضفة صلبة واحدة كان البحر فيها هائجا فيما نراه هادئا خارجها. وما شد انتباهه ايضا ان حركة البوصلة كانت مشابهة لحركتها في نهر (لورنس) في كنتسون عندما اثرت على اتجاه الابرة كومة حديد او الاحجار النيزكية.

ان كوكبنا الارضي عبارة عن مغناطيس هائل (دون ان يعرف احد السبب) وان خطوط القوى المغناطيسية تدور حول سطحها باشكال غريبة وتستخدم الطيور والحيوانات خطوط القوة هذه في (العودة الى المواطن) وان الطيور الغطاسة تبدو قادرة على الاستجابة لها بواسطة (عصا الاستنباه)، لكنها قد تفضل

طريقها في مناطق اخرى على سطح الارض حيث تسمح الخطوط المغناطيسية احدها الاخر مشكلة ما يسمى بالدوامة المغناطيسية. لقد حذرت صحيفة (مارن اوبزرفر) عام ١٩٣٠ البحارة من وجود منطقة اضطراب مغناطيسي في المناطق المجاورة لبركان (تامبورا) بالقرب من (سامباوا) والتي احرفت بوصلة السفينة (٦) درجات مبعده اياه عن طريق رحلتها. كما لاحظ القبطان سكوت قبطان السفينة استراليا سنة ١٩٣٢ وجود منطقة اضطراب مغناطيسي بالقرب من (فريانتل) احرفت بوصلة السفينة (١٢) درجة في كل الاتجاهات. كما جمع الباحث الامريكى (وليم كورلس) العشرات من مثل هذه الحالات الغريبة في كتابين اسماهما (الارض المجهولة) و (الكوكب الغريب)، وقد اخبرني كورلس نفسه بنتيجة الابحاث التي اجراها الدكتور جون دي لوريد من (اوتاوا) الذي ذهب سنة ١٩٧٤ للتخيم في مناطق الطوق الجليدي شمال كندا بحثا عن وجود دوامات مغناطيسية هائلة بطول (٤٣) ميلا يعتقد انها تتولد على مسافة (١٨) ميلا تحت سطح الارض يظن انها تعزى الى احتكاك الصفائح المعدنية التكتونية للارض وهي الحالة التي تسبب الزلازل ايضا.

ان النقطة الرئيسة التي يمكن الخروج بها من كل ماورد اعلاه هي ان الارض ليست حقلا مغناطيسيا طبيعيا متناسقا ودقيقا بل انها مليئة (بالشواذ والحفر المغناطيسية). ولم يتأكد العلماء بعد من سبب امتلاك الارض حقلا مغناطيسيا بيد ان احدى النظريات تعزو ذلك الى حركة في مركزها الحديدي المنصهر. ان مثل هذه الحركة ستولد خطوطا متغيرة في الحقل الارضي وانفجار في الطاقة المغناطيسية يمكن مفارقتها بانفجارات الطاقة الشمسية التي تسمى الكلفة الشمسية. واذا كانت هذه الخطوط ترتبط بمناطق الجهد الارضي ومن ثم بالزلازل، اذا ستوقع حدوثها في مناطق محددة فقط كما تفعل الزلازل. ولكن اي تأثير سيحدثه (زلازل) مفاجيء لنشاط مغناطيسي؟ انها ستسبب في دوران سريعه

للبوصلة فهي ستكون اشباه بهدير احجار نيزكية هائلة في مركز الارض ،
وستسبب ايضا بهيجان البحر وانما ستتؤثر على الماء بنفس تأثير القمر على المد
والجزر ولكن بتمودج غير منتظم وسيبدو الماء وكأنه قادم من (كل الاتجاهات)
وستمتص الدوامة الغيوم والضباب مشكلة (ضفة) في مناطق حدوثها مباشرة
وقد تتعطل الالات الالكترونية .

ومن هنا سندرك ان جميع التعليلات المبسطة للمشكلة هذه والتي قدمها على
انها مجرد اختراع صحفي هي ليست تعليلات بسيطة بل خطيرة . بل انها ستحط
من شأن بحث قد يكون واحدا من اكثر الالغاز العلمية تشويقا في عصرنا
الحديث وسييسر لدينا بمساعدة الاقمار الصناعية الدائرة على ارتفاع ١٥٠ ميلا
حول الارض ملاحظة انفجارات الطاقة المغناطيسية بذات الدقة التي تسجلها
المراسم الزلزالية للهزات الارضية وسنهل ايضا مهمة ملاحظة حالات تكرارها
وشدتها بدقة كافية لتشخيصها مقدما . والمحصلة النهائية اذا ليست في نجاح حل
اللغز بل في منع حدوث كوارث مستقبلية كما حدث للرحلة ١٩ .

اختفاء أجاثا كريستي

تورطت أجاثا كريستي عام ١٩٢٦ في لغز بدا كأنه حبكة لاحدى رواياتها، الا انه لم يكن قصة خيالية نسجت خيوطها ليحلها هرقل بايروت. لقد كان لغزاً لا يأتي يسيراً حل رموزه.

عندما بلغت اجاثا السادسة والثلاثين من عمرها كان لها شخصية تحسد عليها. كانت امرأة جذابة ذات شعر احمر يميل الى اللون الرمادي تعيش مع زوجها الكولونيل ارشيبالد كريستي في بيت ريفي حالم كانت قد وصفته في احدى المرات على انه جناح سافوي بطراز مليونيري وقد انتقل الى الريف.

وكانت حينها قد الفت سبع روايات ذات طابع بوليسي احدثت اخرها وهي (مقتل روجر اكرويد) ردود فعل متناقضة لنهايتها (غير العادلة). ومع هذا فان اجاثا لم تحقق تلك الشهرة المتوخاة بل ان مبيعات رواياتها لم تتجاوز بضعة الاف نسخة.

بعدها وفي احدى الليالي القارسة البرودة وبالتحديد ليلة ٣ كانون الاول (ديسمبر) عام ١٩٢٦ غادرت بيتها الكائن في سانتكيدال في بيركشاير ولم تعد.

في الساعة الحادية عشرة من صباح اليوم التالي تسلم مدير مركز شرطة (سيري) تقريراً عن (حادثة طريق) في نيسولاند كورنر) خارج مدينة (كلفورد) مباشرة. لقد تم العثور على سيارة أجاثا نوع موريس ذات المقعدين على منتصف الطريق جنوب منحدر عشبي وان الادغال قد غطت بدن السيارة الامامي. ولم يكن ثمة دليل يرشد الى مكان السائق ولكن اجاثا لم تكن تعترم الذهاب بعيدا ذلك انها تركت فراءها داخل السيارة.

وسرعان ما سمعت الصحافة باختفائها وكان ذلك عصر اليوم التالي واحاط الصحفيون بيت زوجها. لقد كان ظن الشرطة باديء الأمر انها انتحرت فيما استبعد زوجها مثل هذا الشيء مشيراً بنوع من المعقولة الى ان معظم الناس انما يرتكبون جريمة الانتحار في منازلهم دون ان يضطروهم الامر الى السياقة منتصف الليل. وجرت عملية تفتيش واسعة للمنطقة المحيطة بنيولاند كورنر كما تم الغوص في اعماق ما يسمى (البحيرة الصامتة) التي يزعم انها بحيرة متناهية العمق تقع في جوار منطقة الاختفاء.

ان مالم يكن يعلمه عامة الناس هو ان حياة اجاتا لم تكن بتلك الرفاهية التي يفترضون. فقد احب زوجها فتاة تصغره بعشر سنوات تدعى (نانسي نيل) وقد اخبر زوجته اجاتا قبل فترة قصيرة برغبته في الطلاق منها. بينما احدثت وفاة والدتها صدمة نفسية كبيرة لها فباتت تعاني كثيرا من الارق او تتناول وجبات طعام غريبة ولم تكف عن نقل اثاث البيت هنا وهناك عشوائيا. لقد كان الاضطراب واضحا عليها وربما كانت على وشك انهيار عصبي ولم تتضح معالم اللغز في اليومين او الثلاثة التالية ولم يعلم احد مكان وجودها. وما ان اعلن عن العثور على ملابس نسائية في كوخ معزول بالقرب من نيولاند كورنر وبعانها غلبة دواء (غلدر) حتى اندفع الصحفيون الى المكان المعني. الا انه كان انذارا خاطئا فالدواء لم يكن سوى علاج للمعدة خال من اية اضرار جانبية وهنا تناقلت بعض الصحف ان ارشيبالد كريستي سيستفيد كثيرا من وفاة زوجته ولكنه كان يملك الدليل الكافي لاثبات براءته من التهمة التي قد توجه اليه، فقد كان موجودا في حفلة نهاية الاسبوع في سيربي. فيما ساءل بعض الصحفيين ان كان اختفاؤها عملا مقصودا منه اثاره انتباه العامة من الناس ورأى (ريتشيه كالدر) انها كانت تقصد باختفائها اغاظة زوجها وان تفضح علانية علاقته الغرامية مع نانسي نيل بل انه شرع بقراءة رواياتها لعله يجد ضالته في احدى

حواراتها. وما ان اعلنت (الدبلي نيوز) عن مكافأة لمن يكشف سر الاختفاء حتى
اهالت تقارير المشاهدة العينية لمكان الحادث محللة سر الاختفاء لكنها جميعا لم
تتوصل الى حل سليم.

وما زاد الطين بلة هو ان شقيقها كامبيل اعلن انه قد تلقى رسالة من
شقيقته اجاتا ويشير الختم البريدي عليها انها مرسلتة من لندن في الساعة ٩ و٤٥
من يوم ٤ كانون الاول (ديسمبر) عام ١٩٢٦ اي اليوم الذي كان مفروضا فيه
ان تكون تائهة في غابات سيري.

في يوم الاحد التالي نشرت صحيفة (الميل) لقاء مع زوجها اقر فيه (ان
زوجتي قد تناقشت معي في احتمالية اختفائها طواعية) وقبل هذا كانت قد
اخبرت شقيقتها (انني استطيع ان اختفي عندما ارغب بذلك وسأضع تدابير هذه
العملية بتمعن) وفي هذا الوقت تجلت عملية الاختفاء بأنها ليست بالانتحار او
فقدان ذاكرة.

في الرابع عشر من كانون الاول (ديسمبر) اي بعد مرور احد عشر يوما
على اختفائها اقترب اكثر رئيس نادي فندق (هايدرو باثك) في (هاروكيت) شمال
يوركشاير الى احدى نزيلات الفندق، لقد شاهد صورتها في الصحف- نعم انها
الكاتبة المفقودة!

وسرعان ما اخبر مركز شرطة يوركشاير الذين اتصلوا بدورهم بزوجها في
بيته الذي استقل قطار مابعد الظهر من لندن الى هاروكيت بعد ان علم ان
زوجته موجودة في فندق المدينة منذ اسبوع ونصف الاسبوع. لقد حجزت غرفة
مريحة في الطابق الاول بسبعة جنيهات اسبوعيا وكانت تبدو هادئة طبيعية،
تغني وترقص وتلعب البلياردو وتقرأ تقارير الصحف عن اختفائها وتبادل
الحديث مع ضيوفها النزلاء او تخرج للترهة سيرا على الاقدام.

وانجبهت الى المائدة لتناول عشاها واخذت احدى صحف المساء لتقرأ قصة البحث عنها مع صور شخصية لها . وكانت تقرأ في الوقت الذي كان فيه زوجها يقترب اليها ونظرت اليه وبدا لها مجرد صديق قد تعرفت عليه دون ان تتمكن من تشخيص هويته على حد قول مدير الفندق . وقد اخبر ارشيبالد كريستي الصحافة (انها تعاني من فقدان الذاكرة التام ولا اعتقد انها تعرف حتى نفسها) . فيما أكد الطبيب بعدئذ انها تعاني من فقدان الذاكرة . الا ان اللورد ريشيه كالدر تذكر فيما بعد ان تصرفاتها لاتتوافق الا جزئيا مع اعراض فقدان الذاكرة ثم انها كانت ترتدي عند اختفائها تنورة خضراء محاكة مع ستره رمادية وقبعة محملية ولم تكن تحمل معها الا بضع جنيهات في الوقت الذي كانت تبدو فيه لحظة العثور عليها في اعلى درجات الاناقة وفي محفظتها (٣٠٠) جنيها . وهي قد اخبرت بعض نزلاء الفندق انها قادمة من افريقيا الجنوبية . لقد احدث ذلك صدى سلبيا فالاحتجاج الجماهيري الذي تولت الصحافة قيادته اراد معرفة من سيتحمل تكاليف البحث عنها والتي قدرت بثلاثة الاف دولار .

لقد تلقت روايتها التالية (الكبار الاربعة) نقدا عاديا ومع هذا تجاوزت مبيعاتها تسعة الاف نسخة وهو رقم يعني اكثر من ضعفي مبيعات روايتها (مقتل روجر اكرويد) . ومنذ ذلك الحين حافظت رواياتها على وتيرة التزايد في المبيعات (كما وصفتها اليزابيث ولتر في مقال لها اسمه قصة تنامي المبيعات) وبحلول عام ١٩٥٠ وصلت مبيعات رواياتها الى (٥٠) الف نسخة للرواية الواحدة فيما تجاوزت مبيعات روايتها الاخيرتين (الانسة ماربل) و (القاتل النائم) الـ ٦٠ الف نسخة للرواية الواحدة وللطبعة الاولى فقط .

طلقت السيدة كريستي زوجها الذي تزوج الانسة نانسي نيل فيما تزوجت هي الاستاذ ماكس مالوان عام ١٩٣٠ . الا انها رفضت بقية حياتها ان تناقش في مسألة كيفية اختفائها واكتفت بأعطاء الوعود للمصحفين بالحديث عن الظروف

التي لم تكن قد كشفت عنها. أما السيدة جانيت مورغان (التي تبنت كتابة سيرة حياة أجاثا) فقد قبلت الفكرة التي مفادها ان اختفاء أجاثا كان مسألة انهباء عصبي اعقبه فقدان ذاكرة. ومع هذا فإن قبول هذا التفسير لا يبدو بالبساطة التي تصورها. فمن اين حصلت على الملابس والنقود للذهاب الى هاروكيث؟ ولماذا اخفت اسمها وصرحت بأسم مستعار كان اسم عشيقه زوجها؟

وهل يجوز التصديق انها كانت تعاني من فقدان الذاكرة التام في الوقت الذي كانت تتصرف فيه بشكل طبيعي جدا فقرأ الصحف وما يكتب عن قصة اختفائها وترى صورها المنشورة ولم تشكك حتى في شخصيتها؟

اما اللورد ريتشيه كالدر الذي عايشها عن كسب في الفترة المتبقية من حياتها، فلم يتزحزح عن رأيه (ان اختفاءها قد اعدت له بشكل دقيق بذات أسلوبها الذي اعتدنا عليه في رواياتها) فيما تنبأت احدى المسرحيات التي عرضها التلفزيون بعد وفاتها ان اختفاءها كان جزءا من مؤامرة شرعت بتدبيرها لمقتل تانسي نيل. ان الشيء الوحيد الذي بقي بين ايدينا والذي يصح لنا قوله هنا هو ان الاختفاء قد جعل من اجاثا كريستي اكثر الكتاب الدين تصدر كتبهم قائمة المبيعات وان تصبح هي السيدة المليونيرة.

آثار اقدام الشيطان

كان شتاء عام ١٨٥٥ شتاء قاسيا تعرضت له حتى المناطق الجنوبية الغربية من بريطانيا التي غالبا ما عاشت شتاء معتدلاً. وفي صبيحة الثامن من شباط (فبراير) من تلك السنة خرج السيد البرت بيرلسفورد وهو مدير مدرسة قرية (تويشام) في مدينة (ديفن) من منزله ليكتشف ان الثلوج قد تساقطت طوال الليل ولم يكثر ذلك حتى رأى خطأ من آثار اقدام او على وجه التحديد آثار حوافر حصان تتجه جنوب شارع القرية.

للهولة الاولى كانت تبدو حوافر حصان، فأقرب منها وتأكد له استحالة تخمينه الاول ذلك ان هذه الآثار اتخذت شكل خط مستقيم، الاثر بعد الاخر، فلو كان حصانا لكان بساق واحدة ولكان يحجل طوال الطريق واذا كان هذا المخلوق يساقين فلا بد وان يكون قد وضع احدهما امام الاخرى بكل حذر وكأنه يسير على حبل مشدود. والاكثر غرابة في الامر ان هذه الآثار وهي بطول اربعة انجات كانت تفصل الواحد منها عن الاخرى ثمانية انجات تماما وكان كل اثر منها واضحا جدا وكأنك قد بصمت علامة بحديد ساخن على جليد صلب.

وسرعان ما تبع اهل القرية الآثار المجهولة جنوبا وتوقفوا مذهولين عندما وصلت اثار اقدام الى جدار من الطابوق، وبعدها كانت دهشتهم اكبر حين اكتشفت احدهم ان هذه الآثار قد استمرت على الجانب الاخر من الجدار وان الجليد في اعلى الجدار لم تطأه قدم مخلوق ثم وصلت الى كومة تبن واستمرت على الجانب الاخر منها على الرغم من أن التبن لم يظهر ان مخلوقا غريبا قد مر فوقه. ومرت الآثار تحت اشجار الكشمش بل انها ظهرت على قممتها ايضا ولاح الامر وكان مهرجا متمرسا مجنوننا اراد ان يضع القرية في لغز محير، لكنهم سرعان ما

ادركوا ان هذا التفسير ابعد من المعقول ذلك ان المحققين قد اتبعوا الآثار ميلا بعد ميل على طول ضواحي مدينة (ديفن) واكتشفوا انهم يتخطون في قرى ومدن صغيرة (لمبستون-اساوث-تيناوث-دولش وحتى توتنس) حوالي منتصف الطريق الى بلاياوث). فلو افترضنا انه مهرجان مستمر لتوجب عليه ان يقطع اربعين ميلا معظمها فوق جليد كثيف وفوق هذا، ان مثل هذا المهرجان كان لزاما عليه ان يسرع الى الامام ليقطع اكبر مسافة ممكنة. فالآثار كانت تقترّب في اكثر من موضع الى ابواب المنازل الخارجية ثم تبعد وهكذا، وبينما عبر هذا المخلوق مصب نهر (الاكس) وكان عملية العبور كانت بين (لمبستون وباودرهام) نجد اثار اقدام اخرى في (اكساوث) ابعد الى الجنوب وكأنه قد عاد على اعقابها ولم يكن ثمة منطق يبرر اتباعه مسلكا كهذا.

وفي مواقع معينة ظهر الحصان بحافر مشقوق. لقد كان ذلك في منتصف العهد الفكتوري فشكك بعض من اهالي الريف بوجود الشيطان وتسليح الرجال بسلاحهم واستخدموا المذرة في تتبع الآثار وبحلول الظلام نرى الابواب وقد اوضحت وحشوا البنادق بالرصاص.

بلغت القصة مسامع الصحافة في السادس عشر من شباط (فبراير) عام ١٨٥٥ أي بعد اسبوع من الحادث حين نشرت (التايمز) اللندنية القصة بأكملها مصيفة ان معظم مزارع (لمبستون) قد شهدت آثار الزائر الغريب. وفي اليوم التالي نشرت (بلاياوث كازت) تقريرا اشارت فيه الى مقترح احد القساوسة من ان هذا المخلوق هو كنفغر دون ان يدرك ان للكنفغر غالبا. بينما رأت صحيفة (اكستر فلانيك بوست) ان هذه الآثار هي آثار طائر. لكن مراسلا في صحيفة (لندن نيوز) رفض هذه الفكرة مؤكدا ان لا طائر يترك اثارا تأخذ شكل حوافر حصان مضيئا انه قد امضى خمسة اشهر في غابات كندا الجنوبية ولم ير قط مثل هذه الآثار الواضحة المحددة. وفي الثالث من آذار (مارس) نشرت صحيفة

(نيوز لندن) تقريراً لعالم التاريخ الطبيعي والمشرح (ريتشارد اون) اعلن فيه بتعصب انها آثار الاقدام الخلفية لحيوان الغرير (وهو حيوان ثديي يحفر جحره بالارض) ويقترح ان اعدادا كبيرة من هذا الحيوان تخرج من سباتها ليلا بحثا عن الطعام ولكنه لم يوضح اسباب حجلان هذه الحيوانات على قدم خلفية واحدة (ويهدد مرور خمس سنوات كان هذا العالم متعصبا ومخطئا في ذات الوقت حول نظرية دارون في اصل الاحاس).

وكتب مراسل اخر وكان طبيبا انه امضى مع طيب آخر وقتا طويلا في محاولة لاكتشاف خصوصيات (اكثر الاطباعات نفردا) (يجب الفيكتوريون هذا النوع من الترويض اللفظي) وادعى (ان اضافة دقيقة اكثر في فحص هذه الآثار سيجعل من الممكن تمييز آثار الاصابع وراحات الاقدام لاي حيوان ما). اما مرشحاه فكان كلب البحر ويرى الصحفي (أورينثر) ان هذه الآثار تعود دون ادنى شك الى طائر (الحباري الكبير) وهو طائر غالب الخارجية مدورة حسب ادعائه. وادعى آخر وهو من مدينة (ساوبيري) انه رأى مؤخرا آثار فأر في مزرعة بطاطا وانها تشبه تماما هذه (الاقدام الشيطانية) مضيقاً ان هذه الفئران كانت تقفز على الجليد لتسقط بكامل ثقلها مولدة آثارا تشبه حوافر الحصان. ويظن مراسل اسكتلندي ان هذا المجرم ربما يكون أرنباً وحشياً او قطة قطية. ان هذه التفسيرات جميعها هي اقل سداجة مما تبدو عليه ان قد تتجرح في توضيح اكثر الخصائص غموضا لهذا اللغز وهي ان هذه الاقدام يقع احدها الآخر بنسق منتظم وكأنها نتاج حيوان احادي الساق ولكنها فشلت في ذات الوقت في شرح سبب استمرارها ما يعادل اربعين ميلا.

وربما تكون اكثر الفرضيات احتمالية هي تلك التي قدمها فيما بعد (جفري هاوسهولد) في كتاب صغير ضم كل ما يتعلق بالمسألة وعلق ادناه في رسالة بعثها الى المؤلف :-

www.alkottob.com

«اعتقد ان مدرج مطار ديفن اطلق بمحض الصدفة منطادا مختبريا انقلت من الحبال الشادة له وترك قيدين على حافة الحبال وان الأثار التي تركها القيدان على الثلج قد خطت طريقها على جوانب البيوت . فوق كومة التبن . . وقد اخبرني (الميجر كارتير) وهو من اهالي المدينة ان جده كان يعمل في المطار وقتها ويأن كل شيء قد انطفاً في لمحة بصر فقد دمر المنطاد عددا من البيوت الزجاجية والابنية الزجاجية والشبابيك حتى هبط اخيرا في (هوتون)».

وربما تتجلى هنا عوامل الاثارة في مثل هذه المعلومات وربما تكون هي الحل المناسب لهذا اللغز، الا ان نقاط الضعف لما تزل عالقة به . فرسم خارطة مسار هذه الأثار بين وبشكل واضح انها قد اتخذت مساراً دائرياً بين ثوبشاوم واكسهاوث . فهل يعقل ان يتجول منطاد هارب بهذه الكيفية؟ مما هو مؤكد انه سيسلك طريقاً مستقيماً بشكل او بآخر ومع اتجاه الريح السائدة انذاك والتي كانت على الارجح قادمة من جهة الشرق .

ان مضي اسبوع قبل نشر هذا اللغز في الصحافة هو الدليل والحقيقة على ان مفاتيح مهمة لحله قد اختفت مرة والى الابد ولكان شيقا معرفة جوانب اخرى تتعلق به نذكر منها ان ليلة الثالث من شباط (فبراير) كانت الليلة الاولى التي سقطت فيها الثلوج لشتاء عام ١٨٥٥؟ لقد كان شتاء قاسيا -نعم- فهذا يعني ان العديد من الحيوانات الصغيرة كالفرشان والارانب لا يبد وان تكون نصف جائعة بحلول شباط وقد خرجت تبحث عن غذائها . ثم ان الرسالة الموجهة الى صحيفة (بلاياوث كازت) تبدأ (ليلة الثلاثاء -الثالث من شباط شهدت تساقط ثلوج كثيفة اعقبتها الامطار والرياح العاتية القادمة من الشرق اما الصباح فكان ضبابيا) .

ان الحيوانات الصغيرة كانت تخرج كل ليلة ولكنها لم تترك آثارا يمكن ملاحظتها الا في صباح تلك الجمعة وعلى سجادة الجليد التي فرشتها السماء في

تلك الليلة. ولكن مثل هذه الآثار كان مفروضا ان تغطس في طبقة الجليد الحقيقية اولا ثم يزداد عمقها مع سقوط الامطار قبل ان تتجمد وان هذا سيوضح سبب ظهورها وكان أحدا قد بصم بها على الجليد.

وإذا ما غطي الجليد الأرض قبل ليلة الثالث من شباط (فبراير) لتوجب التحلي عن احدي النظريات الواردة الاحتمال - لقد فشلت كل الحالات في توضيح كيف ان هذه الآثار قد اتخذت حتى من اعالي الاشجار واكوام التين مكانا لها وهذه المسافة وفي مثل هذا الوقت - وهكذا بقي اللغز لغزا مستعصيا دون ادنى شك.

لغز ايليان مور

الجزيرة التي يختفي فيها الرجال

تقع في المحيط الاطلسي، غير المأهول، وعلى بعد سبعة عشر ميلا الى الجنوب من "هير يدز"، جزر فلانتن المعروفة بين الملاحين بـ "الصيدات السبع".

وتسمى أكبرها وابعدها باتجاه الشمال "ايليان مور" وتعني في حقيقة الامر الجزيرة الكبيرة "مازي سيليست" التي ارتبط اسمها بأحد ألغاز البحر المبهمة والمعقدة. اقتبست هذه الجزر المنعزلة اسمها من اسقف عاش في القرن السابع عشر ويدعى "اس.ت. فلانتن" كان قد شيد كنيسة صغيرة في "ايليان مور". اما رعاة قرية "هيرابس" فقد تعودوا العبور بأغنامهم الى الجزر لترعى الأعشاب الغزيرة، ولكنهم أنفسهم لايمكثون الا ليلة واحدة هناك لما يظن من أن هذه الجزر تؤمها الارواح والأقزام.

لما ازدهرت تجارة البحر في بريطانيا خلال العقود المتأخرة من القرن التاسع عشر، أبحرت من "كلايد بانك" سفن عديدة صوب الشمال والجنوب بيد أنها تحطمت جميعاً في جزر فلانتن. وفي عام ١٨٩٥، أعلنت هيئة الفنارات الشمالية أنها ستشيد فاناراً في ايليان مور، وتوقعت أن يستغرق البناء سنتين ولكن مشكلات رفع الاحجار ونصب العارضات على جرف يتجاوز مائتي قدم حالت دون التقييد ببرنامج العمل المحدد. وأخيراً افتتح فانار "ايليان مور" في كانون الاول (ديسمبر) ١٨٩٩، وفي السنة التالية كان بريق شعاعه يبدو للعيان فوق البحار الهائجة بين جزر "لويس" و "فلانتن". ثم انطفأ ضوءه قبل اعياد الميلاد لعام ١٩٠٠ بأحد عشر يوماً. كان الطقس عاصفاً جداً مما حال دون تمكن باخرة هيئة الفنارات الشمالية

من الذهاب وإجراء التحقيق. بيد أن الفئار كان مبتبياً برصيفين احدهما الى الشرق والشافي الى الغرب، ولذلك فإن احدهما سيكون بعيداً عن مهب الريح السائدة.

ثلث جوزيف مور شعور بالعجز التام وهو يحدق باتجاه الغرب الى جزر فلانتن من على حافة البحر في "روك روج". إنه لأمر غير طبيعي أن يمرض سوية في لحظة بصر الرجال الثلاثة في "إيليان مور" - جيمس دوكلات ومك اثير وتوماس مارشال- ومن المستحيل عملياً أن يتحطم الفئار نفسه بفعل العواصف. وفي عيد الإهداء ٢٦ كانون الاول (ديسمبر) من عام ١٩٠٠ كان الفجر صافياً والبحر أقل هيجاناً، وكانت الباخرة "هبرس" قد غادرت المرفأ بعد طلوع الصباح بقليل. انتاب القلق مور ورفض تناول الفطور، وشرع يذرع ظهر الباخرة جيئة وذهاباً وهو يتطلع بعيداً صوب الجزر. لقد عذبه لغزها وأفقده هدوءه ولم يعد يقوى على تناول الطعام، وكان على هبرس أن تقطع ثلاث ممرات قبل أن تتمكن من الرسو قرب الرصيف الشرقي. كما لم تلتق إشارتهم اي رد سواءً كان علماً ام راية، ولم يكن ثمة ما يشير الى وجود حياة هناك. كان مور اول من وصل بوابة الدخول وكانت مغلقة، حرك يديه وصاح ثم أسرع الخطى في الطريق المنحدر. كان الباب الرئيس مغلقاً ولم يسمع أحد نداءه. لقد وجد الفئار خالياً والساعة في الغرفة الرئيسية قد توقفت والرماد في الموقد بارداً. أطلال مور صبره حتى لحقه اثنان من البحارة قبل أن يغامر بالصعود الى أقسام النوم في الطابق الاعلى خشيةً مما قد يلاقيه هناك، فوجد الامرة مرتبةً بدقة وكذلك المكان. فيما دون جيمس دوكلات المسؤول الرئيس بيانات على لوح الكتابة ومنها يشير تاريخ آخر بيان أن (١٥ كانون الاول الساعة التاسعة صباحاً) كان اليوم الذي انطفأ فيه ضوء الفئار. بيد أن سبب هذا لم يكن نفاذ الزيت فالفتائل كانت مهياةً والمصابيح على وشك أن تضاء وكل شيء كان على مايرام،

وهو دليل أن الرجال قد أحسنوا أداءاً في واجباتهم لليوم الذي سبق حدوث
المأساة. إلا أن أحداً لم يكن موجوداً بحلول المساء ليضيء المصباح برغم أن يوم
١٥ كانون الأول كان يوماً هادئاً.

عادت "هيسرس" الى "لويس". حاولوا إعادة تنظيم الاحداث وظنوا
باديء الامر أن الحل واضح المعالم. لقد وجدوا في الرصيف الغربي دليلاً يشير
الى حدوث ضرر بسبب عاصفة حيث تشابكت الحبال حول رافعة كانت على
مستوى (٦٥) قدماً فوق سطح البحر، كما فقد صندوق أدوات كان محفوظاً في
شق على ارتفاع (٤٥) قدماً فوق الرافعة، وبدا وكأن موجة بارتفاع (١٠٠) قدم
في المحيط الاطلسي قد حطمته واكتسحته بعيداً وكذا الحال بالنسبة للرجال
الثلاثة. لقد عززت حقيقة فقدان معظفي المطر العائدين الى دوكات ومارشال
هذه النظرية فهما يرتديانها عند زيارة الارصفة، لذا فقد توصل المحققون الى
نظرية مقبولة ظاهرياً. فالرجلان خشياً أن الرافعة قد تحطمت بفعل العاصفة
وتقدما بصعوبة نحو الرصيف بمعظفيها المطرين ثم أخذتها موجة قوية.

الا أن مصير الرجل الثالث دونالد مك ارثر ما زال معلقاً. فمعظفه المطري
ما زال موجوداً في الفئار. . . أيمن أن يكون قد اندفع صوب زميله لإنقاذهما
ثم اكتسحته العاصفة؟؟.

هذه النظريات انهارت جميعها عندما أشار أحدهم الى أن يوم ١٥ كانون
الأول كان يوماً هادئاً، وأن العواصف لم تبدأ الا في اليوم التالي. ربما يكون
دوكات قد سجل تاريخاً غير صحيح سهواً!! . لقد توجب إسقاط هذه النظرية
عند العودة الى "لوشف روك" يوم أخبرهم هولمان، قبطان الباخرة "ارجر"، أنه
مر قريباً من الجزر في ليلة ١٥ كانون الأول وكان الضوء منطفئاً. . . ربما كان
الرجال الثلاثة واقفين على الرصيف في ذلك الصباح الهادي الذي يدل عليه عدم

ارتداء مك آرثر معطفه المطري وزلت قدم أحدهم في الماء، فمز بعدها الأخران وراه إلى الماء فغرقوا جميعاً!! . ولكن لم يقدفا بالحبال وأحزمة الأمان الموجودة على الرصيف؟. فلو افترضنا أن الرجل الغارق كان فاقد الوعي ولم يتمكن من الإمساك بحزام الأمان الذي رموا به لتوجب إذاً أن يقفز أحدهما وراه تاركاً الآخر على الرصيف يمسك بالحبل . . . وثمة نظرية أخرى تقول أن أحد الرجال الثلاثة قد أصابه مس من الجنون ودفع بالآخرين إلى حشفيهما ورمى بنفسه في البحر. هذه النظرية، وإن لاحت معقولة، فإنها تفنقد إلى ايسر دليل يؤكد صحتها. كما اقترح المذيع فالتين داريل (الرجل المتشح بالسواد) تفسيرات أكثر قبولاً في كتابه (الغاز مستعصية). وفي عام ١٩٤٧ زار جزيرة "إيليان مور" صحفي اسكتلندي يدعى آيان كامبل، وذات يوم هاديء كان جالساً على المرفأ الغربي عندما جاش البحر فجأة وارتفع سبعين قدماً فوق الرصيف وبعد حوالي دقيقة هدأ ثانية وعاد إلى طبيعته، لكن هذا قد يكون شذوذاً من الأمواج أو هزة أرضية تحت الماء. واعتقد كامبل أن كل من كان على الرصيف في تلك اللحظة قد ابتلعه البحر، وأخبره مسؤول الفئار أن هذا الجيشان الغريب يحدث بشكل دوري. لكن الأمر ما زال غامضاً، فكيف يمكن أن تتلع الحادثة ثلاثة رجال معاً؟

هب أن مك آرثر كان في البرج ساعة وقوع الحادثة (ان كانت قد حصلت فعلاً) غير مرتدياً معطفه المطري، فهل وصل به الغيباء أن يرمي بنفسه إلى الرصيف ويقذف بها إلى البحر الذي ابتلع صديقيه؟ .

لم يبق أمامنا الا شيئاً واحداً الا وهو أن ذلك اليوم الهاديء من كانون الأول (ديسمبر) قد اختطف ثلاثة رجال خارج (إيليان مور) أخذاً معه حتى نزيير الاثر الذي يمكن ان يوصلنا إلى حل اللغز.

الكفن المقدس في تورين

يلوح الاعتقاد أن قطعة القماش مستطيلة الشكل البالغ طولها أربعة عشر قدماً والمحفوظة في كاتدرائية (تورين) هي الكفن الذي دفن فيه مؤسس المسيحية في الصريح اعتقاداً منافياً للعقل بشكل واضح سيما وإن هناك أربعون كفنًا غريباً تنافس كفن تورين في مناطق أخرى من أوروبا. وإذا كان (الكفن المقدس) مزيفاً فإن اللغز سيكون أكثر غموضاً من قبل، لأننا سنواجه مشكلة تفسير عدد كبير من القطع ذات الأدلة الغاطئة والمقنعة. يبدأ تأريخ الكفن من عام ١٣٥٣ حين قام (جيفري ديشارمي) سيد منطقتي (سافوازي) و (ليري) ببناء كنيسة في (ليري) وعرض فيها (الكفن) الحقيقي للمسيح والذي كان قطعة قماش من الكتان يناهز طولها أربعة عشر قدماً وعرضها ثلاثة أقدام ونصف القدم وعليها صورة بنية معتمة لرجل أو ربما صورتان واحدة لبعته والثانية لظهره. ويتضح أن الجسد قد كفن بالجزء السفلي من القماش الذي لف إلى الداخل فوق قمة الرأس وبطريقة غريبة طبعت صورة الرجل على الكفن حتى تجلت كأنها صورة فوتوغرافية رديئة جداً. إن أثراً مقدساً كهذا ليعادل أكثر من وزنه ذهباً حيث سيؤدي إلى تدفق الحجاج على الكنيسة لمشاهدته ووضع نقودهم في الصندوق المخصص لجمعها. وفي عام ١٣٨٩ صرح (بيتر دراسين) مطران كنيسة (ترويز) أن الكفن مزيف ورسمه أحد الفنانين، وحاول الاستيلاء عليه لكنه أخفق. وفي عام ١٥٣٢، أحرقت النار التي شبت في (سينت شابيل) بمقاطعة شامبري في فرنسا أغلب الكفن وتخللته عدة ثقبوب أحدثتها الفضة المنصهرة لكن شيئاً لم يحدث قط لمركز القماش الذي يموي الصورة لدرجة أن أضحي جديداً بعد أن اصلحته راهبات كنيسة (أس- كيلو). لقد بدأ التأريخ الحقيقي للكفن -وهذا ما يكثر إليه القراء المعاصرون- في ٢٨ مايس (مايو) عام ١٨٩٨ بعد أن حفظته

كاتدرائية تورين منذ عام ١٥٧٨م ضمن ملكيات دوق سافوي حتى تم عرضه ثانية عام ١٨٩٨ في معرض عام .

كلف (سيكوتوربايا) مصور تورين بالتقاط صور فوتوغرافية له . كان المصور في غرفته في حدود منتصف الليل حين اخرج اولى الصورتين من سائل التحميض فكان ما رآه جعله يرمي بها . اذ رأى بدلاً من مسودة الصورة صورة حقيقية لوجه واضح المعالم برغم انه كان ينظر الى صورة فوتوغرافية سالبة ليست بالصورة النهائية ، وهذا لا يعني الا شيئا واحدا هو ان الصورة التي كانت على الكفن كانت صورة فوتوغرافية سالبة ، وعليه ظهرت الصورة عندما أعاد (بايا) تصويرها موجبة وحقيقية ، واذا كان الاثر حقيقيا فإن (بايا) كان ينظر الى صورة المسيح . وصل الخبر الى دوق سافوي الذي كان في هذه الاثناء الملك الاول (الذي اغتيل بعد سنتين) وشرع موكب من الزوار المتيزين يتوافدون على بيت المصور لايمانهم انه (الكفن المقدس) مادام لم يحظر بيال اي رسام تزوير صورة سلبية ، والاحتمال الاخر ان ذلك تحقق بالصدفة على يد احد الموزرين ، وهو احتمال لا يبدو قابلا للتصديق . وبعد اسبوعين نشر احد الصحفيين الخبر ناشراً اياه في كل انحاء العالم . لكن شهرة الكفن لم تدم طويلا . فبعد سنتين كتب عالم فرنسي متخصص بدراسة القرون الوسطى يدعى (بوليس شيفاليه) تقريرا مفصلا حول الموضوع هداً من الانفعال ، فقد درس شيفاليه كل ما عثر عليه من وثائق من بينها تأكيد (بيتر داسيسن) ان الكفن مزيف حين ادعى ان الرسام نفسه اعترف له ان الصورة التي على الكفن هي رسم يد ، واورد مصور مشهور بأن الصورة السلبية الفوتوغرافية هي مجرد مصادفة تقنية . اتفق ذلك العلماء ليستشفوا ان الكفن المقدس كان اثرا مزيفا مثل الاف القطع التي يعتقد انها (الصليب الحقيقي) والمنتشرة في كنائس العالم المختلفة . ثم دفعت الساحة بنصير جديد يدعى (بول فينون) وهو رسام أبدي اهتماماً بعلم الاحياء حتى اصبح مساعدا للاستاذ

(بيغن ديلاك) في جامعة السوربون. كان (فيتون) كاثوليكيًا أما (ديلاك) فينسب إلى مذهب (اللاإلهية)* وهو الذي عرض على (فيتون) الصور الفوتوغرافية للكفن وأثار اهتمامه بالموضوع عام ١٩٠٠م وما لا ريب فيه أن فيتون قد أدرك أن الاختبار الدقيق هو الذي يثبت مرة واحدة وإلى الأبد فيما إذا كانت الصورة من صنع اليد على الكفن. فذهب إلى تورين وحصل على الصورة الفوتوغرافية التي التقطها (سيكوتروبايا) بالإضافة إلى صورتين للكفن التقطها في الوقت ذاته رجلان آخريان. وكان السؤال الأول الذي طرحه (فيتون) على نفسه هو كيف تم وضع البقع البنية وإذا كان قد رسمها فهل كان بإمكانه رسم مثل هذه الصورة السالبة المؤثرة؟ وقد يعني هذا أنه كان يرسم دون أن ينظر حقيقة إلى ما كان يعمل، ويحس الفنان أدرك (فيتون) أن ذلك غير ممكن، لأن التصوير الفوتوغرافي لم يكن معروفًا في عام ١٣٥٣، لذلك فإن الفنان لم تكن لديه وسائل لفحص عمله ولماذا أراد أن يرسم صورة سالبة وإذا كان القصد تضليل الحجاج فمن المؤكد أنهم يفضلون وجهها يمكن تمييزه. حاول (فيتون) أن يغطي وجهه بغطاء الطباشير ومن ثم اضطجع وغطى وجهه بقطعة قماش ضغطت بلطف على وجهه فكانت النتيجة أن طبعت مناطق الناس على قطعة القماش مكان الشكل الإجمالي بقعاً لا تحدد ملامحاً محددة ولا حتى صورة سلبية. وإذا كانت الصورة قد أنتجت بطريقة (التلامس) فلا يمكن أن تكون قد تولدت من هذا النوع من التلامس، إذن في هذه الحالة، أي نوع من التلامس هذا؟ أحد اللغز هو أن الطبع شمل حتى تجاويف الوجه حيث تظهر في الصورة قصبة الأنف على الرغم من أن وضع قطعة قماش على الوجه لا تمس قصبة الأنف. هل يمكن افتراض أن الصورة نتجت بتأثير العرق؟ وكانت مراهم الدفن الشائعة في زمن (الصلب) هي صمغ المر والألو وهي مواد يمكن للعرق أن يؤثر فيها والعرق يحتوي على مادة تدعى اليوريا والتي تتحول إلى الأمونيا ذات الرائحة الكريهة، وقد لوحظ أن العرق ينتج بقعاً بنية على قطعة القماش إذا بللت فيها.

من الغرب أن يصحح (اللاارادي) ديلاك أخيراً مقتنعاً أن الكفن حقيقي وغير مزيف على الرغم أنه لم يكن مسيحياً متزمتاً. ويظهر على الصورة الفوتوغرافية للرجل آثار سوط وطعنة رمح في جهة واحدة وعلامات على الجبهة قد تنطبق على اكليل الشوك وهناك آثار مسامير على المعصمين والقدمين. وعلى الرغم من أن أغلب رسوم (الصلب) تظهر عليها مسامير غرزت بالكفين فأنت (فينون) برهن أن ذلك لا يمكن أن يقيد رجلاً على الصليب، وفي الحقيقة أظهر البحث الأرنجني أن المسامير أثناء الصلب غرزت في المعصمين وليس في الكفين وقريء التقرير الذي أعده (فينون) و (ديلاك) في أكاديمية العلوم يوم ٢١ نيسان (أبريل) ١٩٠٢ و آثار ضجة وصار (فينون) و (ديلاك) بين مادح وقادح. ومن الغرب أن بعض الكاثوليك المؤثرين ما انفكوا يعتبرون الكفن خدعة. وكان اليسوعي* الأب (هربرت نورستن) من شارع فارم في لندن قد شارك في الموسوعة الكاثوليكية بموضوع بين فيه وجهة نظره أن الكفن كله مجرد (مساعدة دينية) رسمه وتبرع به ناسك من القرن الرابع عشر.

وخذ الجدل، وبعد ما يقارب ثلاثين عاماً وفي مايس (مايو) ١٩٣١ تقرر أن يعرض الكفن ثانية في الاحتفال المتأخر لزواج ولي العهد (امبرتو) والتقطت صور فوتوغرافية كثيرة قام بالتقاطها (غايب آري) وكانت أحسن بكثير من الصور الفوتوغرافية الأولى التي التقطها (بايا) وكان الحس الواقعي فيها أقوى وفوق ذلك فإن الاختبار الدقيق للقمماش يثبت أن نظرية الرسم بعيدة الاحتمال. فالاصباغ يتشربها القماش، لكن البقعة البنية كانت على سطح القماش ولم تظهر للعيان شظايا للاصباغ حتى باستخدام المجهر. وقد عرضت الصور الفوتوغرافية على خير التشریح الفرنسي (بيير باربت) الذي واصل دراستها بتفصيل دقيق واطهرت الصور أن المسار الذي اخترق المعصم خرج من ظهر الكف. يمكن أن يكون هذا غلطة مزورة؟ وحاول (باربت) غرز مسار في معصم عمق وعندما

اصطدم المسمار بالعظم انزلت الى الاعلى وخرج من نفس المكان الذي ظهر في الصورة ٢٥ كما ظهر على كل معصم اثران للدم كما لو كان المعصم في موقعين مختلفين وبرهن (باريت) ان الرجل الذي يعلق من المعصمين يختنق في الحال ولذلك فإنه يدفع جسمه الى الاعلى ليتنفس وهو واقف على المسامير التي تمسك قدميه، لكن هذا سيرهقه بسرعة فينخفض جسمه ثانية، وينطبق اثرا الدم تماما مع هذين الوضعين واعتادا على وصف الرول (جون) للرمح المغروز في جانب جسد المسيح الميت: "وفي الحال خرج دم وماء" اي مزيج من الدم وسائل شفاف. واوصلت كل هذه التحقيقات (باريت) الى صورة مروعة عن معاناة رجل يموت على الصليب وعند هذا الحد اعترف انه لم يعد يجزؤ على التفكير فيها واصبح كتابه (الأم المسيح الجسدية) موضوع مواظب لاحد لها في اعياد الفصح (باريت) نفسه تأثر عاطفيا عندما تمكن من القاء نظرة عن كتب على الكفن في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٣٣ وأدرك ان بعض البقع البنية كانت بقع دم من دم المسيح . . . وسجد بعدها على ركبتيه وحنى رأسه اجلالا: واتضح امر واحد: وهو ان المعلومات التي احتواها الكفن كانت معقدة جدا لدرجة ان فرصة كونه حقيقيا كانت واحدة في الالف واصبحت دراسة الكفن علما يحد ذاته اطلق عليه اسم (سندونولوجي) وهو مشتق من كلمة (سندون) الايطالية التي تعني كفن واضحى (بول فينون) المؤسس المشهور لهذا العلم وكان قد اقترح رأيا مشيرا وهو ان الكفن قد يكون سبب التغيير المفاجيء في ثماتيل المسيح في زمن الامبراطور قسطنطين (٢٤٧-٣٣٧م). ففي القرون الاولى بعد صلب المسيح كانت صورة تظهره شابا غير ملتحم ثم بعد ذلك تظهر صورة رجل ذو لحية وشارب، هل يمكن ان يكون اكتشاف الكفن سبب التغيير؟ درس (فينون) مئات الرسوم وانتهى الى ان عددا كبيرا منها قد تأثر بالكفن وعلى سبيل المثال: كان هناك مربع صغير فوق الالف يسبب عيبا في نسيج القماش وقد وجد هذا المربع في العديد من صور المسيح، وفيما يسمى (وجه ايديسا المقدس) وهي

لوحة تعود الى قرن بعد قسطنطين كان هناك شبه واضح بينها وبين الوجه المرسوم على الكفن. ويرهن عالم آخر وهو (آيان ولسن) بشكل مقنع ان الكفن مطابق للآثر المعروف بـ (مانديلاين) وهو المتديل الذي مسحت به القديسة (فيرونيكا) وجه المسيح عندما كان في طريقه الى كالفاري والذي طبع عليه وجه المسيح بمعجزة. والمانديلاين او (الآثر الذي يدعى انه متديل القديسة فيرونيكا الاصيلي) كان محفوظا في بيزنطة حتى نهبا الصليبيون عام ١٢٠٤ وقد جاء الى هناك من ايديسا ("ارفا" في تركيا حاليا) في آب اغسطس ٩٩٤م. ويرهن ولسون ان الكفن كان مطويا ولذلك لم يكن يظهر عليه الا الوجه وانه نفسه (مانديلاين). وفي كتابه (كفن تورين) كتب ولسن اكثر من مائة صفحة في دراسة المصادر الوثائقية ومحاولة تعقب تاريخ الكفن (مانديلاين) قبل ظهوره في اواسط القرن الرابع عشر وكانت ذات براهين طويلة لاجمال لتفصيلها هنا، لكن اعادة التنظيم التجريبية كانت كالآتي :-

بعد صلب المسيح في (حوالي ٣٠ ب م) كان الكفن مطويا ونجبا وذلك لطبيعته (غير النظيفة كونه قماش دفن) وأخذ الى ايديسا وفيها مجتمع مسيحي مزدهر، ولكن عندما ارتد (ماتيو السادس) الى الوثنية عام ٥٧ ب.م واضطهد المسيحيين تم اخفاء الكفن في كوة في جدار فوق بوابة ايديسا الغربية. وعلى الرغم من ان المسيحيين عانوا ثانية بعد (١٢٠) سنة بقي مكان الكفن مجهولا. وفي الفيضانات الشديدة التي اصابته (ايديسا) عام ٥٢٥م والتي ازهقت ارواح ثلاثين الفا ودمرت العديد من بنايات العامة، عثر على الكفن ثانية عند اعادة بناء الجدران (وهذه الرواية تناقض بالطبع افتراض فينون ان الكفن عثر عليه ثانية في عهد قسطنطين قبل ثلاثة قرون). وفي عام ٩٤٢م حاصر الجيش البيزنطي (ايديسا) وعرض اخلاء المدينة مقابل (مانديلاين) وهكذا نقل (مانديلاين) الى القسطنطينية واكتشف انه كفن طمر في عام ١٠٤٥م وذلك عندما حاول احدهم فتح اطار

مانديلاين لتجديده. وفي عام ١٢٠٤ وعندما اخذ الصليبيون القسطنطينية من الاغريق المسيحيين اختفى الكفن ثانية ولا يعرف ماذا حدث بعد ذلك الا حدس واحد وهو انه وقع في ايدي الداويون* الذين اهتموا بعبادة رأس رجل ذي لحية شقراء. وفي عام ١٢٩١ وبعد سقوط (اكري) وهي مكان ثروة الداويين، جلب القياض الى صيدا ثم الى قبرص.

وفي عام ١٣٠٦ أنتقلت ثروة الداويين الى فرنسا حيث جلبها جاكسن مولاي وفي ١٣ تشرين اول (اكتوبر) ١٣٠٧ القى القبض على الداويين بأوامر الملك فيليب العادل الذي كان تواقا لوضع يده على نفوذهم. وفي آذار (مارس) ١٣١٤ أعدم حرقا كل من جاكسن مولاي وجفري دي شرناي الزعيم الديني. ولا يعرف فيما اذا كان جفري دي شرناي يبدو انه هو الذي عرض الكفن هناك حوالي عام ١٣٥٥ وعندما قتل (جفري) في (بوتيرس) في ايلول (سبتمبر) ١٣٥١ تحولت ملكية الكفن الى ابنه الصغير والذي يدعى (جوي) ايضا وعرض الكفن (رسميا للحصول على النفود) في عام ١٣٥٧. لكن (هنري) اسقف كنيسة (بوتيرس) امر بالتوقف عن عرضه وفي عام ١٣٨٩ تم عرضه مرة اخرى مما آثار حفيظة (بيتر دارسين) اسقف كنيسة (ترويز) الذي ناشد الملك والبابا لوضع اليد على الاثر وأكد ان الكفن زيفه فنان حوالي عام ١٣٥٥، وقد ساند البابا عائلة (ديشارني)، لكن محاولة الاسقف اخفقت وفي عام ١٤٠٠ وبعد وفاة (جفري ديشارني) الصغير تزوجت ابنته (مارغريت) من (همبرت) احد سكان (فلر سكل) وسلم الكفن له لغرض الحفاظ عليه وتم وضعه في كنيسة القديس (هيوليت) على نهر دوسن وصار يعرض سنويا في مرج على نهر (دوسن) عرف فيما بعد بـ مرج المفض

حاول كهنة كنيسة ليري استعادته حوالي عام ١٤٤٣ وعلى الرغم من انهم نجحوا في حرمان مارغريت من الكنيسة الا انهم اخفقوا في الحصول عليه،

وعندما توفيت مارغريت عام ١٤٦٠ تحولت ملكية الكفن فوراً الى دوق سافوي الذي منح مارغريت قلعتين فرنسيين. وفي عام ١٥٥٢ أودع الكفن في قلعة (شاميري) وبعد ثلاثين سنة اثلقت النار اجزاء كبيرة منه ثم اخذ الكفن الى كنيسة (تورين) عام ١٥٧٨ حيث بقي هناك منذ ذلك الحين عدا ايام الحرب العالمية الثانية حيث نقل الى دير (مونت فرجين) في (اميلينون) لضمان سلامته. وفي عام ١٩٥٥ جلب الكابتن فناة اسكتلندية مشلولة الى تورين وسمح لها بحمل الكفن في حضنها ومع ذلك لم تشف وربما بسبب هذا الاخفاق قرر (بلفرينو) كاردينال كنيسة تورين القيام بمحاولة فاصلة لاثبات اصالة الكفن او استخدام الوسائل العلمية لاثبات ذلك. وفي حزيران (يونيو) ١٩٦٩ سمح لهيئة علمية بالكشف على الكفن والتقطت صور اخرى له (بعضها ملونة) قام بالتقاطها كل من جيوفاني وباتستا جودكيا وكورد غلبيا، ودرست الهيئة الكفن لمدة يومين وطلبت اجراء سلسلة من الاختبارات والتي شملت (ازالة النماذج الاصغر) ووافق الملك امبرتو الثاني المنفي في البرتغال على اجراء الاختبارات وفي ٢٣ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٣ عرض الكفن لأول مرة على شاشة التلفاز وفي اليوم التالي نقل الى غرفة صغيرة خلف كاتدرائية (تورين) ونقل بعناية مجموعة من سبعة عشر نموذجاً ونقل كذلك جزءاً من القماش الذي يغطيه والذي خاطته الراهبات بعد تعرضه للنار. كشف الغطاء هنا عن الحقيقة المثيرة وهي ان الصورة لم تنفذ الى الوجه الثاني من القماش وفي الحقيقة ان الاختبار الدقيق للخيوط بين ان البقعة البنية كانت مقتصرة على سطح القماش وهذا قد يلغي احتمال وجود دم حقيقي. وهنا نتذكر بيير بارث حين سجد على ركبتيه عندما صدمته حقيقة انه كان ينظر في بقع دم حقيقي، ثم بينت الاختبارات بأنه ليس ثمة دم على الكفن وجاء عالم اخر هو الدكتور (ماكس فري) خبير في غبار الطلع واحد اول اكتشافاته كانت جيوب غبار طلع من شجرة ارز لبنان، عدا ما انتشر من هذه الشجرة خارج لبنان وخاصة في المتنزهات العامة ثم توصل الى شيء

كشف الكثير وهو حبسب طلع لنباتات فريدة تعيش في غور الاردن متكيفة
 للتربة ذات النسبة العالية من الملوحة، وراح يحدد هوية تسعة واربعين نوعا من
 حبسب الطلع اقلها من القدس واخرى من استانبول (المقسطنطينية) وغيرها من
 ليرفا (اديسا) ومن فرنسا وايطاليا وقدم هذا دليلا قاطعا على ان اصل الكفن من
 (الارض المقدسة) وانتقل الى تركيا ثم فرنسا وايطاليا وكان هذا اكثر الاكتشافات
 اثاره دون شك المبنقة من اختبار عام ١٩٧٣. وفي وقت هذا الاختبار كان
 بحسا مهها آخر يقوم باجراته في امريكا الفيزيائي (جون جاكسن) وصديقه
 الدكتور (اريك جير) كاتبتي في القوة الجوية الامريكية واستخدما كفتا (وهيا)
 باستعمال الشفافية وحدوا كل السات الرئيسية للكفن على قطعة قماش مشابهة
 ووضعوا الكفن الوهمي على رجل مضطجع ثم عينوا علامات البقع البنية
 الداكنة نسبيا واكتشفوا حقيقة غريبة وهي ان العلامات كانت اوضح في اماكن
 تلامس القماش مع الجسم واتضح ان لها علاقة بنسبة المسافة التي يبعد فيها
 القماش عن اللحم، على سبيل المثال كانت البقع باهتة جدا اسفل الذقن حيث
 يكون القماش مشدودا بين الذقن والصدر، ولكنهما في عام ١٩٧٦ توصلا الى
 اكثر المعلومات اثاره وزيا اكثر الاكتشافات تشويقا منذ الصورة الفوتوغرافية
 التي التقطها (سيكوتروبايا)، فقد قررا اخضاع الكفن لعملية (تعزير الصورة)
 وهذه تقنية حديثة الغرض منها تحليل الوضوح النسبي في مقاطع الصورة
 الفوتوغرافية وعلى سبيل المثال التقطت احدها بواسطة مجس المساحة وتم تكثيفها
 بصورة انتقالية لاستخراج الصور التحتية (وقد استخدمت هذه الطريقة على
 الصور الفوتوغرافية لوحش بحيرة نيس) وبما ان (جهاز تعزير الصورة) بأمكانه
 ايضا ان يعطي معلومات عن المسافة فأنه كذلك يستطيع تحويل الصورة
 الفوتوغرافية المستوية الى صورة ذات ثلاث ابعاد وهو ما يساوي تحويلها الى
 شمال و (الشمال) يمكن بعد ذلك تحريكه من جهة الى اخرى. ومن القطعة
 الشفافة الصغيرة للكفن حصل جاكسن وجير على صورة كاملة ومدهشة للوجه

واثبتت ان العلامات البنية على الكفن توفر بالفعل للعقل الالكتروني معلومات كافية لاعادة صياغة الاصل وذلك ببعدالفعل احتمال ان الكفن كان رسماً مزوراً. وفي الحقيقة وكما اشار جاكسن وجمير فان الكفن افضل بكثير في نواحي عدة من الصورة الفوتوغرافية الحديثة فربما لا تحتوي الصورة الفوتوغرافية (على معلومات كافية عن المسافة) لتكوين (تمثال) دقيق، لذلك فان المحاولة التي اجريت لتحويل الصورة الفوتوغرافية للبايا (بيوس الحادي عشر) الى صورة ذات ثلاثة ابعاد، جعلت الالف مسطحا وشوهت الفم وجعلت العينين عميقتين اكثر من الطبيعي، وكانت الصورة التي على الكفن ادق من ذلك بكثير وكشفت كذلك شيئا لم يكن معروفا ابدا وهو الدراهم التي وضعت في كلتا العينين استنادا لمراسيم الدفن اليهودي في ذلك الزمان. وكان باحثان اخران وهما دونالد لين وجان لور قد تمكننا من تحديد هوية الدراهم تجريبيا على انها (لبتونات) او (فلس الاملسة) في العهد الجديد ، وفي عام ١٩٧٧ تقدم الدكتور وولتر ماركرون وهو محلل مجهري في جامعة شيكاغو بطلب لاختذ نماذج من الكفن وكان ماركرون قد دحض نظرية (خارطة فنلاند) التي تفترض ان قرصانا اسكندنافيا اكتشف اميركا عندما برهن انه يرغب ان الرق الذي رسمت عليه الخارطة يعود الى العصور الوسطى الا ان الخبر يحتوي على مواد لم نستعمل الا بعد عام ١٩٢٠ .

وصرح ماركرون انه باستخدام المجهر الالكتروني سيتمكن من تحديد طبيعة صورة الكفن، وفي عام ١٩٧٧ تضاءلت فرص الحصول على قطع من الكفن. وقد طالبت (تورين) باعادة النماذج الصغيرة ثم عين كاردينالاً جديداً لكنيسة تورين وهو (انساسيو بالستريو) الذي نظم عرضا جديدا للكفن وكان واضحا انه لم يكن كبارها لاجراء المزيد من الاختبارات العلمية. واستطاع جاكسن وجمير ولين ولور الحصول على المزيد من المواد واخذ ماركس فري المزيد من غبار الطلع

والناذج واخذ ماسكرون نهاذج احتسبار وكانت نتائج ماسكرون نجية لامال المؤمنين واعلن ان احتسباره المجهرى كشف له آثار اوكسيد الحديد وجزينات اصباغ على الكفن وخلص الى القول ان هذا اثبت ان الكفن مزيف، و اشار علماء آخرون الى ان الكتان منقع في الماء قبل تحويله الى اقمشة كتانية وقد يكون هذا مصدر الآثار الدقيقة لاوكسيد الحديد، وعلاوة على ذلك فقد تعامل مع الكفن العديد من الفنانين، وتحوي النسخ العديدة المنتشرة في انحاء اوربا نقوشا تؤكد انهم تعاملوا بشكل مباشر مع (الكفن المقدس) في نورين وبذلك يبدو أن قيمته قد تضاعفت، ولاشيء اكثر احتمالا من ان فيه آثار الاصباغ التي استخدمت في مثل هذه النسخ. وفي زمن كتابة هذه الاسئلة ويقاتها دون حل، كانت المدرسة التشكيكية قد عادت الى التاكيد القديم الذي قاله اول مرة الاب يوليس شيفاليه بأن الكفن مزيف والذي ظهرت خصائصه بعد ان اخضع للتصوير ومن ثم تعزيز الصورة وتبين انها تعزى بطريقة او بأخرى الى (تخمير) الصبغة الاصلية وهذا الاعتقاد يبدو الان قليل القيمة كما كان يبدو عند بداية القرن العشرين وربما يكمن الحل النهائي في نظير الكاربون ١٤- اذ اثبت ان الكتان الذي صنع منه الكفن يعود تاريخه الى فترة طويلة بعد الصلب وهذا مالم يتم اجراؤه عندما كتب هذا الكتاب لان طريقة نظير الكاربون مازالت في تقنياتها تضم مخاطر تدمير القطعة الصغيرة من الكفن. يبدو انه يتضح ان الموافقة على هذا قد تم الحصول عليه الان ولكن حتى لو ثبت ان الكفن يعود في تاريخه الى زمن الصلب كما يبدو محتملا في نتائج غبار الطلع التي خرج بها ماسكس فري فأننا ما زلنا نواجه لغز كيفية انطباع الصورة عليه، وعزى المحققون الامريكيون تشابه العلامات الى (حروق اشعاعية) بسبب تفجيرات ذرية واعتقدوا ان الصورة ربما طبعت على الكفن بفعل انفجار اشعاعي قصير الامد ومكثف وربما عندما اعيدت الحياة الى المسيح في القبر. ويواجه التشكيكيون هذا بالسؤال: لماذا تكون (المعجزة) في الاشعاع الذري؟ ويبدو سؤالهم غير قابل للاجابة وكذلك الحال بالنسبة لدليل الكمية غير الاعتيادية في

المعلومات التي حوتها رسوم الكفن، وحين ثبت ان الكفن مزيف في القرن الرابع
عشر فإن المعجزة ستكون عظيمة بمقدار عظمتها لو ان الكفن ثبت انه
حقيقي، . . .

الرجل الرمادي في قمة

بن ماكدوي

في الاجتماع السنوي العام السابع والعشرين لنادي كيرن غومر في (ابردين) وفي شهر كانون الاول (ديسمبر) عام ١٩٢٥ كشف متسلق الجبال البارز البروفيسور نورمن كولي عن سر مروع، وفقدروي قصة تسلفه لوحده قمة بن ماكدوي البالغة (٤٠٠٠) قدم فوق سطح البحر وذلك في عام ١٨٩٠ وما مر به من تجربة مرعبة. فعند انعطافه من هرم على الهضبة واجه ضبابا كثيفا وطرق سمعه اصواتا جلية وراهه وصفها بقوله «كان شخصا كان يسير وزاتي وخطواته اكبر من خطواتي بثلاثة او اربعة اضعاف». لكن حدث نفسه ان ذلك ربما كان خيالا، ولكن مع شروعه بالمسير كان وقع الاقدام يستمر خلفه، ويضيف قائلا: «استولى علي الذعر فعدت ادراجي اترنح كالاعمى بين الصخور مسافة اربعة او خمسة اميال صوب غابة وتميرخس». وفي الحقيقة ان نورمن كولي روى هذه القصة قبل ثلاث وعشرين سنة الى اصدقائه في نيوزيلنده وكانت النتيجة ان ظهر تقرير صحفي في احدي الصحف النيوزيلندية بعنوان (رعب البروفيسور). وفي اعقاب هذه القصة راح متسلق جبال اسكتلندي اخر وهو الدكتور اي. أم. كبلاس الذي اوشك على الموت اثناء رحلة بعثة استكشاف قمة افرست ١٩٢١ - ١٩٢٢ يكتب الى نورمن كولي عن تجربته الغريبة في قمة بن ماكدوي، فبعد ظهيرة احد الايام كان كيبلاس وشقيقه هنري يكسران الصخور بحثا عن (البلور) والكرستال حين شاهدا جسما عملاقا قدم اليهما من الهرم الذي فوق الهضبة وسرعان ما اختفى في منحدره، هرب الرجلان باتجاه الجبل، كان كلاهما مقتنع ان العملاق يتبعهما.

هذه الرواية جعلت الامر يبدو كأنه احد اشكال انسان الثلج الذي يقطن منحدرات بن ماكدوي - لكن روايات متسلقين اخرين اكدت ان التفسير ليس بهذه البساطة. فبيتر دنشام الذي كان يعمل في طائرة انقاذ (كيرن غومر) ابان

الحرب العالمية الثانية وصف في لقاء صحفي معه رحلته في مايس (مايو) ١٩٤٥ من قرية (افيمور) وتسلقه تلك القمة حيث كان ينظر الى قمة (بن بنفس) وفجأة انتشر الضباب، فجلس يتناول بعض الحلوى وطرق سمعه اصوات غريبة عزاهها الى تمدد الصخور وتقلصها وساوره شعور راسخ بأن هناك شخصا بجواره ثم احس بشيء يارد على رقبته من الخلف مع نوع من الضغط ثم وقف وسمع اصوات ضجيج من جهة القمة وتوجه اليها ليتحقق من الامر دون اي شعور بالخوف وبعدها شعر فجأة بالخوف مما جعله يفر هاربا الى (ليثر كريك) رغم انحدارها الشديد ووصف ذلك بالقول: (حاولت التوقف ووجدت ذلك صعبا جدا فكأن شخصا ما كان يدفعني، وبذلت عناءا كبيرا للانحراف عن الطريق...) لقد قطع اغلب الطريق نازلا الى الجبل... وفي مناسبة اخرى كان دنشام مع صديقه ريتشارد فريد فوق الجبل يبحثان عن طائرة ذكر انها تحطمت هناك وفوجيء دنشام حين سمع قرير يتحدث الى نفسه في الجهة المقابلة من القمة ثم ادرك انه يتحدث الى شخص آخر، ويقول دنشام: ذهبت اليه ووجدت نفسي اشارك في الحديث، لقد كانت تجربة غريبة ويبدو انها حالة نفسية فقد تحدثنا الى شخص غير مرئي لفترة من الزمن ويبدو اننا واصلنا الحديث لفترة قليلة اخرى بعد ان ادركنا فجأة اننا وحدنا وبعد ذلك وباللغرابة لم يتذكر اي منا فحوى هذه المحادثة غير العادية. والاعرب من ذلك ان قرير نفسه عندما التقى به افليك غراي مؤلف كتاب الرجل الرمادي في بن ماكدوي لم يكن يتذكر سلسلة الاحداث التي رواها دنشام لكنه يتذكر تجاربا خاصة به فوق الجبل الذي يصفه قائلا (اعرب جبل تسلقته)، وروى للمؤلف غراي عن احد الايام الذي تسلق فيه الشعب العاليه في (ليركرد) فوق بن ماكدوي حين جلس يحدق في المنحدرات الصخرية في (ليضركريك) وشلالاتها المائية فوجد نفسه ينزلق في سلسلة غريبة لانقوام من الافكار الحزينة لذا نهض وراح يتمشى لكن شعوره بالحزن تطور الى كآبة عميقة وفتور في الاحساس ثم تأكله فجأة انه لم يكن وحيدا ويضيف قائلا:

«كان قريبا جدا مني، يخترق نسيم الصيف العليل، كان شيء ما موجودا لا اراه، ولكنني احس به حقيقة ثم لاحظ فرير امرا آخر. فقد كسر صمت الجبل نغمة غناء قوية كان صوتها ضمن مدارك السمع لا يرتفع ولا ينخفض. . . وكان يبدو الصوت انه قادم من تربة الجبل نفسها واستمر هذا الصوت حتى تعد (ليرضر كريك) حيث بدت الموسيقى خافتة ولم يعد بإمكانه التيقن من انها موجودة حقا، لكن هذا الوجود المجرد وافق شعور (فرير) بالاشتياق اليانس والتحمس لمغادرة الجبل الذي يأويه. ثم عاش لحظات سريعة من الخوف ماليت ان تلاشت.

وتجربة النغمة الغريبة الثابتة لم تكن غير عادية كما اعتقد فرير، ففي سيرتها الذاتية «الخلية غير المحدودة» تطلق المحققة النفسانية روزالتنديوود تسمية (الغناء) على تلك النغمة وقد وصفتها بأنها نوع من الصوت الداخلي المتذبذب والمستمر واقرب الشبه اليه صوت ضغط قواقع البحر على الاذن او ضجيج محرك بعيد، وتستطيع روزالتنديوود سماع هذا الغناء بشكل مستمر تقريبا رغم خفته عندما تركز اهتمامها الكامل اليه وتقول انه واضح في اماكن اكثر من غيرها وخاصة في الغابة الهادئة على سبيل المثال او في المرج أو الجبل. . . وتذكر انها كذلك تستطيع سماعه في الكنائس ومكتبات الكلية والاماكن التي تركزت فيها الافكار والتأملات لعدة سنوات. ووجدت ان غناء الجبل يختلف عن غناء الكنيسة كما يختلف صوت المزمار عن صوت البوق، وتقول انها قابلت اربعة اشخاص سمعوا هذا الغناء وفي احدى المناسبات ذكرته لمهندس شاب كانت مقتنعة انه مؤمن بالسببية وفاجأها بالاجابة «نعم، اني اسمعه ايضا في الاماكن التي فيها افعالات قوية»، لذا كان الغناء يبدو الى حد ما نوعا من (التسجيل) وتقول روزالتنديوود انها تشعر به عندما تدخل غرفة كان فيها تفكير مركز. ومع ذلك فهو لايمكن ان يعود بشكل كامل الى (ذبذبات) انسانية مادامت تذكر ان محطة سكك هاستيد التي تعد اخفض مكان في لندن هي المكان الوحيد الذي لم يسمع فيه (الغناء) وتقول: «كان الصمت مطبقا هناك» ومادام هذا (الغناء)

يمكن سماعه في الاماكن المليئة بالافكار او اماكن العبادة فان هذا يؤكد انه يعتبر نوعا من (التسجيل).

وفي عام ١٨٤٠ توصل بروفيسور اميركي في التشريح يدعى جوزف رودس بوشاتن الى النتيجة المشوقة وهي ان لكل جسم تأريخه المحدد سلفاً عليه بطريقة او بأخرى وان الناس الحساسين للاشياء الروحية يستطيعون ادراكه وقد سمي هذه القابلية (القدرة على التكهّن) وبين ان الرسائل المكتوبة تبدو بشكل واضح (تسجيلات) للحالة الذهنية للكاتب وخاصة اذا كان هذا الكاتب تتنابه عاطفة جياشة في ذلك الوقت.

وفي بداية القرن العشرين قدم العالم والباحث النفسي السير اوليفر لوج نظريته التي تقول ان (الاشباح) قد تكون نوعا من (التسجيلات) التي تكون فيها العواطف الجياشة المتصلة ببعض المآسي مختومة على جدران الغرفة التي حدثت فيها، لذلك فالشخص (الحساس) عندما يسير في الغرفة قد يتنابه شعور غريب بالبؤس والكآبة او حتى يرى المأساة تمثل امامه. وكان مدرس في جامعة كامبردج يدعى توم ليشرج قد اقترح ما يشابه ذلك بعد نصف قرن وهو نظرية (الشريط المسجل) حيث يعتقد ان هذه التسجيلات مختومة في نوع من المجال الكهربائي ويرى ان لكل من الجبال والصحاري والغابات (مجاله) الخاص به، وهو يشعر ان مجال الماء هو الاحسن للتسجيل ولذلك غالباً ما يكون تواجد الاشباح في الاماكن الرطبة، ويبدو امرا مقنعا ان روز التدهيورد كانت تلتقط نوعا من المجال الكهربائي عندما كانت تسمع (الغناء). وهو مجال طبقا لخصائصه يمكن ان نطلق عليه اسم (المجال النفسي)، اما كيف شعر فرير فجأة بهذا المجال على منحدرات قمة (بن ماكدوي) فلا بد أن يبقى سؤالاً مفتوحاً، لكن هذا يؤكد على الاقل ان شعوره بالخطر والحزن لم يكن مجرد خيال، والحادثة التي تكلم فيها فريد ودنشام مع كائن غير مرئي تبدو اكثر غرابة ومن المحتمل

انها كانتا يستجيبان لـ (طيف) على مستوى شبه واع بما يشبه الحلم تقريبا وهذا يفسر لماذا لم يتذكرا ما جرى بعد ذلك. وروى فريد ايضا لـ (افليك غراي) قصة غريبة عن صديق لا يستطيع الكشف عن هويته والذي قرر قضاء ليلة فوق (بن ماكديوي) لكسب رهان وقد نصب خيمته قرب هرم القمة في احدى ليالي كانون الثاني (يناير) (وهذا الهرم ليس من صنع الانسان وانما تكون بفعل عوامل طبيعية) وبدأ يجرب الشعور المألوف بالوهم و (التوجيه التحليلي المريض للافكار). ويشرح فريد بأنه لم يشعر بالجنون ابدا والرعب الذي يملكه يتعلق بالتأثير وشيك الحدوث للمعرفة والذي كان يعلم انه يتفرد به بين رفاقه، وكان يبدو كأنه قلق غير مقصود لسلسلة بعيدة من فيضانات فكر ثوري مصمم في عقل جبار، وهذا العقل ليس انسانياً ولا ضد الانسان وليس له علاقة به على الاطلاق...

ونام قليلا ثم نهض خشيبة من رعب اكثر وتسلل ضوء القمر من خلال شق في خيمته وعندما حدق فيه رأى لطحه بنية وعرف ان ثمة شيء ماصار بينه وبين القمر واستقر في مكانه في سكون حتى ابتعد الظل وسحب بعدها طرف الخيمة، كان الليل جميلا وعلى بعد عشرين ياردة كان ثمة مخلوق بني ضخيم يجتال على التل وبدا عليه سياء القوة والغطرسة. وكان انطباعه ان المخلوق يناهز ارتفاعه عشرين قدما ويغطيه شعر بني قصير وكان منتصبا مما يؤكد انه لم يكن قرداً ضخماً، وكان خصره مستدقاً واكتافه عريضة، ويحتوي كتاب (افليك غراي) صورة فوتوغرافية لآثار اقدمه في الثلج مأخوذة من قمة (بن ماكديوي) وتبدو غريبة وشبيهة بالصورة الفوتوغرافية المشهورة لآثار اقدم (انسان الثلج) التي اكتشفها (اريك شبتون) عام ١٩٥٠ فوق قمة افرست.

كان فريد متحيراً فيما اذا كان المخلوق ذو الشعر البني حقيقة او ربما ابتدعه بطريقة او بأخرى خيال صديقه في تلك الحالة الذهنية (الوهمية) الغريبة. وفي كتابها (سر الجاسوس) شرحت الكاتبة (وندي وود) تجربتها التي عاشتها فوق

(بن مأكدوي) حين وصلت مدخل منحدر (لبريك كرو) في يوم ثلجي وكانت تستعد للعودة. تناهى الى سمعها صوت (ضحخ زنان) بالقرب منها، كان يلفظ الحروف الصحيحة وحروف العلة في اللغة (الفلية) بشكل سليم وشكت في ان يكون ثمة احد ما مصاب في الثلج وطفقت تسير وتدور حول نفسها حتى اقتنعت انها كانت وحيدة. وعندما احست بالخوف شرعت بالنزول بسرعة صوب الجبل وترأى لها انها تسمع وقع اقدام خلفها وساورها شعور غريب ان احدا يسير وراءها واعتقدت في البداية أن ذلك وقع اقدامها حتى ادركت ان وقع تلك الاقدام لايتطابق فعلا مع خطواتها، وتتناول في كتابها فيما اذا كان من المحتمل ان الاحداث الغريبة في (بن مأكدوي) قد تكون (تحجر تصورات السلالات المرتبطة بمكان معين لايدركها الا اولئك الذين تكون حساسيتهم النظرية معدة لاستقبال الانطباعات الاولى والمخاوف من الايام الخوالي) وبمعنى ادق فانها تعني ان (الشيخ) في بن مأكدوي هو (تسجيل) ويؤكد هذا ايضا ماروته الروائية (جون غرانت) في سيرتها الذاتية المرسومة (زمن خارج العقل) ويكشف اسلوبها ماوصلت اليه من درجة عالية في علم النفس، ولم تصل هي وزوجها الى بن مأكدوي فقط وانما وصلا الى (افيمور) ويقول غراي زوجها انها كانا في عمر لبريك كرو وقرب جسر كويلم ومن دون سبب واضح تملكها الخوف فجأة وتصفه قائلة: «انه شيء خيف ذو اربع ارجل واقدّر من ان يكون انسانا وغير مرئي وكنت احس وقع اظلاله وهو يحاول الوصول الي ولو فعلها لكنت قد مت خوفا من عدم استطاعتي الدفاع عن نفسي» وهربت مذعورة وتقول: - «لقد ركضت مسافة نصف ميل حتى اخترقت حاجزا غير مرئي... احست خلفه اني في امان رغم اني قبل ثانية كنت في خطر مميت اكيد وكأني «مصارع ثيران قفز حاجزا امام ثور هائج». وما يمكن ان يستنتج من اغلب تلك الروايات عن (بن مأكدوي) هو ان المظهر الرئيسي هو شعور مفاجيء بالكآبة ويلي شعور بالذعر، وتحدد جون غرانت في روايتها نقطة مهمة اخرى وهي ان (توم ليشرج) الذي

سبق الحديث عنه قد لاحظ مرارا ان هذه المشاعر المحزنة المفاجئة من الخوف او القرف، لها مناطق معينة بدقة، لذلك فمن الممكن الدخول فيها او الخروج منها في خطوة كبيرة واحدة ويضرب مثلا كيف انه وزوجته مينا قصدا شاطيء (لادرام) في (ديفون) لجمع الطحالب البحرية للحديقة، وفي منطفة على الشاطيء يصب فيها جدول قادم من المنحدر اثنائها شعور غريب بالغم ويقول: «مررت بنوع من الشبكة او الضباب او الكآبة او الخوف كما اعتقد». وذهبت مينا ليشرح لجمع الطحالب في النهاية الاخرى للشاطيء، ولكنها سرعان ما عادت ادراجها وهي تقول: «لا استطيع احتمال هذا المكان مدة اطول فتمه شيء غيف هنا».

وعادا الى المكان في الاسبوع التالي في يوم غائم كثيب وثانية اثنائها نفس الشعور بالكآبة ويقارن نوم هذا الشعور برائحة ننته يبدو انها تسبب له الدوار، وذهبت مينا الى قمة المنحدر لرسم مخطط فساورها شعور مفاجيء بأن هناك من يلح عليها بالفقر، واكدا بعد ذلك ان شخصا ما قد انتحر في هذه البقعة المحددة.

ولاحظ نوم ان من الممكن الدخول الى (الكآبة) او الخروج منها ولاحظ ذلك ثانية عندما توفيت سيدة عجوز مجاورة لبيته تحت ظروف غريبة بعد محاولة تجريب السحر الاسود. حيث كان هناك شعور (غبر مريح) يحوم حول بيتها وكان من السهل الدخول في نطاقه او الخروج منه وكأنه حاجز غير مرئي كالحاجز المشوش الذي رآته جون غرانت.

وقد روى (غراي) عدة قصص تفرز نظرية ليشرح (الشريط المسجل) وكان الشاعر الاسكتلندي (جيمس هوك) المعروف بالراعي لكونه كان راعيا محترفا قد شاهد ذات مرة قطعة من الماشية في الطرف البعيد من الجدول. وبما انه لا يحق له تركها في ذلك المكان، ارسل راعيا مع اثنين من عمال المزرعة مسلحين بالمراتات لابعادها عن المكان، بيد انهم لم يجدوا اي دليل على وجود القطيع ولا حتى اثر

اظهارها ولم يشاهد احد قطع ماشية في ذلك المكان ذلك اليوم، لقد كان نوعا من (السراب) او ربما (تسجيل) لشيء حدث في الماضي السحيق. ويستشهد (غراي) ايضا بكتاب (مشهد الجبل) للمتسلق (فرانك. أس. سميث) وهو يصف كيف عبر التلال من (مورفيش) الى (لومش ديش) ذات يوم مشمس جميل تخلله منظر مدهش للغيوم المتقطعة فوق التلال والبحر البعيد، ودخل ممراً ضيقاً مزداناً بالعشب واشعة الشمس الدافئة فأحس كما لو أن هالة شيطانية في المكان. وكان شيئاً مزعجاً قد حدث هناك يوماً ما واخفق الزمن في تبديد الجحور الذي كونه ذلك الحدث. قرر سميث تناول الغذاء هناك وحالما دخن غليونه أحس أن الجحور يبدأ يغدو محزناً شيئاً فشيئاً ثم بذل جهداً ليتلقى التأثير الغريب وترآى له انه يشاهد مجزرة: عشرة او اكثر من الناس يرتدون اسبالا وقد انتشروا مبحرين في الممر الضيق ثم اطبق عليهم رجال مختفون مدججون بالرماح والفؤوس وقتلوهم جميعاً. وعندما هرب سميث مسرعاً طرق سمعه صرخات خلفه. وتأكد له بعد ذلك ان مجزرة حدثت بين مالكي الارض والقوات الانكليزية في الطريق لكنه بقي مقتنعاً انه ليس ذلك ما رآه فهو يقول: «الاسلحة التي رايتها او بدا لي اني رايتها كانت من اسلحة الماضي السحيق».

مع ذلك فإن روايات عديدة زرعت الشك في فكرة ان (رجل الثلج الرمادي) هو مجرد (تسجيل)، وكان (جورج دونكن) وهو محام ومتسلق من (ابروين) مقتنعاً جداً انه شاهد الشيطان في منحدرات الجبل وقد هبط هو وزميله المتسلق (جيمس. أي. باركر) من ما يسمى (نقطة الشيطان) وكانا يسوقان عربة يجرها كلب في (ديري رود) ويقول دونكن: «فجأة صدمت اكبر صدمة في حياتي عندما شاهدت امامي شكلاً بشرياً طويلاً في رداء اسود وهو الشكل التقليدي للشيطان ويلوح لي بذراعيه ذات الاكمام الطويلة ويتجه نحوي». وبدا له أنه يرى ذلك الشكل محاطاً بالدخان وفي غضون لحظات اختفى بعد ان انعطفت العربة عند الزاوية. واكد (جيمس. أي. باركر) الرواية قائلاً: كان الوقت مساءً وعند

تناول العشاء اخبرني دونكن انه عندما كنا على بعد ميل من (ديري لوك) نظر الى الاعلى صوب التل الذي على يمينه وشاهد الشيطان على بعد ربع ميل يلوح له بذراعيه.

وربما كان اغرب وامتع ماصدفة (غراي) هو مارواه (كابتن سرود بارت وزوجته وهو بوذي ماهاياني* وزوجته بوذية زينية) وقد كانا يركبان دراجات هوائية من (روشير شس) الى (مار) عن طريق عم (ليريك كرد) وكان المر باردا جدا رغم ان الوقت كان شهر تموز (يوليو) وعندما وصلا (بولز اودي) شعرا فجأة بشيء (موجود) خلفهم والتفتا وشاهدا رجلا كبيرا ذا بشرة زيتونية يرتدي ثوبا طويلا وخفين من الصندل وذا شعر طويل متهدل ويقول سرهي: «لم تكن نشعر بأذى خوف ولكوننا بوذيين فقد عرفناه في الحال وركعنا له باجلال». حيث اعتقدا فوراً ان الغريب هو (بوذا سكافا). هو احد الخمسة الموصوفين بالرجال الكاملين الذين بيدهم اقدار هذا العالم ويلتقون مرة في السنة في كهف في جبال الهملايا. ويذكر سرهي ان ذلك الشيء (الموجود) خاطبها بلغة يعتقد انها السنسكريتية وأجاب برزانه باللغة الادردية ويقول (سرهي): «طوال الوقت الذي كان فيه بود سكافا معنا وهو ما يقارب عشر دقائق كان صوت حشد كبير من الموسيقيين يعزفون في السماء. . . وحلما غادرنا البودسكافا توقفت الموسيقى ولم نسمعها ثانية» وهنا يبدو كأنها قد سمعا (الغناء) لكن قوله بأن الشيء (الموجود) كلمهم بالسنسكريتية، يطرح سؤالاً فيما اذا كانت (وندي ودد) قد اخطأت او لا حين قالت ان اللغة غليبه ولم تقل سنسكريتية عندما سمعته فوق الجبل. وقبيل وفاته قدم (ان. دبليو. هوالداي) مؤلف الكتاب الكلاسيكي عن وحش (بعيرة نيس) نظرية مروعة وهي ان الرجل الرمادي مثل وحش (الوثرنس) و (حيوان الكوجر في سري) وحتى رجل الثلج في الهملايا هو واحد من مجموعة من (الوحوش الخيالية) وهي مخلوقات تعود الى عالم آخر، وفي كتابه (عفريت

الكون) يورد في الفصل السادس منه قصصا متنوعة عن (فبرليات مور) وهو اسم الرجل الرمادي في اللغة السيلتيه ويقول: «(الاله بان الذي له اقدام ماعز ليس مضحكا عندما يواجهك... والصفة الرئيسية التي ترافق الاله (بان) هي الرعب والذي عرفه قاموس اكسفورد «الرعبة الزائدة غير المعقولة».

وهذه الظاهرة لا يقتصر وجودها في (كيرن غورم) فقط، فعندما كان (هامش كوري) يدنو من قمة (سكروبرغ) على جبل (سكاي) عاد ادراجه عندما تملكه رعب غير محدود. وروي الراحل (جون بوشن) عن نفس المؤثر في جبال بافاريا فقد وصف ما حدث له عام ١٩١٠ حين كان عائدا وسط غابة صنوبر صباح يوم مشمس يرافقه احد سكان الغابة فاصابها رعب غير متوقع وفر كلاهما دون ان يتبسا بنت شفة حتى ارداهما الازهاق في احد الوديان البعيدة ويضيف (بوشن) ان احد اصدقائه ازداد حبا في الحياة عندما تسلق جبل (موثمين) في النرويج، اذن لاله الرعب (بان) تأثير في كل انحاء المعمورة ويربط (هوليداي) بين الوحوش الخيالية واجسام طائرة غير معروفة وتطرق الى قدرة الاجسام الطائرة المجهولة (اليوفو UFO)، وكان جون كيل اول من افترض ان (اليوفو) نوع من الطائرات المجهولة والتي قد تعود الى كواكب اخرى ويختم روايته بتصديق قدموها من (بعد آخر) وانها تحوي دون شك عنصرا خارقا للطبيعة، يتحدث (كيل) في احد كتبه (نبوءات موثمان) عن جسم عملاق مجنح يظهر مرارا في (غرب فرجينيا) ويصف شعوره (بالرعب) عندما كان في احد الطرق المجاورة لمناطق ظهوره. وقد وجد (كيل) ما وجدته (ليبرج) من ان منطقة (الرعب) يمكن تحديدها بدقة ويمكن الدخول فيها او الخروج منها بخطوة كبيرة واحدة، ومنطقة ظهور (موثمان) تحدث فيها ايضا ظواهر (اليوفو).

والغريب ان (افليك غراي) ينوي اعتبار نظرية (زوار الفضاء) تفسيراً لظاهرة (بن ماكديوي) ويشير الى حادثة عام ١٩٤٥ حيث افتتح سائق اجرة سابق

يدعى (جورج كنك) جمعية ايشروس في كاكستون هول في لندن وقد ادعى (كنك) انه قابل السيد المسيح في هو لوستون شمال (ديفون) وانه اعلم بأنه انتخب بعشابة القناة العقلية الاساسية لـ (مخابرات فضائية) معينة واخبر بأن عليه ان يجوب العالم ومهمته ان يخدم قناة (شحن) الجبال الثمانية عشر بالطاقة الشمسية الكونية، واحد هذه الجبال كان (كريك ليث شوان) الذي يقع على بعد ثلاثة اميال شمال غربي (بن ماكدوي) ويؤكد (كنك) ان هناك قاعة استماع على شكل قبة وهي مقر (الاخوة البيضاء العظيمة في احواض (بن ماكدوي) وتعد مجموعة اخرى من الباحثين في اكااديمية الحقيقة الفعالة في (ادنبره) ايضا. ان (بن ماكدوي) اوضحت المهبط الارضي للكائنات الفضائية، ولكن قراءة الفصل الذي كتبه (غراي) عن (الكائنات الفضائية) توضح لنا انه يعامل هذا التفسير بشك وريبة، ولو اردنا التفسير (العلمي) لظواهر (بن ماكدوي)، فأن اقربها احتمالية هو ان الجواب يكمن في (بن ماكدوي) نفسها: وهي ان الرعب تسببه ظاهرة طبيعية معينة مثل نوع من (القوة الارضية) قد يكون له علاقة بالحقل المغناطيسي الارضي فهناك مناطق على سطح الارض تضل الطيور فيها طريقها لان خطوط الجاذبية الارضية تلغي بعضها البعض فتكون دوامة مغناطيسية، وصيادو المراعي يعتقدون ايضا ان مايسمى (خطوط الرعي) والمرتبطة بالاماكن المقدسة كالكنائس والقبور القديمة والاحجار الواقفة هي اساسا خطوط لقوة الجاذبية، وفي الحقيقة ان مثل هذه الاماكن (تسجل) العواطف الانسانية التي ينتج عنها تأثير مايسمى (الاشباح) وهذا التفسير يعلل تجرمة فرانك في وادي الاشباح حيث وقعت المجزرة والتفسير غير العلمي قد يكون في ايمان الناس البدائيين جدا بأن الارض كائن حي وفيها اماكن معينة مقدسة وان مثل هذه الاماكن تسكنها الارواح، والعقل الغربي يميل الى رفض مثل هذه المعتقدات باعتبارها خرافات وكذلك صار عدد من السياح الذين كانوا على اتصال قريب بالغرب اكثر وعيا وفتحا.

وفي كتابه (عالم كالهاري المفقود) بروي (لورنز فاندر بوست) قصته في البحث عن اليوشمن في جنوب افريقيا وكيف اخذه ذليله (ساموسوشو) الى مكان يدعى (سلبري هلز) واصر الدليل على ان الصيد محرم قرب التلال او ان الالهة ستغضب، ونسي (فاندر بوست) ان يجبر جماعته المتقدمين فاصطادوا خنزيرا وحشيا ومنذ ذلك الحين رافقهم حظ عاثر وعندما حاول (ساموسوشو) ان يصلي شاهد (فاندر بوست) وهو يجز من الخلف بقوة مجهولة وتعطلت كل تجهيزاتهم الفنية ثم (شاور) ساموسوشو الارواح وطلق يتحدث الى طيف غير مرئي ثم اخبر (فاندر بوست) انهم كانوا غاضبين وسيقتلوه ان حاول ان يصلي ثانية واقترح (فاندر بوست) ان يكتبوا رسالة اعتذار تدفن في زجاجة عند صنخرة مقدسة واتضح ان ذلك قد فعل فعلة فقد رضيت الارواح وفجأة توقف عطل التجهيزات واخبرت الارواح (فاندر بوست) عن طريق الدليل انه سيصادف اخباراً سيئة تنتظره عندما يصل المكان الاخر في طريقه، وفي الحقيقة وجد مساعده رسالة تفيد ان والده قد توفي وان عليه العودة الى البيت حالا، بعد كل هذا اصبح (فاندر بوست) لايشك بوجود حقيقي (لارواح الارض) التي يعيها الناس البندائيون، ويرى (اف. دبليو. هوليداي) ان تفسير مثل هذه الظواهر (كالرجل الرمادي) هو احد نوعين من التفسيرات: العلمي و (اقارق) لكنه يعتقد ان العقل الغربي سيتمكن من معرفة الجواب فقط عندما يوسع مفهومه للعلم.

كاسبر هوزر

الولد القادم من اللامكان

ربما تعد حالة كاسبر هوزر من اعظم الالغاز التاريخية في القرن التاسع عشر وربما اكثر من ذلك. كان الشاب سيء الحظ موضوع تجربة قاسية مما تسمى هذه الايام (الحرمان الحسي) ونتائج هذه التجربة كانت بطريقة او بأخرى اكثر اقناعا من لغز هوية كاسبر الشيق باعتراف الجميع.

في يوم الأحد ٢٨ مايس (مايو) ١٨٢٨ كانت ساحة انشليت خالية تقريباً حيث كان اغلب الناس في الضواحي الريفية يستمتعون بالعطلة. وفي الساعة الخامسة عصراً كان ثمة شاب بدت عليه امارات التعب يجرجر نفسه في الساحة واوشك ان يتداعى بين يدي اسكافي المنطقة (جورج وشمن). وكان ذا بنية قوية ولكنه يرتدي ملابس بالية ويسير بأملوب غريب متيبس الأعضاء، واخذ (وشمن) الرسالة التي قدمها له ووجد انها معنونة الى (قبطان الفرقة الرابعة فوج الفرسان السادس). وبدا على الصبي عدم القدرة على الأجابة على الأسئلة، لقد كان يرد بغمغمة غريبة فشك (وشمن) بأنه ثعل ففقد الشاب الى اقرب مخفر للشرطة واخذه العريف الخافر الى بيت الضابط وعندما عاد الكابتن (وستك) الى البيت بعد ساعات وجد المكان متوتراً. فقد تبين ان الشاب ابله، لقد حاول لمس لُب الشمعة بأنامله فصرخ عندما لذعته، وعندما عرضوا عليه اللحم والبيرة جعل يحدق فيهما وكأنه لا يعرف ماذا يفعل ثم راح يأكل بنهم وجبة خبز اسمر وماء. وكان يروعه صوت الساعة، والكلمة الوحيدة التي يعرفها الولد هي: لا اعرف.

ثم تبين ان الظرف يحوي رسالتين ، الاولى :

(فضيلة الكابتن ، ارسل لكم صبياً يرغب في خدمة بلده في الجيش . لقد جلبوه لي يوم ٧ تشرين الأول (اكتوبر) عام ١٨١٢ وانا عامل فقير وبذمتي اطفال ارييهم وطلبت مني والدة الصبي ان ارييه ومنذ ذلك الحين لم اسمح له بالخروج من البيت).

ولم تكن الرسالة موقعة ونصت الرسالة الثانية :

(عمد هذا الطفل واسمه كاسبر ولك ان تمنحه اسماً اخرأ وكان والده جندياً في سلاح الفرسان ، وعندما يبلغ السابعة عشر خذه الى (نيويورك) الى فوج الفرسان السادس فولده يعود الى ذلك الفوج وقد ولد في ٣٠ نيسان (ابريل) ١٨١٢ وانا امرأة فقيرة لا استطيع العناية به ووالده متوفي).

تلك هي الرسالة التي يفترض انها سلمت الى (العامل الفقير) وعندما نقل الى قسم الشرطة اخذ قلماً وكتب (كاسبر هوزر) لكن اجابته على باقي الاسئلة كانت بكلمة «لا اعلم».

وبدا كل شيء واضحاً ، طفل غير شرعي عطف عليه شخص غريب ووضعه عند عتبة باب شخص ما ، ولكن لماذا حجزه داخل البيت لمدة سبعة عشر سنة؟

كانت قدما الصبي رقيقتين جدا وكانتا تنزفان دما لانه لم يتعود السير عليهما ، كانت بشرته شاحبة كأنه كان محجوزا في الظلام وعلاوة على ذلك تبين من خلال التدقيق ان الرسالتين كانتا بخط واحد وينفس التاريخ وليست بينهما ستة عشر سنة - كانت الملابس التي يرتديها تبدو كأنها لا تعود اليه وقد حاول احدهم رسم سمكة على رذائه من الخلف ، كان الولد محجوزا في زنزانه ولاحظ سجانه

انه يبدو راضيا تماما بالجلوس ساعات دون حركة ثم اتضح انه يعرف مفردات قليلة فكان يستطيع ان يقول انه يريد ان يصيح فارسا مثل ابيه، وهي عبارة يبدو انه علم ترديدها كالببغاء وكان يشير الى كل حيوان بكلمة (حصان) ويبدو انه كان مولعا بالحيول.

وقد اعطاه احد الزوار الذين كانوا يتوافدون كل يوم ليتفرسوا في وجهه لعبة مزخرفة بالاشرطة وراح يلعب معها ساعات ويتظاهر باطعامها اثناء وجبة الطعام، ولم يكن يقلقه وجود المتفرجين وكان يتمتعهم وهو يؤدي وظائفه الغريزية بطلاقة ودون حياء ولم يكن يجيد التمييز بين الرجال والنساء ويشير الى كليهما بكلمة (اولاد).

ومن اغرب الاشياء فيه قابلياته البدنية الحادة، وبدأ يتقياً عند وضع القهوة او البيرة في نفس الغرفة وكان منظر اللحم ورائحته تسبب له الغثيان والقيل من رائحة الخمرة تسكره وقطرة واحدة من البراندي في شرابه تسبب له المرض. كان سمعه وبصره حادين بشكل غير طبيعي وفي الحقيقة كان يستطيع الرؤية في الظلام واطهر بعدها قدرته على قراءة الانجيل في غرفة مظلمة تماما وكان حساسا ازاء المغناطيس حيث كان يستطيع معرفة فنيا اذا كان القطب الموجه اليه هو الشمالي او الجنوبي. ويستطيع التمييز بين المعادن المختلفة بامرار يده فوقها حتى لو كانت مغطاة بالقماش. وبعد سنوات قليلة عشر الطبيب الامريكي (جوزيف رودر بوشنان) على مثل هذه الموهبة بين عدد من طلابه واسماه التكهن النفسي.

في اول الامر كان كاسبر يبدو معتوها ويعيش في انبهار وكان يخاف العواصف الرعدية كالحوانات. ولكن الرأي القائل بأنه متخلف عقليا اصبح غير معول عليه. وكان انتباه الزوار اليه يدخل السرور الى قلبه واصبح شيئا فشيئا اكثر حذرا تماما كالطفل الذي يتعلم بالتجربة. ويوما بعد اخر اخذت مفرداته

تزداد وتتلاشى بلادته، فقد تعلم استخدام المقص واقلام الريشة وعود الثقاب ويتحسن ذكائه تغيرت معاملة فقد لفت انتباه الناس اليه على انه نموذج الابله الرديء البليد الاخرق والمثير للاشمئزاز لغرابته.

ثم راحت قسمت وجهه بتغير واضحى اكثر تهذيبا بيد انه ماقتيء يسير ببلاده. تتميز ركبته من الخلف بتتواتر ولذلك فعندما كان يجلس ويمد ساقه فان كل ساق تمتد على الارض، وفي اثناء تعلمه الكلام تمكن من سرد شيء عن قصته، لكن ذلك جعل لغزه اكثر تعقيدا. وفي نشرة اصدرها (برغو مستر باتيدر) والمجلس البلدي في (نيومبرغ) نشر ان ابعده ما يستطيع كاسبر تذكره هو انه كان يعيش في حجرة صغيرة طوفا حوالي سبعة اقدام وعرضها اربعة اقدام ونوافذها مكسوة بالخشب من الاعلى ولم يكن فيها سرير وانها حزمة قش على ارض مكشوفة وكان السقف واطنا لا يستطيع الوقوف تحته ولا يرى احدا وعندما يستيقظ يجد الحبز والماء في زرنائته وفي بعض الاحيان يكون طعم الماء مرا ثم يغط في نوم عميق وعندما يستيقظ يجد القش قد بدل وان شعره واطافره قد قصت ولم يكن لديه من اللعب الا ثلاثة خيول خشبية وفي احد الايام دخل غرفته رجل علمه كيف يكتب اسمه كاسبر هوزر وكيف يردد عبارات مثل: «اريد ان اكون جنديا» و «لا اعرف» وفي احد الايام نهض فوجد نفسه مرتديا الملابس الفضفاضة التي عثر عليه فيها واخذته الرجل الى العراء وبعد ان مشيا طويلا وعده الرجل بحصان حقيقي كبير عندما يصير جنديا ثم تركه هناك في مكان ما قرب بوابات (نيومبرغ) وفجأة اصبح كاسبر مشهورا وتناقش قضيته في كل انحاء المانيا، ولا بد ان هذا اقلق كل من كان مسؤولا عن حالة ضياعه وربما تمنى معتقله او معتقلوه ان يتلاشى بين الجيش وينسى، وصارت شهرته الان شعبية والكل يتساءل عنه، وقد امر عمدة المدينة والمجلس البلدي وضع كاسبر تحت حمايتهم وان يطعمه ويكسى على نفقة بلدية المدينة ووضحي موضوع متعة لا

حدود لها في مدينة (نيومبرغ) الكتيبة والكل يفكر في حل لغزه. وقد دفعت المدينة ثمن النشرات التي تطلب حلولاً لمعرفة هويته واعدت جائزة أيضاً لذلك، واجرت الشرطة تفتيشاً دقيقاً للضواحي المحلية عن مكانه والذي اتضح انه على مسافة يمكن قطعها مشياً لكنهم لم يعثروا على شيء. وعين المجلس البلدي حرساً عليه لشهرته وكان العالم والمحاضر الذي يدعى (جورج فردريك دومر) الذي كان مولعاً في (الجاذبية الحيوانية) اول من اجري الاختبارات التي كشفت ان كاسبر يستطيع التمييز بين الاقطاب المغناطيسية والقراءة في الظلام وتحت ارشادات دومر تحول كاسبر الى شاب ذي ذكاء طبيعي ومثل اي مراهق اسعده ان يكون مركز الاهتمام واصبح مظهره انيقاً جداً وفي الاشهر الاخيرة من حياته اضحى لا يختلف عن التماثيل النصفية الرومانية للامبراطور (نيرون) بوجهه الرصاصي والتفافات شعره.

ثم اختبره احد الرجال المتعلمين وهو المحامي وعالم الاجرام (انسيلم فوت فيرباخ) المؤلف المشهور لقانون العقوبات في (بافاريا) وتوصل الى النتيجة المثيرة. وهي ان كاسبر لا بد ان يكون من سلالة ملكية ولا يمكن ان يكون هناك تفسير لحجزه طويل الابد الا اذا كان وريثاً لشخص ما ولم يظهر كاسبر اي استياء من هذا الموضوع، وبعد مرور سبعة عشر شهراً على العثور عليه حاول احدهم قتله وحدث ذلك بعد ظهر يوم السابع من تشرين اول (اكتوبر) ١٨٢٩ حيث وجد كاسبر ملفاً في بيت (دومر) يتزف من جرح في رأسه وقد قدّمه حتى الحضر. وصف كاسبر كيف هاجمه رجل يرتدي قناعاً حريرياً وضربه بهراوة او سكين وقد قامت الشرطة على الفور بأجراء تفتيش في (نيومبرغ) ولم تغلح في العثور على اي شخص تنطبق عليه الصفات التي ذكرها كاسبر عن الشخص الذي هاجمه وانتشرت اقاويل في (نيومبرغ) انه لم يكن هناك اي مهاجم وانما افتعل الحادثة كاسبر نفسه للفت الانتباه اليه. ولم يصدق الكل كما فعل دومر ان كاسبر

كان ملاكاً. لكن اغلب الناس ادركوا ان حياته في خطر وقد تم تحويل اقامته الى مكان جديد وعين شرطيان لحراسته كما عين (ويرفرون فيرباخ) وصيا عليه وفي الستين الثاليتين تلاشى كاسبر عن نظر الناس ولكن ليس عن عقولهم. واصبح الان الخبير الجديد قديماً ويوجد الكثير في (نيومبرغ) ممن يرفضون دعم كاسبر من خلال الضرائب. ثم عرض حل امتع الجميع فقد ظهر ثري انكليزي وهو لورد ستانوب ابن اخ رئيس الوزراء السابق (بلك) واصبح مولعاً بكاسبر وقدم لمقابله وبدا على الاثنين انها احبا بعضهما على الفور وراحا يتناولان الطعام في المطاعم وشوهد كاسبر مراراً في عربة (لورد ستانوب) وكان هذا مقتعاً ان كاسبر ينتهي الى سلالة ملكية وبدا عليه استمتاعه الواضح باللغز، وعندما طلب اخذ كاسبر في رحلة الى اوربا، اسعد ذلك المجلس البلدي وبين عام ١٨٣١ و عام ١٨٣٣ عرض كاسبر على عدة محاكم صغرى في اوربا حيث نجح في جلب الانتباه، لكن اعضاءاً من البيوت الملكية في (بافاريا) هددوا بتقديم دعاوى اذا ربطت اسمائهم امام الناس بقضية كاسبر. . . يبدو ان كل هذا الاهتمام والعيش الرغيد لم يكن جيداً لشخص كاسبر فأصبح مغروراً وضعياً ومختالاً بنفسه وخاب امل ستانوب فيه، وفي عام ١٨٣٣ عاد ستانوب الى (نيومبرغ) وحصل على اذن لايوانه في مدينة (انسباش) على بعد (٢٥) ميلاً حيث يتلقى التعليم على يد صديق (ستانوب) الدكتور (ماير) ويجرسه ضابط امن يدعى (كابتن هكل) وعندما شعر ستانوب انه ادى الواجب الذي عليه، اختفى عائداً الى انكلترا. لم يكن كاسبر سعيداً في (انسباش) فقد كانت اكثر انعزلاً من (نيومبرغ) وفي الحقيقة ان نيومبرغ كانت مدينة متألفة بالمقارنة مع انسباش. واستاء كاسبر من الدروس وخاصة اللاتينية واشتاق للحياة القديمة في المحاكم وحفلات العشاء وازداد حنينه الى الوطن بعد زيارة قصيرة الى (نيومبرغ). وساوره شعور ان (انسباش) افضل بكثير من الزنزانة التي امضى فيها سنوات عمره الاولى، بعدئذ وقبل حلول الميلاد بعدة ايام، وافاه الاجل في ١٤ كانون الاول (ديسمبر) ١٨٣٣. فني

ظهيرة يوم تلجي دخل كاسبر الى بيت (ماير) يترنح لاهشا: «رجل طعن...
سكين... هوفكارتن... اعطى سكيناً... اذهب انظر بسرعة». واكتشف
الطبيب الذي استدعي على الفور ان كاسبر قد طعن في خاصرته تحت الاضلاع
ودمرت الضربة رثته وكبدته واسرع (هكل) الى المتنزه الذي كان كاسبر يسير فيه،
فوجد كيساً حريراً يحتوي ملاحظة كتبت بصورة معكوسة وتقول: هورز
سيتمكن من اخبارك كيف ابدو، ومن اين اتيت ومن انا، ولاختصر عليه الجهد
سأخبرك بنفسى، انا من... على الحدود البافارية... على نهر... واسمي هو
(ام. آل. أو) غير ان كاسبر لم يتمكن من اخبارهم اي شيء عن هوية ذلك
الرجل واستطاع فقط ان يشرح انه استلم رسالة عن طريق العامل المطلوب منه
فيها الذهاب الى (هوف كارتن) وان رجلاً ملتجياً طويل القامة يرتدي معطفاً
اسود سأله «هل انت كاسبر هورز؟» وعندما اشار بالايجاب سلمه الكيس وحاملاً
تناوله كاسبر طعنه الرجل وهرب بعيداً.

وكشف (هكل) حقيقة تلقي الشك على هذه القصة: لم تكن هناك سوى
اثار اقدام كاسبر في الثلج، ولكن وبعد مرور يومين وفي ١٧ كانون الثاني (يونيو)
وبينما كان كاسبر يروح في غيبوبة كانت كلماته الاخيرة «لم افعلها بنفسى» وكانت
وفاته خائفة لظهور الاف الكتب والكراسات التي تقدم نظريات لحل اللغز، ونشر
(فيوربااخ) كتاباً بعنوان (نموذج جريمة روح الانسان) حاول فيه ان يبرهن ان
كاسبر من سلالة ملكية، ولتجنب التشهير بالسمعة تجنب ذكر اسماء اي من
المشكوك فيهم، لكن قراه لم يجدوا صعوبة في معرفتهم وكان المرشحون
المرجحون هم دوقات بيدن الكبار، وكان الدوق «عجوز كارل فريدريك قد
عقد صفقة زواج غير متكفيء من شابة جميلة في الثامنة عشر اسمها (كارولين
غاير) والذي حامت حوله الشائعات عن تسميم اولاده من زواج سابق ليتأكد
من ان اولاد زوجته الاخيرة سيصبحون الدوقات الكبار، ويعتقد ان كاسبر هورز

هو احد هؤلاء الاولاد وتبدو الحكاية سخيفة لانها تعني ان طفلا قدسرق وسلم الى (متعهد). واحد الاقتراحات يقول ان هذا المتعهد كان رجلا يدعى (فرانز ويختر) وان بيت طفولة كاسبر كان قلعة (بلزك) قرب (نيومبرغ) وفي الحقيقة ان هذه القلعة كانت مجرد بيت كبير في مزرعة ويعتقد ان (ويختر) قرر ارسال كاسبر الى (نيومبرغ) عندما توفيت زوجته بيد انه لم يقدم دليلاً نهائياً على هذا الرأي او على اية نظرية اخرى عن اهل كاسبر، ولم يكن هناك اي دليل ان كاسبر من سلالة ملكية او انه كان وريثاً شرعياً لعرش ما او حتى لاحد الاثرياء، ومن الصعب معرفة سبب حجزه في غرفة صغيرة طوال حياته فقد كان يكفي للتخلص منه تسليمه الى (متعهد) في مكان بعيد. والمعادلة الوحشية غير الانسانية التي عومل بها كاسبر تعد نموذجا لمعاملة يقوم بها فلاح جاهل اكثر منه ارستقراطي يؤنبه ضميره. وفي قضية (كورفشن) في القرن العشرين كان احد الهاربين من الجيش في الحرب العالمية الاولى هو (ويليام غرانيلد رو) قد ظل محتجبا في بيته في المزرعة لمدة ثلاثين شهرا ولم يكن ذلك ليثير الدهشة فلم يشك احد ان ذلك نوع من الجنون الذي هو اسوأ بكثير مما لو سلم نفسه لیسجن بضعة اشهر وقد شاع خبره عندما اغتاله عاملان حكم عليهما بالاعدام بعد ذلك. والنظرية التي ترى ان كاسبر كان ابنا من زواج سابق لدوق شرير تبدو اقل احتمالا بكثير من انه ابن غير شرعي لبنت احد المزارعين المحترمين خطبت الى مالك ارض في منطقتها وتخشى ان يذاع سرها بين الناس.

وفي هذه الحالة ترى من كان وراء محاولات الهجوم عليه؟ التي من المحتمل انها لم تحدث فبعد محاولة الهجوم الاولى ذاعت اشاعات في (نيومبرغ) ان كاسبر هو الذي ضرب نفسه بعد الاخفاق في نشر سيرته الذاتية، وبعد محاولة الهجوم الثانية أقل نجم شهرته واضحى حزينا ويائسا من وضعه. ومن المهم هنا محاولة كسب بعض التبصر في قضية صبي يمضي سبعة عشرة سنة من عمره في نوع من

سجون الزنانات، حيث يرغب اغلب الاولاد ان يكونوا مركز الاهتمام
ويعملون الكثير لتحقيق ذلك (ويبين مارك توين كيف فهم العقل بعمق في قصة
توم سوير عندما يتظاهر بأنه يفرقه ويحضر موكب جنازته). واغلب الاولاد
يتوقون الى نيل استحسان الكبار وينسجون الاكاذيب للوصول الى ذلك. وفي
كتابه عن كاسبر يصف (جاكوب وسرمان) خيبة امل (دومر) عندما اكتشف ان
كاسبر لم يكن صادما كما يبدو عليه. لقد خرج كاسبر من لب العزلة ليجد نفسه
مركز الاهتمام ومشهورا في اوربا، ورغم ان عمره لم يبلغ السابعة عشرة فقد كان
بعقلية طفل في الثانية من عمره، ولو فكرنا عقلانياً فان نموه كان سريعا ومدهشا
ولو تحدثنا عنه عاطفيا فانه مازال طفلا ولذلك فمن المؤكد تماما انه كان يستعد
لوضع نفسه في مواضع يأس لكسب التعاطف الشعبي. في ضوء هذا الاشتباه
فان قصة كاسبر عن محاولتي الهجوم عليه تبدو غير قابلة للتصديق فهل يمكن ان
يجد رجل ملثم طريقه في قبو بيت (دومر) ثم يضرب كاسبر على رأسه بهراوة او
سكين ويبدو انه غير متأكد من نوع السلاح ثم يفر هاربا قبل ان يتأكد من انه
ميت؟ وفي محاولة الهجوم الثانية ايمكن ان يكون (هكل) على خطأ عندما اكد انه
لم يكن هناك سوى اثار اقدام كاسبر في الثلج؟ ثم لماذا كتبت الرسالة الغامضة
معكوسة؟ هل كانت كذلك لان كاسبر كتبها بيده اليسرى وهو ينظر في المرآة
لكي يخفي كتابته؟ (من المعروف انه من السهل تمرين اليد اليسرى على الكتابة
المعكوسة باستخدام المرآة)، ولماذا كانت الرسالة عديمة المعنى: (هورز سيكون
بمقدوره ان يروي لك كيف ابدو ومن اين اتيت ومن انا... الخ) ولماذا يكتب
القاتل المحترف رسالة؟ اليس الاحتمال الاقوى ان كاسبر قرر في حالة يأس
وحزن ان يضرب نفسه ضرب غير مؤذية بقوة؟ وان كان الامر كذلك فان
كاسبر قد نال في الاقل ما كان يريد من تعاطف كوني ومكاناً في كتب التاريخ.

لغز التوائم المتطابقة

عقل واحد في جسدين

علم «جيم لويس» لما بلغ العقد الثالث من عمره أن له أخاً توأمأً أبعدته وإياه والديهما التي عرضتهما للبيع بعد ولادتهما بفترة وجيزة في آب عام ١٩٣٩ . وقد تم تبني (جيم) . وفي عام ١٩٧٩ قرر جيم لويس ، وقد بلغ عامه التاسع والثلاثين ، البحث عن أخيه التوأم بمساعدة المحكمة التي رتب عملية التبني . وبعد ستة أسابيع طرق جيم لويس باب جيم سيرنكر في دايتون وحالما تصافحا أحسا بالتقارب وكأنهما قطعاً مشوار حياتهما سوية . وعندما شرعا يقارنا فيما بينهما وجدا سلسلة من المصادفات المشابهة ، فقد عانيا ياديء ذي بدء نفس المشاكل الصحية ، وكلاهما اعتاد قضم الاظافر اللاارادي والمعاناة من الارق وبدأت عمل الاثنتين حالة من الصداع النصفي في عمر الثامنة عشر وتوقف عند كليهما في نفس العمر ، وكلاهما لديه مشاكل في القلب والبواسير ولهما بالضبط نفس الوزن ، وكلاهما زاد عشرة باوندرات في نفس الفترة أيضاً . وتلك دلائل تؤكد أن الترتيب الوراثي أكثر دقة وتعقيداً مما يعتقد . بيد أن حالتها في التطابق تعدت حدود الوراثة ، إذ تزوج كلاهما بفتاة اسمها ليندا ثم تطلقا سوية وتزوجا فتاتين اسمهما بيتي ورزقا بولدين سمياهما جيمس آلن وامتلك كلاهما كلباً اسمه (تيددي) وعملاً بوظيفة وكيل شريف وعامل في محطة بترول وفي مطاعم ماسكدونالد هامبرغر وتعودا قضاء عطلتيهما في ساحل فلوريدا وأن يدخنا نفس النوع من السجائر وعمل كل منهما ورشة يصنع فيها الاثاث تحت الأرض . . . كان التوأمان راعين ليس في التطابق في تجارب الحياة فقط وانما في التطابق في الأفكار فقد يبدأ احدهما قولاً ويكمله الأخر .

كان لقاؤهما الثاني قد قوبل بتغطية صحفية واسعة ثم ظهر في برنامج جوي كاست (معرض الحديث). وفي فينيسونا كان عالم نفساني يدعى توم بوشارد مولعاً جداً بموضوعهما حيث اقنع الجامعة بالسماح له بدراسة (التوأمين جيم) علمياً ثم استمر يبحث عن أزواج متشابهين غيرهما، ابي توأم منفصلين في مرحلة مبكرة من العمر ولم يروا بعضهم منذ تلك الفترة. وفي السنوات القليلة الأولى من البحث اكتشف أربعة وثلاثين زوجاً من هؤلاء التوائم ثم اكتشف الكثير من المصادفات من تلك التي لا يمكن تفسيرها علمياً. وتوأما بريطانيان وهما مارغريت ريتشاردسون وتيري واللذان لم تعرفا انهما توأمان حتى بلغنا اواسط الثلاثينات من العمر فقد تزوجتا في نفس اليوم والساعة. وغيرهما اثنتان دوروي لو وبرجين هاريس اللتان قررتا كتابة يومياتهما لمدة سنة عام ١٩٦٢ وكتلتهما كتبت بنفس الأيام وبدأت يوميات كل منهما متطابقة لأنها كانت بنفس الترتيب واللون.

وكتلتهما عرفتا على البيانو في طفولتهما وتركتاه في نفس السنة، وتجان الجواهر الملقطة للنظر. ومنذ ذلك الحين استمرت الدراسات حول التوائم لتبين انه في عدة حالات، وخاصة التوائم المتطابقة توجد مصادفات لاتصدق والتوائم هي تلك التي تنشأ عن انقسام نفس البيضة فتكون لهم نفس الجينات والتي تعني انهم يملكون عينين واذنين واعضاء وحتى بصمات اصابع متطابقة والمصطلح العلمي لمثل هذا التوأم هو (الزايكوت الأحادي)، وفي الحقيقة ان التشابه في عدة حالات يصبح عملاً تقريبياً وعلى سبيل المثال التوأم اللذان ذكرهما بيرجيت هاريسون ودورني لو لديها اولاد يدعون ريتشارد اندريو واندرينو ريتشارد وابتئاهما تدعيان كاثرين لويس وكارين لويس، لكن دورني لو هي التي قررت اصلاً تسمية ابنتها كاثرين وغيرته الى كارين لارضاء شقيقتها.

وكتلتهما تستعمل نفس العطر وتترك غرفة نومها مفتوحة جزئياً وكتلتهما

مصابتان بألتهاب السحايا وتجمعان اللعب الرقيقة وتملك كل منهما كلباً يدعى تاكر وإظهرت اختبارات بوشارد للذكاء انهما تمتلكان نفس حاصل الذكاء*. كذلك بربارة هابرت ودافن كوشب كانتا توأمين والدتهما طالبة فنلندية غير متزوجة وتبنتاهما عائلتان مختلفتان منذ الولادة وتوفيت كلتا الوالديتين اللتين تبنتها وهما طفلتان. وكلتاهما سقطتا من السطح في الخامسة عشر من عمرها وكسر كاحلها، وكلتاهما قابلتا ازواج المستقبل في مراقص دار البلدية في السادسة عشر من العمر وتزوجتا في العشرين وحصل لكلتاهما اجهاض مبكر ثم خلفت كلتاهما ولدين وبنات وكلتاهما مصابتان باضطراب القلب وتضخم الغدة الدرقية وتقرءان لنفس الروائيين الشعبيين وتشتريان نفس المجلة النسائية وعندما التقينا اول مرة كانت الأختان تضعان نفس الصبغة السمرء على شعريهما وترتديان فستانين بلون بيحي وسترتين مخمليتين بنيتين وتنورتين بيضاويين متطابقتين.

وفي عام ١٩٧٩ اكتشفت جانيت هاملتن وأيرين ريد ان لكل منهما اخت توأم واسرعنا في جمع شملهما واكتشفنا ان كلتاهما مصابتان بأرهاب المناطق المغلقة والضيقة ولاتحبان الماء وتجلسان وظهرهما الى البحر عندما يكن على الشاطئ وتكرهان المرتفعات وتصابان بألم في نفس المكان من الساق الأيمن في المناخ الرطب وحذرتان بشكل لا ارادي وفي طفولتيهما عملتا في فرق الاستكشاف وعملتا في نفس الوقت في شركة مستحضرات واحدة.

كما درس بوشارد توأمين تريبيا بعيداً عن الأقطار لايختلفان كثيراً عن الآخرين وهما اوسكار ستوهر وجاك بوف وقد ولدا في تربنداو عام ١٩٣٣ ثم تفرقا والداهما الى جهتين متضادتين وكل اخذ معه توأم، اوسكار ذهب الى المانيا واصبح عضواً في حركة الشباب النازي بينما تربى جاك تربية يهودي ارثوذكسي وتقابلا لأول مرة عام ١٩٧٩ ووجدوا انها كانا يرتديان نفس النظارة

والقميص الأزرق ذي الكشافات وكان شارباهما متطابقين واطهرت دراسة عن قرب تشابهات متميزة في عاداتها وكلاهما يشغل غطاس التواليت قبل وبعد الاستعمال ويضعان رباطات مطاطية على معصيهما ويرغبان تناول الطعام على انفراد في المطاعم وكذلك في القراءة وكانت نغمات صوتيهما متطابقة رغم ان احدهما يتكلم الألمانية والآخر يتكلم الأنكليزية وكلاهما له نفس طريقة المشي والجلوس ونفس روح المرح، على سبيل المثال ميلهما الى العطاس بصوت عال لترويح المسافرين الآخرين. ويتضح انه من الصعب ان لم يكن من المستحيل تفسير مثل هذه السلسلة من المصادفات دون افتراض وجود نوع من (التخاطر) اي نوع من الاتصال الخفي بين التوأم والذي يستمر حتى حين تفصلهم مسافات طويلة، وفي الحقيقة ان (يونغ) اول من استعمل كلمة (اكترافيد) بمعنى (المصادفات ذات المعنى) فقد امن بالتفسير التخاطري واحتوى عمله على العديد من القصص صممت لتوضيح طبيعة التخاطر، لكن حتى التخاطر لا يستطيع تفسير كيف تقابل شقيقتان زوجيهما في ظروف متشابهة وتعملان في نفس شركة المستحضرات.

وعليه لا بد من احد الأمرين؟ اما ابعاد فكرة اعتبارها مصادفات او شرحها حسب نظرية خاصة عن (المصائر الفردية) او حتى كما اسماها البروفسور جود ذات مرة (غرابية الزمن غير المشكوك فيها). واذا كان بأستطاعة الناس ان يعلموا لمحات من المستقبل او علم بالأحداث قبل وقوعها، فأن ذلك يوحى بطريقة غريبة بأن هذه الاحداث (مبرجة) كالفلم الذي تم اتجازه، واذا كانت حياة الأقراد الى حد ما (مبرجة بشكل مسبق) فربما كانت حياة توأم الزايكوت الأحادي) ذات برنامج اساسي واحد... وهناك حالات اخرى تعرض حقيقة التخاطر.

وفي عام ١٩٨٠ ظهر توأمان من الأناث في احدي محاكم بورك وجلبستا

انتباه الصحفيين لأنها كانتا تستعملان نفس الاشارات في ذات الوقت وتبتسمان
معاً وترفعان ايديهما الى ثغريهما بنفس اللحظة وهلم جرا، وكان توأما الكنيسة كما
تسميانه فريدا وغريتا قد اظهروا افتتانا قويا لسائق شاحنة يدعى السيد كين
ايفسون والذي كان يسكن في البيت المجاور لهما وما برحتا تتابعانه منذ خمسة
عشرة سنة وبدا عليهما ان لهما نفس الطريقة الغريبة في اظهار الحب، تستمانه
وتضربانه بحقيقية اليد وعندما استمر هذا لمدة خمس عشرة سنة قرر السيد ايفسون
طلب الحماية من المحكمة، وقد عرف تعلقهما بالسيد ايفسون طيباً بالشبق وهو
حالة يغرق فيها مريض الكآبة (المنخوليا) او الفلق الذهني بسبب حب رومانسي
رغم ما طرأ من تطورات لاحقة، ففي المدرسة كانتا بطيبتين لكنهما غير
متخلفتين وكان وصف المعلمات لكل منهما بأنها رقيقة ونظيفة وهادئة. وقد وجه
معاون مدير المدرسة اللوم الى والدتها وقال انه من الواضح ان والدتها امرأة
شغوفة لهما ولم تسمح لهما بتكوين شخصية منفصلة لكل منهما وكانتا ترتديان
فستانين متطابقين ولا تحتيطان بالاصدقاء، وظهر على التوأمن ميل الى التشابه
على شكل صورة المرأة الذي يعني انه اذا كان الأول اعسر يكون الثاني ايمن واذا
كان شعر الرأس ينمو باتجاه عقرب الساعة فأن نموه عند الثاني يكون عكس
ذلك وهكذا، وغالباً ما يحدث في توائم (الزايكوت الاحادي) ان ترتدي احدي
التوأمن السوار في معصمها الأيسر بينما ترتديه الثانية بالاتجاه المعاكس. وعندما
حلت احدهما شريط حذائها شدته الثانية بالاتجاه المعاكس. وعند نقطة ما اضطر
التوأمان الى مغادرة البيت ولم يكشف اي من التوأمن او والدتهما سبب ذلك
ولم تتزوجا حتى عمر السابعة والثلاثين ولم تحصلا على وظيفة واقامتا في قسم
داخلي محلي وتعدان فطورهما معاً وكل واحدة تمسك بالمقلات ثم تخرجان وهما
ترتديان ملابساً متطابقة وعندما ترتديان سترتين ساويتين متطابقتين بأزرار
مختلفة الألوان فأنهن يتبادلن نصف الأزرار فيصبح لكلتاهما لونا. وعندما تمتحان
زوجان مختلفان من الكشوف تأخذان واحداً من كل زوج وعندما تمتحان قلبان

مختلفان من الصابون تقطعاهم وتتقاسمهما وقد اخبرتا صحفية ان لهما عقلاً واحداً وانها حقاً شخص واحد وتدعيان ان احدهما تعرف بالضبط ما تفكر به الأخرى وذلك يوحي بوجود نوع من التخاطر بينهما وتخاصمان احياناً وتضرب احدهما الأخرى بخفة بالحقائب اليدوية، ولكن رغم هذه الخصومات فإنه يبدو عليها بشكل واضح ان هدفهما المشترك هو هجر العالم الخارجي والعيش في عالمها الخاص المصغر.

والتوأمان غريس وفرجينيا كندي من كاليفورنيا طورتا لغة خاصة تتفاهما بها وذلك عندما كانتا في السابعة من العمر، قام محلل لغوي يعمل في مستشفى ساندرينو للاطفال بدراسة لغتهما الخاصة واكتشف انها خليط من كلمات مخترعة مثل (نوفوكيد) و (يولانا) وخليط من كلمات اللغة الأنكليزية والألمانية اسماء لفظها (ووالدهما امريكي والآخر الماني) وتنادي احدهما الأخرى يويو وكابتيما وتتكلم لغتهما المجهولة بسرعة وطلاقة واخيراً تعلمتا اللغة الأنكليزية لكنهما توقفتا عن لغتهما السابقة او ربما لم يكن بإمكانها اجادتها.

واحد اغرب الحالات المتعلقة بالتوائم سجلت في نشرة نيويورك للكتب (٢٨ شباط (فبراير) ١٩٨٥) وقام بذلك النفساني اوليفر ساكس، كان ميكل وجون المعروفان ببساطة (بالتوأمان) قد امضيا حياتهما في معاهد الدولة منذ ان كانا في السابعة عام ١٩٧٤ وشخصا على انها مصابان بالذهان والأسترال في الخيال ومعاقان بشدة رغم انها يملكان قابلية فريدة وهي قابلية معرفة اي يوم من ايام الأسبوع يصادف اي تاريخ في الماضي او المستقبل فعندما يسألان عن تاريخ ١١ حزيران (يونيو) عام ٥٥ ب.م فأنهما ينطقان فوراً (الأربعاء) ويثبت ان ذلك صحيح. ويقول ساكس انها توأمان منسجمان لايمكن التفريق بينهما وهما من التوائم التي على شكل صورة المرأة المتطابقين في الوجه والشخصية وحركات الجسم وكذلك الامر في اصابتاهما في العقل والنسيج، يرتديان نظارت سميكة

جداً بحيث تبدو عيونها مشوهة، ويستطيعان إعادة اية عدد من الأرقام العشرية بعد سماعها مرة واحدة وهما ليسا مثل (الأطفال المعجزة في الحساب) المتمكنين من ضرب اعداد كبيرة خلال ثواني واستخراج الجذر العاشر لعشرين من الأرقام العشرية كما يفعل الأطفال المعجزة، ولكن عندما تسقط عليه الثقاب على الأرض فإن كلاهما يتمتم (١١١) قبل اصطدامه بالأرض ويثبت ان ذلك صحيح، وذات يوم وجدهما ساكس جالسين في زاوية يرتديان ملابس غريبة ويبتسمان وهما يتبادلان ارقاماً سداسية وقد دون بعضاً منها. وعندما عاد الى البيت دققها في كتاب للرياضيات واكتشف ان كل الأرقام كانت اعداداً اولية وهي الأعداد التي لا تقسم على غيرها بدون باق، ولكن الغريب في الأمر انه لا توجد الآن طريقة رياضية فيما اذا كانت بعض الأرقام الكبيرة هي اعداد اولية او زوجية عدا محاولة الأجتهد في تقسيم كل الأرقام الصغيرة عليه واذا كان هناك باق في كل عدد صغير حتى نصف حجمه فهو عدد اولي ورغم ذلك كان التوأمان يستخرجان اعداداً اولية من الهواء دون اقل عناء. وفي اليوم التالي شاركهما ساكس في لعبتهما وفجأة قاطعهما بعدد من ثمانية ارقام اخذه من كتاب الرياضيات فنظرا اليه بدهشة وبعد توقف لمدة نصف دقيقة انفرج وجههما عن ابتسامات عريضة ثم بدأ التوأمان بتبادل اعداد اولية ذات تسعة ارقام وقدم ساكس عموداً ذا عشرة ارقام وثانية اصابتها الدهشة وبعد صمت طويل استخرج جون عدداً ذا اثني عشر رقماً ولم يكن لدى ساكس اية طريقة لتدقيق ذلك لأن كتاب الرياضيات الذي لديه لا يتجاوز الأعداد ذات العشرة ارقام بيد انه لم يكن يشك في كونه اولياً وبعد ساعة كان التوأمان قد تبادلوا اعدادا اولية ذات عشرين رقماً. ترى ماذا كان التوأمان يعملان خلال نصف الدقيقة من الصمت عندما تقدم ساكس اليهما بالعدد الأولي ذي ثمانية ارقام؟ والجواب لايمكن ان يكون الا انها كانا يبذلان جهداً لرؤية العدد وذلك بطريقة متناسقة تجعلهما يران ان كان هناك باق او لا. واغلبنا يستطيع ان يتصور تسعة او ستة عشر بتصور مجموعة من النقاط

موضوعة في ثلاثة صفوف من ثلاثة او اربعة صفوف ذات اربع نقاط لايد ان التوأمين يستخدم نفس الطريقة على مستوى ابعد بكثير.

وهذا يقدم لنا مفتاحاً مهماً فنحن نعرف ان نصفي الدماغ لها وظيفتان مختلفتان في الفعالية، الأيسر عالم والأيمن فنان والأيسر معني باللغة والمنطق والأيمن معني بالحدس والبصيرة والأيسر يرى العالم من الأسفل بينما يراه الأيمن من الأعلى وفي الكائنات البشرية المتحضرة يكون النصف الأيسر هو (النصف المسيطر) مثلاً شعوري بهويتي يوجد في النصف الأيسر ولذلك عندما استخدم كلمة (انا) فهو من كلام نصف الدماغ الأيسر، وفي الغالب تكون طاقات الدماغ الأيمن لتصور الأنماط على سبيل المثال محدودة الى حد ما بالمقارنة مع الطاقات العقلية للنصف الأيسر ويتضح في حالة التوائم المتماثلة تكون طاقات النصف الأيسر محدودة جداً، لكن طاقات النصف الأيمن اعظم بمئات المرات مما هي الحال في بقية الناس.

ويبدو ان الدرس العام الذي نتعلمه من التوائم هو ان الفعالية المستمرة دون توقف للنصف الأيسر التي تتطلبها الحضارة تخدم كل انواع الطاقات (الطبيعية) في النصف الأيمن كالتخاطر والتقمص الجسدي والقدرة على معرفة الحقيقة بنظرة شاملة بالتلسكوب وليس بالمجهر (المكروسكوب) كما اعتدنا، وفي حالة التوأمين جيم التي تحدث فيها نفس الاشياء للتوأمين رغم افتراقهما منذ الولادة لم يبدأ العلماء والفلاسفة حتى الشك بوجودهما لحد الآن.

اين الموناليزا؟

قد يبدو جواب هذا السؤال بديبياً: في متحف اللوفر. بيد أن الامر ليس بهذه الدرجة من السهولة. لقد عرفت اوروبا الموناليزا باسم (الجيوكاندا) او المرأة الباسمة وهي تعني في الانجليزية القديمة (مرحة). هذه اللوحة رسمها كما يعلم الجميع الفنان الايطالي العظيم ليوناردو دافنشي الذي ولد في المدينة الصغيرة فنيسيا بالقرب من فلورنسا في عام ١٤٥٢. وقد كانت موناليزا (مونا هي اختصار لكلمة مادونا) حين التقاها ليوناردو اول مرة امرأة شابة في الرابعة والعشرين من عمرها متزوجة من رجل موسر يكبرها بعشرين عاماً يدعى فرانسكو ديل جيوكوندو، وكانت، حين شرع ليوناردو برسمها حوالي ١٥٠٠، قد فقدت طفلاً لها. ويقول فاساري، كاتب سيرة حياة ليوناردو، لقد توجب على زوجها أن يستأجر المهرجين والموسيقيين كي يولدوا فيها الابتسامة في الجلسات الاولى أمام الرسام.

لقد انتابت ليوناردو الهواجس حول لوحته فاستمر برسمها سنوات عديدة كان في اغلبها غير راض عن عمله، وهذا هو اصل الروايات التي أشاعت انه ارتبط بعلاقة حب معها، بل إن بعضها قالت انها خليلته وهو أمر بعيد الاحتمال إذا ما علمنا أن ليوناردو كان مصاباً بالشذوذ الجنسي، وقد تبني فكرة زهيدة حول الجنس حيث يقول بأسلوب سوفيتي ساخر: «إن عمل الجماع والاعضاء التي تقوم بتأديته لشيء بشع جداً وإن لم يكن ذلك من أجل جمال الوجوه فإن الجنس البشري سيفقد انسانيته». ومع ذلك كان ثمة شيء حول مادونا ليزا جعله يكافح من أجل اظهار سياءها لمدة ست سنوات على الأقل وربما أكثر. ويقول انتونيو فالانتين، كاتب سيرته، بأنها سحرته أكثر من أي امرأة قابلها في

حياته، وعندما غادر فلورنسا عام ١٥٠٥ أعطى اللوحة لزوج موناليزا وهي لم تنته بعد ولكنه بقي يعمل فيها في فترات عودته.

يقول جورجيو فاساري في كتابه (سير الرسامين) بأن ليوناردو قضى اربع سنوات في رسم موناليزا وتركها وهي لم تنته بعد (ان هذا العمل هو الآن في حياة فرانسس ملك فرنسا في فنوتينيلو...) ونحن نعتقد ان هذا العمل هو اشهر لوحة موجودة الآن في متحف اللوفر. ومع ذلك فإن هذا يثير التساؤل والحيرة، فلقد اعطى ليوناردو اللوحة للرجل الذي حصل على عمولة من ايراد بيعها وهو زوج الموناليزا في عام ١٥٠٥.

وبعدها بأربعين عاماً او اكثر عندما كان فاساري يكتب سيرة حياة ليوناردو كانت اللوحة بحياة فرانسيس الأول ملك فرنسا، ومن المؤكد ان عائلة جيوكوندو لم تكن لتتخلى عن راتعة ليوناردو بهذه السهولة؟ علاوة على ان لوحة اللوفر تبدو مكتملة بشكل واضح.

ثمة حقيقة مهمة اخرى، ففي عام ١٥٨٤ اصدر مؤرخ الفنون جيوفاني باولو لومازو كتاباً عن الرسم والنحت والعمارة يشير فيه الى (الجيوكوندا) و (الموناليزا) كما لو انها لوحتان منفصلتان والكتاب مهدي الى (دوق كارلوس ايمانويل) دوق سافوي العظيم الذي كان شديد الإعجاب بليوناردو، لذا لم يبد على الأرجح ان ذلك كان مجرد زلة قلم... جيوكوندا اثنتان؟ اين الأخرى اذا؟ والأهم من ذلك، من تكون الجيوكوندا الثانية؟

ان جواب السؤال الأول والذي يدعو للاستغراب هو في متحف اللوفر. وان اللوحة الأكثر شهرة في العالم والتي استنسخت اكثر من اية لوحة اخرى في التاريخ هي على الأغلب ودون ريب ليست الموناليزا التي كنا نتحدث عنها. اذن اين لوحة المرأة التي سحرت ليوناردو مما حدا به الى عدم انهاء رسمها؟

ثمة دليل يرينا ان لوحة موناليزا الأصلية هذه قد جلبت من ايطاليا في منتصف القرن الثامن عشر واخذت الى بيت فخم لرجل نبيل في سوفرست . وقبيل الحرب العالمية الأولى اكتشفها في باث حبير في تذوق الفن يدعى (هيوبليكرز) وقد التقطها مقابل بضعة جنيهات واخذها الى مرسمه في جزيرة دورث ومن هنا اصبحت معروفة بـ (موناليزا جزيرة وورث) وكانت اكبر من لوحة متحف اللوفر، والأهم من ذلك انها لم تكن مكتملة حيث لم يكن في المنظر الخلفي سوى لمسات خفيفة . وقد تركت لدى بليكر انطباعاً قوياً، اذ كانت الفتاة اصغر واجمل من موناليزا متحف اللوفر . وشعر بليكر بأن موناليزا الجديدة هذه تتوافق بأحكام مع وصف فاساري اكثر من لوحة متحف اللوفر . وقد كتب فاساري بحماسة مفرطة عن واقعتها قائلاً: (للعينين ذلك البريق واللمعان الباهت الذي اعتدنا ان نراه في حياتنا اليومية . وحولها كانت تلك اللمسات من اللون الأحمر والأهداب التي صورت بحذق عظيم . . . وانفراج الفم منضماً بالشفاه الحمر الى مجموعة اللمسات اللونية للوجه التي بدا من خلالها اللحم كأنه غير ملون وانما نابض بالحياة .)

ويتساءل السيركينيت كلارك مستشهداً بهذا المقطع في كتابه عن ليوناردو: - (ومن الذي يميز الهة اللوفر الفاتنة؟) الذي اجاب عليه بليكر قائلاً (آه بالضبط) ولكن الوصف ينطبق على موناليزا جزيرة وورث .

هناك نقطة اساسية اخرى يبدو انها ترقى فوق كل شك وهي ان لوحة بليكر هي موناليزا ليوناردو . وقد شاهدها الرسام رافائيل في مرسم ليوناردو حوالي عام ١٥٠٤ وعمل فيها بعد مخططاً لها ويرينا المخطط عمودين اغريقيين في كل جانب، وهذه الأعمدة يمكن ان تراها في موناليزا جزيرة وورث ولا يمكن ان تراها في لوحة متحف اللوفر .

ويؤمن بليكر بأن موناليزا جزيرة وورث هو عمل أكثر جمالاً من الآخر، والكثير من خبراء الفن قد اتفقوا معه. ومن الصحيح القول ان لوحة متحف اللوفر لها الكثير من المعجبين.

كتب والتر باتر مقطعاً منمقاً مشهوراً عنها في كتابه (النهضة الأوروبية) يقول فيه (انها أقدم من الصخور التي تجلس عليها وهي كالهامة قدماءت مرات عديدة» وقد احس و.ب. بيتر بجمال هذه الكلمات مما حدا به الى تقطيعها الى ابيات من الشعر الحر، وطبعها كقصيدة في كتابه «اكسفورد للشعر الحديث».

ومن جهة اخرى كتب عنها برنارد بيرنسون الخبير في تذوق الفن قائلاً:-
ان الذي شاهدته حقاً في هيئة موناليزا هو تلك الصورة المنفرة للمرأة التي هي خارج مدى تعاطفي وخارج نطاق اهتمامي... محترسة، متكتمة مأمونة، مع ابتسامة الرضا المتوقع والجو الغامر للترفع المعادي... لقد شعر ان جمال موناليزا متحف اللوفر قد ضحي به قربانا للبراعة الفنية. ولا يمكن لاحد ان يقول هذا عن موناليزا جزيرة وورث المفعمة بالحياة والحيوية.

ولكن اذا لم تكن سيدة متحف اللوفر هي ليزا ديل جيوكوندو التي تخصص ليوناردو فمن تكون اذن؟ وهناك حقيقة أكثر اهمية وقد وجدت في وثيقة ما من قبل انتونيو بينس سكرتير كاردينال اراغون.

فعندما ذهب ليوناردو الى قصر فرنسيس الاول عام ١٥١٧ زاره الكاردينال ودون السكرتير الحديث الذي دار بينها. وقد عرض ليوناردو أعمالاً على الكاردينال من ضمنها «القديس جون» و «مريم العذراء» مع القديسة «آن» و «صورة شخصية لسيدة ما من فلورنتين رسمت على الطبيعة بناء على طلب نبيل سابق يدعى جيوليانو دي مديسي...».

وفي كتابها عن سيرة حياة ليوناردو. تخمن انتونيا فالتاين بأن هذا العمل

هو الموناليزا وتتساءل: «هل أحب جوليانو دي مديسي موناليزا في صباحها... وهل كان يفكر باشتياقها وهي متزوجة من السيد ديل جيوكوندو؟ وهل اعطى ليوناردو عمولة ليرسم صورتها الشخصية؟»

ولكن هذا المشروع الوهمي الرومانسي المبهج حطمه البحث المجرد في التواريخ. فقد كان جيوليانو دي مديسي شقيق لورنزو سيد فلورنس الرائع قد قتل في كاتدرائية فلورنس عام ١٤٧٨. وكان المتآمرون، وهم على الاغلب اصحاب موائد القمار المتنافسين، يتمنون ان يقتلوا لورنزو ايضا، ولكنه كان اكثر دهاء منهم. كل هذا حدث قبل ان تولد موناليزا بسنة. اذن من هي تلك السيدة التي رسمها ليوناردو بناء على طلب جيوليانو دي مديسي؟ الجواب في الغالب ودون ريب هو كوستانزا دي افسالوس، خلية جيوليانو، السيدة ذات الخلق الحسن والتي عرفت ب «السيدة الباسمة». لا جيوكوندا...

وهكذا يبدو ان اللوحة الموجودة في متحف اللوفر قد وضعت تحت عنوان «الموناليزا» بسبب سوء فهم بسيط. وموضوع هذه اللوحة يعثل بشكل واضح امرأة في العقد الثالث من عمرها وليس في العقد الثاني كما تبدو موناليزا ديل جيوكوندو.

اخذها ليوناردو معه الى فرنسا ثم انتقلت الى مجموعة فرنسيس الاول واخيرا استقر بها المقام في متحف اللوفر. اما موناليزا غير المكتملة فقد بقيت في ايطاليا ثم جلبت الى انكلترا وقدا اشتراها هيوليكر عام ١٩١٤.

وفي عام ١٩٦٢ اشترتها مقابل مبلغ ضخم من المال (دون ان يكشف عن مقداره، والذي يساوي الملايين دون ريب)، مؤسسة سويسرية تباع مواداً للنشر في عدة صحف ومجلات في وقت واحد يرأسها جامع الاعمال الفنية الدكتور هنري. ف. بولترز. ومنذ ذلك الحين ألف بولترز كتابا صغيرا أسماه «اين

الموناليزا؟» معلنا فيه مطالبته بلوحته التي تمثل مادونا ليزا دي جيوكوندو.

وموضوع النزاع الذي تناوله بولترز بسيط، فهناك جيوكونداتان اثنتان، حيث ان لمادونا ليزا الحق الكامل في ان تدعو نفسها باسم زوجها بنهاية مؤنثة. ولكن ثمة موناليزا واحدة فقط وهي ليست في متحف اللوفر وانما في لندن.

حفرة المال.

من دفن الكنز؟

يحتوي خليج ماهون في نيوفاوندلاند على عدد من الجزر بقدر عدد أيام السنة، وقد قرر في صيف عام ١٩٧٥ شاب يدعى دانيال مك غينيس أن يستكشف واحدة من هذه الجزر، ومن دون أغلب الجزر الأخرى كانت هذه الجزيرة مغطاة بأشجار السنديان، إذ قلما يوجد شجر في الشمال الأقصى. وقد أثار دانيال اهتمام الآخرين باكتشافه اشارات واضحة تدل على سكنى البشر على الرغم من أنها لم تكن حديثة العهد. ومن المستبعد أن يكون المستوطنون قد اختاروا مثل هذه البقعة النائية، فإن هذه الاشارات كانت تدل على أن الزوار كانوا إما هنوداً او قراصنة. وقد قضى المراهق حياته كلها على الساحل الشرقي من خليج ماهون مع حكاياته عن القرصنة والكنز المخفي. وعندما وجد بالصدفة شجرة سنديان وقد تعلقت في احد اغصانها السفلى بكرة لرفع الاثقال تعود لسفينة ما، أيقن انه في اثر كنز مدفون لأحد قراصنة البحر. وقد ازداد اتدفاعه عندما لاحظ غوراً تحت شجرة السنديان، مفترضاً أن ثمة حفرة قد نقتب هناك ذات يوم ومن ثم طمرت مرة أخرى.

اندفع دانيال مك غينيس الى بيته وطلب المساعدة من صديقيه الحميمين. وفي اليوم التالي عاد معه الى الجزيرة جون سميت البالغ من العمر عشرين عاماً وانتوني فاوتمان وعمره ثلاثة عشر عاماً وهم يحملون المعاول والمجارف. وفي خليج صغير على شكل هلال في الساحل الجنوبي الشرقي من الجزيرة، وجدوا جلموداً نصف مدفون وقد ثبت عليه مسمار بحلقة، وكان ثقيلاً ومصنوعاً من الحديد وكانت الحلقة صلبة الى درجة انها كافية لربط مركب كبير. ومن هناك شقوا طريقهم الى داخل الجزيرة واكتشفوا بقايا طريق جيد رغم وجود بعض

العشب فيه يمتد ما بين الركن الشرقي الشمالي والركن الغربي الجنوبي من الجزيرة. وفي ارض مقطوعة الاشجار وجدوا ان الغصن الموجود فوق الصخور والذي طوله ستة عشر قدماً قد فصل عن الجذع بحوالي اربعة اقدام وأن لحاء الشجرة كانت فيه علامات خدوش عميقة تدل على انها آثار حبل ملفوف على الجذع. ولكن عندما حاولوا ان يصلحوا بكرة الحبال، سقطت وتهدمت الى أجزاء.

شرع الاولاد يعملون بالمعاول والمجارف حتى وجدوا انفسهم في نفق عمودي دائري بعرض ثلاثة عشر قدماً وجدرانه من الطين الصلد المزرق الذي لم تزل آثار المعاول التي استخدمت لحفره ظاهرة عليه واكتشفوا بعد حفرهم اربعة اقدام طبقة من الاحجار المربعة، ولم تكن هذه الاحجار من الجزيرة ولا بد انها جلبت من النهر الذهبي الذي يبعد عن الجزيرة بمسافة ميلين.

وفي عمق عشرة اقدام، وجدوا بالصدفة قطعاً كبيرة مرصوفة من خشب السديان وممتدة عبر النفق ونهاياتها مشبثة بقوة في الجدران وكانت كلها متعفنة وتوحي الى انها تركت هناك لعدة اعوام. فقاموا بخلع القطع وسحبها الى خارج النفق يحدهم الامل في كل لحظة في ان يجدوا صناديق خشبية مليئة بالدبلونات والاحجار الكريمة. لقد خاب املمهم فلم يكن ثمة غير الطين. وفي عمق عشرين قدماً وجدوا بالصدفة طبقة اخرى من قطع الاشجار ومن ثم وجدوا طبقة ثالثة على عمق ثلاثين قدماً. واخيراً بعد ان ادركوا ان المهمة كانت اكبر من قدرتهم، قرروا الاستسلام على الرغم من انهم مقتنعون بان الكنز يبعذبضعة اقدام عن متناول ايديهم. وعندما كانوا يجرون اذيال الخبية وهم في طريقهم الى البيت، بدأوا يخمنون بالكادان مغامرهم الصبانية لا بد وانها ادت الى موت خمسة رجال وانفاق مئات الآلاف من الدولارات.

وبما ان تنقيب الحفرة يحتاج الى آلات ومكائن كما هو واضح فقد حاول الاولاد ان يجمعوا رأس مال من اصدقائهم فلم يعرهم احد اي اهتمام. وكان الكثير من سكان البلدة يؤمن بان المكان مسكون بالاشباح. واخذ الطاعنون في السن يتذكرون انهم عندما كانوا اطفالا كانوا يلمحون أضواء غريبة في الجزيرة شبيهة بالنيران التي تضرم في العراء ويشاع ان بضعة رجال من البلدة قد ذهبوا بمركب ذي مجاذيف للتحري ولم يرههم احد بعد ذلك. وازاء فقدان المهمة اضطر صيادوا الكنتر اخيراً الى الاعتراف بالمزيمه. ولكن عندما تزوج دانيال وجون انتقلا الى الجزيرة التي اطلقوا عليها اسم جزيرة السنديان.

وبعد تسعة اعوام من تلك الزيارة الاولى اصبحت زوجة سميث حاملاً فاخذها زوجها الى الجزيرة الرئيسية للولادة، وعندما كانت هناك تحدثت عن اكتشاف زوجها مع طبيب يدعى سيمون لايندز. وقد اثار الموضوع اهتمامه الى درجة انه جمع رأس المال الكافي من اصدقائه. وفي عام ١٨٠٣ بدأ العمل مرة اخرى في حفرة المال وقد ترسبت في السنوات الفاصلة بين المحاويليتين كمية من الوحل في قعر الحفرة وكان لا بد من ازالتها قبل ان يعثر على العصي التي تركها الاولاد الثلاثة كاشارة للبقعة التي عملوا فيها. وباستخدامهم نظام الحبال والبكرات والدلاء، وصلوا على عمق ثمانين قدماً عن السطح دون ان يجدوا اي اثر للكنتر الذي كانوا يأملون ان يكون هناك. وفي الاسفل من ذلك بدأ يصادفهم حاجز جديد بعد كل عشرة اقدام. وكما هي الحال بمثل هذه المغامرات لم يحتفظ صيادوا الكنتر بسجل للاحداث فثمة امر مشوش حول تعاقب الطبقات التي كانت تصادفهم بشكل متوالي. وتصف احدى الروايات الطبقات المتواليه كما يلي: في عمق اربعين قدماً هناك طبقة من السنديان مكسوة بمعجون وعند عمق خمسين قدماً ثمة سنديان صرف وعلى عمق ستين قدماً يوجد خشب سنديان مع الياف جوز الهند ومعجون ومن ثم سنديان صرف عند عمق سبعين قدماً وعند

عمق ثمانين قدما هناك طبقة اخرى من السنديان مكسوة بالمعجون. وقد اصبح الباحثون بعد ذلك على قناعة ان الحفرة قد حفرها قراصنة، اذ كان المعجون من النوع الذي يستخدم في السفن وقد اخرجت كمية من خارج الحفرة وكانت كافية لتثبيت زجاج شبايك عشرين بيتا في خليج ماهون وقد اخذ البحارة مرة اخرى يوحون الى ان الياف جوز الهند لا بد انها قطعت الغي ميل على الاقل حتى وصلت نوقاسكونيا. استمروا في الحفر لمسافة اعمق وعند عمق تسعين قدما وجدوا بالصدفة طبقة من المعجون الذي يستخدم في السفن وكانت صلدة كالأجر. ووجدوا تحتها مباشرة صخرة كبيرة ذات نوع غير معروف في نوقاسكونيا، وفي الجانب السفلي من هذه الصخرة عثر الباحثون على صور ورسائل مشقوفة بخشونة ليس لها مغزى واضح. وقد اخذها سميت الى بيته واعاد تشكيلها وثبتها على الموقد. وكان صيادوا الكتر يشعرون انها في الاقل تشير الى انهم قرييون من هدفهم.

دفعوا عتلة الى داخل الارض التي اصبحت فيما بعد مشبعة بالماء حيث كان يتعين عليهم ان يرفعوا برميلاً من الماء لكل برميلين من التراب. وتحت الطبقة الاخيرة بيضعة اقدام فقط اكتشفوا سطحاً صلباً يمتد عبر النفق الطولي. واتفق الجميع على انه من الخشب وربما يكون صندوقاً خشبياً، واخيراً بدا الامر وكان هدفهم في مجال الرؤية.

حصل الاكتشاف في مساء السبت وعندما حل الليل تسلقوا خارج النفق ولم يعملوا يوم الاحد، ولا بد انهم قضوا الوقت حتى صبيحة يوم الاثنين وهم يرزحون تحت عذاب توقعاتهم. وقد قال سميت فيما بعد انهم قضوا الوقت وهم يقررون فرحين كم نصيب كل رجل منهم. ولا شك ان المنظر الذي طالعتهم اعينهم عندما وصلوا في صبيحة يوم الاثنين قد بدا لهم وكأنه كابوس، فقد امتلأ ما يقارب الثلاثين قدما من النفق الذي حفروا منه تسعين قدماً بالمياه الموحلة

وقد حاولوا ان يصرفوا المياه الى الخارج بواسطة الدلاء ولكن مستوى المياه بقي كما هو عليه . وأدخلوا مضخة لتقوم بالمهمة ولكنها تعطلت بسبب الجهد الاضافي ولم يزل مستوى المياه كما هو عليه . فتخلى الرجال عن العمل وهم محبطون كلياً .

وفي ربيع عام ١٨٠٥ عاد صيادو الكنز ليجربوا خطة جديدة للعمل حيث قاموا بحفر نفق ثان بجانب النفق القديم الى عمق مائة وعشرة اقدام اي اعتمق من النفق الاصلي بخمسة عشر قدماً تقريباً ، وبدأوا يشقون نفقاً عرضياً بالاتجاه الذي كانوا يأملون فيه ان يحصلوا على صناديق الكنز من الاسفل . ولسوء الحظ فقد حفروا بمحاذاة النفق الاصلي تماماً حيث سبب ضغط المياه الى انهيار الجدار الطيني الفاصل غامراً الحفارين بمئات من الغالونات من المياه الموحلة . ولحسن حظ الرجال فقد امتلأ النفق الثاني بسرعة جدا مما ساعدهم على الهرب بجلودهم .

نفذ كل ما عند الجماعة من مال ولم يكن امامهم سوى ان يتخلوا عن المشروع . وقد قال سميت مراسلاً احد اصدقائه : «لولا اضرار الطبيعة المتعددة التي خدعتنا فاننا الآن جميعا في عداد الرجال الاغنياء» . ولم يدرك ان السبب في فشله ليس اضرار الطبيعة وانما براعة قرصان ما توفي منذ زمن بعيد .

وبقيت حفرة المال دون ان يمسه احد اكثر من اربعين سنة . وفي عام ١٨٤٩ شكلت مجموعة من المستثمرين من جزء آخر من نوفاسكوتيا نقابة جديدة وقاموا بمحاولة اخرى . واشتملت المغامرة الجديدة على الدكتور ديفيد لايندرز وهو من اقرباء سيمون لايندرز ، وانتوني فاغون الذي كان يعد اصغر واحد من بين المستكشفين الأوائل اما الآن فهو في اواخر العقد السادس من عمره . اما بالنسبة الى الاثنين الآخرين فقد توخى مك غينيس وآثر سميت ان لا يورط

وفي جزيرة السنديان وجدوا ان كلا النفقين قد انهار، فحفروا خلال الاتني عشر يوماً التالية الى عمق ستة وثلاثين قدماً وفرحوا لعدم وجود اية اشارة تشير الى الفيضان. ومرة اخرى فرغوا من عملهم في مساء السبت وتأكدوا في الصباح التالي من عدم وجود اية اشارة للماء في الحفرة بل وجدوا انها ما زالت جافة تماماً ولكنهم عادوا في الساعة الثانية بعد الظهر من الكنيسة ليجدوا ان الحفرة قد امتلأت بالماء بمقدار ستين قدماً. وبدأوا في الايام التالية بمحاولة تصريف الماء خارج الحفرة بواسطة الدلاء، وخلاصة القول «بدت النتيجة غير مرضية وكانهم كانوا يشربون الحساء بالشوكات». وعندما ادركوا صعوبة المهمة التي كانوا يواجهونها قرر الباحثون ان يكتشفوا الشيء الموضوع في قعر الحفرة، فقاموا باستخدام بريمة حفر محددة وهي عبارة عن حفار بقدره حصان واحد يظهر عينات من المادة التي يقوم بحفرها. وقد كانت هناك طبقة ما قائمة فوق الماء وقد ثبت فيها خمسة ثقوب الى عمق مائة وستة اقدام اثنان منها في غرب مركز الحفرة قليلاً، ولم يظهر سوى الوحل والصخور. وقد قدم الرجل الذي يدير عملية الحفر بياناً يبين فيه ما وجدوه في الثقوب شرق مركز الحفرة يقول فيه:

"بعد اختراق الطبقة الموجودة في المستوى الذي وصلت اليه العتلة عام ١٨٠٤ والتي كان سمكها خمسة انجات والتي ثبت انها مكونة من قطع صغيرة من خشب البيسية هبط الحفار لمسافة اثني عشر انجاً وبعدها اخترق اربعة انجات من خشب السنديان ومن ثم اخترق اثنين وعشرين انجاً من القطع المعدنية، ولكن الحفار فشل في اظهار اي شيء عن طبيعة الكنز ما عدا ثلاثة حلقات تشبه حلقات سلسلة ساعة قديمة. وبعدها اخترق ثمانية انجات من خشب السنديان الذي بدا كأنه يمثل قعر الصندوق الاول والسطح الاعلى من الصندوق الثاني ومن ثم اثنين وعشرين انجاً من خشب السنديان وستة انجات

من خشب البسيه (الراتنج) ثم احترق سبعة اقدم من الطين دون ان يعثر على اي شيء".

وكان الثقب التالي الذي ثقب الى الاسفل اقل نجاحا اذ يبدو وكأنه اصاع طريق الصناديق ولكن الحركة الارتجاجية للمثقب اوحى الى انه من المحتمل انه قد عثر على حافة احد الصندوقين او كليهما. وهذه المرة اظهر الثقب كسرا من الياف جوز الهند مختلطة مع كسر حادة من خشب السديان وقد اوحى عملية ثقب الثقبين هذه الى أن حفرة المال تحتوي على صندوقين احدهما فوق الآخر. ولكن... هل يحتويان على الكثر المدفون؟... لم يسجل احد طبيعة القطع المعدنية ولكن في وقت لاحق وصف احد اعضاء النقابة "حلقات سلسلة الساعة" على انها "قطعة سلسلة ذهبية" ولكن من المحتمل ان رأيه كان معتمداً على لمس الزخرفة فقط.

لقد كان الثقب الاخير اهم الثقوب الخمسة حيث قرروا ان يزيلوا بعناية كل قطعة صغيرة من المعدن الذي رفعته بريمة الحفر المخددة الى السطح لكي يتسنى لهم ان يجنّبوها بالمكروسكوب وقد كانت هذه العملية مستمرة بشكل جيد حتى حصلت بعض القلاقل بين الرجال الذين كانوا يبحثون عن العينات التي يظهرها المثقب. فقد لاحظ احد الرجال ان رئيس العمال جيمس بتيلادو وجد شيئاً ما وتفحصه بعناية ثم وضعه في جيبه. وعندما طلب منه ان يعرضه عليه رفض قائلاً انه سيعرضه في الاجتماع المقبل لمدراء النقابة. وقد تصرفوا بوحى من الاعتقاد بصدق ما يقول ولكنه لم يظهره وبدلاً من ذلك حاول ان يقنع رجل اعمال من المنطقة بشراء الجزء الشرقي من جزيرة السديان. وقد كان رجل الاعمال راغباً في ذلك ولكن النقابة رفضت ان تباع. وقيل ان بتيلادو توفي في حادث منجم بعد وقت قريب ولم يكشف عن السر الذي وجده ولكن الاسطورة المحلية تصر على انه كان جوهرة.

لقد اصبح صيادو الكنز بعد ذلك مقتنعين من ان الحفرة تحتوي على صندوقين مليئين بالكنز. ولكن السؤال الوحيد الذي بقي هو كيف الوصول اليهما. ولم تردعهم الكارثة التي كادت ان تصيب النقاية السابقة عام ١٨٠٤ فقد قرروا ان يخفروا نفقاً آخر بجانب النفق الاصلي وحاولوا ان يشقوا طريقهم عرضياً نحو الصناديق من الاسفل فوصلوا الى عمق مائة وتسعة اقدام دون ان تصادفهم اية اشارة تدل على وجود مياه، ولكن عندما بدأوا الحفر باتجاه حفرة المال انغمس العمال فجأة بمئات من الغالونات ومرة اخرى هربوا بشق الانفس بجلودهم. وامتلاً النفق الجديد الى نفس المستوى في النفق الاصلي اي بمسافة ثلاثة وثلاثين قدماً عن السطح.

وبشكل لا يصدق لم يتسائل احد حتى ذلك الحين من اين تأتي كل هذه المياه وقد لاحظ احد الرجال المبللين ان طعم الماء كان مالحاً. وعندما قاموا بمراقبة مستوى الماء في الحفرة لمدة اثني عشرة ساعة، وجدوا ان الماء قد ارتفع وانخفض مع المد والجزر في الخليج فادركوا ان حفرة الماء كانت مليئة بماء البحر. وقد كانت الارض في ذلك الطرف من الجزيرة طينية في الغالب، لذا فمن المستحيل ان يترشح الماء من خلالها الى الحفرة، اذن لا بد من وجود نفق. حول صيادو الكنز انتباههم الى اقرب شاطئ والذي يدعى خليج سميت ويمتد نحو الشمال الشرقي خمسمائة قدم فلاحظوا عند انخفاض المد ان التربة الرملية اصبحت مسيلاً للماء وكأنها اسفنجة قد عصرت.

كشفت الحفر طبقة من الياف جوز الهند تحت الرمال بثلاثة اقدام. وكان تحت الالياف مباشرة طبقة من حشيش الانفليس او عشب البحر بسلك اربعة او خمسة انجات وفي الاسفل من هذه كمية من الاحجار المستوية. لقد كانت هذه الاسفنجة الضخمة التي هي من صنع الانسان تمتد مائة وخمسين قدماً على طول الشاطئ بين العلامتين المائتين المرتفعة والمنخفضة. وعند عمق خمسة اقدام

وجدوا خمسة مصارف للمياه على شكل صناديق تبعد بشكل متساو عن بعضها البعض ومبنية بمتانة من الاحجار المستوية وتؤدي هذه المصارف الى بالوعة على شكل قمع انشأت فوق علامة ارتفاع الماء. لقد كانت هذه المصارف مبنية بشكل جيد فعندما كشفوا النقب عن واحد منها، لم يجدوا اي رمل مترشح خلالها يعيق جريان الماء والذي قد يحصل بعد مائة عام. لقد كان الماء يمر من البالوعة على طول عمر منزلق الى الاسفل لمسافة خمسمائة قدم الى حفرة الماء واصلا اليها تحت مستوى التسعين قدما مباشرة. ولو كان بناء الحفرة نفسها رائعا لكان نظام النفق والفيضان من عمل مهندس عبقرى بلا شك. فعند ارتفاع المد في الخليج تمتص اسفنجة الياف جوز الهند الماء ليشق طريقه خلال المصارف ثم ينزلق عبر المر الطويل نحو الحفرة. وطالما ان النفق الطولي مليء بالرمل فان الماء يتراجع بالضغط، وازالة الرمل يقلل من الضغط وعندما يصل الحفارون الى مستوى التسعين قدم فان قوة المد تكون قادرة على دفع الماء خلاله لتفويضه.

كان الباحثون فرحين فمثل هذه الاجراءات الوقائية المفصلة توحى بكثر ضخمة. وكل ما بقي الآن هو منع الماء من الفيضان واخراج ما هو موجود في الحفرة. بدأوا يعملون بهمة من جديد ببناء سد الانضاب عبر حلق الخليج ويبلغ طوله مائة وخمسين قدما. ولكن يبدو ان الطبيعة مصرة على احباط جهودهم، فقبل ان ينتهي بناء السد حطم مد عال غير طبيعي العمل برمته. ولما كان العمل مستحيلا في مد كهذا فقد قرروا ان يقطعوا النفق من مكان يتوسط الشاطئ والحفرة. وعندما حفروا نفقا طويلا بالقرب من خليج سميت اضاعوا النفق العرضي تماما. حفروا بعدها نفقا طويلا آخر بالقرب من الحفرة ولكن عندما وصلوا الى عمق خمسة وثلاثين قدما صادفتهم صخرة كبيرة وعندما اراحوها امتلأ النفق الطولي مرة اخرى بدفعة من الماء. لقد اصبحوا بعد ذلك مشوشين بشكل تام اذ قرروا ان هذا لا بد وان يكون نفق الفيضان، وعندما

فشلوا ادركوا ان نفق البحر لا بد ان يجدوه بعد سنتين قدما اخرى في الاسفل او لا بد وان النفق الطولي قد فاض عندما وصل الحفارون الاصليون لعمق ثلاثين قدما. وفي محاولة لايقاف التسرب قاموا بدحرجة الاخشاب فوق الأرض وعندما فشلوا في ذلك حاولوا ايضا الوصول الى الصناديق من الاسفل.

وعند عمق مائة وثمانية عشر قدما بدأ العمال بشق طريقهم نحو النفق الطولي الاصلي. وعندما كان العمال متوقفين عن العمل في فترة الغداء اخترق الماء الموجود في حفرة المال مرة اخرى النفق الطولي الجديد وافاضه. وبعد هذه الضربة القاضية توقف العمل لمدة تسع سنوات.

وفي عام ١٨٥٩ استعادت النقابة نشاطها من جديد فقاموا مرة اخرى بحفر انفاق طولية اما لافراغ حجرة المال من الماء او لقطع نفق الفيضان ومع ذلك وحتى بقوة عاملة تقدر بثلاثة وستين رجلا لم يتمكنوا من كبح الفيضان. وفي عام ١٨٦١ استبدلت المضخات اليدوية بمضخات بخارية وعندما احترق الرجل سامطا احد العمال حتى الموت، توقف العمل مرة اخرى. وفي السنوات التالية تشابعت محاولات عديدة وكان يقوم بها منقبون اظهروا همة اكبر من البراعة المألوفة، وقد اتفق معظمهم على حفر انفاق كثيرة حول حفرة المال في محاولة منهم لايقاف سيل الماء ولم يبد ان ايا منهم قد ادرك ان الامر سيكون اسهل لو حفروا بالقرب من خليج سميث حيث لا يتوجب عليهم سوى حفر انفاق طولية بعمق عشرة الى خمسة عشر قدما بدلا من الانفاق التي كانت تحفر بالقرب من الحفرة بعمق تسعين قدما. وكتيجة لكل هذه الاعمال اصبحت المنطقة المحيطة بحفرة المال مليئة بالانفاق الطولية الممتلئة بالمياه مما جعل المهمة اكثر صعوبة.

وفي عام ١٨٦٦ قامت نقابة هاليفاكس المشكلة حديثا بالعمليات فحاولوا مرة اخرى انشاء سد في خليج سميث ولكن المد العالي غير الاعتيادي هزمهم.

وقد اكتشفوا بالفعل في نقطة ما المكان الذي يدخل منه نفق الفيضان الى حفرة المال واصبحوا مطلعين على الحفرة المدهشة التي كانت في مدار المناقشة لانشاء مثل هذا النفق. لقد كان حلق النفق بعرض قدمين ونصف القدم وبطول اربعة اقدام وكانت منطقة التقاء نفق الفيضان بحفرة المال في مستوى مائة وعشرة اقدام من السطح، ولتقوية نفق الفيضان قام البناؤون بعناية وضع احجار من الشاطئ حول طرف النفق. ولا بد ان يكون هذا الاكتشاف الجديد قد حل مشكلاتهم فكل ما يتوجب عليهم الآن عمله بعد ذلك هو اغلاق النفق ومنع ماء البحر من الدخول. ولكن لسوء الحظ كانت المنطقة برمتها مليئة بالانفاق الطولية مما يمكن الماء الآن من الدخول من عدة اتجاهات اخرى.

وكان ثمة شيء جلي في ذلك الحين: وهو ان كل هذه المهارة تعتبر ضائعة اذا لم يكن القراصنة يتوون العودة لجمع كنزهم واذا كانوا يتوون ذلك فعلا فلا بد انهم قاموا بطريقة تمكنهم من قطع جريان ماء البحر. والطريقة الاكثر مباشرة هي بوابة تقطع الفيضان من مروره عبر النفق. ولو كان الحال كذلك فابن هي هذه البوابة؟. لقد قاموا ببحث دقيق على طول شقة الارض المحصورة بين خليج سميث والحفرة التي يبلغ طولها خمسمائة قدم ولكنهم فشلوا في تحديد مكان البوابة. وهكذا اعترف صيادو الكنز مرة اخرى بالهزيمة. وفي وقت لاحق قال احد اعضاء الشركة ويدعى ايزياك بلاير لابن اخيه فريديريك: «لقد رأيت ما يقتعني بما فيه الكفاية ان ثمة كنز مدفون هناك ورأيت ما يقتعني الكفاية ايضا انهم لن يحصلوا عليه».

وعندما بلغ فريديريك بلاير الرابعة والعشرين من عمره كانت له محاولة للبحث عن الكنز فانضم اليه مجموعة من المتقين اطلقت على نفسها اسم شركة كنز جزيرة السنديان وكان ذلك في عام ١٨٩١ اي بعد مرور مائة عام تقريبا على وصول دانيل ملك غينيس الى الجزيرة اول مرة. وقد كان في نيتهم "ان

يستخدموا احدث المواد ليقطعوا جريان الماء خلال النفق . . " . ولكن لسوء الحظ فان " احدث المواد " لم تشكل اي فرق عملي عن سابقتها والسبب الرئيسي لذلك هو ان صيادي الكنتر حاولوا مرة اخرى كبح سيل الماء عند نهاية النفق المتصلة مع حفرة المال . وعندما نفذت اموالهم كانت النقابة الجديدة قد حققت القليل مثل الذين سبقوهم .

اعادوا التفكير بخططهم وعملوا في عام ١٨٩٧ ما كان ينبغي عليهم ان يعملوه منذ البداية، فحفروا عند نهاية النفق في خليج سمث واكتشفوا ماء البحر عند عمق خمسة عشر قدما تقريبا تحت السطح . وفي هذه المرة وبدلا من ان يحاولوا سد النفق بحائظ من الاخشاب وضعوا في الثقب حشوة ديناميت تزن مائة وستين رطلا . وعندما تفجرت كان ثمة صخب مفاجيء لاضطراب الماء في حفرة المال على بعد اربعمائة وخمسين قدما . لقد انهار نفق الفيضان بشكل مؤكد ومع ذلك عندما حاولوا ان يخرجوا ما هو موجود في الحفرة عاد الماء يتدفق الى داخلها بسرعة . وعندما كانت النتائج غير مشجعة قرروا ان يجربوا طريقة اخرى ليروا ان كان باستطاعتهم ان يجددوا مكان صناديق الكنتر في الطين المشبع بالماء . فقاموا بدفع انبوب الى الاسفل بسلك ثلاثة انجات يستطيع من خلاله ان يعمل المثقاب بكفاءة اكثر . وعند عمق مائة وستة وعشرين قدما اجبر الانبوب ومثقابه على التوقف عائق ما وصف على انه " حافة حديد " . وقد نجح مثقاب اكبر في اختراقه واستمر في نزوله حتى عمق مائة وواحد وخمسين قدما . وعند هذا المستوى اوقفته طبقة من الحجر الاملس وصف فيها بعد على انه سمت وتحت هذا بعشرين انجا اخترق المثقاب خمسة انجات من خشب السنديان . ولقد بدت هذه الاشياء مجتمعة وكانها تعدهم بشيء ما، وعند هذه النقطة بدأ المثقاب يتصرف بشكل غريب فلم يستمر في سده اكثر من بضعة انجات حتى التقى بما كان يبدو كأنه شيء معدني يمكن تحريكه من جانب الى آخر بأقل من انج . هل

يمكن ان يكون ذلك غطاء الصندوق؟؟ . لقد استمروا في الثقب وبدا المثقاب كأنه اكتشف فجأة اشياء معدنية اصغر من المحتمل انها نقود معدنية او مجوهرات. بالاضافة الى انهم عندما دفعوا المثقاب مرة اخرى وجدوا قطعة من الورق النفيس وهي عالقة به وكان مكتوبا عليها الحروف "I.V" .

وعندما بدا الامر كأنهم على وشك النجاح اخيرا، خانهم حظهم . فعندما حاولوا ان ينفذوا مثقباً آخر الى الاسفل نحو الصندوق مرة ثانية فشلوا في ايجاده . وعاد الامل من جديد عندما عشر مثقاب آخر على شيء ما ربما يكون حافة الصندوق . ولكن المثقاب الثالث اخترق قناة للمياه تحت سطح الارض حيث تدفق الماء لأعلى الاسبوب بنسبة اربعمائة غالونا في الدقيقة مبللا كل شيء يقع على مرمى منه . وهكذا بدا وكأن ثمة نفق فيضان ثان اكثر انخفاضاً من الاول بمقدار كبير . وللتأكد من ذلك سكب فردريك بلاير صباغاً احمر وثقيلاً في حفرة المال واكدت هذه الطريقة ظنونه عندما ظهر الصباغ مرة اخرى بعيداً في الجانب الجنوبي من الجزيرة . ويستدل من ذلك ان النفق الاعمق لا بد وان يكون طوله ستمائة قدماً على اقل تقدير .

حفرت النقابة ستة انفاق طولية اخرى في محاولة منهم لعلق هذا النفق الذي اكتشف حديثاً . وقد اضطروا للتخلي عن كل واحد منها عند تدفق المياه . لقد كان من الحماقة ان يستمروا في العمل . فقد انفقوا اكثر من مائتين وخمسة وعشرين الف دولار على العمليات . وحتى لو اكتشفوا الكنز في نهاية المطاف فليس ثمة ما يضمن لهم انه سيعوضهم عن مثل هذه التكاليف الضخمة . لذا فقد قرروا التوقف عن العمل على مريض . وقد كانت هناك بضعة محاولات اخرى لحفر حفرة المال خلال السنوات الثلاثين التالية وكانت محاولة شركة كنز جزيرة السنديان اكثرها طموحاً . لقد كانت كل محاولة تظهر قلة احتمال اكتشاف الكنز، فقد اصبح الموقع الاصلي محطاً تماماً حيث يوجد اكثر من مستنقع واحد .

وفي عام ١٩٣١ عشر وليام تشايل الذي كان في نقابة جزيرة السنديان عام
 ١٨٩٧ على معول ومصباح زيتي مانع للتسرب يعود لعامل في التعدين ورأس
 فأس مدفونة في الوحل. وقد اظهر فحصها ان عمرها مائتان وخمسون سنة
 تقريبا، وبهذا فقد يكون تاريخ حفرة المال الاصلية في بداية سنة ١٦٨٠. لقد
 اصبح التشكيل الجيولوجي لجزيرة السنديان يمرور السنوات مفهوما بشكل جيد
 واصبح واضحا ان قاعدتها المكونة من حجر الكلس تحتوي على تجاويف عديدة
 وثقوب غائرة فاذا كان الكنز قد غار في احد هذه الثقوب فليس ثمة احتمال
 لاكتشافه عمليا. ومع ذلك ففي عام ١٩٣٧ امضى رجل اعمال ثري من نيو
 انكلاند ويدعى جلبرت. د. هيدن فصلين من فصول السنة وهو يحفر ويثقب
 حتى توصل الى استنتاج غير مشجع مفاده ان صناديق الكنز قد تحطمت في التربة
 المشبعة بالماء. وقد فكر انه اذا ما امكن غلق نفق الفيضان الثاني فان المستنقع
 سينشف ببطء وكانت اسهل طريقة لمنع تدفق مياه البحر هي ايجاد بوابة في النفق
 لذلك الغرض. وخلافيا لاسلافه قرر هيدن الا يبحث بين حفرة المال والبحر.
 وبدلا من ذلك جرب علم المنطق فأخذ يتساءل: لماذا لم يعد القراصنة من اجل
 كنزهم؟ وقد كانت اكثر التوقعات احتمالا هي تحطم سفينة او امساكهم من قبل
 السلطات. وفي هذه الحالة من المحتمل ان تكون سفاتيح اللغز مخفية في سيرة
 احد قباطنة القراصنة المشهورين. واذا كان هذا الرجل قد مات شقا فإن المفتاح
 الاساسي قد يكون في طيات سجلات المحكمة او في اعترافات الرجل للكاهن.
 وبدأ هيدن يقضي ايامه في المكتبات وفي فترة قصيرة جدا وجد الرجل الذي بدا
 له ان أفكاره تتوافق والقبطان كد. في الحقيقة لم يكن وليام كد سفاحا قاتلا مثل
 العديد من اسلافه، ولكنه كان قرصانا حكوميا اي بحارا تدفع له الحكومة
 مقابل مهاجمة السفن التي تخص الدول العدو فقط. والعديد من هؤلاء
 القراصنة الحكوميين كانوا يعتبرون انفسهم وطنيين موالين للدولة وبشكل اساسي
 جزوا من اسطولها البحري. ومثالا على ذلك فقد كان السير فرنسيس دريك

القرصان البريطاني الشهير قرصانا حكوميا .

في عام ١٦٩٦ كلف وليام الثالث كد بوضع حد للقرصنة ومصادرة غنائم القرصنة ولكن كد كان ضعيفا ورجلا طموحا حيث وجد ان مهاجمة السفن التجارية اسهل من مطاردة القرصنة . وخلال السنوات الخمس التالية كانت سفينة " ادفتشر " تجول في الطرق البحرية وقد هاجمت جميع سفن البلدان عدوة كانت ام غير ذلك . ولم يكن لدى الحكومة البريطانية اعتراض شديد منذ ان هاجم كد الاجانب . ويبدو ان القرار الذي اتخذه بشأن خروجه عن القانون كان اساسه هو شكهم في انهم لم يحصلوا على الحصة العادلة من غنائمه . وقد اسرع كد الى نيو انكلاند وهو قلق بشأن هذا الطعن باسمه وكان في نيته ان يدافع عن نفسه ولكن المحاكم اللورد بيلومونت كبله حالا بالاصفاد وصادر من سفينته كنزا تقدر قيمته بحوالي اربعة عشر الف دولار . وقد ارسل بعد ذلك الى انجلترا حيث حوكم واعدم وعلق جسده المطلي بالقطران في موقع تلبري كتحذير لبقية القرصنة .

وقد اكتشف هيدن انه في ليلة اعدام كد طلب منه ان يرسل الناطق بلسان مجلس العموم ويقول انه اذا ما ابقي على حياته فسوف يدل السلطات على كنزه المدفون الذي قدره بائة الف دولار . وقد ادعى كد ان كنزه قد دفن في جزيرة ما في البحار الصينية ولكن قد يكون ذلك محاولة مقصودة منه لتضليلهم . وقد خطر ببال هيدن ان الكلمة الفرنسية chene تعني سنديان وربما يكون كد قد رمى مفتاح اللغز حول مكان كنزه .

وبينا كان هيدن يقرأ كتابا بعنوان " القبطان كد وجزره (سكيلتين) " الذي الفه عام ١٩٣٥ هارولد ولكتر ، اكتشف بالصدفة خارقة يفهم منها انها جزيرة كد ، وفيها شبه واضح من جزيرة السنديان على الرغم من الملاحظات المكتوبة

على الحافة التي تشير الى انها تقع في البحار الصينية وكان في حافتها السفلى مجموعة من الاتجاهات الخادعة .

١٨ غرب وبتجاه ٧ شرق على صخرة ٣٠ جنوب غرب ١٤ شمال شجرة ٧ باتجاه ٨ باتجاه ٤ .

تجول هيدن حول حفرة المال والكتاب بيده فوجد صخرة كبيرة من الغرانيت مباشرة شمال الحفرة وكان قد حفر فيها ثقب وقد ذكرته هذه الصخرة بصخرة مشابهة كانت قد وجدت في خليج سمث قبل عدة سنوات . وعندما اخذوا يبحثون في الخليج عثروا على الصخرة بالصدفة فوجدوا ان المسافة بين الصخرتين الكبيرتين كانت تساوي اكثر من خمسة وعشرين قصبة والقصبة تساوي ستة عشر قدما ونصف القدم .

استدعى هيدن مساحا للارض وأخذ يقيس من الموقع ثمانية عشر قصبة من الصخرة المشقوبة الى الشرق وثلاثين قصبة غرب هذه النقطة قد اوصلتهم الى مساحة من الارض المستوية مغطاة باشجار خفيضة . وعندما نظفوا الارض من الاشجار عثروا على احجار مختلفة من الشاطيء كانت موضوعة بشكل واضح في نسق معين . وعندما استمروا في العمل وجدوا انها تتخذ شكل رأس السهم مع اغناء نحو الخارج في الجانب السفلي وربما كانت تمثل آلة السدس بشكلها المبدئي . وقد كان الرأس يشير باتجاه الشمال الى حفرة المال وشجرة السنديان الكبيرة التي كانت فوقها في السابق . لقد كانت الخارطة على ما يبدو غير دقيقة . فالشجرة تبعد عن السهم اكثر بقليل من اربعة عشر قصبة . وعلى الرغم من ذلك فقد كان هيدن مقتنعا من ان خريطة الكنتز تمثل جزيرة السنديان وان حفرة المال قد بناها القبطان كد .

انطلق مبتهجا في رحلة الى انكلترا وذهب لمقابلة مؤلف الكتاب هارولد

ولكنز. وكان يأمل ان يكون لدى ولكنز معلومات اخرى قد تفوقه لاكتشاف بوابة الفيضان المخفية. لكن ولكنز اصابته الدهشة فلم يكن قد سمع بجزيرة السندبان قط. وقد بين ان الخريطة الموجودة في كتابه ربما كانت غير دقيقة فقد اضطر الى رسمها من الذاكرة بعد ان رأى الاصلية في مجموعة خرائط خاصة. وعندما بين هيدن ان الاتجاهات الموجودة على الخريطة كانت دقيقة تماما، اصبح اكثر استغرابا وأصر على انه اختلقها وذلك ببساطة لكي يملأ المكان الفارغ على الخارطة وفي وقت لاحق اصبح ولكنز متأثرا جدا بما وجدته هيدن في الجزيرة فبدأ يظمر اقتناعا غريبا بانه كان يمثل تجسدا جديدا للقبطان كد.

كل هذا لم يدعم هيدن كثيرا فقد فشل في الحصول على اعترافات الرجل للكاهن التي قد تساعد على تحديد مكان بوابة الفيضان ومن ثم قطع مياه البحر. وهكذا ومثل كل اسلافه وصل هيدن الى نهاية مغلقة.

وقد جاء من بعده المهندس الميكانيكي أيدون هـ. هاملتون وقام بالحفر الى عمق مائة وثلاثين قدما اي اعمق من كل المحاولات السابقة وقام باكتشاف مشير: وهو ان حلق نفق الفيضان يلتقي بحفرة المال من نفس الجانب الذي يلتقي منه النفق الاول بالحفرة. وقد اوحى هذا الى ان كلا النفقين يتشأن من خليج سمث وان النفق الاكثر انخفاضا لا يمتد جنوبا كما قد اوحى صباغ بلاير الاحمر. واستنتج هاملتون انه لا بد من وجود جدول تحت الارض وتحت نفق الفيضان الثاني (والذي كان على عمق مائة وعشرة اقدام) وان هذا الجدول نقل الصباغ الى البحر في الجانب الجنوبي من الجزيرة محدثا تشوشا اكثر من ذي قبل. وقد كان جليا ان هيدن كان محظوظا عندما تحلّى عن العمل.

ويعد ان تحلّى هاملتون عن حفرياته، كان ثمة فارس سبق وان كان يلعب الحركات البهلوانية في السيرك يدعى روبرت رستول قد لقي حتفه في حفرة المال

عندما امتلأ النفق الطولي بغاز العادم من المضخة. وعندما حاول ابنه البالغ من العمر الثانية والعشرين ورجلان آخران انقاذه لقوا حتفهم ايضا.

واخيرا في عام ١٩٦٥ جرب جيولوجي يشتغل في استخراج النفط يدعى روبرت دانفيلد مرة اخرى طريقة القوة الوحشية فاحضر حفارا. وفي ستة اسابيع حفر حفرة عرضها ثمانين قدما وبعمق مائة وثلاثين قدما. ولم يجد شيئا فعمد الى ان يمحو كل اثر للحفرة الكنز. وهكذا بقي اللغز قائما: من بنى حفرة المال ولماذا؟ ان الجواب الواضح -القراصنة- هو اقل اقناعا مما يبدو، فمعظم الغنائم التي يجمعها القراصنة هي من الانواع القابلة للتلف السريع: الطعام والشراب والتوابل والحريز والساتان. وعندما يجدون مالا فانهم يقتسمونه بسرعة فيما بينهم ثم يصرفونه، وحتى المعروف بالطائر الاسود قد عمد الى جمع صندوق واحد فقط من الاشياء الثمينة. بالاضافة الى انه يبدو من المستبعد ان القراصنة تمكنوا من بناء حفرة المال، اذ انها تتطلب قبطانا قويا جدا ذا ارادة يجبر مجموعة من السفاحين الكسالى على قضاء اكثر من اسبوع لحفر الانفاق في جزيرة نائية.

واكثر الافتراضات قبولا بالاجمال مذكور في كتاب روبرت فيرنو "حفرة المال". فقد افترض ان المهارة والدقة التي يتطلبها بناء الحفرة تشير الى عملية عسكرية فالجيش لديه ما يحتاج من الرجال والمهندسين المهرة ليعموا مثل هذا المشروع. لقد افترض فيرنو ان الحفرة بنيت حوالي عام ١٧٨٠ في الوقت الذي خسر فيه الجيش البريطاني حرب الاستقلال الامريكية. فقام الجيش البريطاني بوضع خطط للانسحاب السريع وقد كان من المقرر حسب الخطة ان تتراجع الحامية العسكرية في نيويورك الى هاليفاكس في نوفاسكوتيا في الوقت الذي كانت فيه اقرب مستوطنة كبيرة لجزيرة السنديان. وافترض فيرنو ان قطاع المهندسين الملكي ربما يكون قد اصدرت له الاوامر ببناء حفرة لاختفاء الخزائن الحربية للحامية العسكرية ومن ضمنها مؤونة المال التي من المقرر ان تعطى للجيش

البريطاني ومن المحتمل ان المال لم يدفن اصلا في الحفرة وان كان كذلك فمن
المحتمل انهم استردوه في وقت لاحق وارجعوه الى انكلترا. ويبدو هذا انه
التفسير الاكثر احتمالا للفشل التام لكل النقاشات في ايجاد اضرار اثار للمكتز.
انه لمن المحزن القول ان جهود ما يقارب القرنين من الزمان قد ضاعت على
ما يبدو في نهاية المطاف . . . انها مجرد خدعة .

اكثر المخطوطات غموضا في العالم

مخطوطة فوينتتش

في عام ١٩١٢ سمع تاجر امريكي يبيع الكتب النادرة يدعى ولغريد فويتشر بتاج غامض كان قد اكتشف في صندوق خشبي قديم في المدرسة اليسوعية في موندرا كون في فرانسكاتي في ايطاليا وتمكن من شرائه مقابل مبلغ غير معروف. وقد كان عبارة عن مجلد ذي اوراق مطوية ثلاث طيات بحجم ستة في تسعة انجات تحتوي على مائتين واربع صفحات وله ثمانية وعشرون صفحة اخرى في الاصل ولكنها ضائعة. وهذا الكتاب مكتوب بالشفرات التي تبدو من اول نظرة شبيهة بكتابات القرون الوسطى المألوفة، والصفحات مغطاة برسوم صغيرة غريبة لنساء عاريات ومخططات بيانية فلكية وكل انواع النباتات الغريبة بعدة الوان. وكانت مع المخطوطة رسالة مؤرخة في التاسع عشر من اغسطس عام ١٦٦٦ كتبها جانيس ماركوس رئيس جامعة براغ ومعنونة الى العالم اليسوعي المشهور اثانا سيوس كيرتشر - الذي يذكر في ايامنا هذه بصورة رئيسية لبعض تجاربه المثيرة في تنويم الحيوانات مغناطيسيا- وبين فيها ان الكتاب كان قد اشتراه الروماني المجلد رودلف الثاني امبراطور براغ مقابل ٦٠٠ دوكاتيه. وكان كيرتشر خيرا في الكتابة بالشفرة وقد اصدر كتابا في هذا الموضوع عام ١٦٦٣ ادعى فيه انه قد حل لغز اللغة الهيروغليفية. وربما يكون هذا قد دون بالذات ليدلل لنا ان كيرتشر كان ميالا للاعتقاد بصحة شيء لمجرد تمني، اذ نحن نعرف جميعا ان قرنا ونصف القرن قد مر منذ ذلك الحين قبل ان يتمكن تشامبليون من قراءة اللغة الهيروغليفية بنجاح. وكان كيرتشر على ما يبدو قد حاول في الحال فك رموز بعض صفحات الكتاب الذي ارسله له مالكة السابق الذي كرس حياته كلها من اجل فك رموزه ولكنه في النهاية ارسل له المخطوطة بكاملها.

نحن لا نعرف كيف حدث ان وجدت المخطوطة في براغ ولكن الامكانية الاكثر احتمالا هي انها نقلت من انكلترا الى هناك عن طريق الساحر الاليزا بيثي المشهور بواسطة الدكتور جون دي الذي ذهب الى هناك عام ١٥٨٤. ويحتمن احد الكتاب ان دي ربما حصل عليه من دوق نورثمبرلاند الذي كان قد نهب اديرة الرهبان تلبية لامر هنري الثامن. وقد قال في وقت لاحق الكاتب الانجليزي سيرتوماس براون أن آرثر ابن دي كان قد تحدث حول "كتاب لا يحتوي الا على اللغة الهيروغليفية" وكان يعكف على دراسته في براغ. وقد آمن ماركي ان الكتاب الغامض اوجده راهب وعالم من القرن الثالث عشر يدعى روجر بايكون.

ان مخطوطة فويتشش (كما صادف ان عرفت بذلك) لغز محير لانها تبدو بسيطة للغاية. انها تبدو من رسومات النباتات التي عليها وكأنها كتاب في الاعشاب من القرون الوسطى المعروفة، كتاب يصف كيفية استخلاص الادوية الشافية من النباتات. ان وجود المخططات الفلكية والتنجمية في كتاب للاعشاب امر متوقع، لان النباتات يفترض ان تنجى عند اكتمال القمر بدرا او عندما تكون النجوم والكواكب في مواضع معينة. ومن الواضح ان كيرتشر لم يجرز نجاحا في فك رموز المخطوطة فاودعها في نهاية المطاف في الكلية اليسوعية في روما حيث اصبحت في حوزة يسوعي فرانسكاني. وقد كان فويتشش واثقا تماما ان المخطوطة لن تبقى غامضة طالما ان العلماء الجدد قد سنحت لهم الفرصة لدراستها. وهكذا اخذ يوزع النسخ المصورة للكتاب لكل من كان مهتما بالموضوع. وكانت المشكلة الاساسية بطبيعة الحال هي على اية لغة كانت تحتوي المخطوطة اللاتينية ام الانجليزية المتوسطة، ام لغة المناطق الغربية. لا بد ان هذه المهمة كانت سهلة طالما ان النباتات كانت مصنفة ولو بنوع من الرموز تشير الى رسومها. ولكن معظم النباتات ثبت انها خيالية. وقد امكن تمييز ابراج معينة من بين المخططات

الفلكية ولكن مرة اخرى ثبت انه من المستحيل ترجمة اسمائها من الرموز. لقد جرب محللو الالغاز طريقة مألوفة في البحث عن اكثر الرموز تكرارا ومعادلتها مع اكثر حروف الألفباء استخداما، فقاموا بتعيين ٢٩ حرفا او رمزاً مفرداً دون صعوبة ولكن كل محاولة لترجمة هذه الحروف الى لغة معروفة كانت تؤول الى الفشل. والذي جعل الامر مغيضا " هو ان الكتابة لم تبد شبيهة بالشفرات" بل بدت وكأن شخصاً ما قد جلس وكتبها بطلاقة وكأنها لغته الام. لقد قدم العديد من العلماء ومحللي الالغاز وعلماء اللغة والفلكيين والخبراء لبايكون المساعدة. وفتحت مكتبة الفاتيكان ارشيفها للباحثين ولكن المخطوطة رفضت ان تعطي سرها او حتى واحداً من اسرارها. بعد ذلك صرح في عام ١٩٢١ برفسور في الفلسفة من جامعة بنسلفانيا يدعى وليم رومانين نيوبولد بأنه تمكن من حل الشفرة. وقد قام بشرح اكتشافه قبل اجتماع جمعية الفلاسفة الامريكية في فيلادلفيا وقال: «ان الشيء الذي فعلته هو البدء بترجمة الرموز الى حروف رومانية وقد قمت بتقليبها من ٢٩ الى ١٧ حرفا. وباستخدام الكلمة اللاتينية (commuto : يغير) واعتبارها الكلمة المفتاح»، استمر في انتاج ليس اقل من اربعة عمليات قلب للنص وكان آخرها (استنادا لنيوبولد) يمثل لغة لاتينية بسيطة محولة الى جناسات تصحيفية. وما ان حلت هذه الجناسات حتى كانت النتيجة بحثاً علمياً قد كشف لنا ان روجر بايكون كان واحداً من الالمعين العظام على مر العصور. لقد كان هذا بالطبع مثار شك دائم، فبايكون هو الذي اهم كوليبوس للبحث عن امريكا عن طريق قراءة فقرة من كتابه (اويوس مايوس) الذي افترض فيه ان الهنود الأوبيين يمكن الوصول اليهم بالابحار غربا من اسبانيا. لقد كان بايكون يدعو الى التعلم من الطبيعة عن طريق التجربة والملاحظة في الايام التي اشتقت فيها الكيمياء القديمة وعلم اخر مترمت ومشوش من ارسطو طاليس، فرمي في السجن عقوبة له على ذلك. ان رفضه لسلطة ارسطو طاليس كان يعني ضمنا رفضه لسلطة الكنيسة. لقد حذر القديس

اوغسطين المسيحيين في كتابه (مدينة الله) وطلب منهم ان يجتنبوا العلم والبحث
الفكري مثلما يجتنبون الخطر طلباً للنجاة. ورأى روجر بايكون كما رأى سميه
الليزابيثي فرنسيس ان مثل هذا الموقف يضارع الانتحار الفكري.

وبالرغم من كل ما قيل لا بد من الاقرار ان بايكون كان رجل عصره وبأن
كتاب (اويوس مايوس) مليء بالعبارات التي يعتبرها العالم العصري اخطاء
فادحة وخرافات. ولكن اذا كان نيوبولد على صواب، فان بايكون يعتبر واحداً
من اعظم العلماء قبل نيوتن، فقد قام بصنع الميكروسكوب وفحص الخلايا
البيولوجية والحيامن المنوية، تلك التي تسحب في اطرافها ذنبيات شبيهة بذنبيات
افراخ الضفدع. وكان قد صنع التلسكوب قبل غاليليو بوقت طويل. وقد ميز
ايضاً سديم اندروميديا (المرأة المسلسلة) على انه مجرة حلزونية. وقد ترجم نيوبولد
احد التعليقات وادعى انه وصف للسديم: (بمرأة مقعرة شاهدت نجماً على شكل
حلزون... بين مرة بيغاسوس، حزام اندروميديا ورأس ذات الكرسي). ومن
المعروف ان يكون عرف كيف يستخدم المرأة المقعرة كعدسة حارقة، وقد اوضح
نيوبولد انه لم يكن لديه ادنى فكرة عما سيحدثه عند امعانه النظر في المنطقة المشار
اليها وقد اصابته الدهشة عندما وجد ان (الحلزون) كان يمثل سديم (المرأة
المسلسلة).

ولكن في كتابه (محللو الشفرات) بين خير الشفرات ديفيد كهن واحداً من
العيوب الاساسية في نظام نيوبولد. فقد اعتمدت طريقة نيوبولد على مضاعفة
حروف الكلمة وهكذا فقد اصبحت كلمة (oritur) على سبيل المثال هكذا: -
- it - ri - or - ur - tu -، وقد قام بحل هذا النص بمساعدة الكلمة المفتاح
(commuto) واطرافه q a. ولكن كيف تتحقق العملية بالاتجاه العكسي.
وبكلمة اخرى، عندما يحول بايكون نصه الاصلي الى شفرة؟ يقول كهن:
«بالامكان استنباط العديد من الشفرات ذات الاتجاه الواحد وبالامكان كتابة

الرسائل بالشفرة ولكن ليس بالامكان ارجاعها الى النصوص الاصلية. ويبدو ان نيوبولد هو الوحيد الذي يمثل الموقف المضاد.

توفي نيوبولد عام ١٩٢٦ وعمره ستون عاماً، وبعد سنتين اصدر صديقه رونالد ج. كينت نتائج اعمال نيوبولد في كتاب تحت عنوان (شفرة روجر بايكون) وقد كان مقبولاً على نطاق واسع وخصوصاً من قبل مؤرخ الحضارة المشهور ايتان جلسون. ولكن احد العلماء الذين قاموا بدراسة نظام نيوبولد لم يكن مقتنعاً الى حد بعيد. انه العالم في فقه اللغة الدكتور يوحنا م. مانلي الذي كان يترأس قسم اللغة الانجليزية في جامعة شيكاغو والذي كان قد اصبح مساعداً لهيربرت اوسبورن ياردلي العظيم الذي وصف بأنه اعظم محلل شفرات في التاريخ عندما انشأت الاستخبارات العسكرية الامريكية قسماً لتحليل الشفرات عام ١٩١٧. وكان مانلي قد اصدر الطبعة الواضحة لـ (تشوسر) بشأن مجلدات وكانت تضاهي اكثر من ثمانين نسخة معدلة من مخطوطة (حكايات كاترييري) التي كتبت في القرون الوسطى. وكان من احد اعماله المجيدة حل شفرة احد الرسائل التي وجدت في حقايب سفر جاسوس الماني يدعى (لوتر ونزك) الذي القي القبض عليه في نوغاليس في مكسيكو عام ١٩١٨. وبثلاثة ايام من العمل المتواصل توصل مانلي الى حل شفرة الرسالة ذات الاثنتي عشرة نقلة المتفق عليها رسمياً عن طريق تحويلات افقية متعددة لثلاثة او اربعة مجموعات من الحروف رتب في نهاية المطاف على شكل كتابة عمودية منسوخة. وفي محكمة عسكرية تمكن من قراءة رسالة من الوزير الالماني في مكسيكو بصوت عال قاتلاً: «ان حامل هذه الرسالة هو من اتباع الامبراطور ويسافر كسوفيتي تحت اسم (بايلو وابرسكي). وهو عميل سري الماني» وكانت الرسالة تمثل وثيقة اعدام الجاسوس (على الرغم من ان الرئيس ولسون قد خفف عقوبته الى السجن المؤبد).

والآن بعد ان درس مانلي كتاب نيوبولد (شفرة روجر بايكون) استنتج انه على الرغم من نزاهته التي لا شك فيها فان نيوبولد كان يخدعه وقد كانت نقطة ضعف الشفرة تكمن في عملية التصحيف . فاعلم الجمل يمكن تصحيفها الى عدة جمل اخرى ، وهي الطريقة التي يبرهن فيها المعجبون بـ (فرنسيس بايكون) دون صعوبة بانه هو الذي كتب مسرحيات شكسبير . ففي حالة جملة تحتوي على اكثر من مائة حرف ، ليس هناك ما يضمن لنا ان عملية معينة لاعادة ترتيب الحروف توفر لنا حلاً وحيداً . ويبين لنا (ديفيد كهن) ان الكلمات (هابيل ماري ، ايها المنيء بالرحمة ، الله معك) يمكن ان تصحف بالاف الطرق المختلفة .

وقد اوجد نيوبولد ايضاً (علامات اختزال) معينة وهي الجزء الرئيسي من نظامه في الترجمة . وعندما امعن مانلي النظر فيها من خلال عدسة مكبرة قوية اكتشف انها لم تكن مختزلة اطلاقاً بل كانت تمثل الاماكن التي ينتشر فيها الخبر على ورق الرق . ويتبين الكثير من الحالات التي منح من خلالها (نيوبولد) المجال لترجمته كي تتأثر بها اقتراضات القرن العشرين الذي عاش به ، قام (مانلي) بدحض ادعاء (نيوبولد) بصورة تامة بانه حل (شفرة روجر بايكون) .

ومنذ عام ١٩٣١ كانت هناك العديد من المحاولات لحل شفرة مخطوطة (فويتش) . ففي عام ١٩٣٣ اصدر الدكتور (ليونيل س . سترونغ) المتخصص في امراض السرطان الاجزاء التي تخصه من الترجمة وبرهن اشباعاً لرغبته ان العمل كان عبارة عن كتاب في الاعشاب كتبه العالم الانجليزي (انتوني اسكام) وقد اصدر ايضاً وصفة طيبة لمنع الحمل وهي على ما يبدو ناجحة . لكن (سترونغ) فشل في شرح طريقته التي توصل بها الى ترجمته ولهذا لم تلق ترجمته قبولاً واسعاً . اما (وليام ف . فريدمان) الذي نظم مجموعة كاملة من المتخصصين ليعملوا في حل المشكلة في السنة الاخيرة من الحرب العالمية الثانية ، فقد اصابه الاحباط بنهاية الحرب وتفرق مجموعته . لكن (فريدمان) اوضح ان مخطوطة (فويتش)

مشفرة بطريقة تختلف عن بقية الشفرات في موضوع هام، وهو ان مخترع الشفرة يحاول ان يعيق محلي الشفرات بمحاولته ازالة التكرارات التي قد تفضحه (على سبيل المثال لا بد ان تكون المجموعة المكررة لثلاث كلمات (واو العطف) و (ال التعريف). وفي الواقع تحتوي مخطوطة (فويتش) على تكرارات اكثر بكثير مما يحتويه النص الاعتيادي. وقد قاد هذا (فريدمان) على ان يفترض ان النص المكتوب بلغة اصطناعية معينة وبسبب الحاجة الى تبسيطها لا بد ان يحتوي على تكرارات اكثر مما تحتويه لغة طبيعية بالغة التعقيد. ولكن هذا يفترض ضمناً ان (روجر بايكون) (او اياً كان كاتب المخطوطة) كان قلقاً جداً مما يجعله يخفي مقصده الذي بذل من اجله جهوداً أكبر من تلك التي يعتبرها الخبير في الشفرات معقولة، ويبدو من المستبعد ان يكون لدى راهب من القرن العشرين سبباً معيناً ليخاف من محلي الشفرات !

وهذا يعتبر بطبيعة الحال نواة اللغز فنحن لا نعرف متى كتبت المخطوطة ومن كتبها وباية لغة كتبت، ولكن حتى لو عرفنا الاجوبة على هذه الاسئلة فمن الصعوبة بمكان ايجاد ابي سبب معقول لمثل هذه الشفرة المحيرة. ان اقدم الشفرات في ارشيف الفاتيكان مؤرخة بتاريخ ١٣٢٦ (عندما كان روجر بايكون صبياً) وهي عبارة عن اسماء مشفرة تتعلق بالصراع بين (الغليتز والغلقر) وهم على التوالي انتصار الامبراطور الروماني المبجل والبابا. و(الغليتز) يدعون بـ(المصريين) و(الغلقر) يدعون بـ(اطفال اسرائيل) ومن السهل تخمين مع اي جانب كان مخترع الشفرة. وان اقدم شفرة غربية وهي (الاستبدال) تعود الى عام ١٤٠١، وان اول بحث عن الشفرات كتبه (يوحنا تربشيموس) تحت عنوان (بولغرافيا) الذي لم يطبع حتى عام ١٥١٨ اذ مرت ستان على وفاة مؤلفه. لذا من الصعوبة بمكان ان نتصور لماذا يتوجب على (روجر بايكون) او اياً كان اثناء العصر الذي توفي فيه ان يبذل جهوداً مضنية لاختراع شفرة بمثل هذا التعقيد

الواضح وهناك ما هو ابسط بكثير ويمكن ان يفني بالغرض؟

ويقدم لنا (كهن) مفتاحاً لحل اللغز يبين فيه لماذا اراد مؤلف كتاب الاعشاب (الذي تبدو مخطوطة فوينتش وكأنها كذلك) ان يخفي مقصده، عندما يتحدث عن واحدة من اقدم عمليات التشفير، وهي لوح مسباري صغير جداً يرجع تاريخه الى ١٥٠٠ قبل الميلاد (انه يحتوي على اقدم وصفة معروفة لصنع طلاء لمعمل الخبز والفخار. وقد كان كاتبها يقوم بحراسة سر مهنته بحرص شديد مستخدماً اشارات مسبارية... بعدلواتها غير الشائعة)

وقد يكون مؤلف مخطوطة (فوينتش) حرفياً ذا مهارة عالية في الاعشاب وقد دون اسراره لاستخداماته الخاصة ولاستخدامات طلابه واصر على ان يحتفظ بها بعيداً عن متناول منافسيه. وقد خطرت هذه الفكرة ببال بائع الكتب القديمة والنادرة (هانز كراوس) وكأنها شيء مألوف للغاية بمجمله. وعندما توفت (ايشل فوينتش) بعمر السادسة والتسعين عام ١٩٦٠، اشترى كراوس المخطوطة من اوصيائها وعرضها للبيع مقابل ١٦٠,٠٠٠ دولاراً. وقد اوضح انه اعتقد انها يمكن ان تحتوي على معلومات قد تمد سجل الانسانية بتبصرات جديدة وانها اذا ما امكن حل شفرتها فقد يقدر ثمنها بمليون دولار. لم يأخذها احد بهذا السعر فاعطاها (كراوس) بنهاية المطاف الى جامعة بيل عام ١٩٦٩ حيث تقع الآن هناك بانتظار فكرة تهبط كالوحي على محلل شفرات بارع.

اورفيريوس

والآلة ذات الحركة الدائمية

ان الحلم بتحقيق الحركة الدائمية وهم بلا شك . فقانون حفظ الطاقة يقول ان الطاقة لا تفنى ولا تستحدث من العدم، وهذا يعني ان اية آلة تعطيك طاقة مساوية على الاكثر للطاقة التي تصرفها. لذا فمن المغضب حقاً ان تقر بوجود قصة موثوق بصحتها عن آلة ذات حركة دائمية تحدث كل المحاولات لتفسيرها. هذه الآلة اخترعها رجل يدعى نفسه (اورفيريوس) وقد ورد وصفها في كتاب (المعرفة الاجرائية) في (لايزيك) عام ١٧١٧ .

اسم المخترع الحقيقي هو (يوحنا ايرنست الياس بيسلر Bessler) وقد ولد في (زيتاو) في (ساكسوني) عام ١٦٨٠ ، وعندما قرر ان يختار اسماً مستعاراً كتب حروف الالفباء في محيط دائرة ثم اخذ يتتقي الحرف الثالث عشر بعد كل حرف من حروف الاسم الاصيل (بيسلر) ، وكانت النتيجة (اورفيري) الذي اعطاه شكلاً لاتينياً فاصبح (اورفيريوس). ومثل (ليوناردو)، يبدو انه رجل ذو عدة مواهب، فقد درس اللاهوت والطب والرسم بالاضافة الى الميكانيك. وقد صرح في بواكير العقد الثالث من عمره بانه اكتشف سر الحركة الدائمية.

تبدو الحركة الدائمية افتراضاً يمكن تحقيقه عملياً. فلنفترض على سبيل المثال انك انشأت عجلة قائمة عمودياً تدور على محور مدهون بشكل جيد، فاذا الصقت ثقلاً صغيراً جداً على الحافة العليا من العجلة (ولنقل قطعة من معجون تشبثت الزجاج) فانها سوف تهبط بشقلها الى الجزء الاسفل من العجلة ومن ثم تستمر -بسبب كمية تحركها- حتى تصيح مرة اخرى قريبة جداً من القمة. ولنفترض ان شخصاً ما تمكن من ايجاد وسيلة بارعة معينة يمكن من خلالها حمل هذه القطعة الى القمة بدفعة اضافية صغيرة جداً . . . طريقة ما لجعل اثنان

صغيرة على اطار العجلة تغير اماكنها، على سبيل المثال... ولكن التجربة تثبت انه من المستحيل عمل ذلك دون خداع.. اي دون دفع العجلة دفعة اضافية صغيرة جداً.

لقد ظهر (اورفيوريوس) عام ١٧١٢ في مدينة جيرا في مقاطعة ديوس وعرض عجلة ذاتية الحركة، وكان قطرها ثلاثة اقدم وسمكها اربعة انجات. وعندما اعطيت لها دفعة ضئيلة جداً بدأت في العمل ومن ثم اشتغلت بنفسها بسرعة الى ان وصلت الى سرعة قياسية. وقد كانت قادرة على ان تحمل ثقلاً من عدة باونات وهي في حركتها، وهذا شيء لا يصدق. فاذا كانت هناك سفينة فضائية فارغة تهيم في الفضاء بعيداً عن تأثير اي نجم، فانها سوف تستمر بتحركها في خط مستقيم الى الابد لأنه لا يوجد شيء يمكن ان يوقفها، وهذا هو (قانون نيوتن الاول في الحركة). وبشكل مشابه اذا ما اعطيت عجلة تدويراً ضئيلاً جداً في فضاء فارغ فانها سوف تستمر في الدوران الى الابد ولكن لا يمكن جعلها تقوم باي شغل (لحمل ثقل على سبيل المثال). وحالما تستنفذ طاقتها الاصلية فانها سوف تتوقف. ومع ذلك واستناداً لـ(اورفيوريوس) فان بإمكان عجلته ليس الاستمرار بالدوران الى الابد فحسب وانما بإمكانها ايضاً حمل الانتقال، ويتم ذلك بواسطة لف حبل ما حول المحور مع ثقل مربوط به.

وبشكل يدعو الى الاستغراب، لا يبدو على سكان (جيرا) انهم تأثروا بشروحاته. وقد يكون السبب في ذلك ببساطة انهم لا يفهمون في الآلات بصورة كافية ليدركوا انه كان يعرض عليهم اختراعاً يمكن ان يغير العالم (واذا ما اعيد اكتشاف سره في ايامنا هذه فانه سيمكننا من الاستغناء عن الفحم والنفط والطاقة الذرية)، او ربما ان السبب في ذلك ببساطة هو ان (اورفيوريوس) كان شخصاً مزعجاً على نحو استثنائي ومتبعجاً ودوغماتياً. وعلى اية حال فقد اتخذ له اعداء أكثر من الاصدقاء فكان عليه ان ينتقل الى مكان آخر في القريب

العاجل. ترك (اورفيربوس) جيرا دون ان يأسف على ذلك وذهب الى (دراخوتز) بالقرب من (لايزيك) حيث صنع فيها عام ١٧١٣ عجلة اكبر وقد كان قطرها خمسة اقدام وسمكها ستة انجات وبامكانها ان تدور خمسين دورة في الدقيقة وتحمل ثقلاً وزنه اربعين باوناً. وبعدها ذهب ثانية الى (ميرسيبرغ) وصنع عجلة قطرها ستة اقدام وسمك قدم واحد. وقد فحص عجلته عدد من علماء المدينة واتفقوا انها لا تتحرك بواسطة قوة خارجية ووقعوا شهادة بذلك. ولكن هذا الانتصار الثانوي جعل اعداء (اورفيربوس) يتميزون من الغيظ، فقد اصدر احدهم كتيباً يعرض فيه على (اورفيربوس) الف طالر* اذا تمكن من صنع عجلة تدور في غرفة مغلقة لمدة شهر، وابدى آخر استعداد له لصنع عجلة (خدعة باعتراف الجميع) يمكن ان تفعل كل شيء تفعله عجلة (اورفيربوس). واصدر (ج. جي بوزلاخ) من لايزيك كتيباً يبرهن فيه (وكان يقول الحقيقة دون ريب) ان الآلة ذات الحركة الدائمة ضد قوانين الطبيعة.

وفي تلك السنة نفسها، اي عام ١٧١٦، غادر (اورفيربوس) ميرسيبرغ الى ولاية مستقلة صغيرة تدعى هيس-كاسيل التي احرز فيها انتصاره العظيم. وبدا ان حظه قد تغير في نهاية المطاف هناك، فقد تأثر النبيل الحاكم (او الكونت) الذي كان اسمه (كارل) بالمخترع الى درجة جعلته ينصبه عضواً في مجلس المدينة ويقدم له غرفة في القلعة الدوقية في ويستستين (وبعد قرن ونصف كان هناك مخترع آخر يدعى الكونت دي سانت وهو الماني قد وضع تحت رعاية كارل وهو دوق آخر هيس كاسيل في ذلك الوقت). وخلال سنة ١٧١٧ صنع في القلعة آتله الكبيرة التي بلغ قطرها اثني عشر قدماً وسمكها اربعة عشر انجاً. وعلى الرغم من حجمها فقد كان وزنها خفيفاً بعض الشيء. وقد وصفها البروفيسور (سفرينغاساند) من لندن في رسالة له ارسلها الى سير (اسحق نيوتن)... (عجلة مجوفة، او شيء شبيه بالطبل... مغطاة بقماش سميك لتمنع رؤية ما بداخلها،

وقد فحصت المحاور واقتنعت بشكل تام انه لا يوجد شيء من خارج العجلة يشارك في تحريكها على الاقل . وعندما ادربها بركة، هدأت حالما رفعت يدي عنها . . .) .

وعندما تبدأ في الحركة تدور العجلة خمساً وعشرين او ستاً وعشرين مرة في الدقيقة وقد امكن ربط لولب (ارخميدس) لرفع الماء بمحورها بواسطة حبل ما . وفي هذه الحالة انخفضت السرعة الى عشرين دورة في الدقيقة . لقد بقيت العجلة معروضة في القلعة لعدة شهور وقد تفحصها عدة علماء واستنجوا جميعاً انه لا يمكن ان يكون في الامر خدعة . وفي الحادي والثلاثين من اكتوبر عام ١٧١٧ طلب من (اورفيربيوس) ان ينقل العجلة الى غرفة اخرى في القلعة من المحتمل انها كانت اكبر حيث لا توجد جدران قريبة من الآلة . وفي الثاني عشر من نوفمبر جاء النبيل ومختلف الموظفين فلاحظوا انها تتحرك لوهلة من الزمن ومن ثم شاهدوا ابواب الغرفة ونوافذها التي كانت موصدة باحكام حيث لا يستطيع المرء دخول الغرفة دون ان يترك وراءه آثاراً . وبعد مضي اسبوعين كانت الاقفال معطمة والغرفة مفتوحة والعجلة ما زالت تدور . وقد اعيد غلق الباب باحكام وهذه المرة بقي مغلقاً حتى الرابع من يناير عام ١٧١٨ حيث ما انفكت العجلة تدور ستاً وعشرين دورة في الدقيقة .

اما وقد هدأت شكوكه الآن سأل النبيل (اورفيربيوس) وهو متأثر جداً بها شاهده كم يريد مقابل اعطاء سره وقد انقلب وجهه شاحباً عندما اجابه (اورفيربيوس) : «عشرين الف باوند» .

وقد ذكرهم بان هذا هو اعظم اختراع له وقد قضى حياته وهو يعمل من اجله وبأنه يستحق مقابله اجراً ملائماً . وقد مال النبيل وحاشيته من العلماء للموافقة ولكنه لم يكن يملك كل هذا المبلغ ليسلمه ، فبين البارون (فيتزشر)

المهندس المعماري لامبراطور النمسا ان الامر سيكون سهلاً اذا ما جمع المال في لندن ووفقاً لذلك كتب رسالة الى الدكتور (ج. ت. دياغويلرز) في الجمعية الملكية. فاقترح انه اذا ما ثبت ان حركة العجلة دائمية فان العشرين الف باوند يجب ان تعطى للمخترع واذا ما ثبت العكس فان المال سوف يسترده. وفي غضون ذلك قام البروفيسور (سفريفساند) بفحص شامل لمحور الآلة وكتب تقريراً فحواه انه استناداً لما رآه لم يكن ثمة مجال للقول ان العجلة خدعة. ولسوء الحظ اخذ المخترع المصاب بجنون الازتياب نتابه الشكوك في ان (سفريفساند) طلب منه ان يفحص المحور على امل ان يكتشف السر دون ان يدفع له مقابل ذلك. تميز (اورفيربوس) من الغيظ فاعلق على نفسه الغرفة وحطم العجلة ثم كتب رسالة على الجدار موضحاً ان حب استطلاع (سفريفساند) الذي تعدى حدوده هو الذي استفزه.

اما الآن فان (اورفيربوس) وألته قد تلاشيا بشكل غامض يدعو للاسف. ولو تسنى لـ (اورفيربوس) ان يعيش بعد قرن من الزمان لاصبح مطارداً من الصحفيين الفضوليين ولاصبح لدينا تاريخاً مفصلاً عن بقية حياته.

ولكن في تلك الايام لم تكن هناك صحفياً. وكل ما نعرفه هو ان (اورفيربوس) قد اعاد صنع آلته بعد عشر سنين اي في عام ١٧٢٧ وان (سفريفساند) قد وافق على فحصها مرة اخرى. ولكن لم يكن ثمة شيء مدون يؤكد انها فحصت. وكل ما نعرفه هو ان (اورفيربوس) توفي عام ١٧٤٥ بعمر الخامسة والستين وان سره اياً كان قد دفن معه.

ومن المؤكد ان اللغز هنا نمساكي اكثر مما هو علمي. فاذا كنا نؤمن ان الطاقة لا يمكن ان تفتى او تستحدث من العدم فعلينا اذن ان نستنتج ان العجلة كانت مجرد خدعة. ولا يهم كيف نجح مخترعها في اخفائها. واستناداً لاحد

معاصريه فقد كان (اورفيريوس) ساعاتياً لفترة من الزمن. لذا يتوجب علينا ان نفترض انه وجد طريقة ما لاختفاء نابض آلي في مكان ما في المساند وربما من الصحيح القول ان بقية التفسيرات مثل احتمال اخفاء رجل ما بداخلها قد استبعدت بالاختبار الحاسم عندما تركت الآلة في غرفة مغلقة لثلاثة اشهر. وحتى لو افترضنا ان (اورفيريوس) كان مخادعاً فان اللغز يظل قائماً. فما الذي يأمل ان يحصل عليه منه؟ ليس هناك مجال للقول انه قد هرب بالعشرين الف باوند واختفى لانا كما نلاحظ من رسالة البارون (فيتشر) ان المال لن يسلم له ما لم يقتنعوا أولاً انه قد اكتشف بشكل بارع مبدأ الحركة الدائمة. ويجب علينا ان نعتز ايضاً ان شخصية (اورفيريوس) استبعدت احتمالية ان يكون غشاشاً مباشراً. فالجمال والرقه هما الجزء الاساسي من متطلبات الرجل الواثق من نفسه وما دام ليس هناك ما يضمن ان جنون الارتياب والطبع السيء هما علامة العبقري فليس هناك ما يمتنعنا من ان نعتقد انه من الصعوبة بمكان ان تلازم مثل هذه الصفات محتالاً يتظاهر بالثقة بنفسه. ومن المحتمل جداً ان تلازم هذه الصفات صفة الانانية بسبب اعتقاد المرء الراسخ بمواهبه الرائعة.

ومن السهل الاعتقاد ان (اورفيريوس) كان يخدع نفسه اكثر من الاعتقاد انه كان مخادعاً. ولكن هل يمكن لشخص يخدع نفسه ان يصنع عجلة تدور لمدة ثلاثة اشهر في غرفة مغلقة؟ ومن جانباً آخر، دعنا نفترض ان (اورفيريوس) كان رجلاً حقوداً، رجلاً واثقاً جداً من عبقريته ولكنه يغتاظ من عدم تقديره. وبهذا يمكننا ان نصدق انه في نوبة من الغضب والازدراء قرر ان يخدع الآخرين بسلعة مغشوشة عن قصد، ومن ثم يستخدم المال ليكرس بقية حياته لابعائه. كيف حدها الامل لتنفيذ مثل هذه السلعة المغشوشة؟

ان دراسة دقيقة للحالة نفترض بعض الاجوبة الممكنة. فقد اصدر (اورفيريوس) كتيباً تحت عنوان (الحركة الدائمة لـ (اورفيريوس)) عام ١٧١٩

يعرض فيه وصفاً عاماً للمبادئ الأساسية. انه يعترف ان عجلته تعتمد على الانتقال التي تولد الحركة الدائمة عندما تستقبل الانتقال من بعضها البعض الحركة الجامعة التي ينبغي ان تؤديها ما دامت باقية خارج مركز الجاذبية. ويقول ان هذه الاشكال موضوعة بشكل ما بحيث لا يمكنها ان تحصل على التوازن .

وقد وصف العلماء الذين فحصوا الآلة امكانية سماع حركات حوالي ثمان اثقال من المفترض ان تكون موضوعة على اطار العجلة. وهذا المبدأ يعرف بـ "العجلة اللاتوازنية" والذي كان يعتبر سند المخترعين الذين حاولوا احداث الحركة الدائمة. وبماكاننا ان نلاحظ الفكرة الأساسية في رسم (روبرت غولد). فاذا ما كان للعجلة اطارات في حقيقة الامر، واحداً بداخل الآخر، واذا ما تسنى لمخترع عبقرى ان يخترع طريقة ما لنقل الانتقال بصورة آلية من اطار الى آخر فان مشكلة الحركة الدائمة سوف تكون محلولة. فعندما تنتقل الى الاطار الخارجي فانها تجعله يفوق في وزنه الانتقال الموضوعة على الاطار الداخلي في الجانب المقابل. وبهذا يهبط هذا الجانب من العجلة. وحالما يبدأ بالارتفاع مرة اخرى تحت تأثير مقدار حركته فان الكلاليب (او اي شيء كان) تنقل الثقل على الاطار الداخلي. وبما انها الآن اقرب الى المركز فانها تصبح بالنتيجة اخف من تلك الموجودة على الاطار الخارجي الهابط فتتفع الى قمة العجلة حيث تستقل مرة اخرى الى الاطار الخارجي. ان الامر يبدو سهلاً ولكن من الصعوبة فهمه.

ولكن ماركيز مدينة ورستر (الذي خطرت له الفكرة في الاصل) بين نقطة اساسية وهي ان الاطار الخارجي اكبر من الاطار الداخلي بطبيعة الحال، لذا فهناك اثقال اقل عدداً على الاطار الهابط من التي على الجانب الآخر. (وفي رسم غولد يمكن ان ترى ان هناك عشرين ثقلاً على احد جوانب العجلة يضاها ثمانية عشر ثقلاً على الجانب الآخر) وهكذا يتوازن الجانبان بالضبط مع بعضها البعض وتتوقف العجلة حالاً.

ولم تكن هذه النقطة لتستوقف في الحال اي شخص تفحص الرسم او نموذج الآلة اللاتوازنية. وقد يكون بالامكان تصديق ان اورفيربوس ربما اعتمد على هذا في خداع السبيل ورجاله الحكماء. وقد نفترض انه اخفى نوعاً من نوابض الساعات القوية داخل مساند الآلة مع عجلة مسنة لتدير المحور. ولو جاء الزمان الذي يتنازل فيه عن سره لازال غطاء القماش السميك من على عجلته وكشف للعالم "عجلته اللاتوازنية" المصممة بشكل بارع. وما لم يكن العلماء عندئذ اذكياء جداً وما لم يولوا اهتماماً كبيراً جداً بالمشكلة، فانهم سيقرون ان اورفيربوس قد حل مشكلة الحركة الدائمية حقاً بطريقة سهلة ومنافية للعقل ولسوف يعمدون بعد مضي فترة من الزمن الى تفكيك اجزاء العجلة ليجدوا فيها تقنية نابض الساعة، وسيكون (اورفيربوس) حينذاك بعيداً عنهم بمئات الاميال.

ولكن ثمة اعتراض ايضاً على هذا التفسير، فمن السهل تصميم ساعة حديثة تدور لمدة سنة، لان الاجزاء المتحركة فيها خفيفة جداً بحيث يمكن تشغيلها بواسطة بطارية صغيرة جداً. ولكن الامر سيتطلب طاقة كبيرة جداً في حالة عجلة بقطر طولها اثني عشر قدماً مع اثقال حول الاطار. وقد تنفع لذلك بطارية سيارة لا تبلى بسرعة. ولكن لا بد لتابض الساعة الذي قد يشغل مثل هذه العجلة لمدة شهرين ان يكون ضخماً، وليس ثمة حجرة واضحة داخل عجلة (اورفيربوس) لمثل هذا النابض. واذا لم يكن (اورفيربوس) قد اكتشف مبدأ المولد قبل (فاراداي) بقرن ونصف القرن فيبدو ان ليس ثمة امكانية اخرى لذلك. وهكذا نترك مرة اخرى ونحن نتعذب بين تأكيد او استبعاد ان يكون (اورفيربوس) قد عشر بالصدفة على سر بسيط ولكن عميق فاتت ملاحظته على كل من جاء بعده.

هل كان روبن هود

موجوداً حقاً

بعد (الملك آرثر)، يعتبر (روبن هود) أكثر الأبطال البريطانيين شهرة، ويشترك الملك آرثر في المعاملة المهينة التي يتعرضان لها من قبل العلم الحديث الذي يشك في وجودهما. وقد استنتج العالم الفلكلوري اللورد (راغلان) بأنه كان الهاً (سليماً)، بينما تبين مارغريت موراي في كتابها (آله السحرة) أن اسمه يعني (روبن ذو القلنسوة) وبأنه ربما كان يمثل الشيطان (أو الها ذا قرون) في احتفالات السحر القديمة. ومع ذلك فهناك أيضاً دليل مقنع على أن روبن كان شخصاً حقيقياً وأنه -كما تبين لنا القصائد الغنائية- قد قام بنهب غزلان الملك في غابة شيروود وأن له تاراً قديماً العهد مع عمدة نوتنغهام.

إن الأسناد الأدبي الأول لـ (روبن هود) يظهر في كتاب (وليام لانغلتاند) الموسوم بـ (فلاح بيرس) الذي يعود تاريخه إلى حوالي عام ١٣٧٧. ويقدم (لانغلتاند) تعليماً أشبه ما يكون بتعليق الراهب الذي لا يمكن أن يتلو صلواته الربانية دون الوقوع في أخطاء. ولكن مع ذلك (أنا أعرف الأشعار التي قيلت في (روبن هود) وراوندولف إيرل تشيتر). إذاً فقد كانت هناك قصائد غنائية عن (روبن هود) في ذلك التاريخ، وقد قام (ونكن دي وورد) عام ١٥١٠ وهو واحد من الطابعين الأوائل، بإصدار كتاب (حكاية لستيل عن مغامرات (روبن هود) الذي حقق لـ (روبن هود) ما حققه مالوري للملك آرثر في منتصف القرن المنصرم.

وبمرور الوقت يظهر (روبن هود) في كتاب (آيفينهو) للسير (وولتر سكوت)

(١٨٤٧) وقد اصبح الرفيق المرح والنصير لـ(ريتشارد قلب الاسد)، والبطل الحارح عن القانون الذي يعيش في الغابات. وقد ظهر بعدها ان كل ما كان يحتاجه احد الفولكلوريين هو ان يلاحظ كم مرة ارتبط اسم (روبن هود) بالمهرجانات الفولكلورية كما هي الحال بالنسبة الى مراسيم الحصان الخشبي في عيد اول ايار في باوستو في كورنويل ، ومن ثم يقترح بان (روبن هود) هو في الحقيقة روبن وود وبأن اسمه مشتق من اله الاسكندنافيين الخشبي . . ويشار اليه في كتاب (سيف في الصخر) باسم روبن وود لمؤلفه ت. هـ. وايت ويظهر فيه معاصراً للملك (آرثر) الذي (اذا كان موجوداً) قيل انه توفي عام ٥٤٠ بعد الميلاد تقريباً.

ويميل هؤلاء الذين يفترضون ان لا دخان من دون نار الى الاعتقاد بأن (روبن هود) كان شخصاً حقيقياً خارجاً عن القانون. وقد عاش في زمن ما في غابة (شيرود) واصبحت له شعبية واسعة اثناء فترة حياته مثل (بيلي ذي كد)، وقد ادى به ذلك الى ان يكون موضوع الحكايات والقصائد الغنائية في وقت قصير. ومع ذلك فيبدو من غير المحتمل امعانه في القدم كما كان (ريتشارد قلب الاسد) (١١٥٧-٩٩) او انه جاء ذكره بشكل مؤكد في المخطوطات قبل ورود ذكره في كتاب (فلاح بيرس) اي قبل قرنين لاحقين. ويشير (اندرو ويتاون) في كتابه (تاريخ اسكوتلندا) الذي الفه عام ١٤٢٠ الى (روبن هود) وجون الصغير (ليل جون) العام ١٢٨٣ الذي من المحتمل جداً انه قد كتب قبل (فلاح بيرس) بقرن من الزمان.

ولكن اين كان يقوم بسلسلة عملياته؟. أحد المفاتيح المهمة للغز هو انه كانت هناك مدينة صغيرة يصاد فيها السمك تدعى (خليج روبن هود) في روكشاير ليست بعيدة عن ويني وكان ثمة رايتان (او ركامان من التراب) فوق المستنقعات القريبة تسميان (بمرامي روبن هود). والمفتاح الآخر هو ان انكلترا

القرون الوسطى انضمت فيها غابة (بارنسدیل) في يوركشاير بغابة (شيرود) في نوتنغهام شاير. ومن بين مخطوطات (سلون) مخطوطة من القرن السادس عشر تتحدث عن (روبن هود) انه ولد في لوكسلي في يوركشاير عام ١١٦٠ تقريباً. ويربط كتاب (تاريخ اسكوتلندا) اسم روبن بـ (بارنيسيل) الذي من المحتمل انه يمثل (بارنسدیل) وبهذا يتبين لنا ان هذه الاشارة توحى لنا انه كان رجلاً من يوركشاير.

وتقول الاساطير فيما بعد بأنه كان يمثل (السير روبن من لوكسلي) او على نحو مماثل (ايرل هانتينغدون). ولكن يتضح من القصائد الغنائية انه كان فلاحاً صغيراً يملك الارض التي يزرعها، وهذا يفسر لنا الى حد ما لماذا اصبح بطلاً: ليس لانه كان من النبلاء ولكن لانه كان نموذجاً لعامة الشعب (واحداً من الفلاحين المالكين الصغار الذين هم اعلى درجة من الفلاحين الذين لا يملكون ارضاً). وقد ظهر في منتصف القرن التاسع عشر احد المفاتيح المهمة جداً لتحديد هوية (روبن هود) عندما كانت لجنة الوثائق التاريخية تفهرس الاقاً من الوثائق التي تمثل ثمانية قرون من تاريخ بريطانيا. فقد ادعى جامع الاثريات (جوزيف هانت) عام ١٨٥٢ انه عثر بالصدفة على رجل بدا من المحتمل انه يمثل (روبن هود) الاصيل وقد كان اسمه في الحقيقة (روبرت) وهو ابن آدم هود الذي كان يشغل حارس غابة في خدمة (ايرل دي ويرني) (كان اسم روبن يمثل ببساطة صيغة تصغير لروبرت ولم يكن روبن يمثل في تلك الايام اسماً قائماً بحد ذاته). ولد (روبن) عام ١٢٨٠ وفي الخامس والعشرين من يناير عام ١٣١٦ دفع (روبرت هود) وزوجته (ماتيلدا) شلنين مقابل قطعة من الارض البور التي يملكها الايرل في (يكهل) (او بتش هل) في ديكفيلد. وكانت مساحتها لا تساوي سوى مساحة ارض لزراعة الخضر، طولها ثلاثون قدماً وعرضها ستة عشر قدماً، وكان يحجارها بستة شلنات في السنة.

وتشير وثيقة (قصر العزبة) لعام ١٣٥٧ الى بيت على الموقع (كان فيما مضى من املاك روبرت هود). لذا فمن المحتمل ان (روبرت هود) كان متوفى في ذلك الوقت .

لقد كان عام ١٣١٦ يمثل منتصف فترة حكم (ادوارد الثاني) ، الملك الشاذ جنسياً والمسرف في اناقته الذي قتل في نهاية المطاف بواسطة سفود متوهج الحرارة غرز في احشائه في سبتمبر عام ١٣٢٧. وقد قام بعد تنويجه عام ١٣٠٧ بطرد وزراء وقضاة ابيه واتخذ من (بيرس غامستون) ايرل (كورتوول) صديقاً عباً له مما اثار غضب باروناته . وكان اكشهم قوة ايرل (لانكستر) الذي اجبر (ادوارد) على قبول قرار اتخذه ثمانية وعشرون باروناً (يدعون بمصدري الاوامر) والذي قام في نهاية المطاف باعدام (بيرس غامستون) عام ١٣١٢. ان عدم اهتمام (ادوارد) بشؤون البلد اعطى الفرصة للاسكتلنديين الذين حاربهم ابوه (ادوارد الاول) بنجاح كبير للتخلص من اسيادهم الانجليز. لقد مني (ادوارد الثاني) بالهزيمة في (بانوكبورن) عام ١٣١٤ قبل ان يستاجر (روبن هود) قطعة الارض البور ويبنى له بيتاً مع زوجته (ماتيلدا) بستين. لذا فمن الممكن الاستنتاج بانه عندما امر ايرل (ويرني) من قبل الملك بتحشد قوة لمقاتلة الاسكتلنديين اهمل (روبرت هود) اداء الواجب، وتظهر سجلات الاحداث انه دفع الغرامة وفقاً لذلك . ولكن عندما حشدت قوة ثانية عام ١٣١٧ لم يكن اسم (هود) في قائمة الذين دفعوا الغرامة، مما قاد المؤرخ الحديث (ج. و. وولكر) الى الاستنتاج ان (روبن هود) انضم الى الجيش في ذلك الوقت. وكان ايرل (لانكستر) قد حشد الجيش بعد خمس سنوات لاحقة للقتال ضد الملك. ولكن مرة اخرى لم يكن اسم هود من بين الذين دفعوا الغرامة. لذلك فيبدو انه قد لبى الدعوة. اندحر جيش لانكستر في (بورو بريدج) والقى القبض على لانكستر وقطع رأسه. وقد كان النزاع حول المقربين الجدد لـ (ادوارد) وهما (آل دسبتسر الاب والابن)، اللذان اجبر (ادوارد) على

نفسهما، أما الآن فقد كان بإمكانه ان يدعوها الى العودة. وقد اعلن عن اعتبار العديد من مؤيدي (لانكستر) خارجين على القانون. وقد اكتشف (وولكر) وثيقة اشارت الى (مبنى من خمس غرف) في بشهيل في ويكفيلد كان من بين الاملاك المصادرة. ويعتقد (وولكر) انه كان يمثل بيت (روبرت هود) وأن الخارج عن القانون قد اتخذ له الآن مأوى في غابة (بارنسدل) المجاورة حيث اصبح في وقت قصير لصاً محترفاً.

والآن ينبغي ان يكون مفهوماً انه اذا ما كان (روبرت) يمثل (روبن الاسطوري) وأنه قد اتخذ له مأوى في الغابة معتاشاً على الغزلان فمعنى ذلك انه كان يعرض نفسه لعقوبات جسيمة.

وقد صرح (وليام الفاتح) عندما جلب النورمانيين الى انكلترا بأن الغابات (التي كانت تغطي ثلث الارض) كانت من املاكه وأن اي مزارع يقتل غزالاً يعرض نفسه لعقوبة سلخ جلده حياً. وقد عانى السكسونيون تحت حكم (وليام) ما عانت الدول المحتلة من قبل النازيين في الحرب العالمية الثانية. وبعد قرنين ونصف كان النورمانديون يعتبرون انفسهم انجليزاً، وقد توقف استخدام اللغة الفرنسية في انكلترا ولكن كانت القوانين ما تزال قاسية. وقد خففت (قوانين الغابات) حيث لم تعد تقطع ايدي الانسان وشفتيه بسبب اصطياده غزالاً في منطقة محرمة. ولكن العقوبة كانت ما تزال غرامة باهظة الثمن والحبس لمدة سنة وضمانات للتصرف بسلوك حسن في المستقبل، واذا لم يجد من يضمنه فقد كان يتوجب عليه ان يترك المملكة الى الابد.

لقد حدثت معركة (بورو بريدج) في السادس عشر من مارس عام ١٣٢٢ بالقرب من نهر (اورى) في يوركشاير وقد قامت قوة راجلة من الرجال المسلحين والنبالين بصد الفرسان ثم ظهر جيش ملكي آخر من وراء المتمردين واجبروهم

على الاستسلام. والقي القبض على (لانكستر) وحوكم، وقد كشفت شهادته بأنه كان يعتزم ان يعقد تحالفاً مع (روبرت ذي بروس) العدو القديم للملك. قطع رأس (لانكستر) الذي هو ابن عم الملك وجرم (روبرت هود) من بيته فاصبح خارجاً عن القانون في غابة الملك. ولكن اذا ما كان (وولكر) صائباً في تحديد هوية (روبرت هود) الذي هو من مدينة ويكفيلد باعتباره (روبن هود)، فانه لم يكن خارجاً عن القانون لمدة طويلة. ففي ربيع السنة التالية قام الملك برحلة ملكية عبر شمال انكلترا وقد وصل الى يورك في الاول من مايو. وقد بقي الملك في روثويل الواقعة بين ويكفيلد و ليدز للفترة من السادس عشر من مايو وحتى العشرين منه. وقد قضى ثلاثة ايام للصيد في حديقة (بلومبتون) في غابة (كنير سبورو). وتذكر حكاية (ليل) هذه الزيارة كجزء من قصة (روبن هود) وتصف كيف اتى الملك الى حديقة بلومبتون واقتد العديد من غزلاته، حيث كان الملك معتاداً على رؤية قطعان الغزلان، اما الآن فلم يجد سوى غزلاً واحداً (كان يحمل قرناً قوياً) مما جعل الملك يقسم بالثالوث الاقدس (اتمنى لو اضع يدي على روبن هود).

واستناداً الى هذه القصيدة الغنائية فقد اوحى احد حراس الغابات ان الملك لا بد وانه قام بالتنكر بهيئة رئيس دير الرهبان وانطلق عبر الغابة الخضراء مع زمرة من الرهبان. وكانت الخدعة ناجحة حيث اوقف روبن ورجاله (رئيس دير الرهبان) ولكنهم استطاعوا ان يميزوه وعرفوا انه الملك. وقد وجد الملك ان (روبن) جدير بأن يجب فدعاه الى ان ينضم الى الاسرة الملكية كوصيف في حجرة النوم الملكية. استمر الملك في رحلاته حتى فبراير عام ١٣٢٤ اذ عاد الى ويستمنستر. وتشير حسابات الاسرة المالكة لشهر ابريل الى دفع اجور الاشهر الماضية الى (روبن هود) وثمانية وعشرين آخرين، حيث ان الدفع الاول لـ(روبن هود) كان في يونيو الماضي. ونخبنا القصيدة الغنائية ان (روبن) طلب الاذن من

الملك للعودة الى بارنسدل بعد ان قضى ما ينيف على السنة في خدمته . وتشير حسابات الاسرة المالكة لشهر نوفمبر عام ١٣٢٤ الى ان (روبن هود) الذي كان يشغل (وصيفاً) في حجرة النوم فيما مضى قد اعطي خمسة شلنات (لانه لم يعد قادراً على العمل) . وتقول القصيدة الغنائية ان روبن طلب من الملك المغادرة للعودة الى بارنسدل . وقد اعطى له الاذن للبقاء فيها سبعة ايام . ولكنه لم يعد وقام بدلاً من ذلك باعادة تجميع رجاله المرحين وعاش في الغابة الخضراء اثنتين وعشرين سنة اخرى . واذا كان ذلك يستند الى الحقيقة فلا بد انه توفي عام ١٣٤٦ على وجه التقريب اي في منتصف عقده السادس . وقد اخذ حظ الملك بالتعشر بعد مغادرة (روبن) فقد قام باستدعاء (آل ديسنسر) المنفيين وقد اصبح اصغرهم مقرباً لدى الملك مما اثار اشمزاز ملكته التي فرغت لتوها من مكافحة (بيرس غامنتون) السابق . لقد كانت امرأة فرنسية وابوها (فيليب ذي فير) وبدأت تولي اهتماماً رومانسياً للشاب البغيض الطموح البارون (روجر دي مورتايمر) ، الذي زج في القلعة لمعارضته (آل ديسنسر) . لقد اصبحت الملكة (ايزابيلا) خليلته ومن المحتمل انها هي التي خططت لهروب مورتايمر ، ففر الى باريس وانضمت اليه هناك وهي في مهمة رسمية لاجل الملك . وقد نزلا في اورويل في سوفلوك مع جيش من ثلاثة الاف جندي . وعندما سمع الملك بالاحبار فر هارباً والقى القبض عليه وسجن في قلعة(بيركلي) واجبر على التنازل عن العرش ، وقد توج ابنه (ادوارد الثالث) الذي يبلغ من العمر خمسة عشر عاماً . وفي ليلة الحادي والعشرين من سبتمبر عام ١٣٢٧ دوت صرخات رهيبية من القلعة . وقد اعلن في الصباح التالي ان الملك قد مات (لاسباب طبيعية) . ولم تكن هناك علامات على جسده ولكن قيل ان ملامح وجهه كانت ما تزال تتلوى من الالام المبرحة ، ويبين العرض التاريخي للثلاثين سنة التالية ان ثلاثة سفاحين قد دخلوا الى زنزانته عندما كان نائماً . وقيدوا النصف العلوي من جسمه بمنضدة ثم قاموا بادخال قرن مجوف في فتحة الشرج ثم استعملوا قضيباً حديدياً

متوهج الحرارة لخرق احشاء الملك .

لقد حكم (مورتايمر وايزابيلا) انكلترا كاصيياء على العرش لمدة اربعة اعوام . ثم قرض الملك الشاب على الآخرين الاعتراف بمركزه وقام باعتقال (مورتايمر) في قلعة نوتنغهام وقام باعدامه في تايورن بتهمة الخيانة . وقدقاد الملكة الى الجنون فقدان حبيبها ، ولكنها استردت حظوتها وعاشت لثمان وعشرين سنة اخرى .

ومن الممكن بالطبع ان نتصور ان (روبن هود) الذي عاش في فترة حكم (ادوارد) ليس له ارتباط بالخارج عن القانون الاسطوري في غابة (شيرود) . وثمة مرجع تحت عنوان (من هم على ذمة التاريخ) يقول بانه كان حياً برزق عام ١٢٣٠ في فترة حكم هنري الثالث على اساس ان ما مدون يظهر لنا ان عمدة يوركشاير قد باع ممتلكاته في تلك السنة (مقابل اثنين وثلاثين شلناً وستة بنسات) عندما اصبح خارجاً عن القانون ولكن نفس المرجع يعترف ان (روبن هود) الذي هو من مدينة ويكفيلد كان مناضلاً بارعاً ايضاً . وهناك ما يمكن ان يقال عن هذا التاريخ المبكر ، اذ اعطى لاسطورة (روبن هود) الوقت الكافي لانتشارها خارج انكلترا . ولكن هناك الشيء الكثير ايضاً ليقال عن (روبن هود) الذي هو من مدينة ويكفيلد . فاذا كان قد اصبح خارجاً عن القانون في عام ١٢٢٢ كنتيجة لعصيان (لانكاستر) فهذا يعني انه قضى سنة واحدة فقط في غابة شيرود قبل ان يعفو عنه الملك . وتبدو قصة العفو عنه من قبل الملك الشاذ جنياً حقيقية بشكل اكيد على اعتبار انه اعطاء وظيفة وصيف في حجرة النوم . ومن الطبيعي ان نخمن انه ربما وجد ان واجباته في حجرة النوم قد اصبحت اكثر مما كان يتوقع ، على الرغم من ان الشاب (هوف لي ديسنسر) (الذي اعدمه مورتايمر وايزابيلا في عام ١٢٢٦) كان هو المقرب لدى الملك في ذلك الوقت .

لذلك فقد عاد (روبن) ادراجه الى الغابة الخضراء واصبح بطل الاسطورة ولا نعرف فيما اذا كان قد اصبح العدو الرئيسي لعمدة نوتنهام . ولكن العمدة (وهو ما يقابل المسؤول الرئيسي عن الامن في المدينة في ايامنا هذه) كان مسؤولاً عن الامن والنظام في نوتنهام شاير وجنوب يوركشاير ، ولا بد انه استاء من زمرة الخارجين عن القانون الذين كانوا يعتاشون على عزلان الملك . وتنص احدى الاحداث التاريخية على ان (روبن) كان يمتلك ايضاً ملاذاً في مكان اصبح يعرف بـ (خليج روبن هود) ويمتلك سفناً تساعده على الهروب الى البحر (وقيل ايضاً انه كان يقوم بعملياته في مناطق بعيدة خارج الوطن مثل كومبرلاند) . ولو ان محاولة جماعية قد شنت للتربص به فربما نجحت في اصطيداه . ولكن معظم القرويين والفلاحين المالكين لاراضيهم كانوا الى جانب روبن . وكانت يومئذ غابات انكلترا ارضاً مشاعة . ولا بد ان الفلاحين نصف الجوعى قد شعروا انه من غير المعقول ان تخصص الالف من الاميال المربعة في الغابة لغرض صيد الملك في الوقت الذي لم يستفد الملك من جزء صغير من تلك المنطقة . ولكن كان ثمة سبب آخر جعل روبن يقوم بفعالياته دون معارضة قوية ، فعندما كان في القصر لا بد انه قابل الصبي ذا الاربعة عشر عاماً الذي اصبح فيما بعد (ادوارد الثالث) ، وكان (ادوارد) في العمر الذي يجعله ينظر الى الخارج عن القانون المشهور بنظرة اعجاب . وهذا مجرد تخمين ولكنه دون ريب يفسر لنا لماذا سمح لـ(روبن) ان يصبح اللعنة الاسطورية على السلطة في العقود الاخيرة من حياته . ولكن السلطة لها طرقها في توجيه الضربة من الخلف ، فاستناداً الى مخطوطة (سلون) اصبح (روبن) مريضاً فذهب الى ابنة عمه رئيسة دير (كيركليس) للراهبات لتسحب منه الدم وهو الاجراء المتبع في تلك الايام لمعالجة اي مرض . وقد قررت ان تأخذ بثأر العديد من رجال الكنيسة الذين قام بسرقتهم فجعلته ينزف حتى الموت . وتقول رواية اخرى انها وشت به نزولاً لرغبة حبيبها (السير روجري دونكاستر) . وينص مصدر آخر على ان الرجل المسؤول عن موت

(روبن) كان راهباً طلب منه ان يكون مرافقاً له وقد وجد انه من الافضل للخارج عن القانون ان يموت. وقد دفن (روبن) في ارض دير الراهبات. ويبين العرض التاريخي لفرافتون (١٥٦٢) انه دفن تحت صخرة عليها كتابة محفورة. وقد ورد بعد قرن في عرض تاريخي آخر ان قبره المتكون من صليب اعتيادي على صخرة ملساء يمكن رؤيته في المقبرة حيث قام الدكتور (ناتانيل جونستون) عام ١٦٦٥ برسمه وقد ورد ايضاً النقش المحفور على صخرة القبر في كتاب (النصب القبرية) لمؤلفه (غوغ). ولكن في بداية القرن التاسع عشر قام بعض العمال غير الماهرين بتحطيم الصخرة عند بنائهم سكة حديد.

ويقال انهم كانوا يؤمنون بأن شظايا الصخرة تستخدم كعلاج لآلام الاسنان. وبهذا فان الأثر الأخير لوجود (روبن هود) الحقيقي قد اختفى. ولكن قبر رئيسة دير الراهبات قد اكتشف في ذلك الوقت من بين انقاض دير الراهبات وقد كان فيه بعض الشبه من قبر (روبن هود) بالاضافة الى انه يشير الى اسمها (اليزابيث ستيتون).

واهمية (روبن هود) الحقيقية تنأت من كونه عاش في قرن كان فيه الفلاحون قد بدأوا يشعرون بالاستياء المتصاعد من حولهم، الاستياء الذي ترجم الى مبادئ (جون بول) الثورية والذي فجر ثورة الفلاحين عام ١٣٨١ بعد فترة وجيزة من الاشارة الى (روبن هود) في مطبوعات (لانغلاند). وبصورة عامة تعتبر ثورة الفلاحين مؤشراً لنهاية العصور الوسطى. ولكن بإمكاننا ان نرى من خلال القصائد الغنائية عن (روبن هود) ان الحالة العقلية المعروفة بالعصور الوسطى توشك على الانتهاء.

سانت جيرمين الخالد

ما زال الكثير من السحرة يعتبرون (سانت جيرمين) الخالد من أكثر الشخصيات اثارة وغموضاً في تاريخ السحرة، ويعتقد البعض انه ما زال على قيد الحياة. بيد ان كل من كتب عنه خلص الى الخيرة عن ماهية اسراره ان كانت مسألة لغز ام مجرد حيرة.

وبقيت هذه القضية معلقة لأن ملفه الكبير الذي جمع بأمر من (نابليون الثالث) قد اتلف في فترة الكمبیدن. وقال احد المؤرخين: «هكذا تخدم الصدفة ثانية القانون القديم الذي يقتضي ان حياة المبدع يحيطها الغموض دائماً». عندما ظهر الكونت (سانت جيرمين) (اعترف ان الاسم مزور) اول مرة في فرنسا في حوالي عام ١٧٥٦ كان يبدو بعمر الخمسين، ومتحدثاً بارزاً يجيد العديد من اللغات ومطلعاً بأمور الطب وكيميائياً مجرباً من الطراز الممتاز، كان تحيلاً يرتدي خملاً اسوداً ذا ربطة عنق نسيجية بيضاء (ميزة لضبط النفس بالنسبة للملابس كبار الرجال آنذاك) وان اساليبه كانت في غاية الاتقان. كان الثراء واضحاً عليه اذ انه يرتدي الجواهر وبرقفته الكثير من الخدم المهذبن جيداً. وعندما قال مشكك لأحدهم: «سيدك كذاب»، أجابه الخادم:

«أعرف هذا أكثر منك فهو يقول للجميع ان عمره اربعة آلاف سنة ولكنني في خدمته منذ مئة سنة لا غير وعندما أتيت أخبرني أن عمره ثلاثة آلاف سنة وأنا لا اعرف إن هو أضاف تسعمائة سنة سهواً او انه كان يكذب». وعندما سئل خادمه المسؤول عن تنظيف الملابس عن بعض أمور التاريخ القديم أجاب:

«ربما ينسى الكونت انني كنت في خدمته منذ خمسمئة سنة فقط». يبدو من هذا انه كان محتالاً بارعاً او مجرد دجال ولكن من غير الواضح ما كان يروم الحصول عليه. اذن فهو مترف وعازف كمان ممتاز ورسام ماهر وذو معرفة واسعة بالموسيقى والرسم وكان يستطيع تشخيص أكثر الرسوم بمجرد نظرة عابرة. يبين (اندرو لانك) في كتابه (الالغاز التاريخية) ان (سانت جيرمين) هو ابن (ماري دي فيبيرغ) ملكة اسبانيا التي عاشت في بايون في اعقاب وفاة زوجها (شارلس الثاني) وانه من الممكن ان يكون عشيقها (الكونت انديرنو) وزير المالية والذ (سانت جيرمين). كان (سانت جيرمين) في فيينا قبل ذهابه الى فرنسا حيث التقى بالمارشال (دي بيل - آيل) الذي كان يعاني من مرض اثناء قيامه بحملة في المانيا فعالجه (سانت جيرمين) فاصطحبه معه الى باريس. عالج بعد ذلك سيدة في البلاط بسبب تناولها الفطر السام وأصبح صديقاً لمدام (دي بمبارو) زوجة (لويس الخامس عشر). اكتشفت سيدات البلاط انه شخص مخادع واعتقدت الكونتيسة (فون كيركي) التي كان زوجها في فيينا في حوالي عام ١٧١٠ انها تذكرت اسم (سانت جيرمين) وسألته ان كان ابوه هناك فأجاب انه كان هناك ذلك الوقت. اجابت الكونتيسة ان هذا الأمر مستحيل فالرجل الذي تعرفه كان عمره في الأقل ٤٥ عاماً ذلك الوقت فابتسم (سانت جيرمين) بغموض وقال: «انا طاعن في السن».

وأضاف تفاصيل عن فينيسيا الأمر الذي افنع الكونتيسة انه كان يعرف عما يتحدث فأردفت قائلة: «انت شيطان لا ريب».

في هذه اللحظة ارتجف (سانت جيرمين) وتضايق وأسرع في مغادرة الغرفة. بعد ذلك بعشر سنين كان (سانت جيرمين) في لندن والقي القبض عليه في عام ١٧٤٥ بتهمة التجسس لصالح (اليونغ بريتندر) الذي كان يقوم بمسيرة في ديري: اشار هوراس دالبول في رسالته:

«القينا القبض في اليوم التالي على شخص غريب يدعي انه الكونت (سانت جيرمين). كان هنا منذ ستين ولم يشأ ان يخبرنا من هو ومن أين قدم... انه يغني ويحيد عزف البيانو ويؤلف ويحنون وليس شديد الحساسية، يدعي انه ايطالي واسباني وبولندي، متزوج من امرأة ثرية وفر بجواهرها الى اسطنبول، قس، نصاب، نبيل. شك فيه امير ويلز بدون سبب»

لم يعرف اي مخلوق مكانه في الفترة ما بين عام 1745 وعام 1755، ولكنه كان حديث باريس في اواخر الخمسينات، كتبت (مدام دي هوست): «كان يتردد علينا في الغالب رجل داهية.. انه الكونت (سانت جيرمين) الذي كان يأمل ان يصدقه الناس انه عاش لقرون عدة. سألته (مدام دي بمبادور) وهي في كامل زيتها:

- اي طراز من الرجال كان فرانسيس الاول؟

فأجابها سانت جيرمين بغضب:

- طيب القلب، لقد اسديت له بعض النصح ولم يأخذ بها.

ومن ثم بدأ بوصف جمال (ماري ستيوارت) و(لارين مارغريت) فقالت له:
- يبدو أنك شاهدت هؤلاء كلهم.

فأجاب (سانت جيرمين):

- انني احببنا احس بالدهشة لا لأن الناس يصدقون انني اعيش منذ سالف الأزمان ولكن بالساح لهم بأن يفعلوا ذلك.

ثم سألته (مدام دي بمبادور) عن (مدام دي كيركي) التي اعتقدت انها تعرف (سانت جيرمين) منذ خمس واربعين سنة خلقت فقال:

«قد يكون هذا صحيحاً ولكني اعترف ان الاحترام الذي تحظى به المرأة

يعظم وهي في اوزل العمره . يتضح من هذا ان (سانت جيرمين) كان يهزأ بالحكايات عن عمره الطويل ولم يحاول في الحقيقة خداع (مدام دي بمبادور) .

كما قام وزير خارجية الملك (وكدي شوازيل) بتاجير محتل يتحل شخصية (سانت جيرمين) في متديات باريس ليجعله اكدوبة من خلال القيام بادعاءات واهية مثل انه كان صديقاً حميماً لـ(سانت آنا) ام السيدة مريم العذراء او جمل معينة مثل (كنت اعرف دائماً ان نهاية السيد المسيح ستكون سيئة) . ولكن ما الذي نعرفه في الواقع عن (سانت جيرمين)؟

ان الخط اليدوي للرسالة كتبها عام ١٧٣٥ ثبت انه كان في هاغ في تشرين الثاني (نوفمبر) من هذه السنة دون ان يفصح عن السبب . كان عمره آنذاك نحواً من الخامسة والعشرين وتعرف انه كان في انكلترا منذ عام ١٧٤٣ وحتى عام ١٧٤٥ والقي القبض عليه بتهمة التجسس . ان القصة التي نشرتها السيدة (كوبر اوكلي) في كتاب عنه تقول ان شخصاً ما كان يغار منه (بسبب خصام حول امرأة) قد در في جيبه رسالة تفصح خيانه والقي القبض عليه ولكنه اثبت براءته . وفي عام ١٧٥٥ كان يعيش في فينيسيا برفاهية اذ اصطحبه (المارشال دي بيل - آيل) الى باريس وحيث - كما أشير آنفاً - ان حديثه وثقافته الواسعة جعلته مرغوباً في المتديات . ادعى انه كان يقتات على بعض الغذاء وكان يجلس الى موائد العشاء دون ان يتذوقها . وفي الحقيقة فإن أعظم اهتمام له قد انصب في الكيمياء ويتضح انه قد اكتشف بعض العمليات لصنع الحرير والجلد المدبوغ .

اخبر الملك ان باستطاعته ازالة العيوب من الجواهر ، وسافر وفي جمعته حجر يقدر بسة آلاف فرنكاً وعندما عاد بعد شهر ومعه الحجر خال من اي عيب قدر الجواهري ان سعره عشرة آلاف فرنكاً . من الواضح انه استبدل الحجر بآخر وحظي بذلك على رضا الملك بمبلغ أقل من اربعة آلاف فرنكاً . ونتيجة لذلك

أنشأ الملك مختبراً في ترايتون وعين (سانت جيرمين) في قلعة جامبور لمواصلة عمليات الصبغ، فالملك كان يأمل ان ذلك سيعود بالمحصلة بمبالغ كبيرة لخزينة الدولة التي كانت بحاجة ماسة للتمويل ثانية. لقد أصبح مقرباً جداً من (لويس) بحيث كتب (دوق دي شوازيل) يتحسر: «من الغريب ان الملك يسمح في اغلب الاحايين الى الانفراد بهذا الرجل على الرغم من انه عندما يخرج يحيطه الحرس...». وأشار الى أن (سانت جيرمين) هو ابن يهودي برتغالي.

أرسل الملك (سانت جيرمين) عام ١٧٦٠ الى هولندا في مهمة دبلوماسية، وكانت هذه المهمة على الرغم من سريتها بين الوزراء تهدف لمناقشة محادثات السلام مع انكلترا، اذ ان الملك كان يأمل في تخلي بريطانيا عن حليفها بروسيا. اكتشف (سانت جيرمين) انه كان يتزل معه في نفس الفندق مغامر مسل آخر يدعى (كازانوفيا) الذي كان يروم التفاوض للحصول على قرض لفرنسا وتعارفا وأيقن (كازانوفيا) ان (سانت جيرمين) كان دجالاً. يقول في مذكراته: «الرجل الغريب الذي فوضته الطبيعة ليكون ملكاً للسحرة والدجالين يدعي ببساطة وحزم انه عاش لمدة ثلاثمائة سنة وأنه يعرف أسرار الطب الشامل ويمتلك سيادة على الطبيعة، وعلى الرغم من أكاذيبه السافرة وتبجحاته وتناقضاته المتشعبة، لا أستطيع القول انه شخص عدائي». مع ذلك اغتتم (كازانوفيا) الفرصة لتحطيم (سانت جيرمين) عندما أرسل حكيم فريقاً من (الكابال) ليحذره. كشف (دوق دي شوازيل) في تلك الأثناء المؤامرة، فرفض السلام وأمر بالقضاء القبض على (سانت جيرمين) وارساله الى الباستيل، الا ان السفير الهولندي اسدى النصيحة لـ(سانت جيرمين) الذي استقل المركب التالي الى لندن. اخرج (لويس) عندما اعترف انه هو وبيل آيل كان سبب رحلة (سانت جيرمين). لقد نجح أعداء (سانت جيرمين) في الاطاحة به، وإن عدم لياقته وسداجته لعبا دوراً في ذلك. لقد صادق العديد من غير المؤثوق بهم، وأخبرهم عن رحلته، قابل السفير الالماني

في انكلترا وأراد اللحاق به (فريدريك العظيم) في ساكسوني فكتب السفير على عجل لوزير خارجية بروسيا يحثه على بذل أقصى الجهود لاعاقبة رحلة (سانت جيرمين) لأنه مشهور بشكل خطر مما قد يقنع الملك باتخاذ اجراءات رادعة جهة، ويبدو انه لم يشكك في مقدره (سانت جيرمين) في التأثير. يتضح أن (سانت جيرمين) أجبر على العودة سراً الى هولندا وباع ممتلكاته مدعيًا انه (الكونت سيرمونت)، فلقد كان بحاجة الى المال ودفع قسطاً واحداً من ثمن البيع. وصفه السفير الفرنسي انه غير أهل للثقة تماماً. وفي كوينزل وجد لنفسه زبوناً آخر - او مغفلاً- وهو وزير خارجية هولندا في النمسا الذي كان يروم استثمار عمليات (سانت جيرمين) الكيميائية في مصانع في (تورني).

أخبر هذا بدوره (كوتتر) المستشار النمساوي بشتى ضروب المعجزات مثل تحويل المعادن القاعدية الى ذهب وصنع الحرير والمواد الاخرى ذات الالوان الزاهية وبيع الجلود لانتاج جلود ناعمة رائعة. دهش كوينزل (سانت جيرمين) واذاف: «الشيء الوحيد الذي استطيع ان اوجه له اللوم عليه هو المديح المتكرر لمواهبه ومنشئه». وعلى الرغم من ان (كوينزل) قد تغيرت فكرته حول شخصية العبقري فلم يشك البتة بالقيم التجارية الكبيرة لهذه العمليات فأنشأت المصانع في (تورني) وخطط (سانت جيرمين) لسرقة مئات الآلاف من (الجبلدات) للاسرار التي وعد بمنحها مجاناً ورجل دون ان يحصل على الاسرار الموعود بها، واستمرت المصانع بتأدية عملها بشكل جيد. نستتج من هذا ان طرق (سانت جيرمين) كانت رائعة بها فيه الكفاية.

كانت نشاطات (سانت جيرمين) في العقد التالي مجهولة ولكنه ادعى شخصياً انه كان في الهند مرتين واشترك في الحرب الروسية - التركية في البحر المتوسط (١٧٦٨ - ١٧٧٤) ومضى الى شارع (بيتر سبرينغ) وصادق (الكونت الكسي اورلوف) قائد الحملة الروسية الى (الأرشيبيلاغو). اصبح شرايه المفضل

الشاي المصنوع من السينابودا (خليط معقد) يعرف بالشاي الروسي وجهاز
بكميات كبيرة الى البحرية الروسية لأسباب مجهولة .

ورقي (سانت جيرمين) الى رتبة جنرال روسي وعاش في عام ١٧٧٤ في
سواسباش في آنسباش حيث وجد لنفسه زبوناً جديداً وهو (شارلس الكسندر
مارغريف براند تيرغ). اخرج المرغريف عندما مضى هو و(سانت جيرمين)
لللقاء ارلوف الذي عاتق (سانت جيرمين) بحرارة. يعيد ذلك اصبح (سانت
جيرمين) ضيف (المارغريف) في قصره في تريستودورف حيث يعيش هناك بهدوء
ويواصل تجاربه، وسمى نفسه (الكونت تزاروكي). بيد أن رغبته في التأثير
والدهشة جعلته يخبر مضيفه انه كان حقاً (راكوزي امير ترانسلفوتيا). ولكن
وعندما زار (المرغريف) ايطاليا في السنة التالية وشرع بسرد القصص عن ضيفه
المدهش علم أن الابناء الثلاثة للعائلة الحاكمة في ترانسلفانيا قد فارقوا الحياة،
فبدأ ضيفه وكأنه (سانت جيرمين) المحتال الذي كان في الحقيقة ابن محصل
الضرائب في (سانت جيرمينو). كتب (جيمنغن) وزير (انسباش) الذي ارسل
لكاشفة (سانت جيرمين) ان (الامير راكوزي) لم ينف انه سمي نفسه (سانت
جيرمين) واستعار بأسماء في أكثر من مناسبة للتخلص من اعدائه ولم يأسأ
التصرف لأي اسم منها. كان هذا حقيقة وأقر المرغريف ان ضيفه قد تصرف
بهده وكياسة ولم يحاول قط مشاطرته المبالغ الكبيرة. مع ذلك طرد المرغريف
هذه الاحلام وأراد رؤية (سانت جيرمين) ثانية.

شرع (سانت جيرمين) عام ١٧٧٦ وهو في منتصف الستينات من عمره
بزيارة برلين وهامبورغ، ومن ثم الى برلين املاً في لقاء (فريدريك العظيم) ولكن
الملك لم يشأ التعرف بهذا المغامر الكذاب. أخيراً وجد (سانت جيرمين) شريكاً
آخر له وهو (شارلس) امير هيسكاسيل الذي كان بارداً وغير راغب بالعمل معه
ولكنه انجرف تدريجياً لاغراء (سانت جيرمين) وحامسه ولم يراوده اي شك عن

ادعاءه انه (الامير راكوزي) وانه نشأ عند عائلة مديسي وأن عمره ثمانية وثمانون عاماً. انشأ مصنعاً لـ (سانت جيرمين) في ايكنفورد في سوسليخ- هولشنييز وقضى المغامر آخر سنواته بسلام معانياً بين الفينة والاخرى من الروماتيزم والكتابة الى ان وافاه الاجل في شباط (فبراير) عام ١٧٨٤. وقال (الامير شارلس) في رثائه: «احد اعظم الحكماء الذين خلدوا ابد الدهر».

حالما توفي (سانت جيرمين) روجت اشاعات مفادها انه على قيد الحياة، ونشرت صحيفة في اليوم التالي تتوقع عودته قريباً. اقتنعت المدام (دي جينس) انها شاهدته في اواخر عام ١٨٢١ في فيينا.

نشرت الكونتيسة (دي ادهيار) التي كانت على مقربة من بلاط فرساي في اواخر ايام الملكية كتاباً بعنوان (الذكرى) عام ١٨٣٦ ادعت فيه انها شاهدت (سانت جيرمين) في اواخر عام ١٧٩٣ وحذرها من وفاة (ماري انطوانيت). اخبرها انها ستراه خمس مرات وان لا تأمل في رؤيته المرة السادسة، وتدعي انها شاهدته خمس مرات بين ذلك الوقت وعام ١٨٢٠. ويؤكد (ج. ب. فولز) الذي قام بالتحقيق عن حياة (سانت جيرمين) في عام ١٩٢٠ ان الكونتيسة غير موجودة وأن كتابها ضرب من الخيال. يدعي (فرانسز كرافر) في مذكراته لعام ١٨٤٥ انه شاهد (سانت جيرمين) واعلن انه سيظهر في الميملايا مع انصراف القرن. هذا الادعاء حدا بمدام (بلافاتسكي) لضمه في كتاب (سادة السر) في التبت والاشارة اليه باحترام في مبدأ السر ولكن (فرانز كرافر) في مذكراته يعتقد انها مزورة. من ناحية اخرى تجسمت (مدام بلافاتسكي) عناء السفر لزيارة (الكونتيسة دي ادهيار) عام ١٨٨٥ بينما اكتشفت السيدة (كوبر اوكلوي) التي ظهر كتابها عن (سانت جيرمين) عام ١٩١٢ ان هنالك العديد من الوثائق التي تخصه بحوزة عائلة (ادهيار). ظهر في التلفزيون الفرنسي في اواخر شباط (فبراير) ١٩٧٢ شاب يدعى (ريتشارد جانفري) متزعماً انه (سانت جيرمين) وحول الرصاص الى ذهب

باستخدام مرجل . وبعد دراسة الادعاءات والادعاءات المضادة ما الذي تقوله
عن رجل السحر؟

أولاً - وللأسف - لا يمكن ان نحمل دعواه محمل الجد، وحتى اذا كان
سفير بروسيا صائباً عندما قال : ان مبعث تقنيته هو زهو مبالغ فيه . وليس ثمة
ادنى شك ان (سانت جيرمين) كان عديم الجدوى وثرثاراً - ان الكثير من
معاصريه يجدون ان هذا التعليق غير حقيقي - لكن رجلاً ما قد يكون عديم
الجدوى وثرثاراً وعبقرياً بنفس الوقت (مثال على ذلك برنارد شو الذي يدخل في
الحال الى خلجات التفكير).

من الواضح تماماً ان (سانت جيرمين) عبقرى متحمس وذو مستوى غير
اعتيادي من المواهب . انه نفسه لم يدع الحكمة او دراسة السحر وانما اصر انه
شخص اعتيادي ورغبته لفائدة البشرية .

وجد (ريديرت) و(دي المبرت) منه مثلاً لموسوعتهما . اللغز الحقيقي ل(سانت
جيرمين) انه كان عبقرياً ودجالاً في آن واحد، ويمتلك ما نسميه الآن بحاسية
الان للاعلان متطورة جداً، ورغبته في الاثارة والدهشة والاحتيال . هذا الامر
يحد ذاته يبرهن انه ليس كما ادعى، فهو ليس آخر فرد حي من (عائلة ترانسلفانيا
المالكة) ، فالنفاصيل الدقيقة معروفة حول آخر الافراد الثلاثة الاحياء .

ان هذه المعلومات تبين ان (سانت جيرمين) قد ولد في ظروف تعسة للغاية
وأنه قضى معظم طفولته وشبابه يحلم بارتقاء سلام المجد والشهرة . ان سجلات
الدجل مليئة بـ(وولتر متي) و (بيلي المبارز)، ولكن من الصعب العثور على محتال
ولد في قصر او بيت للارثاسة . لذا تعتبره الآن انه ليس الابن اللقيط للملكة
اسبانيا .

من الواضح انه وفر لنفسه تعليماً جيداً، وكانت الكيمياء عشق حياته. ولو
اختلفت الظروف لكان قد اصبح لاقوازيه او روبرت بويل او ميشيل فارادي.
ان اشراقته الطبيعية قد جعلته يزدري -بذكاء- معاصريه. وعندما ادعى ان
عمره ثلاثة الاف سنة او عندما لمح بمعرفته بد(فرانيس الاول)ربما ناجى نفسه،
انه كان يسخر من البلاهة البشرية. الغموض الوحيد هو مصدر امواله عندما
ادعى انه امير لما كان يبدو انه رجل شريف (اذا ما استثنينا بعض قضية تورني)
فان الاجابة على ذلك انه قد حول الابحاث الكيميائية نحو الاستخدام
التجاري، والافمن المخيب للأمال الاستنتاج ان رجل السحر او سيد السحر
كان مجرد كيميائي صناعي مبدع، ولكنها النظرية الوحيدة التي تسجم والحقائق
التي نعرفها.

من هو شكسبير؟

اعلن احد نبلاء الطبقة المتوسطة في ستراتفورد (آيون آفون) ان مستهل عام ١٦١٦ كان ايداناً لكتابة وصيته، وبعد ذلك بأشهر قلائل اي في نيسان توفي بعد ان اثقل بالشرب مع صديقيه كاتبي المسرحيات اللندنيين (بن جونسون) و (ميشيل دريدون). بعدها طوى النسيان هذا الكاتب تقريباً لكن بعد سبع سنوات على رحيله شيد له في كنيسة الأبرشية نصب تذكاري. بعدها قام الأثاري (السير وليم دكديل) الذي كان مهتماً بشعائر الحرب برسم صورة فنية عام ١٦٥٦ لهذا النبيل في كتابه (آثار دوروكشير).

اظهرت هذه الصورة ملامح غير دقيقة لرجل ذي شارب مفتول ويدين متدليتين في ستر صوفية وهو رمز التجارة. لقد عرفت قلة قليلة من ستراتفورد ان هذه الطلعة الخالدة لرجل التجارة كانت للكاتب والممثل المسرحي المشهور الذي انجز مسرحياته قبل الملكة (اليزابيث). وبعد ذلك بأكثر من قرن اي في عام ١٧٧٠ عاد رجل ديني يدعى (جيمس ولوت) الى قريته روروكشيد وكرس حياته الباقية للدراسة كاتبيه المفضلين (فرانسس بيكون) و (وليم شكسبير).

كان رئيساً لقرية بازتون التي تبعد ستة اميال عن ستراتفورد وشرع بتحقيقاته لإيجاد ثمة قصص وعادات للكاتب والممثل العظيم مازالت تنبض بالحياة في قريته الأم. لم يعرف اي مخلوق عنه شيئاً ولكن (ولوت) استنتج من دراسته لمسرحيات شكسبير انها لكاتب يزخر بالمعرفة الواسعة ويمتلك لذلك مكتبة ضخمة. ولأكثر من سنوات قام بتحقيقات مضية في المنطقة وتحجى في المكتبات الصغيرة مسافة خمسين ميلاً في الجوار فلم يعثر على اي شيء حتى على كتيب يعود لشكسبير. وفي نهاية المطاف دهش (ولوت) بسبب استنتاج مذهل: ان من

يسمى بـ (شكسبير) ليس بمؤلف المسرحيات التي تنسب اليه وان الرجل الذي يمتلك كل مؤهلات الكتابة هو مؤلفه المفضل الآخر (فرانسيس بيكون) ارتاع (ولوت) لهذا الاستنتاج في ذلك الوقت الذي كان فيه نجم شكسبير يتألق كأعظم كاتب مسرحي انكليزي وارثاى ان يكتم هذا الاستنتاج . ان هذا الأحتراس قد تلاشى بعض الشيء بعد ذلك الوقت بشلائين عاماً اي بعمر الثمانين عندما زاره صديق من ابويج عام ١٨٠٣ وافشى (ولوت) سره الخطير . لقد كان الصديق (جيمس كويل) يبحث عن حياة (شكسبير) اذ انه وافق على قراءة وثيقة تخص هذا الكاتب امام تجمع الفلاسفة المحليين ولم تنشر بعد اي سيرة ذاتية عنه . دهش (كويل) لذلك واقتنع بعض الشيء ، بعد ذلك بستين قرأ وثيقة (شكسبير) واخبر اتباعه المذهولين عن القس العظيم ونظرياته المحذرة . اصيب فلاسفة (ابويج) بحيرة وربما سمع (ولوت) عن ردود فعلهم ومع ذلك ترك في وصيته تعليمات تقتضي بحرق كل وثائق (شكسبير) وان يتخذ هذا في حينه . ظلت محاضرة كويل مبهمة اكثر من قرن حتى وصف طالب شكسبيري مشاير (ولوت) في (التايمز لترري سبيلمنت) بأنه (ابن بيكون البكر) . لم يعتبر البروفسور (الرديس نيكول) ذلك شكوى ، بل اعتبر مؤيدي النظرية البيكونية للتأليف الشكسبيري انهم مهوسون . ولكن لماذا يتوصل المرء الى استنتاج غريب كهذا؟ ولم لا يكون سيد ستراتفورد (ابون أفون) هو مؤلف هاملت والملك لير كما افترض اكثر الناس؟ في الحقيقة ان هذا الأفتراض ليس بعيد الاحتمال تماماً كما يبدو . لقد مضى شكسبير الى لندن في عشريناته واصبح ممثلاً بارعاً وكاتب مسرحيات في سنوات قلائل حتى امسى حين بلغ منتصف الثلاثينات من عمره اي عام (١٦٠١) اكثر الكتاب شعبية .

وعندما عاد الى ستراتفورد في منتصف الاربعينات من عمره كان قد اصبح ثريا من عائدات مسرحياته . لكن من الغريب انه لم يكن مهتماً حتى بجلب ولو

نسخة واحدة من مؤلفاته الكثيرة رغم انه خلف في لندن مكتبة عامرة. ثم ماذا حل بهذه المكتبة؟ ولماذا لم تذكر في وصيته؟

يرد طلاب شكسبير على ذلك ان التمثيل كان في عهد اليزابيث حرفة غير محترمة شأنها شأن الدعارة، وربما فضل شكسبير الاحتفاظ بها لنفسه. هذا صحيح، ولكن الكاتب كان كما هو الآن يعتبر افضل بكثير من الحرف الأخرى، ثم ان شكسبير هو مؤلف الروائع مثل السونيتات وفينوس وادونيس. كما ان السونيتات ظهرت عام ١٦٠٩ قبل رجوعه الى ستراتفورد بعامين.

هل كان مؤكداً انه جلب معه نسخاً ولو قليلة ليوزعها على اصدقائه وعائلته؟ اولاً ليطمنن ان بعض اعماله قد حصلت عليها ابنته المحبوبة (سوزانا) التي ترك لها املاكه في وصيته ولزوجها الدكتور البارع (جون هول) الذي رفض لقب الفرسان من (شارلس الأول)؟ يجيب طلبة شكسبير مرة اخرى انه فعل، ذلك وان كتبه قد اختفت في فترة ستين سنة لاحقة في الوقت الذي بدأ المعجبون بشكسبير اهتمامهم بكتابة مسرحياته. ربما كان هذا صحيحاً ولكن لا يبدو مرجحاً. يرى (ولوت) سبباً آخر للشك في ان (سيد ستراتفورد) هو مؤلف المسرحيات الحقيقي، لانها تشير الى مؤلف ذي خبرة واسعة في الطب والقانون وعلم النبات والبلدان الخارجية وامور المحاكم. فكيف تسنى لأبن قصاب ان يحظى بمثل هذه المعرفة؟ ان (فرانسيس بيكون) من ناحية اخرى كان فيلسوفاً وكاتب مقالات والرئيس الأعلى للقضاء، وكانت له اتصالات بأوسع الرجال معرفة آنذاك.

يرى (ولوت) ان احد المشكلات الرئيسية في هذه القضية ان سيرة شكسبير قد ازداد صيتها كثيراً عقب وفاته بشكل يصعب معه حتى فصل الحقيقي من سيرته عن غير الحقيقي. ثم خفت حتى طواه النسيان بعض الشيء الى ان جاء عام ١٦٦٠ عندما فتحت المسارح ابوابها ثانية في اعقاب التوقف البوريتاني (رغم ان

مجموعة مسرحياته ظهرت عام ١٦٢٣). وخلال فترة إعادة الملكية كان هنالك احياء لاعمال شكسبير ونفحت المسرحيات واعيدت كتابتها بالكامل تقريباً. يضم كتاب (جون اوبري) (سير ذاتية مختصرة) (عام ١٦٨٢) بين طياته مختصراً من صفحتين لحياة شكسبير يبين فيها ان شكسبير كان ابن قصاب وانه كان يلقي خطباً عاطفية عندما يلبح عجباً، كما اشار (جون وورد) قس ستراتفورد في مذكراته (١٦٦١-١٦٦٣) الى اسطورة وفاة شكسبير. وهكذا اصبحت سمعة (شكسبير) بين العامة واسعة عام ١٧٠٩، حتى ان باعة الكتب الرخيصة كانوا يتخلصون من كتبه بمجرد معرفة ان شكسبير هو كاتبها. ان الأزهاري الشكسبييري كان ذي اثر هام على اعمال السيد (وليم ديفانت) الذي حظي بشهرة الأله الشكسبييري، الذي كرس حياته لإعادة سمعة هذا المحبوب كما لو كان شكسبير هو ابنه حقيقة. ظهرت اول سيرة حياة لشكسبير عام ١٧٠٩ كمقدمة لكتاب عنه بستة اجزاء (لنيكولاس راو) الذي حصل على الكثير من المعلومات من الممثل (توماس بيترتون) الذي كان يعشق الشعر الملحمي. اذ قام برحلة الى ستراتفورد لجمع الحكايات والتقاليد حوالي عام ١٨٠٧. وكان راو اول من نشر قصة هروب (شكسبير) من ستراتفورد بعد ان القي القبض عليه متلبساً بسرقة ايل (السير توماس لوسي). منذ ذلك الحين تواترت الأشاعات عنه وقصص امسياته الماجنة في قرى رودكشير خصوصاً مع (بدفورد) السكير كما شاعت غرامياته وظهوره قبل الملكة اليزابيث والملك جيمس والكثير من هذا القبيل.

وفي عام ١٧٦٩ تم احياء ذكرى شكسبير بتسجيل كبير فصمم مواطنو ستراتفورد على اقامة احتفالات في ذكراه كل متي سنة وطلبوا من الممثل (ديفيد غاربل) ان يتولى مهمة اليوبيل (كانوا في الحقيقة متأخرين خمس سنوات فشكسبير قد ولد عام ١٥٦٤ ولم يتذكر احد ذلك).

اصبح شكسبير مصدر دخل للعديد من تجار ستراتفورد. فرغم ان الامطار

كانت قد افسدت الاحتمالات باليوبيل وفقد (كارك) جزءاً من ثروته لكن مع ذلك يمكن القول ان اليوبيل قد ارسى دعائم الصناعة الشكسبيرية وهي مصدر ستراتفوردي الرئيس في الدخول. وفي نفس السنة (١٧٦٩) نشر (هوبرت لورنس) صديق (كارك) قصة بسيطة مسلية مفادها كيف ان اللص الذي يدعى شكسبير قام بسرقة رموز الحكمة والعبقرية والسخرية واستخدامها في كتاباته. بالطبع لم يكن المقصود فيها توجيه اتهام خطير ولكن لتوضيح وجهة نظر ساخرة لطيفة للصناعة الشكسبيرية. بعد ذلك رحل (جيمس ولموت بارتون) وبدأ بدراسة ابحاثه التي استنتج منها ان اسم شكسبير الحقيقي هو فرانسيس بيكون. وعندما افصح الصديق (جيمس كورل) عن استنتاجه لمجتمع فلاسفة ابسويج عام ١٨٠٣ اخذ عليهم عهداً ان يكتبوا اسم المؤلف ويبدو انهم حافظوا على عهدهم ذلك. توضح الأحداث الغربية لتزييفات (ارلاندا) المدى الذي حصل فيه البارادولاتري (الأعجاب الشديد بشكسبير) (كما اسماه برنارد شو) على موطنه قدم عام ١٧٩٠. سمح (صومائيل ايرلاندا) الكاتب الخصب لكتب الرحلات والمتحمس كثيراً لشكسبير للعديد من تجار ستراتفوردي ببيعه كميات كبيرة من مخطفات شكسبير من بينها قديم مزخرف مصنوع من شجرة التوت التي كانت مزروعة في حديقته. والكرسي الذي كان يجلس عليه ايام محاكمته. حظي (وليم) اصغر اولاد (ايرلاندا) بنفس العاطفة الأبوية وبدأ صياغة مقاطع صغيرة لشكسبير من بينها (عمل الرهينة). ان جشع والده حدا به في النهاية الى صياغة جميع مسرحيات شكسبير الأمر الذي حدى الخبراء لفترة طويلة الى ان انكشفت الخدعة عام ١٧٩٦ عندما كانت تقدم مسرحية (ايرلاندا فورنتجي) في ديري لين. وحالما احتتمت المقدمة الساخرة اطلق الجمهور اصوات الاستهجان والاشمئزاز. لقد رفض والد (وليم) اعترافات ابنه لهذه التزييفات وبقي مقتنعاً ان هذا النتاج العبقرى اكبر من ان يصدر من ابنه غير الموهوب. وفي القرن السابق كانت هنالك وجهة نظر متطرفة تبناها (صومائيل بيبز). اذ اعتقد ان (الليلة الثانية عشرة)

مسرحية سخيفة وقال عن مسرحية (حلم ليلة صيف): «اسخف المسرحيات التي شاهدتها في حياتي»، في حين اعتبر شكسبير في منتصف القرن الثامن عشر رمزاً للعبقرية وان شعره وحتى الضعيف منه غير قابل للتقيد. وفي عام ١٨٤٨ نشر (جوزيف. س. هارت) المستشار الأمريكي في فيراكروز كتاباً عن «عاطفة اليخت» قال فيه: «آه شكسبير، من تكون انت ايها المؤلف الخالد؟». ويقترح (هارت) في الصفحات الخمس والثلاثين التالية نظرية مفادها ان (عمثل ستراتفورد) كان مجرد كاتباً مأجوراً قد ادخل ابيات شعر داعرة في مسرحيات كتبها شعراء محرومون. كما نشر وليم هنري سمث كتاب بيكون - شكسبير يشير فيه الى ان بيكون هو مؤلف المسرحيات لانه يمتلك كل المقومات الضرورية التي تؤهله لذلك. وكانت تويده في ذلك سيدة امريكية جميلة وجذابة تدعى (ديليا بيكون) التي بدأت حياتها كمدرسة ثم اصبحت مؤلفة ومحاضرة. كانت محاضراتها تتناول بشكل خاص التاريخ والأدب. ان دراستها لشكسبير قد اقنعتها - للأسباب التي ناقشناها توأ - ان عمثل ستراتفورد المتقاعد على الأرجح لم يكن هو كاتب المسرحيات. وارتأت ان الدليل الذي يثبت ان بيكون هو المؤلف الحقيقي يكمن في انكلترا وفي القبر نفسه ربما. حظيت على مؤازرة (والف والدو امرسون) البستاني و (شارلس بتلر) صاحب مصرف نيويورك المعجب ببيكون فأبحرت في ربيع عام ١٨٥٣ الى انكلترا حيث سهل لها (ايمرسون) الوصول الى (كارليل) الذي سهل لها هو و (ناتانيل) الاتصال بـ (هاوثورن) المستشار الأمريكي في ليفربول. ثم قضت ثلاث سنوات في تأليف كتابها لتثبت ان بيكون هو شكسبير. لكن الناشران (جايمان) و(هول) رفضا بشكل قاطع المساهمة في هجوم على واحد من اكثر معتقدات الأمة او الأمم رسوخاً. وهذه العبارة تبين التعصب الأعمى الذي اصبح نموذجاً لوجهة نظر الانجليز حيال شكسبير. ثم انتقلت الى ستراتفورد حيث قبر بيكون، وسمح لها بقضاء بعض الوقت في الكنيسة المقلدة التي تضم رفات بيكون، لكن الشجاعة خانتها في اللحظة الأخيرة

او ربما كانت مرتبطة لمجرد فكرة خلع الأرضية وحفر سبعة عشر قدماً أسفلها وهو العمق المعتقد للقبر. قدمت (دليا باكون) عام ١٨٥٧ كتاب (فلسفة مسرحيات شكسبير) الغامضة (فدفع هاوثورن ثمن ذلك اذ انها تخاضعت معه). ولكنه كان كتاباً محيراً إذ لم توضح ان شكها ينصب في (بيكون) او (ريل سبنسر) او (اريل اوكسفورد). كانت اقتراضاتها واهية بشكل واضح وهي ان مجموعة من الطلبة المشابرين قد لفقوا المسرحيات واستعانوا بممثل ستراتفورد كواجهة للتعبير عن الادانات التي قادت الى السجن والتعذيب. ونتيجة لذلك وجهت لها انتقادات شديدة ولاذعة فتدهورت صحتها بعد عدة سنوات وحمل تفكيرها الى أن وجدها ابن اختها في ملجأ المجاديف واقتادها الى نيوانكلاند وماتت وهي تناهز الثامنة والاربعين. كان نجاح (دليا باكون) كبيراً، وإن لم تعش لثراه. لقد اثارت قضية مؤلفات شكسبير التي تبناها الان الكثيرون منهم (ايمرسون)، و (ايتيان) و(اوليفر) و (بندل هولز) و (هنري جيمس)، بل حتى رئيس وزراء انكلترا اللورد بالمستون تبنى هذه القضية عندما قرأ كتاب (وليم هنري سمث). كشف النقاد عام ١٨٦٧ عن اكثر الأدلة اقناعاً واهمية فيما يتعلق ببيكون وشكسبير فلقد صادف امين المكتبة الذي خوله دوق نورثمبرلاند لفحص مخطوطات في دار نورثمبرلاند اوراقاً تضم اثنين وعشرين جدولاً مزدوجاً ومطويماً. كانت تبدو انها تعود لـ (فرانسيس بيكون) اذ انها تضم نسخاً كثيرة من الأعمال التي كتبها.

فالغلاف الذي يشير الى السير (فرانسيس بيكون) يحتوي ايضاً على كلمة (نيفل) كتبت مرتين في الأعلى واسفل منها (نيفيل فيلس) وهو شعار عائلة ابن اخت (بيكون) السير (هنري نيفل). تحوي المخطوطة جدولين مختلفين وربما تعود المنسوخة منها لـ(بيكون) اما الغلاف فيحوي قائمة تبدو انها فهرس اذ انها تشير الى عدد من الأجزاء الموجودة فعلاً في الكتاب مثل اربع مقالات لـ(بيكون) و(فيلب) ضد السيدة وهي رسالة من (السير فيلب) يمنع فيها زواج الملكة من

دوق الأنكو وخطب اللورد (اسيكس) في التابلت - وهي خطب كتبها (بيكون) (الأيرك اسيكس) و(لوستر كومنتولت) وهي نسخة غير كاملة للسير (كومنتولت).

كما يشير الغلاف الى فقرات لم تكن موجودة في الكتاب منها المسرحية المحظورة (جزيرة الكتاب) و (ريتشارد الثاني) و (ريتشارد الثالث) والى الأعلى مباشرة (السير فرانسيس وليم شكسبير). إن هذا الدليل يبدو قليل الأهمية في الوهلة الأولى. ف (ريتشارد الثاني) كانت مسرحية جريئة، وربما منعت فعلاً وارغم شكسبير على حذف بعض الأبيات من الطبعة الأولى لعام ١٥٩٧ (وهو ارجح تأريخ لمخطوطة نور ثمبرلاند). وعندما تمرد (اسكس) عام ١٦٠١ دفع ثمن العرض الخاص لـ(ريتشارد الثاني) ظناً منه أن مسرحية حول ملك مخلوع من شأنها ان تحفز اللندنيين على الانضمام لتمرده (لقد كانت محاولة عقيمة). الى أن اعيدت الأبيات الجريئة حول الملك المخلوع في الطبعة التالية إبان وفاة الملكة اليزابيث. أما مسرحية ريتشارد الثالث فإنها تتعلق بنفس الموضوع الحساس وربما كان مشكوكاً فيها. كان من واجب (بيكون) بأعتباره المستشار الخاص والقانوني للملكة (اليزابيث) دراسة الأعمال الحساسة وكذلك دراسة عمل الدكتور (هيوارد) حول (ريتشارد الثاني) الذي اثار سخط الملكة اليزابيث حتى أنها اتهمته بالخيانة العظمى. ولكن (بيكون) اخبر الملكة ان كتابه لا يتضمن اي اذى لها. انا نفترض ان كتاب نورنمبرلاند يحتوي اصلاً على اعمال ممنوعة عديدة طلب من بيكون اسداء الرأي بشأنها. ان نظرة ادق على الغلاف تبين ان اسم (السيد فرانسيس بيكون) و (السيد فرانسيس) قد رسم بصورة غير واعية مرات عديدة ربما كتبها بيكون بنفسه كما أن لقب بيكون كتب مباشرة اسفل (السيد فرانسيس) حيث كتبت عبارة (فخامتكم) من الأعلى الى الأسفل بينهما (وليم شكسبير) قد كتبت مباشرة فوق عنواني مسرحيته الامر الذي يوضح انها تشير اليه. وما يؤسف له ان مخطوطة نور ثمبرلاند قد اهلكت كبرهان على ان ثمة تقارباً كبيراً

بين (بيكون) و (شكسبير) اكبر مما هو مفترض بصورة عامة وكل هذا يثبت ان بيكون قد اطلع على (ريتشارد الثاني) و (ريتشارد الثالث) في مجرى عمله كمستشار للملكة.

بعد كتاب (دليا بيكون) بأحدى وثلاثين سنة ظهر اكثر اعمال المنشقين لشكسبير تأثيراً وهو كتاب (رمز فرانسس بيكون في مايسمى مسرحيات شكسبير) (لاكناشيوس دونيللي). و(دونيللي) هو احد رجال الكونغرس الامريكى والمشهور بكتابه (الأطلنطس) والموسوم (عالم ما بعد الطوفان) الذي مازال يعد مصدراً للذين يؤمنون بوجود قارة افلاطون الغارقة، والذي أراد أن يبرهن في جزئيه أن بيكون حاول أن يخفي أسلوبه بشكل مفتعل ورمزي لتشير الى أنها من تأليفه هو لا شكسبير.

وبعد سنوات من دراسة دقيقة للمسرحيات ومحاولة إيجاد اي مفتاح ممكن للرمز لاحظ وجود رسائل غامضة. لقد اهم هذا الكتاب الاف المهوسين للبحث عن موضوع (شكسبير) والكتاب الاخرين وحفز قليلاً من المهويين والنقاد ليبرهنوا أن جملاً كثيرة يمكن اعادة صياغتها ثانية بشكل رسائل رائعة، فلقد كتب (رونالد نوكس) مقالة رائعة مبرهنناً هذه الطريقة ان الملكة (فكتوريا) كانت مؤلفة كتاب (في الذاكرة). لقد ادرك الدكتور (اورفيل اون) من ديترويت ان (بيكون) قد أخفى هويته الأدبية في رموز شتى وترتيبات خاصة، فاقبس رسالة مطولة من الشعر المرسل من أحد المسرحيات ووجد انها قد: أجبرته على تمييز اعمال شكسبير عن أعمال بيكون في صفحات منفصلة والصقها حول اطار عجلة. ومن خلال استنتاج معقد ولكن معقول انتزع شعراً اكبر من النص الممزق واستخدمه لاستنباط معلومات مهمة، مثل ان بيكون كان حقاً ابن الملكة (اليزابيث) وعشيقها (ايرل ليستر) وان (هاملت) كتبت كهجوم شخصي ضد امه التي انتقمت بأرسالها (بيكون) الى المنفى في فرنسا.

كشفت الرمز ايضاً انها قد شنت على يد رئيس الوزراء (روبرت سيل). وهكذا ايضاً (اون) من المواد التي لاحتوي رموزاً ان (بيكون) قد اخفى مخطوطات تثبت تأليفه لها في صناديق مختلفة بالقرب من قلعة في ملتقى نهري (سيفيرن). بعد ذلك قضى اون واتباعه المخلصون خمسة عشر عاماً في البحث في ريف منطقة الجبستو، حيث كانت هناك قلعة مهجورة، وحفروا العديد من الحفر والخنادق حول القلعة واسفل نهر (الواي)، بيد انهم في نهاية المطاف استلموا للهزيمة. كما استأجر فريق آخر زوارق لنقلهم اعلى واسفل النهر بحثاً عن المخطوطات المخفية التي ستقودهم الى الغرف السرية. يبدو هذا كله للطلبة النظريين امراً مضحكاً للغاية اما الذين انفقوا اموالهم وحياتهم في هذه المحاولة البائسة فقد تجرعوا مرارة المأساة. وفي الحقيقة ان قراءة سريعة لسيرة حياة فرانس بيكون توضح استبعاد احتمال كتابته لمسرحيات شكسبير بسبب التباين الكبير بين الشخصين فمؤلف (حلم ليلة صيف) و (الليلة الثانية عشرة) شخص لطيف وحسن الطباع. لقد كان أصدقاء شكسبير يتأذون (السيد شكسبير) في حين لم يدع احد بيكون سيذاً. كان بيكون ذا ذكاء مفرط وغير راض على الدوام عن نفسه وعن نصيبه في الحياة، وكان طموحاً بشكل عنيف، فما فتى يردد: (السلطة السياسية هي مرامي، سلطة على الرجال والأمور) لقد كان حذراً وقاسياً. وأمن ان الرجال التاجحين يجب ان يتعلموا كيف يشغلوا اصدقائهم باكتشاف عيوبهم. لقد مات ابوه دون أن يذكر له شيئاً في وصيته، فوجد نفسه مدقعا في التاسعة عشرة لا يملك شروى نقير، اما عمه اللورد بيركلي (وليم سيل) فكان امين صندوق وكان من السهل عليه تقديم ترقية لابن اخيه ولكنه آثر مساعدة ابنه (روبرت). وعندما اصبح (بيكون) محامياً تقرب الى الملكة والى (ايرل اسكس) المتنفذ والجريء. وبواسطة التملق حظي بصداقة ايرل فحظي منه ببعض المال، لكن (بيكون) كان مبدراً فحاول جاهدا اقناع الملكة أن تمنحه مناصب شتى. ولما تجاهلته الملكة لصالح مرشح اخر هذأ (اسكس) من خيبة

امله فممنحه املاكاً واسعة. استولى (اسكس) على كاديذ عام ١٥٩٦ واصبح من اكثر الأنكليز شعبية، لكن يبدو أن (بيكون) قد بدأ ينافسه. ولما دحر اسكس سياسياً بعد الحملة الفاشلة على الأيرلنديين، اراد اثاره التمرد فألقي القبض عليه وادع للمحاكمة عندها ادرك الجميع انه كان مذنباً بسبب المزاج الحاد وليست الرغبة في الاطاحة بالحكم، وبدا مرجحاً ان المحكمة لن تحكم عليه بحكم شاق. في هذه القضية غدر (بيكون) بصديقه، فرجه للملكة خطاباً مليئاً بالمشاعر الجياشة، ويتهم فيه (اسكس) بالخيانة واعلن انه (كصديق) يعرف ان (اسكس) كان يروم العرش. ولذلك حكم على (اسكس) بالأعدام ثم سرعان ما نفذ. انه لمن التعذر تبرئة (بيكون) فقد فعل ذلك لينال استحسان الملكة ويعزز منصبه، فكان ثمن ارسال (اسكس) للمقصلة ١٢٠٠ باوند وهذا المبلغ كان ادنى من طموحه فأنترعت الملكة (اليزابيث) ثقتها منه. وبعد وفاة اليزابيث بدأ (بيكون) يتقرب من (جيمس الاول) ونجح في مسعاه ذلك، إذ منح لقب (السنارس) واصبح نائباً عاماً سنة ١٦١٣، بعد ذلك بخمس سنوات بلغ قمة طموحه عندما حظي بلقب (النيل) واصبح رئيس القضاة. بعد ذلك بثلاث سنوات اتهم بقبول الرشاوي واعترف بذنبه فجرد من منصبه ودفع غرامة قدرها ٤٠,٠٠٠ جنيه استرليني وكرس ما تبقى من حياته للتأليف. كان (بيكون) شخصية محيرة، مزيجاً من العظمة والتفاهة. بل كان اكثر الرجال ذكاءً في وقته او بعبارة اخرى ابغضهم.

من الصعب جداً فهم شخصية تختلف كامل الاختلاف عن شكسبير. فالكاتب المسرحي يمتلك مسحة من العبقرية فكانت كتاباته طبيعية وتلقائية. اما التشاؤم الذي ينغمس فيه دائماً فهو تشاؤم طفل فقد لعبته المفضلة وليست بالسخرية الكثيرة لفكر نير يحاول التغلب على رغباته الخاصة. انه لمن المتعذر حقاً أن يكون هو الذي كتب مسرحيات شكسبير فلو ان (شكوفنهور) لم يكتب

(ليس في بلاد العجائب) لكان (بيكون) اول المرشحين لكتابتها. في عام ١٨٩١ كتب الأرشيفي (جيمس كرين ستريت) سلسلة من المقالات عن علم الأنساب يبين فيها ان (شكشير) كان (وليم ستانلي)، ايرل وربي، وذكر أن هناك جاسوساً يسوعياً أخبر مراسلاً أوروبياً عام ١٥٩٩ ان (ايرل) لن يشترك في المؤامرة المدبرة ضد الملكة لانه منشغل بكتابة مسرحيات كوميدية لممثلين معروفين. مات (كرين ستريت) بعد نشره المقالات مباشرة، وماتت معه نظريته الى أن احيائها الامريكى (روبرت فريز) بعد خمسة عشر عاماً في كتاب اسماه (شكشير الأخرس).

ومن المناصرين لهذه النظرية البروفسور (ابل ليفرانك) الذي كتب اربعة مجلدات ضخمة هدفها اثبات ان شكشير كان متعاطفاً مع فرنسا والفرنسيين.

اصبح الكاتب المسرحي (كرستوفر مارلو) مرشحاً آخر وتقدم عام ١٨٩٥ برواية (كان هذا مارلو) من تأليف (وليم ج. زكلار) المدعي العام لولاية سان فرانسيسكو. لقد أعادت هذه الرواية، برغم أنها لم تحمل محمل الجسد باديء الأمر، النظرية الى الوجود ثانية عندما احيائها الطالب الامريكى (كالفن هوفمان) في (مقتل رجل اسمه شكشير). واصبح (مارلو) معروفاً بمسرحيته الأولى (التامر لين) عام ١٥٧٨ عندما كان عمره ٢٣ عاماً ويرجح انه تعاون مع شكشير في (هنري السادس) حتى اغتيل عام ١٥٩٣ في شجار حول ما بذمته لحساب الحانة واخلي سبيل قاتله. كان السير (توماس ولستغهام) الحامي القوي لـ(مارلو) وابن عم (فرانسيس ولستغهام) كبير جواسيس الملكة، وكان من المقرر تقديم (مارلو) للمحاكمة واعدامه. تبين نظرية (هوفمان) ان (مارلو) قد فر الى اوربا وقتل رجلاً اخرأ، ولكنه استمر في كتابة مسرحياته عن شكشير. ان القضية الرئيسية التي يطرحها هي ان طريقة التحليل التي ابتكرها الدكتور (توماس كورون بورتبول) والتي تتطلب حسابة معدل نسبة عدد الحروف الى كلمات المؤلف، اوضحت ان ليس باستطاعة (بيكون) كتابة اعمال شكشير ولكن

بأستطاعة (مارلو) ذلك. ان قراءة ثانية لاعماله تكشف اختلافاً كبيراً في شخصيتيهما ومن الاختلافات الرئيسية ان (مارلو) شاذ جنسياً بينما لم يكن شكشير كذلك. كما اشار أحد الطلاب الذين يدرسون شكشير اسمه الدكتور (أ-ال-راوز)، ان من الاختلافات الرئيسية بين شكشير و(مارلو) ان شكشير مولع بالنكات والمزاح البذيء، بينما يبدو (مارلو) متحشماً كعادة الشاذين جنسياً. وفي الحقيقة لا تساعد هذه الملاحظة (كالفن هوفمان) كثيراً. وفي حوالي عام ١٩١٤ اقتنع مدير مدرسة ابتدائية يدعى (جون توماس لوني) ان ممثل سترانفورد لم يكتب المسرحيات بنفسه وشرع بأبحاث منسقة لكتاب العهد الأكريشي الذين يمتلكون المؤهلات المطلوبة مستنبطاً شخصية المؤلف من عمله. اعد قائمة هذه المؤهلات تضم سبعة عشر كاتباً.

كما استنتج عام ١٩٢٠ ان (ادوارد دي فير) ايرل اكسفورد السابع عشر هو الشخص الوحيد الذي يلائم هذه المتطلبات. واتفق ان كتابه (هوية شكشير) تمتع كما لو كان قصة بوليسية وان اسمه الذي لاينم عن ثراء قد حال دون ان يحمله العامة محمل الجدد. (اما الكتاب الآخرون عن قضية شكشير فهم (س.اي. سيليا) الذي يؤيد قضية (مارلو) و(جورج) باتي الذي كان يفترض ان شكشير كان دانيال ديفو). وعلى الرغم من ان هذا الكتاب قد اهمل بسرعة فقد تولى طالب آخر النظرية وهو (شارلتون اكبيرن) في كتاب ضخم ولكن سلس الاسلوب نشر عام ١٩٨٤ بعنوان (وليم شكشير اللغز) وعلى الرغم من ان (اكبيرن) يجادل بشكل مقنع ان اكسفورد كان شاعراً هجائياً جيداً فإنه تولى مهمة شبه مستحيلة في اقناع القاري ان المسرحيات الاخيرة مثل (حكاية الخريف) و(الملك لير) و (العاطفة) قد كتبت قبل عام ١٦٠٤ السنة التي مات فيها اكسفورد. تغلب (لوني) على هذه المشكلة عندما اقترح ان هذه المسرحيات قد كتبها اناس آخرون. (فرالي) هو مؤلف (العاصفة) و (ليشر) هو مؤلف (هنري

الشامن) في حين يجادل (اكبيرن) ان هذه المسرحيات كتبت بوقت يسبق كثيراً ما كان يعتقد، لكن هذا الجدال شأنه شأن جدال (لوتلي)، لا يقنع الكثير من الناس. واحدى المشكلات البسيطة لدراسة شكسبير هي هوية سيدة تدعى (ان ووتلي) التي كان من المقرر ان يتزوجها في تشرين الثاني نوفمبر ١٥٨٢ طبقاً لما ورد في سجل اسقف (وور ستر) واصدرت اجازة زواج لوليم شكسبير قبل زواجه من (ان هاثوي). وقد تكون (ووتلي) غلطة قلم ارتكبها كاتب الكنيسة ولكن اليس من الواجب عليه ان يكتب معبد (شوتري) عندما كتب (معبد كرافتون)؟ يقول السير (سدني لي): (كان هذا دون شك واحداً من الكثيرين الذين يحملون اسم وليم شكسبير والذين تعج بهم اسقفية دور ستر). لقد خالفه في هذا الرأي (وليم روز) المعماري الاسكتلندي الذي آمن ان (آن) كانت المؤلفة الحقيقية لمسرحيات شكسبير. وفي قصة (ان ووتلي) ووليم شكسبير يفصح روز عام ١٩٧٩ عن قصة مؤثرة، كيف عمل شكسبير ذو السبعة عشر عاماً عمل والده وكيف دعي لزيارة الدير في معبد (كرافتون) بالقرب من ستراتفورد وتعرف الى راهبة تدعى (آن ووتلي) التي احبته. ثم بدأت بكتابة (السونيتات) له وعندما منحته اثنين وثلاثين (سونيته)، اعترف الشاب بانه كان على علاقة حب مع امرأة كبيرة هي (آنا هاثلي). بدأ شكسبير بالتهرب من (آنا هاثلي) عندما اصبحت حاملاً واقنع (آن ووتلي) للزواج منه بيد ان عائلة (هاثلي) اوقفوه واتخذوا اجراءات قانونية ترغمه على الزواج من آنا التي شعرت بقلق من حب (آن ووتلي) ذلك الطراز المتناقض من الحب.

لكن كيف تسنى لفنائة قضت حياتها في دير للراهبات ان تغدو كاتبة رائعة؟ يجيب (روز) على ذلك انها كانت ايضا مع (ارموند سبنسر) اكبر شعراء ذلك الوقت. التقى (بآنا واتلي) عام ١٥٧٦ عندما كان شكسبير في الثانية عشرة ووقع في غرامها. يقول (روز) ان اولى قصائد (سبنسر) المهمة ظهرت بعد ذلك بثلاث

سنوات وان احتمال مشاركتها له فيها غير محتمل. ثم بدأت بكتابة افضل اعمال سنبر (ملكة القاريء) وكتبت لـ(مارلو) (البطل والليندر) وفي الحقيقة ان دراسة لاعمال (مارلو) تين ان (آنا واتلي) هي المؤلف الحقيقي. كانت هذه المسرحيات محاولات تمهيدية كتبتها في الوقت الذي كان أسلوبها المسرحي يزداد براعة. ان انجازها الكامل كفنانه مبدعة كان يعود لشكسبير وحده وان السؤال حول مسؤوليتها عن الايات الداعرة لم يكشف بعد واننا قد نفترض ان هذه اللمسات المألوفة قد اضافها ممثل ستراتفورد. وربما يعترى قاريء (آنا واتلي) ووليم شكسبير شك مفاجيء ان المؤلف يحظى بتصديق القاريء وان الكتاب مصمم لهجاء الصناعة المقارنة لشكسبير برمتها، ولكن هذا أمر ضعيف السند، ثم ان (وليم روز) قدم للكاتب المعاصر كتاباً عام ١٩٦٣ عندما كان عمره اثنين وسبعين عاما وكان من الواضح تماما من رسائله المرفقة انه صادق تمام الصدق في بحثه وانه كان يعمل بمواظبة منذ نشر كتابه عام ١٩٣٩ في نظريته ويحاول ادخال الكثير من الشواهد. من الواضح ايضا انه لم يصل الى قناعة ان الاساليب المختلفة لـ(ملكة القاريء) و (البطل والليندر) و (الملك لير) تشير الى ثلاثة كتاب مختلفين. يبدو هذا مشكلة عويصة لاکثر المناوئين لشكسبير لانهم يتحفظون المشكلة من عدسة مكبرة ولا يستطيعون ان يميزوا الخشب من الشجر. إذ يفترق اكثرهم للقدرة على النقد الادبي فلا يستطيعون ان يميزوا مليح الشعر من قبيحه واكثرهم مقنعون جيدون لصفحات قلائل من وجهات نظرهم ولكن كامل الجدل اقل تأثيرا من بعض اجزائه. لم يظهر (بيكون) و (دروي) و (اكسفورد) و(مارلو) وحتى (آنا واتلي) بصورة اكثر اقناعا من ممثل ستراتفورد ولكن ما نقول عن هذا الممثل؟

لتسهيل هذا الامر لا يبدو مرجحا ان رجلا كان والده اميا واطفاله اميين والذي كان لا يكثرث للاحتفاظ بنسخ من كتبه الخاصة في بيته قد كتب هاملت

وعطيل . اننا لا نرفض بقية المرشحين علماً انهم تافهون ولكننا نجد انفسنا في
نهاية كل يوم وجهها لوجه مع نفس المشكلات التي حيرت (جيمس ولوت)
المبجل عن كاتب المسرحيات والسونينات . انه لم يكن وليم شكسبير.

احتراق البشر تلقائياً

كانت امية الاحد الاول من تموز (يوليو) عام ١٩٥١ حارة لافحة في شارع بيترسبرغ في فلوريدا. شعرت السيدة (ماري ريزر) ذات السبع والسبعين عاماً ببعض الاكتئاب فجلست على كرسي فخم واشعلت سيكارا. لم تبد اية رغبة في الذهاب الى سريرها عندما اقبلت اليها السيدة (بانسي كارنتر) مالكة الارض في الساعة التاسعة لتسعى لها امية طيبة. وفي الساعة الخامسة من صباح اليوم التالي استيقظت السيدة (كارنتر) على رائحة دخان تملأ الأرجاء فعمضت الى الكراج واحكمت غلق مجاري المياه لانها كانت تعتقد ان الرائحة بسبب تسخينها. ثم استيقظت ثانية في الساعة التاسعة صباحاً عندما قدم صبي يحمل تلغرافاً يخص السيدة (ريزر) فوقعت عليه وحلته اليها. ولما أمسكت الباب فزعزت لما وجدت ان مصراع الباب كان ساخناً فصرخت، فهرع رجلان كانا يعملان عبر الشارع لتجديتها. وضع احدهم قطعة قماش على عقدة الباب فصعقت وجهة موجة هواء ساخن. حالما فتحه بدا المكان فارغاً ولم يلاحظوا اول الامر اي اثر للحريق. شاهدوا بعدئذ دائرة مسودة على السجادة حيث انتصب الكرسي وبقيت لوالب قليلة في منتصفها جمجمة انسان محترقة بقدر حجم كرة اليد وان جزءاً من الكبد قد التصق بالعمود الفقري وثمة قدم مغطاة بالمتزلق السميك وقد احترقت حتى كاحلها.

كانت السيدة (ريزر) ضحية لظاهرة محيرة تدعى (احتراق البشر تلقائياً) وثمة مئات من الحالات المسجلة. يؤكد الدكتور (س. أ. سمث) و (ف. س. فيدر) في كتاب الطب الشرعي، «لا يمكن حدوث الاحتراق التلقائي للبشر وما من هدف جيد يخدم مناقشة ذلك». ان هذا نموذج للتفكير التأملّي الذي يلجأ اليه الاطباء عندما يواجهون حقيقة تكمن خارج نطاق خبرتهم. وبفرض الطريقة نفى

الكيميائي الكبير لافوازيه امكانية وجود الاحجار النيزكية . ان مثال السيدة (ريزر) هذا لجدير بالاهتمام لان البروفسور (جون نويلر) اشار اليه في كتابه «العلم وما وراء الطبيعة» وهذا الكتاب هدفه الرئيس كشف الزيف عن بعض الأحداث الميتافيزيقية التي تنافي العقل والمنطق كما اعلن البروفسور (تويلر) عندما اقر بان هنالك حالات تبدو صحيحة جدا من الجانب العقلاي وضرب مثلاً على ذلك قضية السيدة (ريزر). بعد ذلك بتسع وعشرين عاما في تشرين الاول (اكتوبر) من عام ١٩٨٠ لوحظت حالة اخرى في الاحياء الغريبة عندما كانت الملاحظة (جينيا وتجمتر) تقود سيارتها مع صديقتها (لينولي سكوت) على طول الخط البحري في جاكسونفيل في فلوريدا. وفجأة استحالت (جينيا) نيرانا صفراء وصرخت «اخرجوني من هنا». فحاولت صديقتها اخاد النيران بكلتا يديها. عندما فحصت (جينيا) وجد ان ٢٠٪ من جسدها قد اصابته الحروق ولكنها بقيت على قيد الحياة. ان كتاب (ميشيل هاريسون) عن الاحتراق التلقائي «هب من السماء» (١٩٧٦) يثير الكثير من القضايا ويوضح ان اللغز الرئيس للاحتراق التلقائي انه نادرا ما يتشر وراء الشخص المعني. وفي عام ١٧٢٥ تم العثور في الرايم على (نيكول ميلست) زوجة مالك اراضي منطقة اللوين دي اور وهي محترقة في كرسي سليم واتهم زوجها بتدبير عملية القتل.

بيد ان الجراح الشاب (كلور نيكولاس لي كات) نجح في اقناع المحكمة ان احتراقا تلقائيا قد حصل واخلي سراح (ميلت) وكان حكم المحلفين ان زوجته قتلها «عقاب الله». اثارت هذه القضية فضول رجل فرنسي يدعى (جوناس دويونت) فجمع كل الادلة التي عشر عليها عن الاحتراق التلقائي ونشرها في كتاب طبع في ليدن عام ١٧٦٣. ثم وقعت حالة مماثلة في تلك الفترة تتعلق بالكونتيسة (كورنيلا ديياندي) في سيزينا ذات الالفين وسبعين عاما حيث عثرت عليها خادمتها محترقة في ارضية غرفة نومها. كان راسها نصف محترق ومضطجعا

بين ساقبها ذات الجواريب التي لم يمسه شيء، اما بقية جسدها فقد امتحان
رمادا والهواء كان ملوثا بالسخام. لكن السرير لم يتضرر والشراشف قد نحتت
الى الخلف كما لو انها استيقظت -ربما لفتح النافذة- واحترقت بسرعة عندما
وقفت فوق الرأس بين القدمين. لم تكن الكونيتيسة مدمنة للشراب على النقيض
من زوجة (ميلت) صاحب الحانة. (من اكثر النظريات شيوعا للاحتراق التلقائي
في تلك الفترة انها بسبب الكميات الكبيرة من الكحول في الجسم).

استخدم روائيو القرن التاسع عشر الاحتراق التلقائي للتخلص من
الشخصيات غير المرغوب فيها. استعان الكابتن (ماريات) بتفاصيل من تقرير
التايمة لعام ١٨٣٢ ليصف الطريقة التي لقيت فيها والدة البطل «جاكوب
الامين» حتفها (في رواية تحمل نفس الاسم) فقد تحولت الى كتلة من الفحم بعد
ذلك بعشرين عاما. وفي عام ١٨٥٢ وضع ديكنز نهاية لـ(كروك) التاجر السكير
في رواية «بيت بليك» بواسطة الاحتراق التلقائي فاستحال كروك الى كومة تماثل
خشباً محترقا. اختلف (ه.ج. ويلز) و (جورج بيوت) مع (ديكنز) حول قضية
الاحتراق التلقائي واعلن ان هذا الامر متعذر لذا يناقض (ديكنز) (لويز) في
مقدمة كتاب «بيت بليك» ويستشهد بثلاثين مقالا من تقارير الصحف. يقول
(ارثر بي. هيوارد) في مقالة عن (كروك) في موسوعة (ديكنز) (١٩٢٤): «ان
امكانية احتراق البشر تلقائيا قد اثبت فشلها مؤخرا». بيد انه يفشل في تفسير
سالم يبرهنه الخبراء. يجمع كتاب (هارسون) ثمار العديد من الدراسات ولا يدع
اي مجال للشك حول واقعية الاحتراق التلقائي ولكن مالذي يسببها؟

يجب الاعتراف الان ان هذه الظاهرة تحير الاطباء والعلماء ولكن هارسون
يعرض بعض الادلة المفيدة ويتكلم عن ابحاث طبيب امريكي يدعى (د. كو)
الذي كان مهتما بموضوع (ما وراء العقل). كان (كو) قادرا على تحريك الواح
المنيوم تتركز على محور ابرة عند تحريكه ليده فوق هذه الالواح ويعتقد ان ذلك

يفسر بسبب الفيزياء المغناطيسية. مارس (كو) العديد من تمارين اليوغا في محاولة لتطوير كهربائيته الحيوية فجلس ذات يوم على كرسي اعتيادي واحس بتيار كهربائي يمر من رأسه مخترقا جسمه اعتقد انه ذات قوة كهربائية كبيرة وامبيرية واطئة، ثم علق في السقف صندوقا كارتونيا فاستطاع ان يحركه عن بعد عندما تكون الغرفة خالية من الهواء مسافة ثمانية اقدام. شحن جسمه بعدئذ بشحنة ٣٥٠٠ فولت من التيار المتناوب مستخدما تيارا كهربائيا فاستطاع ان يحرك الصندوق بنفس الاسلوب. هذا الامر كان يعني انه يولد تيارا كبير الفولتية بواسطة تمارينه البدنية. حلق ايضا بطائرة على ارتفاع ٢١ الف قدم حيث كان الهواء جافا تماما واستطاع توليد شرارات كهربائية بعد ان شحن جسمه ب ٣٥,٠٠٠ فولت. افترض (كو) ان ذلك يفسر ظاهرة الارتفاع عن الارض بدون قوة، عندما يرتفع جسم لاعب (اليوغا) عن الارض حيث تواجه شحنة الانسان السالبة شحنة الأرض الموجبة. يثير هارسون ايضا حالات البطاريات البشرية، والناس المغنطين (عادة الاطفال) الذين تنامت فيهم قوة كهربائية كبيرة. ففي عام ١٨٧٧ تحولت كارلوين كلير من اوتايرو في لندن الى مغناطيس بشري فنجذبت الاشياء المعدنية نحوها وولدت صدمة كهربائية قوية تعادل قوة عشرين رجلا مسكين بييد واحدة، ومن الجدير بالملاحظة أنها كانت تعاني من تأثيرات المراهقة ذلك الوقت. ولد (فرانك ماكستري) من جوبلن في ميزوري قوة مغناطيسية سببت التصاق قدمه بالأرض. وطورت (جينني مورغان) ذات الاربعة عشر عاما من سيد (اليافي ميزوري) عام ١٨٩٥ شحنة كافية لطرح امرأة بالغة على ظهرها. وعندما امسكت انبوا تطايرت منها شحنات من اطراف اصابعها. من الجدير بالذكر ان العديد من المراهقين الذين اصبحوا مركزا لتأثيرات الارواح الشريرة قد ولدوا خواصا مغناطيسية او كهربائية مشابهة، ففي عام ١٨٤٦ اصبحت فتاة فرنسية تدعى (اتكليك كوتن) طرازا من البطاريات الكهربائية البشرية فكانت الاشياء التي تلمسها تنفجر عنها بعنف وان الواح

البلوط الضخمة كانت تتهايل كلما اقتربت منها. من ناحية اخرى ولدت (ايستر كوكس) حقلاً مغناطيسياً جعلت سكاكين المائدة تنجذب اليها وتلتصق بسرعة. ان مايدو هو وجود نوعين من الشحنات السالبة والموجبة. يبين الدكتور ان خلية العضلة البشرية هي عبارة عن بطارية، وان الانج المكعب يمكن ان يولد ٤٠٠,٠٠٠ فولت (ان المكتشف نيقولا تيسلا اوضح ان الجسم البشري يستطيع الحصول على شحنة كهربائية كبيرة تكفي لاشعال انابيب النيون شريطة ان يبقى التيار واطناً). هذا الامر لا يرجح في تفسير الاحتراق التلقائي لان الفولتية العالية عادة لا تسبب الاحتراق بل الاميرية العالية هي التي تسبب ذلك.

ان ضحايا الاحتراق التلقائي عادة من الشباب والكبار، ففي ٢٧ اب (اغسطس) ١٩٣٨ كانت (فيلس نيو كومب) ترقص بنشاط في مدينة بلهب جيلمس فورد في اسكس فتوهج بدنها بلهب ازرق استحبال نيرانا وماتت في دقائق معدودة. وفي تشرين الاول (اكتوبر) من نفس السنة كانت فتاة تدعى (ماييل اندروز) ترقص مع صديقها (بيل كلفورد) في نادي سوهو الليلي عندما اندلعت النيران في مؤخرتها وصدرها وكاحلها. قال صديقها الذي اصابته جروح بليغة وهو يحاول اخاد النيران «الغرفة كانت خالية من النيران وانها اضرمت من الفتاة نفسها» ثم ماتت وهي في طريقها الى المستشفى. يبدو من المعقول لحالات كهذه ان الرقص يولد قوة من الكهربائية المستقرة. يشير (ميشيل هارسون) ان «الرقص الديني» تستخدمه القبائل البدائية لتوليد تأثير عاطفي في الاحتفالات الدينية ويبدو ان هذا ما حدث. يشير (ميشيل هارسون) ايضا الى بعض التأثيرات الجغرافية الدقيقة، ففي ١٣ اذار (مارس) ١٩٦٦ تعرض ثلاثة رجال الى احتراق تلقائي في نفس الوقت، فقد تحول (جون كريلي) الى فحمة قريباً من غربي (الاندابند) اما (جورج تيرنر) سائق الشاحنة فقد عثر عليه محترق

على اطار شاحته في ابسون-بي-جيستر- . وفي نيجيمجن في هولندا توفي (وليم بين بروك) ذو التسعة عشر عاما على اطار سيارته . وكالعادة لم تتضرر الاشياء المحيطة بالاشخاص الثلاثة لهذه الحالات . يشير هارسون الى أن الاشخاص الثلاثة كانوا على نقاط المثلث متساوي الاضلاع الذي جوانبه بطول ٣٤٠ ميل . ولكن هل من المعقول ان الارض نفسها تفرغ طاقتها على شكل مثلث؟ . قدم محلل اخر يدعى (لاري ارنولد) نظرية في مجلة (حدود العلم) (العدد الصادر في كانون الاول (ديسمبر ١٩٨٢) الى ما يسمى بـ (خطوط قوى الارض الحرجة) اشار مكتشف هذه الخطوط ، (الفريد واتكنز) ، الى تكرر هذه الخطوط في الاماكن التي تدعى (متوهجة) . افترض آخرون ان خطوط القبض للحجر المغناطيسي توضع في نقاط حرجة من هذه الخطوط . ومن المفيد ايضا ملاحظة كيف ان العديد من خطوط القبض تقترن بفكرة الرقص ، فمثلا (الميري ميدنز) كانت تعرف في كورنول في نستوننج بانها (رقصة العالقة) . ويظن ان الرقص الديني يزداد حدة في هذه الاماكن فيشتغل الراقصون الى حد ما مع طاقة الارض (او القوة الأرضية) . رسم (لاري ارنولد) العديد من خطوط القوى هذه على خارطة انكلترا ثم حاول أن يتأكد ما اذا كانت تقترن مع الحرائق الغامضة ، وادعى ان مرجا ناريا طوله ٤٠٠ ميل مر خلال خمسة مدن حيث حدثت عشر حالات احتراق غامضة . يشير ايضا الى العديد من حالات الاحتراق التلقائي منها اربع حالات حدثت بين عام ١٨٥٢ وعام ١٩٠٨ . يؤمن هارسون ان الاحتراق التلقائي هو بالاساس (مزيج بدني) حيث يؤثر الدماغ الى حد ما على الجسم لتوليد شحنات ضخمة .

انفجار كنتغاسكا العظيم

شاهد سكان نيزن-كالنسك، القرية الصغيرة في اواسط سيبيريا في الثلاثين من حزيران (يونيو) عام ١٩٠٨ شريطا ناريا ابيضاً مزرق لوحظ يهبط عموديا عبر السماء متجها صوب الشمال الغربي. كان يبدو أول الأمر كنتقطعة مضيئة لكنها ما لبثت أن اتسعت بشكل هائل خلال عشر دقائق حتى بدت كأنها شطرت السماء نصفين، وعندما اصطدمت بالارض انفجرت مكونة غيمة هائلة من الدخان الاسود اعقب ذلك بثوان دوي انفجار هائل هز البنايات بعنف. ركع الناس هلعاً، طناً منهم ان ذلك كان ايدانا بحلول يوم القيامة، ورد الفعل هذا لم يكن مضحكاً تماماً لانهم في الحقيقة قد شاهدوا بأم أعينهم اعظم كارثة طبيعية في تاريخ الأرض. ولو صادف ان الجسم الذي سبب مايسمى ب «انفجار سيبيريا العظيم» وصل بساعات قلائل قبيل او بعيد وقت الانفجار لكان اصاب المناطق المكتظة بالسكان مسبباً ملايين الضحايا. اتضح فيما بعد ان قرية نيزن-كارلنسك ابعد اكثر من ٢٠٠ ميل عن «نقطة الاصطدام» وان الانفجار كان يكفي لاقتلاع الصخور الكبيرة.

اوقف القطار السريع المار عبر سيبيريا اذ ايقن سائقه انه انحرف عن خط سيره، و اشارت أجهزة الرصد الزلزالي في مدينة اركنسك الى حدوث ارتباك في قياس الهزات الارضية. في الوقت الذي كان فيه القطار والمدينة يبعدان اكثر من ٨٠٠ ميل من موقع الانفجار. معها يكن الذي اصاب منطقة (كنتغاسكا) فأن مناطق الغابات في سيبيريا قد تعرضت لقوة انفجار يتعدى تخيلها. إذ طافت موجة الانفجار مرتين قبل ان تتلاشى وان تأثيرها العام على الجو في النصف الشمالي كان هائلا جدا. إذ اصبح من السهل جدا ايام حزيران (يونيو) المتبقية

قراءة الحروف الصغيرة المطبوعة في صحيفة التايمز اللندنية في منتصف الليل .
وثمة صور التقطت لستوكهولم في الساعة الواحدة صباحا بدون مصادر إنارة
صناعية وصور لمدينة ناتروشات السوفيتية اخذت في منتصف الليل تماثل ظهيرة
صيف مشرقه . شهد العالم لشهور عدة حالات خاصة من الفجر والغروب
كانت غير طبيعية كتلك التي اعقبت انفجار (كراكاتوا) عام ١٨٨٣ . وبسبب
هذا وبسبب التقارير المختلفة لتشكيلات غيوم غير اعتيادية لاكثر من فترة شهر
لاحقة يمكن أن نخمن ان الحادث اثار كثيرا من الغبار في الجو كالذي يرافق
الانفجارات البركانية العنيفة او الانفجارات الذرية .

الغريب في هذا الحادث عدم اكتراث الكثير له ، فقد نشرت تقارير عن
الجسم الساقط في الصحف السيريرية بشكل مقتضب وبدون تحليل . وراقب
علماء النيازك الجو الغريب دون ان يتوصل احد للسبب الحقيقي . وابعان الحرب
العالمية الاولى وبعد ان اطاحت الثورة الروسية - بالنظام القيصري وصلت
الاخبار الغربية ليوم حزيران (يونيو) الى عامة الشعب . وكجزء من خطة (لينين)
لوضع الاتحاد السوفيتي في ريادة العلم في العالم ، ارسلت اكااديمية العلوم
السوفيتية (ليونيد كولك) للتحقيق في أمر سقوط حجر نيزكي في الاراضي
السوفيتية . انكب (كولك) على دراسة تقارير مشوشة وغريبة ولم يستخلص منها
ما يرشده الى محل انفجار الجسم . وادعى البعض ان «الحجر النيزكي» قد عثر
عليه فيما بعد . قام (كولك) أولاً بجمع تقارير من شهود عيان ادرك من مجمل
البيانات المستخلصة ان ما انفجر في غابة كنفاسكا لم يكن مجرد حجر نيزكي .
وصفت هذه التقارير كيف انشقت الارض لتحترق السنة نارية كبيرة ودخاننا وقد
توهجت بشكل اشد من ضياء الشمس وكيف تحطمت الاكواخ البعيدة بينما
لاذت قطعان الرنة بالفرار . ان الشخص الذي كان يحرق الارض في الحلاء
شعر باحترق قميصه ووصف البعض اصابتهم بضربة شمس حادة في جهة

واحدة من الرأس دون الاخرى وادعى الكثيرون اصابتهم بالصمم المؤقت نتيجة الضوضاء او معاناتهم لفترة طويلة من الصدمة. ومع ذلك كان من المدهش عدم وجود ضحية واحدة او اصابة بليغة. ومهما يكن فان الانفجار اصاب احد اجزاء الارض المقنطرة مما قلل بشكل كبير من اثاره المدمرة ولو تأخر الحادث ساعات قلائل لاستطاع ان يمحو شارع (بيتر سبيرغ) او لندن او نيويورك. وحتى لو كان الانفجار في البحر فان الامواج كان باستطاعتها وقتند تدمير المناطق الساحلية برمتها. لقد انقذ الجنس البشري من اعنف كارثة في تاريخه لم يكن يعرفها حتى اكتشف (كولك) اخيرا ان علماء النيازك المحليين قد قدروا نقطة الاصطدام وحظي عام ١٩٢٧ بالمساعدة المطلوبة من لدن اكااديمية العلوم للعشور على نقطة سقوط الحجر النيزكي الكبير. ان غابة سبيريا الكبيرة هي احدي اسهل المناطق في الارض وما برحت غير مكتشفة بصورة كاملة كما ان الكثير من المستوطنات على طول ضفاف الانهر الكبيرة يبلغ عرض بعضها عدة اميال. وتبقى مشكلة الطقس، فمواسم الشتاء قارسة البرودة بينما تغدو الارض رخوة صيفا وينتشر البعوض بشكل مزعج. لقد واجه كولك مهمة شبه مستحيلة وهي ان يتقل على صهوة جواد ويقارب خشبي دون اية فكرة اين يبحث بالضبط او عن ماذا يبحث.

باشر الرحلة في شباط (فبراير) ١٩٢٧ برفقة دليلين من الذين شاهدوا الحادث وبعد العديد من المشقات بلغوا ضفاف نهر (الميكروتا) في نيبان (ابريل) وهذا النهر اقرب نقطة الى منطقة الانفجار. وقف كولك في اليوم الاول على تل واطيء، وتفحص الدمار الذي سببه انفجار (كنغاسكا). فعلى مسافة اثني عشر ميلاً شالاً لا توجد شجرة كاملة النمو فقد ازالها الانفجار. ان ماكان براه هو منطقة احتكاك الانفجار لان كل الاشجار كانت تشير الى الاتجاه نفسه وهو الافق.

كان الانفجار اعنف بكثير من التقارير المقدمة. اراد (كولك) اكتشاف منطقة الانفجار بيد ان رفيقيه قد بدءا يرهبان الموقف فامتعا عن المتابعة، الامر الذي اضطره للعودة معهم واستئناف الرحلة في حزيران (يونيو) مع رفيقين جديدين. في هذه المرة سلكوا خط الاشجار المسنورة لايام عدة حتى بلغوا تدرجا طبيعيا للتلال وخيموا هناك. فقضوا الايام التالية بمراقبة المنطقة المحيطة واستنتج (كولك) ان «المرجل» كما سماها كانت مركز الانفجار وان كل ما يحيطها من الاشجار الساقطة قد قذفت بعيداً. ومع ذلك فان من المدهش بقاء بعض الاشجار منتصبة على الرغم من مقربتها واحتراقها في مركز الانفجار بالذات. ان المدى الكامل للانفجارات بات واضحاً فالمسافة بين النقطة المركزية والنهر ٣٧ ميلاً وهكذا يكون الانفجار قد مسح اكثر من اربعة الاف ميل من الغابة. بدأ (كولك) ابحاثه وهو يفترض ان حجراً نيزكياً كبيراً سبب الانفجار في بقايا المنطقة واعتقد ان النيزك أصبح كبيراً عندما اكتشف عدداً من الحفر مغطاة بالماء فافترض انها قد سببت شظايا الحجر المتفجر ولكن عندما سحب المياه وجد انها فارغة ووجد ايضا فرع شجرة في اسفلها مما يثبت انها حدثت بتأثير الانفجار. اضطر (كولك) للقيام باربعة حملات لمنطقة الانفجار وبقي مقتنعا حتى وفاته ان الانفجار قد سببه حجر نيزكي كبير. ومع ذلك لم يجد شظايا الحطام او المعدن مما يمكن أن يؤيد حجته. ففي الحقيقة انه لم ينتج البتة في اثبات اصطدام اي شيء بالارض. كان هناك دليل آخر لموجتي الانفجار، هذا الدليل الجديد زاد الطين بلة فالمسح الجوي لعام ١٩٣٨ اظهر ان قرابة ٧٣٠ ميلاً مربعاً من الغابة قد مسحت وان الاشجار بقيت منتصبة في منطقة الفوهة بالذات. هذا الامر اوضح تقلبات في الانفجار الذري وليس انفجار حجر نيزكي ضخم يماثل ذلك الذي أحدث فوهة بركانية بعمق ٦٠٠ قدم في (ونسلو) في اريزونا. وقد اثبت الجدل ايضا حول الطريقة التي سقط فيها الجسم الى الارض، فقد ادعى اكثر من ٧٠٠ شاهد عيان انه غير مساره قبيل اصطدامه بالارض لانه كان اصلاً

متجها صوب بحيرة (البيكال) قبل ان ينحرف . ولم يكن معروفاً عن الاجسام
الساوية الساقطة مثل هذا السلوك وليس هناك من سبيل الى معرفة كيفية
حدوث ذلك . اما اللغز الغريب الآخر فهو تأثيره على الاشجار والحشرات في
منطقة الانفجار فالاشجار التي بقيت حية بعد الانفجار توقف نموها او
تضاعف بشكل مطرد كما كشفت الدراسات الاخيرة النقب عن عينات جديدة
من الاشجار والحشرات التي تأثرت بشكل كبير جراء الانفجار . وبعد وفاة
(كولك) بسنوات شاهد علماء في سجن حربي في المانيا اوجه التشابه بين حادث
(كنغاسكا) وانفجاري هيروشيما وناكازاكي النوويين . ان معرفتنا بالقبلة الذرية
تساعدنا على توضيح الكثير من المسائل التي حيرت (كولك) ، إذ يمكننا فهم
سبب عدم وجود فوهة بركانية هو حدوث الانفجار فوق سطح الارض كما هي
الحال في القبلة الذرية ، كما ان بقاء الاشجار منتصبه في النقطة المركزية ايد ذلك
وان البناءات التي في (هيروشيما وناكازاكي) تحتم الانفجار مباشرة قد نجت من
تأثير الانفجار لانه انتشر على الجوانب . كما ان التحولات الوراثية في حيوانات
ونباتات المناطق المحيطة بالمدن اليابانية تشابه ما تم مشاهدته في سيبيريا
وشخصت الانتفاخات التي وجدت على الكلاب وحيوانات الرنة بانها حروق
اشعاعية . يتمخض عن الانفجارات النووية عادة تقلبات في حقل الارض
المغناطيسي ومازالت الاراضي المحيطة بانفجار (كنغاسكا) «مشوشة مغناطيسيا»
حتى يومنا هذا ، إذ يبدو واضحا ان الاعصار المغناطيسي الالكتروني ذي القوة
الهائلة قد شوش مساحة الارض المغناطيسية في المنطقة . ان تفسيرات شهود عيان
للغميمة التي نتجت عن الانفجار تؤيد انها نوع من الاجهزة الذرية وانها ذات
شكل نموذجي «لغميمة نبات الفطر» الذرية .

من سوء الحظ لا يوجد هناك دليل استتاجي واحد يدعم نظرية «القبلة
الذرية» ففي الوقت الذي فحصت فيه مستويات الاشعاع في المنطقة لخمسين سنة

تلت كانت هذه المستويات اعتيادية. ايقن المحققون بعد ذلك فشل نظرية
(كولك) حول الحفر المملوء بالماء اذ لم تكن بسبب شظايا الحجر النيزكي. لقد
كانت اعمال (كولك) الشاقفة في تصريف مياه الحفر مضیعة الوقت، ومن سوء
الحظ لم تلق الادلة الجديدة التي اكتشفتها البعثات الروسية-الامريكية اي ضوء
على قضية الانفجار. يفضل مؤيدو اليوفو (الاجسام الطائرة المجهولة) النظرية
القائلة ان الجسم كان سفينة فضائية غريبة تعمل بمحركات ذرية فقدت السيطرة
عليها حال دخولها الاجواء الارضية. ويعتقد ان سفينة كهذه كانت متجهة
صوب بحيرة (البيكال) لانها كانت بحاجة الى الماء لتبريد مفاعلاتها النووية،
وقبل ان تصل هدفها ارتفعت درجة حرارة المفاعلات وانفجرت. يرى الاساس
العلمي هذه النظرية على انها محض خيال وان بعض افتراضاتها تبدو خيالا
بالكامل. يبين (أ.أ. جاكسون) و (م.ب. ريان) في جامعة تكساس ان سبب
الانفجار ثقب أسود (وهو عبارة عن مادة ذات كتلة لانهاية نتجت من انهيار
المادة الى الداخل)، ويعتقد أن الثقب الأسود قد مر بصورة مباشرة عبر الارض
وخرج من الجهة الثانية. تأثر الروس كثيرا بهذه النظرية فبحثوا في الصحف
المحلية في ايسلندا ونيوفونلاند الصادرة في حزيران (يونيو) عام ١٩٨٠ ولكنهم
لم يعثروا على اية كارثة مماثل (كنغاسكا) اذا ما كان (جاكسون) و (ريان) على
صواب. واقترح علماء امريكيون اخرون ان الانفجار سببه (مضاد المادة) وهي
مادة تكون شحنات أجزاء ذراتها عكس المادة المألوفة على الأرض، وحال
اتصالها بزيادة أرضية يحدث انفجار هائل وتحتفي المادة مخلفة طاقة كبيرة
واشعاعات ذرية. تمتلك هذه النظرية دليلا اقل تأييدا من الذي يفسر نظرية
الشقوب السوداء. وتبدو نظرية العالم الانكليزي (فرانك ديبل) القائلة ان الارض
اصابها مذنب مقنعة بعض الشيء ولكن صعبة التصديق. فليس ثمة فكرة لعلماء
الفلك عن منشأ المذنبات وكيفية تكوينها. تقول النظريتان المعارضتان لنظرية
المذنب انه من غير المرجح ان ينتج عن اصطدام المذنب انفجار نووي وان علماء

الفلك قد شاهدها لفترة طويلة قبل بلوغها الارض في حين يقول المويدون لنظرية المذنب ان المذنب اقبل من اتجاه الشمس فكان من المتعذر الكشف عنه وان الانفجار الذي يسببه يمكن ان يولد تأثيرا مشابها للاشعة الشمسية التي تولد نشاطا اشعاعيا. ولكن لايمتلك المراقبون المئة والعشرون الذين استجوبهم الروس اي سجل لمذنب في المسار المنحني لجسم (تنغاسكا). وبما لفت نظر العلماء مؤخرا ان حادث تنغاسكا حصل في ٣٠ حزيران (يونيو) وفي نفس اليوم بالذات من كل سنة تعبر الأرض المجرى النيزكي الذي يدعى (بيتا توردز) مولدا وإبلا نيزكيا. فاذا فربما كان احد هذه الاحجار كبيرة جدا بقيت محترقة في جو الارض وقام السطح الخارجي الساخن برد فعل ازاء السطح الجامد فتفتجر مثل زجاج ساخن يغوص فجأة في مياه جامدة.

اذا ما كانت هذه النظرية صحيحة فإن (كولك) يبدو أنه كان على صواب بعد هذا كله. لكن هذا يذكرنا انه كان عاجزا عن ايجاد ابط دليل لنظريته. لقد مضت ثمانية عقود على الحوادث ويبدو انه ليس من المرجح البتة حل لغز انفجار (تنغاسكا).

من هو هاري ويتكلف؟

ورد في كتاب طبع في فرنسا عام ١٩٧٨ ان (هاري ويتكلف) اشع القتلة الانكليز الذي قتل نحو اربعين امرأة قد انتحر في سجنه في برلين في منتصف عصر الجاز. ولكن لم لم يحظ هذا الاسم بشهرة واسعة النطاق بين دارسي الجريمة على الاقل؟ ان هذا يرجع الى انه قد انتحل اسم (لوفاك بلوم) عندما القي القبض عليه وان انتحاره قد حجب هويته الحقيقية عن السلطات. القصة بكاملها منشورة في كتاب يحمل عنوان «حكايات جديدة عن السحر» من تأليف (لويس بولز) و (لي بريسون) ونشر ضمن مطبوعات (جي لو) وعلى الرغم من أن العنوان يبدو كأنه أحد الكتب الذي لا يمت للواقع بصلة، لكن في الواقع ان في الكتاب سلسلة من الدراسات للقضايا الواقعية الحارقة والغريبة وثمة فصول عن (نوستراداموس) و (راسبوتين) و(اوسايبا بلدينو) وتفسيرات لالغاز مشهورة مثل بصمات الشيطان في (ديفون)، وفي فصل (هاري ويتكلف) يذكر الكاتب انه ظهرت في لندن في بداية العشرينات من هذا القرن مجموعة من المقالات الرائعة بحيث نفذت في ايام قلائل، وكانت تضم سلسلة من المجموعات القيمة لـ(اوسكار وايلد). بيد ان مؤلفها (هاري ويتكلف) أثر ان لا يظهر وبقي محتجا عن الانتظار، وعاد الصحفيون الذين كانوا يودون لقائه بخفي حنين. وعندما اعتقد الناس ان (ويتكلف) كان اسما مستعارا لكاتب مشهور مثل (برنارد شو) او ريبا (ت. س. اليوت)، قرر الظهور. كان وقتذاك يبلغ من العمر الثانية والعشرين، ابقا، محبوبا، غريب الاطوار ومولعا بالرياضة. كان ايضا كريما وقيل انه اختتم احدي اماسيه الصاخبة عندما منح شحادة جميلة خمسة باوند دون اي مقابل. اعلن انه يعشق الورد ولكنه لم يكن ليترك جذورها تطول الى العشرين ستمترا. لقد كان (ويتكلف) من الطراز الذي يعشقه الانكليز وسرعان

ما حظي بشهرة واسعة .

وكان قد مارس كتابة المقالات والشعر والمرحيات وعرضت احدي مسرحياته المسماة (سيميليا) اربعمئة مرة متالية في لندن قبل ان يجوب بها انحاء انكلترا فدرت عليه ثروة سرعان ما وزعها على اصدقائه حتى اصبح في مستهل عام ١٩٢٣ احد «ملوك المجتمع اللندني» . وفي ايلول من ذات السنة باع كل ما يملك وأوكل الى ناشره كافة أعماله ومن ثم اختفى . لكن ويتكلف ظهر ثانية في درسدن قبل انصرام السنة حيث كانت المسارح تعرض (سيميليا) بنجاح منقطع النظير وترجمها المؤلف نفسه من الانكليزية الى الالمانية وقدمت في العديد من المسارح على طول نهر الراين . فأسس دار (دوربان فيرلاغ) لنشر الشعر المعاصر واعمال الرسم الحديث وتعد مطبوعات هذه الدار ثروة بحد ذاتها . بيد ان طابع الغموض بقي غالباً عليه، فكان يعدو كل صباح على طول ضفاف نهر الالب حتى التاسعة وفي الساعة السادسة مساء يمضي الى المعارض الادبية والفنية ويلتقي باصدقائه ثم يعود الى منزله في الساعة التاسعة مساء ولم يعرف اي مخلوق ما كان يفعله بقية المساء ولم يتعرض لمثل هذا السؤال . ان سبب انتظام حياته هي علاقته الغرامية مع فتاة تدعى (والي فون هامرشتين) التي تنحدر من ابوين ارسقراطيين شديدي الاعجاب بهذا الكاتب الشاب وكان من المقرر ان تعلن الخطوبة في ٤ تشرين الاول ١٩٢٤ . وفي الليلة السابقة لهذا التاريخ اختفى (ويتكلف) ولم يتواجد في مكتبه وشقته واستماتت (والي) في البحث عنه في درسدون دون جدوى . فوضعت الشرطة في حالة انذار سري وقامت بتحقيقات مضنية وكانت نظريتهم انه قد انتحر بينم كانت (والي) تعتقد انه اما اصابه حادث او كان ضحية جريمة ما فعليا ما كان يحمل معه مبالغاً كبيرة . وعندما مرت أسابيع من البحث ، استحال يأسها الى كتابة وبدأت تتحدث عن رغبتها في الدخول لدير الراهبات لكنها فجأة تسلمت رسالة كانت قد وجدت في ززانة

رجل متهم انتحر في برلين عندما نجح في تمزيق اوردته بواسطة ايزيم حزامه .
وتقول الكتابة الموجودة على ظرف الرسالة التي تحمل توقيع (لوفاك بلوم):
«سيدي نائب الرايخ اتوسل اليك ان تنقل هذه الرسالة الى صاحبها دون ان
تفتحها» .

لقد كان (بلوم) من اعنف القتلة واقسى من (جاك السفاح) و(بيتر كرتن)
والسادى (دوسلدورف). اعترف صراحة امام المحكمة التي حاكمته: «في كل
عشرة ايام علي ان اتصيد ضحيتي، اني منجرف بتيار رغبة جامحة اعاني بوخشية
ريثما اقتل وحالما انتزع احشاء ضحيتي تغمرني بهجة لاثوصف». وعندما سئل
عن ماضيه اردف قائلا: «انا جثة، افكتكرث الجثة لماضيها؟» .

كانت ضحايا (بلوم) من البغايا وبنات الشوارع يصطادهن في شوارع برلين
ويصطحبهن الى الفندق ويقتلن حاملما يتعرين . يستخدم بعدئذ سكينتا تشبه
الحنجر المالىزي ذات قبضة عاجية وينجز عملية تمزيق رهية جدا . بحيث ان
الاطباء انفسهم وجدوا ان المشهد لايطاق . استمرت جرائم القتل هذه لاكثر من
سنة اشهر حليم على ازقة برلين جو من الهلع . واخيرا القي القبض على (بلوم)
في ايلول من عام ١٩٢٤ عندما اعتقدت الشرطة انه مشترك في عملية تهريب
مخدرات فطرقوا باب غرفته في الفندق بعيد دخوله بلحظات مع موسم . لقد
ارتكب بلوم لتوه جريمته الواحدة والثلاثين وكان يتصب عاريا على مقربة من
النافذة وجسد المرأة بين اقدامه . لم يبد اي مقاومة واعترف صراحة بجرائمه
فتذكر سبعة وعشرين منها . لقد اعلن انه لا يخشى الموت . خصوصا وأن الطريقة
التي ينفذ فيها الاعدام في المانيا (بواسطة المقصلة) التي يفضلها كثيرا على طريقة
الاعدام شنقا في بريطانيا . لقد كان هذا هو الرجل الذي انتحر في سجنه والذي
وجه رسالة مطولة الى خطيبته (والي فون هامرشتين) حيث اخبرها انه صورة
الشیطان الذي ينبض بالحياة لانه التقى به وشرح لها انه من طراز (جايكول

والمستر هايد) الرجل الذكي والموهوب الذي تحول فجأة الى وحش ومصاص
دماء وتحيل انه ضحية من ضحايا الاستحواذ الشيطاني. ترك لندن بعد ان
ارتكب تسعة جرائم بعد ان أحس أن شرطة التحري تلاحقه. كان حبه لـ(والي)
عظيما. لقد أخبرها ذات مرة أنها قد تطرح الأرواح الشريرة من جسده، ولكن
الأيام أثبتت أن تلك كانت محاولة فاشلة.

اغمي على (والي) حال قرائتها الرسالة فالتحقت بدير الراهبات عام ١٩٢٥
باسم (مازي دي دولرز) حيث تضرعت الى الله لانقاذ الروح المعذبة. هذه هي
القصة التي سردها (لويس بولنز) الكاتب الذي غدا مشهورا لتعاونه مع (جاكوز
بيركر) في كتاب يحمل عنوان (ظهور السحرة). اشار النقاد ان هذا الكتاب
يعص بالاحطاء ويلاحظ الكثير منها في فصل (ويتكلف) فمثلا اذا كان تاريخ
القاء القبض على (بلوم) صحيحا في ٢٥ ايلول ١٩٢٤- فانها حصلت قبل غياب
(ويتكلف) من درسدن في الثالث من تشرين الاول عام ١٩٢٤، وإن كنت أعتقد
أن ذلك مجرد زلة قلم.

لكن من هو (هاري ويتكلف)؟ يقول (بولنز) ان ويتكلف اخبر المحكمة
ان والده الماني وامه دانمركية وانه قد ترعرع في كنف عمه القصاب في سدن في
استراليا. يبين (بولنز) في الحوار بينه وبين زميله المؤلف في نهاية احد الفصول ان
(ويتكلف) ابن لعائلة انكليزية عريقة، واذا ما تجاهلنا القضاة الثلاثة الذين فتحوا
رسالة (بلوم) -متجاهلين بذلك وصيته- فان (والي) ووالديها هم الذين يعرفون
هوية ويتكلف الحقيقية لاغير. فالقضاة ووالداها من عداد الموتى وان (والي)
الراهبة ذات الخمسة والسبعين عاما لم تفصح لاحد عن قصة شبابها وإن كنا
نعتمد انها اخبرت (بولنز) بالقصة. اثارته هذه الحكاية الغريبة فضول المؤلف
الفرنسية المشهورة (فرانسواز دي اوبون) التي شعرت ان (ويتكلف) يستحق أن
يؤلف بحقه كتاب. بيد ان رسائلها لـ(بولنز) و (بيرتون) لم تلق جوابا، فاتصلت

بالجمعية البريطانية للبحث المسرحي وبشكل خاص مع المؤرخ المسرحي (جون كيندي ميلنغ). لم يسمع (ميلنغ) بـ (ويتكلف) او بمسرحية عنوانها (سيميليا)، فشرع باتصالاته مع شرطة التحري ليعرف ما اذا كانوا يحتفظون بآية وثيقة لقاتل جنسي مجهول في بداية العشرينات. لم تجد الشرطة آية وثيقة في اراشيفها، ولم تكن هنالك سلسلة من جرائم قتل البغايا التي تشابه طريقة الربير في بداية العشرينات. اتصل (ميلنغ) بعد ذلك بـ (جي. هـ. هكوت) صاحب اكبر مكتبة للجرائم في الجزر البريطانية فلم يعثر على سلسلة جرائم جنسية في بداية العشرينات ولم تشر المراجع المسرحية الى (هاري ويتكلف) او مسرحية ناجحة بعنوان (سيميليا). وبدأت القضية -على نحو لا يمكن تصديقه- ان (بولوز) قد اختلق ببساطة كامل القصة.

كما لم تعثر (ثيلما هولاند) زوجة ابن (اوسكار وايلد) على كتاب يضم الاثار الادبية لـ(وايلدين) المجموعة الكاملة لزوجها الراحل (فيغيان هولاند) واقترحت ارسال طلب استفسار لمكتبة (ميتشل) في سدن. ولان (ميلنغ) استرالي اعتقدت (ثيلما) ان هذه افضل فرصة تمكنتها من اقتفاء اثر (هاري ويتكلف). وما يثير الاستغراب ان هذه المحاولة الطويلة اثمرت عن نتائج ايجابية، ليس فيما يتعلق بهاري ويتكلف ولكن عن قاتل الماني اسمه (وهلم بلوم) وليس (لوفاك بلوم)، اذ نشرت جريدة (ارغس) الصادرة في ٨ آب ١٩٢٢ قصة بعنوان «قاتل مثقف» وعنوانا فرعيا اخر «سلسلة جرائم اديب» للعدد الذي صدر في برلين في ٧ آب جاء فيه:

«ادلى (وهلم بلوم) الرجل ذو الثقافة الواسعة والمواهب الادبية الخصب الذي قدمت ترجمات مسرحياته الانكليزية في درسدون بنجاح متقطع النظر اعترافا بارتكابه سلسلة من الجرائم الميته، ارتكب احدها في فندق (الدون) احد فنادق برلين العريق».

ان اهم فقرة في تقرير الجريمة ان (بلوم) اسس دار نشر باسم صحافة دوريان (فيرلاك) في درسدن وهو من الواضح نفسه (بلوم)، الذي انتحر في برلين كما يقول (بولز). لم يكن (وللم بلوم) قاتلا جنسيا، فضحاياه كانوا من رجال البريد بدافع السرقة. ففي المانيا تحمل الطرود البريدية الى الدور، لذا يحمل رجال البريد معهم عادة مبالغ كبيرة. ارسل (وللم) لنفسه عدة حوالات بريدية، وقتل سعاة البريد وسرقهم، ولم تحدد (الارغس) عدد الضحايا. وفي المرة الاولى التي نفذ فيها العملية اعترضته مالكة الارض وهو يشق ساعي البريد فاضطر الى قتلها. انتقل بعد ذلك الى درسدن وبعد برهة وجيزة حاول سرقة ساعي بريد، إذ تربص في فناء الدار وفي يديه مسدسان، بيد ان وصول المستاجر مبكراً على غير عادته اضطره للهرب فاطلق النار على احد رجال الشرطة وعندما فشل مسدسها في اطلاق النيران القي القبض عليه. تبين (الارغس) انه حاول الانتحار في السجن وفشل، الى أن اعدم في عام ١٩٢٢ (على الرغم من ان الارغس لا تذكر وثائق اكثر عن هذا الموضوع). يبقى إذن السؤال المحير، من هو هاري ويتكلف؟ أو يمكن التساؤل: من هو (وللم بلوم)؟ إذ ان (بلوم) و (ويتكلف) هما نفس الشخص على ما يبدو. ومن المعلومات المتيرة لدينا نستطيع القيام بصياغة تجريبية لقصة بلوم-ويتكلف. فهو يشابه طرازاً معيناً من القنلة المحتالين مثل (لاندر) و (بيتوت) و (هغ) سفاك الدماء والقاتل الجنسي (نيفيل هيث). ومثل هذه الشخصيات عادة ما تكون جذابة وتبدو أنها تعيش حياة ناجحة، وتسرد اقاصيماً عن انتصارات الماضي (نيفيل هيث لقب نفسه «فريق الكابتن روبرت بروك»). ويبدو أن (بلوم) كان يسير على خطى هؤلاء. وفي حالة الفوضى التي ضرت برلين ابان الحرب جمع (بلوم) ثروة كبيرة بقتله سعاة البريد وسرقتهم وقد تكون محاولته الاخيرة درت عليه ثروة طائلة. وربما ان السلطات البريدية في برلين كانت تربص لقاتل ما. وعندما أصبح الوضع مواتياً للاستقرار واستغلال مواهبه الادبية، انتقل الى

درس دون مسميا نفسه (هاري ويتكلف) حيث أسس دار (دوربان فيرلاك) وأصبح مترجما لمسرحيات انكليزية ساعد في عرضها على مسارح (درس دون) على طول نهر الراين. ولأنه كان يدعي انه من طبقة انكليزية راقية فاننا نفترض ان اجادته للانكليزية كانت مطلقة كما ان قصة ترعرعه في النمسا ليست بعيدة الاحتمال. ولأنه كان يتكلم الالمانية بشكل طليق، فانه يصح الافتراض - كما اخبر المحكمة - انه ابن لاب الماني وام دانماركية. احب (بلوم) فتاة من الطبقة الراقية وروى لها قصة عاطفية كحال عشاق اليوم: انه ابن لعائلة انكليزية عريقة وانه حقق نجاحا ادبيا بين عشية وضحاها في لندن بسبب مجموعاته الخاصة عن اوسكار وايلد ولكنه فضل في بادئ الامر تجنب الشهرة حتى جعل النجاح المتواصل هذا الامر متعذرا. كانت ثروته محصلة مسرحية ناجحة. (سيميليا) تشابه العنوان مع سالوم امر واضح ونستنتج من هذا ان بلوم كان شديد الاعجاب باوسكار وايلد).

وعلى الرغم من تجنب الشهرة الواسعة فان ضحايا الاحتمالات السابقة من شأنها ان تهدد كيان حياته المهادي والمنظم، حياة الرقة في الخفاء. وفي الوقت الذي كان كل شيء يسير على ما يرام عندما كان قاب قوسين او ادنى من افق النجاح والاحترام والزواج السعيد فأنه استنفذ امواله ثانية ولم يجد امامه سوى حل واحد، عودة موجزة لحياة الجريمة، فسرقة واحدة او اثنتان من شأنها ان تعيد حسابه في المصرف وتضمن مستقبله. . . . لكن هذه المرة كانت عليه العودة الى الجريمة وبالا، فقد اكتشف (هاري ويتكلف) انه اللص القاتل (ولهلم بلوم). لم ينف ذلك واعترف صراحة بجرائمه السابقة. لقد خسر كل شيء، وارسل الى برلين حيث يحاكم القتل فيحاول الانتحار لكنه يعدم بعد ذلك بالمقصلة.

هل هنالك ثمة حقائق عن (ولهلم بلوم) موجودة الان؟ يبدو ان قصص

درسدون قد اتلف أكثر الوثائق المدنية وإن الناس الذين يعرفونه لاكثر من ستين
سنة خلت يجب ان يكونوا من عداد الاموات. في نفس الوقت فان (بولز)
واجه تفسيراً غير دقيق وغير منطقي لبعض الشيء لسيرة حياة (بلوم) على انه
(هاري ويتكلف)، ومن المفيد معرفة مصدر معلوماته، ولكن (فرائسواز دي
اويون) و (جون كينيدي ميلنج) لم يوفقا في الاجابة عن هذا السؤال على ما يبدو.

اندروكروس الرجل الذي خلق الحياة

ندرك جميعاً أن خلق حياة داخل مختبر لأمر مستحيل. بيد أن هذا الأمر حصل فعلاً عام ١٨٣٧ على يد اندركروس، العالم الموهوب، لا مرة واحدة بل مرات عديدة في أقصى الظروف. وما يؤكد قولنا هذا أن تجاربه قد أعادها بنجاح أحد أعضاء جمعية لندن الكهربائية الذي تبني منهج كروس حرفياً. واحدى محصلات تجاربه هذه أن غدا كروس أكثر الناس مقتاً في بريطانيا، إذ اتهمه أحد الكهنة بالكفر وخرب القرويون المحليون ممتلكاته بينما شرع أحد القساوسة بممارسة تعاويد التعازيم من رابية تشرف على بيت كروس. وهكذا بات رهين بيته تماماً ريثما وافاه الاجل بعد ثمانية عشر عاماً ليبلغن معه سره، لو كان لديه سراً، وليبقى الحدث من أكثر الاحداث غرابةً وغموضاً في التقويم العلمي السنوي. لقد ورث كروس من والديه ثروة ومزرعة ريفية أنيقة (فاين كورت) قرب برومفيلد في سومرست. الا ان الكهرباء سحرت له ولما يزل تلميذ مدرسة ابتدائية فاهداها زهرة شبابه. ألقى عام ١٨١٤، ولما يزل في الثلاثين من عمره، محاضرة عن تجاربه في الكهرباء وثمة ما يؤكد ان من بين حضور هذه المحاضرة الشاعر (شيلي) وابنته (ماري) التي تزوجها كروس فيما بعد. وإذا كان الامر صحيحاً فان هذه المحاضرة ألهمت ماري لتكتب روايتها (فرانكشتاين) عام ١٨١٦ وهذا ما يجعل كروس، الى درجة ما، (الرجل الذي جسّد شخصية فرانكشتاين) كما وصفه احد المؤرخين. وبعد مضي احدى وعشرين سنة على كتابة ماري شيلي رواية (فرانكشتاين)، شرع كروس بتجاربه التي اذاعت صيته في رحاب اوروبا (او ربما لم تفعل ذلك) ومهدت السبيل ليدخل اسمه في (معجم الاعلام القوميين). لم يقده طموحه الى أبعد من صنع بلورات من السيليكات، اذ نجح قبل نحو من ثلاثين سنة في تمرير تيار كهربائي عبر الماء القادم من كهف مملوء بالهوايط (اعمدة متولدة من ترسبات كربونات الكالسيوم تتدلى من سقف مغارة) والصواعد (اعمدة متولدة من ترسبات كاربونات

الكالسيوم بارزة من ارض مغارة) فسرت نظريه رؤية بلورات كاربونات الكالسيوم وهي تتكون على احد القطبين الكهربائين . شرع عام ١٨٣٧ بمحاولة لصنع بلورات زجاج طبيعي وصنع زجاجاً من حجر ارضي وكاربونات البوتاسيوم واذابه في حامض هيدروكليني . تتلخص فكرته بالساح لهذا السائل بالتقطير رويداً رويداً من خلال قالب مصنوع من الحجر المسامي شحن بواسطة نضيدة كهربائية . ولم تنجح الفكرة الا انه عاد بعد اسوعين وشاهد شيئاً ما غريباً اخذ بالتكون على هذا القالب الحجري الاحمر . لقد كانت في الحقيقة قطعة من اوكسيد الحديد تم التقاطها عشوائياً من منحدرات جبل (قبسوقس) . وتعلقت بقطعة الحجر هذه حليات صغيرة كانت تنمو عليها شعيرات دقيقة تبدو كأنها حشرات دقيقة جداً . بيد أن كروس كان يعلم بإستحالة الأمر فعاود زيارة المختبر بعد ثمانية وعشرين يوماً وتفحص الحجر بواسطة عدسات مكبرة فأدهشه من هذه الشعيرات أن بعضها كان يتحرك حول بعض ريشها تواري شكه بعد ايام قلائل .

اظهر المايكروسكوب الكائنات الدقيقة كأنها بق صغير لاصغرها ست أرجل ولاكبرها ثمان أرجل . لقد كان حقاً امرأ غريباً . لكننا قد نجد التفسير الطبيعي لها فالخلجات البيض الصغيرة كانت في الاصل (بيوضاً) وضعتها احدى الحشرات التي دخلت مخبئه أو ربما كانت هذه البيوض موجودة أصلاً على الحجر الذي جاء به من (قبسوقس) . أما التعليل البديل الأخر فهو أن التيار الكهربائي قد حول الى حد ما بلورات اوكسيد الحديد الى مخلوقات حية ويلوح هذا التعليل غير مألوف، لكنه يستحق . في الوقت نفسه ، امعان النظر اذا ما سلمنا ان كروس لم ير اي دلالة على دخول حشرة الى مخبئه أو ان بيوضاً جاءت من (قبسوقس) على اوكسيد الحديد . أخذ كروس في هذه المرة إسطوانات زجاجية وملاها بانواع مختلفة من المحاليل مثل نترات النحاس وسلفات النحاس

وسلفات الحديد وغيرها وربطها جميعاً الى أقطاب فضيلة شحن . مضى شهر ولم ير شيئاً وظهرت بعد ذلك، على خمسة أقطاب من اصل سبعة (تركيبات بلورية معينة) ثم شاهد حشرات البق يسبح بعضها حول بعض . وفي محاولة اخيرة منه ، ليتيقن أن ما من بيض تحلل السوائل ، صنع زجاجاً تحت درجة حرارة قادرة على صهر سبيكة حديد وصبها في ماء مغلي مقطر ثم حفظ الخليط في دورق محكم الإغلاق لايسمح بدخول الهواء وينفذ من سداتها الزجاجية اسلاك من البلاتين . ثم غسل الدورق بماء مغلي قبل حفظها في درج مظلم . وجد بعد مضي مائة واربعين يوماً حشرة دقيقة تدب حول نفسها داخل الدورق فشك باحتمال أن منفذاً صغيراً ربما سمح للبق بالتسلل ولكنه ايقن ، بعد سلسلة من التحولات التي اتخذها ، انه قد (خلق الحياة) . اظهرت التجارب التالية ان هذه الكائنات قادرة على التكاثر ولكنها لم تتمكن من العيش بعد صقيع اول خريف .

عرف علماء الحشرات هذه المخلوقات انها حشرات العث أو القردة من سلالة (اكاري) وكان من المفروض ان تسمى هذه الاجناس بإسم (اكاري كرومي) . بعث كروس يبحث تجاربه الى جمعية لندن الكهربائية فأعاد تجاربه عالم الكهرباء (دي . اج ديكسن) وهو من سكان مدينة ساندوج في كين وأعلن نتائجه في (الجدول السنوي لبحوث الكهربائية) وكذلك في محضر جلسة الجمعية وحصل على حشرة القردة نفسها . تحدث كروس عن نتائجه الى أحد محرري الصحف المحلية الذي نشر تقريراً عنه في وسترن جعل اسم (كروس) يتردد على مسامع الاوربيين والستهم . فقد قام باكتشاف مثير اضطر فيه أغلب الناس الى الاعتقاد بأنه كان ضريباً من السحر، بل حتى وقعت عليه اللاتمة عندما حلت بالبلاد آفة أصابت البطاطا في تلك السنة .

إنهم أحد الكهنة بالكفر والاحاد فهو (متمرد على ديننا المقدس، إذ جعل

من نفسه منافساً وقحاً لالهنا الذي لا يؤمن به). عندئذ حاول كروس جاهداً الدفء عن نفسه بأنه يعبد الله حق عبادته وييجل هذا الخالق العظيم، مؤكداً أن تجربته هذه لم تكن الا محض مصادفة . بيد ان دفاعه لم يغير من واقع الحال شيئاً فقد حرب الساخطون المحليون عزبته وقاد (فيلب سمث)، أحد القساوسة تجمعات من الغوغاء الى قمة رابية فوق (فاين كورت) ليشرع في قراءة تعاويذ التعازيم . ولم يتوقف الا بعد ان قدم (كروس) ممتطياً صهوة جواده فتفرق الجمع، وربما كان (كروس) قد أزهبهم بقواه السحرية .

وجد (كروس) في عام ١٨٣٧ في (ميخائيل فاراداي) وكان أعظم علماء عصره (مدافعاً له امام المعهد الملكي إذ قال (فاراداي) أنه اعاد تجارب (كروس) وحصل على حشرات (الفرادة) نفسها . الا أن هذا الدفاع لم يقطع دابر النقد والنقاد وعندئذ تجلّت امام (كروس) حقيقة استحالة اقناع العامة بما قاله وعمله فقرر ان ينسحب بهدوء بعيداً ، الامر الذي يحفظ له كرامته . كانت سنواته العشر التالية مريرة أقعد فيها المرض زوجته وشقيقه حتى واقامها الاجل سنة ١٨٤٦ تاركين (كروس)، بعد أن نأى عنه حتى جيرانه، وحيداً في عزلته يحاصره الضيق المادي الناجم لا عن التكاليف الباهظة التي انفقها على تجاربه العلمية حسب بل طبقاً لحساباته عن فشله في تغطية النفقات المنزلية التي اضلته في نهاية المطاف . وفي رسالة بعث بها الى الكاتبة (هاريت مارينو) - التي شاءت الكتابة عن تجاربه - وصف (كروس) نفسه بكلمات تبعث الاسى في النفوس وهي أن المرض والموت مجومان فوقه .

ومع ذلك قبل في تلك السنة بالذات، ولما يبلغ الخامسة والستين من العمر، دعوة لحضور عشاء . وجد (كروس) نفسه جالساً الى جانب فتاة في ربيعها العشرين، فانتنه الجمال ذات شعر أسود، وكانت من اللواتي استهواهن العلم ومعجبة بشكل خاص بـ (كروس). غدت هذه الفتاة، والتي كان اسمها

(كورنيلا ليرنز)، زوجته الثانية في السنوات الست الاخيرة من حياته التي عاشها سعيداً الى درجة ما. كما زار فيها صديقه (فاراداي) في لندن واستقبل فيها عدداً من اصدقائه في فاين كورت. الا ان سلسلة من النشأوم العميق راففته منذ اليوم الذي اخبر فيه زوجته انه يرى جهنم، واننا نسكن الارض لذنوب اقترفها الاسبقون (وهي النظرية التي عبر عنها برنادشو على لسان الاب كيغان في جون بلز (الجزيرة الاخرى)). حدث في تلك اللحظة وميض نتج عن تفريغ كهربائي في غرفته، لم يكن ذلك توبيخ له من الاله للضعف في ايمانه، بل كان نتيجة لتساقط الثلوج التي سببت (تماماً كهربائياً). وتوفي متأثراً بسكتة دماغية عام 1855 في عمر يناهز الواحد والسبعين. ويبقى الغموض يكتنف سر (الكاراي) وبقيت حقائقها اصعب من أن تجد ما يفسر كل ملاحظاتنا. ويطرح الكوماندو (روبرت غولد) في كتابه (حوادث غريبة) مثلاً عن الدكتور (اي. سي. اورمانز) الذي يعد مرجعاً في موضوع (الكاراي) الذي قال انه مقتنع أن حشرات (كروس) كانت من ال(كلايكو فاكوس) المنزلية الشائعة التي بإمكانها التسلل الى داخل الدورق محكم الاغلاق. ولكن لم تتسلل هذه الحشرات الى محلول نترات النحاس أو نترات الحديد وغيرهما؟. يرى (فالتاين دايل) في كتابه (الالغاز المستعصية) ان هذه الحشرات قد تكون بويضات وصلت الارض بواسطة حجر نيزكي وهي وجهة نظر قد تجد اليوم تأييداً لها في نظريتي (فريد هويل) و (شاندر و يكراماستك) اللتين تقترحان أن الحياة قد وصلت الارض بواسطة الاحجار النيزكية.

ولكن اذا كان هذا التفسير يوضح لنا ان هذه الكتلة من الحديد المؤكسد تحوي ببوضاً فانه يعجز في الوقت ذاته ان يفسر لنا كيف تسلتت هذه البيوض الى تجارب اخرى. ان نجاح بعض التجارب على يد علماء وفشلها على ايدي اخرين في الظروف عينها هو من اكثر الاسرار غموضاً. كنت قد شرحت، في

سيرة حياة (وليم رايش) ، كيف وضع رايش تبناً معقماً في ماء مقطر وبعد مرور يوم أو يومين كان التبن مملوئاً بأعضاء حية دقيقة كان بعضها يرى بالعين المجردة . وعندما تفحص رايش التجربة بواسطة العدسة المكبرة وجد ان الخلايا على حافة التبن قد انشطرت الى اكياس وان هذه الاكياس تشكل الوحدة الاساسية في الحياة واسماها (البوينز) وادعى رايش انه قادر على توليد (البوينز) لا من المواد العضوية كالسكر والبيض بل من مواد غير عضوية كالتراب والفحم . ويؤكد أيضاً انه يعتقد ايضاً ان الحياة تغمر الأجزاء بأسرها وانها قادرة تحت ظروف مواتية على (توليد) خلايا بسيطة. اتخذ (رايش)، لكي يقطع السن المتشككين الذين ما برحوا بصرون ان زراعته هذه قد لوئتها الجراثيم والاعضاء الحية الدقيقة في الهواء، كل الاحتياطات نفسها التي اتبعها (كروس) في تجاربه، حيث احرق الفحم ريشاً تحجر ثم وضعه في سائل كلورايد البوتاسيوم، وادعى ان (البوينز) اخذت تتكون فوراً. ظهر ان هذه (البوينز) شحنات كهربائية وانه يربطها بالقطين السالب والموجب لجهازه ثم استنتج في نهاية المطاف ان هذه البوينز ليست بخلايا حية وانها شكلاً متوسطاً بين الكائنات الحية والميتة. سأواصل السرد هنا وانقل اليكم نظرية (يونغ) عن التزامنية (والظاهرة الخارجياتية). نعلم جميعاً ان التزامنية، اذا ما استبعدنا قوانين الاحتمالية، هي ظاهرة تحدث يومياً، وفي هذا الصدد يعتقد (يونغ) ان اللاوعي ولاسيما في الاشخاص الشديدي الحيوية قادر بطريقة مجهولة على حث حدوث التزامنية، والظاهرة الخارجياتية هي ظاهرة تسببها هذه القوى المجهولة لللاوعي، وقد جاء في احدي القصص المثيرة ان (يونغ) دخل في جدال عنيف مع (فرويد) عن القوة الخارقة. وعندما أحس بحرارة تلهب حجابيه الحاجز، حدث انفجار في خزانة الكتب فقال (يونغ) حيثئذ ان هذه هي الظاهرة الخارجياتية فأجابه فرويد ان ذلك هراء، فرد عليه (يونغ) ان ذلك ليس بهراء لانك ستري بعد لحظات حدوث انفجار آخر وهو ما حدث فعلاً.

يعتقد (يونغ) ان ما يسمى بالاطباق الطائرة هي نوع من الظاهرة (الخارجياتية) أو (اسقاط اللاوعي) واعتمد، في ادراكه الاطباق الطائرة، الى حد ما على النشاط غير الطبيعي لعقله اللاوعي. ان مانعرفه عن (كروس) يدفنا الى الاخذ بالتفسير نفسه المذكور آنفاً فيما يتعلق بالقرار الذي حصل . لقد كان رجلاً قوي الاحساس الا انه كان يجنح دوماً نحو الاكتئاب والسوداوية. وكان قد عانى في فترة صباه (استناداً الى ما اورده فالتين دايل) من الامراض الكثيرة، حتى تعلم اخيراً كيف يبرأ منها بقوة الارادة الحقيقية، وروى كاتب سيرة حياته (بيتر هب شك) قصة طريفة جاء فيها ان (كروس) حاول في احد الايام ان يقذف قطعة الى بركة فكان رد فعل القطعة ان عضته عضّة قوية ثم ماتت في آخر تلك الليلة بداء الكلب، وبعد اسابيع قلائل شعر (كروس) بألم مبرح في ذراعه التي هاجمتها القطعة وأيقن انها بداية داء الكلب وعاش ساعة من الحزن والاسى ريثما قرر ان يصرع المرض ويهزمه بقوة الارادة. فاختد بندقيته وذهب يبحث عن فريسة يصطادها. الى أن خيم عليه الليل وشعر انه بخير وبقليل من الجوع والعطش ريثما غادره الالم بعد يوم او يومين.

ومر بتجربة اخرى شبه صوفية، فعندما كان في طريق عودته الى البيت من بلايموث قضى الليل بطوله في (اكسبر) بعد ان اضناه الاجهاد والتعب وتقول زوجته الثانية : قليلاً ما اضطجع في فراشه تلك الليلة فما برحت الافكار تلازمه وكانت تبدو، لكثرتها، كأنها الاجزاء قد توغل في صدره فما كان بنائم ولم تكن الافكار احلاماً بيد انه كان مهاجراً في خيال يجوب العالم ويرى بعين تواق الى ايجاد الخلق الازلية التي وصفها كأن الروح قد غادرت سجنها الجسدي طليقة تحاول الامساك بحدود الفضاء أو لنقل ليتوارى الفضاء على حدود مداركها الحسية العتيقة فوهبت تلك اللحظات النادرة من حياتها قروناً من الزمن وتكشفت قوائين الطبيعة جليلة المعالم ازاء بريق معرفتها الناجحة، لقد احتضنه

شعور الرحمة فأحس بالخلود .

لقد اماطت مذكرات (كورنيليا) اللثام عن حقيقة زوجها فلم يكن رجلاً
هاجسه العلم حسب، بل هو شاعر (وإن كان ليس بالفطحل) ذو رؤية غيبية .
وسيدرك القاريء هنا انه ليس من ذلك الطراز من الرجال الذين احاط
الغموض التام قدرهم، فإسمه سيطرق مسامع العامة عاجلاً أو آجلاً .

بيد ان نظرية (بونغ) سيكون مصيرها الرفض في نهاية المطاف شأنها شأن
النظريتين السابقتين . واذا كانت (الاكاري) محصلة لنشاط شاذ لعقل اللاوعي
فلماذا اذن نجح الاخرون في اعادة التجارب؟ وبقينا ان (ريج) اجاب انهم قادرون
على هذا العمل بسبب تعشر (كروس) نفسه ازاء سر (البوينات الاصطناعية)
(وانتي تكرر القول ان لها شحنات كهربائية وانها قد اوصلت بالقطب الموجب أو
السالب) ، واستحالت (البوينات) الى اشكال حياتية بسيطة . واذا كان الامر
كذلك فان تجارب (كروس) ينبغي اعاتها في الوقت الحاضر . واخيراً فان ما
يستحق الذكر ان العديد من العلماء الذين حاولوا شرح الطريقة التي حصل فيها
(كروس) على نتائج الغريبة هذه قد توقفوا لتعثرهم في اعادة تجاربه .

لعنة الفراعنة

أطال عالم الآثار (هاورد كارتر) وهو يحمل بيده شمعة ، النظر الى قبر الفرعون (توت عنخ امون) عبر فتحة فوق باب القبر . لقد بهره ما رآه اذ ان الذهب انار ببريقه المكان وهكذا حقق هو وزميله (لورد كارتارفون) اعظم اكتشاف في تاريخ علم الآثار. بيد ان الايام القلائل التالية وضعت بين ايديهم مخطوطة طينية نقش عليها بالخط الهيروغليفي عبارة (سيضع الموت جباله حول عنق من يحاول تعكير صفو الفرعون في منامه) وشهد نيسان التالي وفاة اللورد كارتارفون بمرض غير مشخص في حين طارد الموت كل من اضطلع في فتح القبر فبلغ عدد الوفيات اثنين وعشرين بحلول عام ١٩٢٩ اي بعد مرور ستة اعوام فقط . رفض البعض الآخر من علماء الآثار الحديث عن فكرة (لعنة الفراعنة) على انها إثارة صحفية ومع ذلك فانه من الصعب الاعتقاد ان هذه السلسلة الطويلة من الوفيات كانت مجرد تزامن مخيف . لقد كان توت عنخ آمون (خليفة) الفرعون الأعظم المنشق اختاتون (نحو ١٣٧٥ - ١٣٦٥ ق. م) وهو أول الملوك الموحدين في التاريخ فهجر العاصمة (طيبه) بكل معابدها وبنى لنفسه عاصمةً جديدةً أسماها اخيناتون (سما اتون) في منطقة تدعى اليوم (تل العمارنه) . سجد لاله واحد فقط هو اله الشمس (آتون) اما اناسه الذين وجدوا في عبادة جمع الهة الحيوانات القديمة راحة لهم فقد كرهوا الدين الجديد وتغسوا الصعداء بصوت اختاتون أو لنقل (بمقتله) ولما يزل شاباً وكذا الحال مع الكهنة . أما خليفته فكان ابنه بالتبني أو ربما ابنه فعلاً (توت عنخ آمون) الذي تبوأ العرش وهو طفل صغير ولقي حتفه بضربة على رأسه ولما يبلغ الثامنة عشرة . كان توت عنخ آمون ، والحديث هنا للتأريخ ، مجرد اسم ربما لا يستحق الذكر حتى ، أما انجازة الوحيد ، ان كان انجازاً فهو انه قد ارتد الى دينه القديم

وعاد ادراجه الى العاصمة القديمة (طيبة) ولا يعلم احد على وجه الدقة الكيفية التي توفي فيها أكان قد سقط أم مات بضربة في رأسه . سأروي لكم الجزء الغريب من هذه القصة : كان كبير الكهنة (ورئيس البلاط) رجلاً يدعى (أي) اغتصب السلطة وتزوج أرملة توت عنخ آمون (نوه ستامون) البالغة من العمر خمسة عشر عاماً . لقد دام حكمه اربع سنوات الى أن اغتصب السلطة غيره . كان هذا المغتصب الجديد (هورحجب) الذي لم يكن بارزاً في ساحة الميدان بوفاة توت عنخ آمون . لقد ملأ العرش قلبه كراهية حتى غدا ، حال تبوأه العرش ، دكتاتوراً متسلطاً فأزال من سفر التاريخ كل ما سجله أخناتون وتوت عنخ آمون وأمسك بكل مخطوطة هيروغليفية ليحذف منها اسميهما واستخدم الاحجار الكبيرة لمعبد الشمس في تل العمارنة لبناء ثلاثة معابد في طيبة . ولم يكتف بهذا الحد بل هدم معظم قبور حاشية (أي) والفرعون توت عنخ آمون وسلب كنوزه ليضيفها الى ثروته . ولكن لماذا ؟ ان احد الاسباب المحتملة ان موقع القبر كان محاطاً بالكتبان . الا ان هذا الاحتمال بحد ذاته ذو اساس واه ذلك ان (هورحجب) كان قد تبوأ العرش بعد اربع سنوات من وفاة توت عنخ آمون وهذا يعني ان موقع القبر حتى وان بقي سرّاً فان هناك العشرات من الكهنة والعمال الذين يمكن (اغراءهم) لكشف موقعه وانه لمن الطبيعي ان تساورك الشكوك ان (هورحجب) دافعاً آخرّاً ليرك القبر مصان الحرمه .

وصل (هوارد كارتر) (الذي اكتشف القبر اخيراً) الى القاهرة في سني مرافقته فهو من مواليد ١٨٣٧ . ولما بلغ العشرين من عمره اصبح رئيس فريق المتقنين عن آثار الوجه القبلي والنوبه . ثم بدأ (نيودور ديفنس) وهو نزي اميركي تنقيباته في وادي الملوك عام ١٩٠٢ مهتدياً بنصائح (كارتر) . وقبل ذلك شنت مجموعة من لصوص المقابر في عام ١٩٠١ هجوماً مسلحاً على حرس قبر الجد

الاكبر لاختاتون (اهورموتب) الذي كان شخصية متعشنة للدماء وهربوا بكل خزائنه من ذهب ومجوهرات . غير ان (كارتر) تمكن من هزيمتهم وتقديمهم للمحاكمة مما جعله شخصية غير محبوبة بين المصريين ووجد نفسه عاطلاً بموجب الشوارع ويبقي على هذه الحال ريثما اتخذ (ثيودور ديفس) مهندساً لمخططاته فحققاً معاً بعض الاكتشافات المذهلة منها اكتشاف قبر (هورمجب) وقبر الملكة العظيمة (حاتشبوت) وقبر اختاتون (ثونموس الرابع) .

شهدت تلك الفترة رغبةً جارفةً لاماطة اللثام عن حقيقة لعنة الفراعنة . كان (جولتدن سمث) مهندس تخطيط بارع عمل مع فريق المنقبين وكان متزوجاً من (كورنيا)، الفتاة الاميركية الفاتنة الجمال التي تبلغ من العمر ٢٨ سنة . وقد توافق الزوجان ان يكون كل من (آرثر) الاميركي الجنسية و (هورنس ويجل) عالم الاثار البريطاني من بين اقرب اصداقائهما . وذات يوم شرع سمث و (ويجل) في النزول الى (وادي الملوك) فوقع نظرها على مدرج طبيعي يصلح أن يكون مكاناً مناسباً لعرض مسرحيتهم . قرر الجميع عرض (مسرحيتهم الدينية) على ذلك المدرج وان توجه الدعوة الى اغلب اعضاء جمعية علماء الاثار في (الاقصر) بيد ان عرض المسرحية لم يكن لغرض اللهو وحسب، فكلا الرجلين يكتان اعجاباً شديداً لاختاتون ولنتاجات عصره الفنية التي تميزت بانها اقرب الى الحياة من أعمال الفترات الاخرى . اما هدفهم الحقيقي فقد كان التضرع للالهة القديمة لترفع غضبها الذي حل بروح اختاتون ولتتركها تحبب العالم في خلودها التام . لقد توفي اختاتون استناداً الى ما تناقلته الاساطير في السادس والعشرين من كانون الثاني عام ١٣٦٣ ق . م وقرر سمث وويجل عرض مسرحيتهما في هذا التاريخ ووجهت الدعوات ، منذ عام ١٩٠٩ ، على هذا التاريخ .

ارتدى الجميع ، في الثالث والعشرين من كانون الثاني ، ملابس التدريب وظهر الاله (هورنس) يناجي روح اختاتون الظالة (التي جسدها هورنس)

عارضاً عليها ان تمنى منه شيئاً فترجاء اختاتون ان يريه امه الملكة (تاي) فاستدعى له امه بواسطة الطقوس السحرية وأمرته بحزنها وهي تراه مكياً في بؤسه الأبدى. اجابها اختاتون انه وحتى في قنوطه مابرح يرى سلواه في أفكاره التي أسبغها عليه الاله (آتون) ورجاها ان تتلو تراتيله على آتون. ولما بدأت كورنبا في تلاوة التراتيل غطى على صوتها صوت العاصفة القادم فوجدوا أنفسهم ازاء ياح عاتية كانت تقذفهم بالرمال والحجارة الصغيرة فذب الرعب في جسد العاملين وظنوا أن الالهة كانت تقذفهم بالحجارة، فنتحتم على الثمرين ان يتوقف وان يستعجل المثلون العودة الى مقراتهم الكائنة بالقرب من قبر (اميت حو) الذي تولى ذات مرة حكم طيبة. شعرت كورنبا، في وقت متأخر من مساء ذلك اليوم، بألم في عينيها بينما أحس هورنس بمغص معوي وحلم الاثنان في تلك الليلة أيضاً حليماً واحداً بأنها واقفان قرب معبد آمون قبالة تمثال الاله الذي دبت فيه الروح فضربها وأصاب كورنبا في عينيها وهورنس في معدته. وفي اليوم التالي استفحل الألم المبرح في جسد كورنبا بعد أن تفرحت عيناها وأسرعت الى القاهرة لمراجعة اخصائي شخص اصابتها بأسوأ أنواع التراخوما وهو الرمد المصري الذي لم يك قد رآه سابقاً. فيما التحق هورنس برفيقتة في مكان العلاج نفسه بعد مضي يوم واحد وقد تراءى له اثناء اجراء العملية انه أقرب الى الموت من الحياة. وهكذا توقفت المسرحية. كان من بين المدعوين لحضور المسرحية كل من هاورد كارتر ولورد كارنافون. كان كارتر، في تلك الفترة، يعمل لصالح ثيودور ديفس الذي قرر عام ١٩١٤ أن يهجر أعماله بعد أن ايفن أنه قد وجد ضالته في وادي الملوك. هنا أطبق كارنافون فكيه على هذا الحق المساح فهو يعلم ان ديفس قد ادرك تماماً انه عثر على قبر توت عنخ آمون وهو قبر كبير يضم سبائك الذهب وأشياء اخرى ولكنها لم يصدقا معاً أن الفرعون قد دفن بهذه الطريقة المتواضعة. الا ان ارتفاع حرارة الجو حالت دون شروعاتها في عملية الحفر حتى عام ١٩١٧ حيث بدأ كارتر العمل ببطء وانتظام

محاوياً إزالة مئات الأطنان من الانقاض التي خلفتها أعمال الحفر السابقة - شعر كارتافون، حيث لم يجد كارتير شيئاً عام ١٩٢٢ ، انه قد استنفذ الأموال على وادي الملوك دون طائل فطلب منه كارتير فرصة اخرى فوافق على ذلك. بدأ كارتير في الأول من تشرين الثاني عام ١٩٢٢ تنقيبات جديدة فحفر بركة الى الجنوب من رسيس الرابع ، وفي الرابع من الشهر ذاته اكتشف العاملون سلماً تحت أساسات أكواخ كان كارتير قد اكتشفها في عمليات الحفر الاولى وبلغ عددها في حلول المساء اثنا عشر سلماً تفضي الى بوابة صخرية محكمة الاغلاق. لم يتوان كارتير في ان يبعث برسالة الى كارتافون في بريطانيا فوصل بعد اسبوعين فقط، شق الاثنان طريقهما عبر البوابة ليعيشا حالة من الذهول المتزايد فالقبر لم يتصله يد بعد وثمة بوابة اخرى أسفل البوابة الرئيسية بثلاثين قدماً. أحدث كارتير بيديه المرتعشتين، فتحة في الكتلة الصخرية من زاويتها العليا وأمنع النظر خلالها، بمساعدته ضوء الشمعة، ليرى الحيوانات الغريبة والثمائل والذهب وشاهد مراكز مقلوبة تجرها الخيول وثمانياً بحجمها الطبيعي واسرة وعروشاً مطلية بالذهب. بيد انه لم ير المومياء فهذه لم تكن سوى حجرة الانتظار ولكنها هي التي وجد فيها المخطوطة (سيضع الموت جباله حول عنق كل من يحاول تعكير صفو الفرعون في منامه) لقد دونها كارتير ثم اختفت بعد أن خشي أن تحدث اشاعة وتثير مخاوف العمال. اما تمثال هورس فقد نقش عليه عبارات تدل على انه حامي القبر. تلقى عدد من الشخصيات ، في السابع من شباط عام ١٩٢٣ ، دعوة لحضور عملية فتح القبر نفسه، استغرقت عملية الحرق التي تفضي الى غرفة الكنز ساعتين وفي تلك اللحظة لم يكن يفصلهما عن التوابت الذهبية التي كانت ستتل شهرة عالمية غير باين مقفلين باحكام فقرروا ترك ذلك الامر لليوم التالي فالثروة التي أحاطوا بها جعلتهم يتخبطون في أمرهم. بيد ان القدر قد حال بين كارتافون ورؤية الثروة بعد ان اقعده المرض في نيسان من تلك السنة.

وذاث صباح شعر وهو يتناول فطوره بحرارة عالية تجاوزت اربعين درجة مئوية ارهقت جسده اكثر من اثني عشر يوماً خال طبيبه انها ناجمة عن فتح جرح قديم وهو يخلق ذقنه ولكن هذه الحمى توحى ان مصدرها لسعة بعوضة. بعث في طلب هاورد كارتر الا ان الموت كان أسرع منه فتوفي في الساعة الثانية صباحاً. ولما وصلت عائلته الى سريره انطفأت على حين غرة كامل الأتوار وتحتم عليهم حينها اضاءة الشموع. لقد كان خللاً كهربائياً عمت بسببه الظلمة مدينة القاهرة بأسرها. وأشارت بعض التقارير التي نشرت وفاة لورد كارتافون ان انقطاع التيار الكهربائي لم يكن هناك ما يبرره قط. وطبقاً لما قاله نجل كارتافون فان حدثاً غريباً آخرأ قد حدث في تلك الليلة في بريطانيا اذ أخذ كلب الصيد الذي يعود لوالده بالنباح ثم مات. تناقلت الصحف القصص عن (لعنة الفراعنة) وكان هذا الى حد ما خطأ كارتارونس، اذ باع حقوق النشر عن قصة توت عنخ آمون الى صحيفة التايمز اللندنية بينما أخذت بقية الصحف نشر ما يقع بين ايديها من قصص سواء اكانت حقيقة مكتشفة ام ملفقة. بيد أن قصة اللعنة لا تحتاج البتة لأي لمسات صحفية تضاف اليها. فأثرفيس - عالم الأثر ار الاميركي الذي ساعد في فتح القبر - أعياء الاجهاد بعيد وفاة كارتافون ونام في غيبوبة لم تفارقه حتى فارق الحياة في فندق (الكونتيننتال) الذي توفي فيه كارتافون. أما جورج جي كولد- نجل الثري الاميركي المشهور- الذي قدم الى القاهرة بعد سماعه موت كارتافون واصطحبه كارتر لرؤية القبر فقد انتابته الحمى في اليوم التالي وتوفي في مساء ذلك اليوم.

كما زار جو وول -الصناعي البريطاني- موقع القبر ومات بعد اصابته بالحمى وهو في طريق عودته الى بريطانيا. كما أن ارشيبال دوغلاس ريد- اخصائي التصوير الشعاعي الذي فحص مومياء توت عنخ آمون باشعة اكس- مات في طريق عودته الى بريطانيا سنة ١٩٢٤ بعد معاناته من نوبات الضعف

الشديد. ازدادت أرقام الوفيات فبلغت ثلاث عشرة ضحية في السنوات القليلة التالية ووصلت بحلول عام ١٩٢٢ اثنين وعشرين. في عام ١٩٢٩ توفيت زوجة كارتافون متأثرة بلسعة بعوض كما مات ريتشارد بيتيل -سكرتير كارتو- على فراشه بعد توقف الدورة الدموية وتوفي بالسبب نفسه الاستاذ دوغلاس ديري احد العاملين الذين أجريا عملية تشريح موسياء توت عنخ آمون وذلك عام ١٩٢٥، أما العالم الآخر ويدعى الفريد لوكاس فقد مات بنوبة قلبية في نفس تلك السنة. لم يكتب فيليب فاندنبرغ في كتابه الموسوم «لعنة الفراعنة» بجزء أعداد الموتى الذين اقترنت حالات وفياتهم بفتح قبر توت عنخ آمون بل تعمق أكثر من ذلك عندما ذكر العديد من علماء الآثار الذين اقترنتوا بمصر ولقوا حتفهم قبل أو انهم مشيراً الى ان أغلب تلك الحالات قد أضناها الاعياء الشديد قبل مماتها ويضع هوزارد كارتو بين ايدينا دليلاً، فقد قاسى هو نفسه في تلك الحادثة بما فيها من نوبات الاكتئاب. يحاول بعدها الكاتب الاجابة عن تساؤل مهم هو هل ان كهنة مصر كانوا على علم بالمواد السامة ونمو الفطر الذي سيقى على قوتهم ابد الدهر. لقد كان من بين الضحايا الاوائل الذين ذكرهم فرانسو شامبولين الذي حل رموز صخرة روميتا وعالم الحيوان المصري المشهور بلزوتي والطبيب السوابي ثيودور بلهارز (الذي سمي باسمه مرض البلهارزيا) وعالم الآثار جورج مولر وأقرب أصدقاء كارتو الاستاذ جيمس هنري برستيد الذي قال ان كارتو قد اعياء المرض واضناه الوهن بعد تنقيب القبر حتى كان يبدو في بعض الاحيان كانه لا ينتمي الى الجنس البشري ولم يعد يسيراً عليه اتخاذ القرار وبقي هكذا حتى مات في عمر يناهز السادسة والسنتين.

استهل فاندنبرغ كتابه بمحاورة اجراها مع الدكتور جمال مهرز المدير العام لقسم الآثار في القاهرة. أوضح فيها جمال، الذي يبلغ من العمر ٥٢ عاماً، عدم ايمانه بفكرة اللعنة قائلاً: «انظر الي، لقد قضيت معظم سني حياتي بين القبور

ومومياءات الفراخنة وها أنذا مثال حي يبين لك ان كل ذلك ليس الا مصادفة. لم تخض سوى أربعة أسابيع حتى مات متأثراً بتوقف الدورة الدموية.

ومع ان فاندنبرغ نفسه حاول التقليل من صحة فكرة المصادفة فإنه لم يوفق في الوقت ذاته في تفسير فكرة (اللجنة) علمياً فتراه يقول ان لشكل الهرم تأثير في هذه (اللجنة). يعتقد أن الهرم يمتص طاقة كونية معينة قادرة على التأثير في صحة الانسان ويقول ايضاً ان المصريين عرفوا كيفية التحكم في النشاط الاشعاعي. ومن المؤكد أن الكثير سوف يتهم مثل هذه النظريات بأنها ساذجة فاللجنة في نظرهم ما هي الا حصيلة طقوس لايقاظ (الشيطان) الوصي أو الروح. ومثل هذه الاعتقادات ما برحت تلقى من يؤمن بها في وقتنا هذا.

وعلى سبيل المثال، يصف لنا الباحث النفساني جي ليون بلايفر سنواته التي أمضاها في البرازيل وكيف تفحص (ديار الروح الشريرة) التي يلوح انها محصلة اللعنة اي (السحر الاسود). ان معظم الباحثين في (الظواهر الخارقة) ميالون الى الاعتقاد ان الروح الشريرة أو (الشيح) هي نوع من ظاهرة العقل اللاواعي عند (المراهق المضطرب) وان الاشياء عندما تحلق فجأة حول الغرفة انها سببها (قدرة العقل الآتية وليس القدرة الجسدية).

يرى بليفر بالرغم من قبوله بعض جوانب التفسير اعلاه، ان الروح الشريرة ماهي الا (روح شاردة) يمكن اغوائها بممارسة بعض الطقوس الدينية لتستخلص اشخاصاً معينين أو لتسبب الفوضى في المنازل. واذا ماحدث ذلك فإنه سيتم استدعاء اخصائي كاندومبيلي (وهي عبارة لها معناها في افريقيا) لطرده التأثير الشرير وفي الحقيقة ان السحر التقليدي استند، وعلى مدى العصور، الى هذا الاعتقاد، اي استخدام الروح لاغراض سحرية. درس ماكس فريدم لونغ، الباحث المعاصر الاخر، ديانة (الحنه) في هاواي وبات موقناً ان كهنة هذه

الديانة المعروفين باسم (كاهوناس) كان باستطاعتهم احداث الموت بتأثير (صلاة الموت) وكتب يقول : «الحقيقة انني تفحصت ، وعلى مدى سنين عديدة ، معلومات وردتني من أطباء اعتادوا التردد الى مستشفى الملكة في هونولولو. لم تمر سنة الا ورأيت فيها ضحية أو أكثر توفيت بتأثير السحر الفعال دون أن تنفع لها شيئاً جهود الأطباء الحثيثة». يقول لونغ ان الكاهوناس يعتقدون ان للانسان ثلاث أنفس أو أرواح هي الانفس السفلى والوسطى والعلوية. النفس السفلى هي أقرب الى ما سماه فرويد بـ (اللاوعي) وهي تقود قوى الانسان الحيوية وتبهرن عليها العاطفة. أما النفس الوسطى فتتمثل الحالة الواعية الاعتيادية اليومية للانسان. بينما تصلح تسمية العلية «العقل الخارق الوعي» فهي تمثل قوى تجهلها النفس الاعتيادية اليومية. تتخذ هذه الأنفس الثلاثة من الجسد مستقراً لها لاتفارقه الا بعد الموت.

بيد ان النفس السفلى قد تنفصل احياناً عن الاخرتين فتصبح عندئذ روحاً دنيوية من النوع الذي يسبب اضطرابات الشبح الصاخبة أو الروح الشريرة وهي مركز الذاكرة ايضاً طبقاً الى معتقد الكاهوناس بينما تفتقد النفس الوسطى لذلك والتي اذا ما انفصلت عن الاخرتين غدت كالطيف الضال لايملك ذاكرة أو ما يمكن اعتباره (الشبح). ويضوء ما أورده لونغ فان (صلاة الموت) تستغيت بأرواح سفلى طليقة شديدة التعرض للايحاء وسهلة الانقياد. أما ضحية صلاة الموت فتراه يعاني اضطراباً مطرداً بعد ان تستنزف الارواح طاقاته الحيوية. لقد استقى لونغ معلوماته حول الكاهوناس (التي دونها في كتابه الموسوم «العلم الخفي في ما وراء المعجزات») من طبيب يدعى وليم نوكس بريغهام الذي درس تقاليد هؤلاء الاقوام فترة سنوات. اخبره بريغهام قصة حقيقية عن صلاة الموت مفادها انه حضر حفلة لسكان الهاواي لتسلق جبل وهناك مرض صب لم يتجاوز عمره الخامسة عشر اخذ يشعر بالخدر الشديد يرتفع من المحص فدمه

فأخبر بريغهام انه غشحية صلاة الموت . وكان أحد رجال الكاهونات (الكاهونة) يمقت في قرينته الرجل الابيض ويهدد ان اياً من سكان الهاواي سيكون ضحية صلاة الموت لو عمل لصالح الرجل الابيض وعليه بات الصبي ضحية صلاة الموت عندما قبل العمل عند بريغهام وعلم الكاهونة بذلك بواسطة الاستبصار فإدى صلاة الموت لكي توصل الصبي الى نهايته .

طلب سكان هاواي ، وقتئذ ، من بريغهام الذين اعتقدوا أنه ساحر ايضاً ان ينقذ الغلام فقرر المحاولة . انتصب فوق الصبي عاملاً بافترضه ان الارواح السفلى قد هاجته وان هذه الارواح شديدة التأثير بالاجزاء فحاول متزلفاً ومحاطباً لها ان الصبي هو ضحية بريئة وان الطبيب الدجال هو الذي يستحق ان تكسر عظامه . لم يحاول ان يجيد عن فكرة الطبيب الدجال وان يواصل تأكيدها لسويغات قليلة اخرى لاسيما وقد اتضح له ان التوترا اخذ يتلاشى فحق له ان يتنفس الصعداء . اعلن الصبي انه قد بدأ يشعر برجليه . بعدئذ شاء بريغهام زيارة قرية الغلام وعلم هنالك ان الكاهونة قد مات بعد ان اخبر سكانها ان (الساحر الابيض) قد قلب عليه الارواح لتهاجمه فيما يعتقد بريغهام ان الكاهونة قد ذهب للنوم مبكراً وعندما استفاق وجد نفسه تحت هجوم لم يفتع معه شيء فلفد سبق السيف العذل . يعتقد لونغ ان افريقيا هي اصل الكاهونات وربما تكون مصر موطنهم (بدأت رحلتهم من البحر الاحمر في كين) وهي اقرب ما تكون الى الرأي القائل انهم قدموا من مصر عبر البحر الاحمر . يؤمن المصريون ان الانسان كائن مركب وجسد تستوطنه عدة ارواح اولها تسمى الـ (كا) أو (الروح المزدوجة) وهي اقرب الى ما يسمى احياناً (الجسد الوهمي) والـ (با) أو روح القلب والـ (كو) أو الروح الدينية وهنالك ايضاً الـ (آب) أو روح القلب والـ (كابيت) أو الظل والـ (اسيكم) أو القوة الحيوية والـ (رين) أو اسم الانسان .

يقول لونغ : «نجد في مصر مثلما نتوقع . . بصمات محدودة تشير الى نظام الكاهوناس». ومضى يصف تقاليد مصر بتفاصيل أدق ويعتقد ان الكاهونة قد وصلت هاواي عبر مصر كما تركوا بعض بصماتهم على ديانة الهندوس. ان المؤثرات الغربية الواهنة التي اختبرها العلماء ، بما فيهم كارتر، تشبه في جوانب عديدة مؤثرات صلاة الموت التي وصفها بريغهام ولونغ بيد انه ليس من الضرورة اقامة جسر من الروابط المباشرة بين الكاهوناس في هاواي وديانة مصر القديمة. فاذا ما كان لونغ وبلينغر على صواب واذا ما أمكن استخدام (الشيخ الصاحب) أو (الأرواح السفلى) لأغراض سحرية فانه من المنطقي الاعتقاد ان كهنة مصر القديمة قد استخدموها (حماية للقبر). لقد وصف الساحر البريطاني بول برنتون، في كتابه الموسوم «البحث عن مصر الخفية» ليلة أمضاها في (ديوان الملك في الهرم الأكبر) فهو يتحدث عن شعور غريب (اني لم أكن وحيداً) وتطور الى احساس انه أسير (كائنات معادية - مخلوقات بدائية هائلة - رعب شيطاني من العالم السفلي - معالم الجنون والغرابة والشيطانية) وجاءت النهاية بحزنها الرهيب فلقد اختفى الغزاة الأشباح وتوارى معهم حقدهم فساور برنتون شعور ان حب الخير قد عم الديوان ثم اعتقد انه قد شاهد اثنين من كبار الكهنة.

يعترف فاندنبرغ الذي نقل ذلك ان كل ما أورده برنتون هو من بنات خياله، بيد انه يصف لنا في الوقت ذاته كيف انه سمع في أثناء زيارته للمهرم عام ١٩٧٢ ، عويل امرأة انهارت بعدها ثم فقدت قدرتها على الحركة وقد أخبرته فيما بعد : «أشعر كأن شيئاً ما قد ضربني». وأكد الدليل ان مثل هذه الهجومات ليست بالشيء الجديد. فاذا ما كانت هذه الوقائع الغربية مجرد خيالات لكان من المنطقي أن نقول ان الشيء ذاته ينطبق على الفراعنة. وقبل هذا وذاك فان فاندنبرغ قد توفي بما يشبه لعنة الفراعنة بينما توفي الآخرون نتيجة لنوبة قلبية أو توقف الدورة الدموية. وفي برنامج لهيئة الاذاعة البريطانية (BBC) عن لعنة

الفراعنة أكد هنري لنكولن - الباحث في لغز ريتيه لي شاكو- : «ليس هنالك
البتة لعنة الفراعنة» وبقينا أن هذا هو التفكير الأكثر ارتباطاً.

التكهن النفسي

تلسكوب يكشف الماضي

اجتمع أعضاء جمعية (علم النفس التأملي) في شتاء عام ١٩٢١ في باريس ليختبروا امرأة تمتلك القدرة على الاستبصار. وقد كتب شخص ما رسالة وطلب من شخص آخر ان يوصلها إليها، ولكن قبل أن تصل إليها وقعت بيد الكاتب الروائي باسكال فورتنى الذي قال: «ليس من الصعب اكتشاف أي شيء ينطبق على أي شخص». بعدها أغمض عينيه وتفوه بوقار «آه . . . نعم . . . اني أرى جريمة، جريمة قتل» ولما انتهى من كلامه قال الرجل الذي جلب الرسالة «لقد كتبها هنري لاندرو». كان لاندرو قاتل نساء حوكم بعد ذلك عن جريمة قتل احدى عشرة امرأة. وقد اكتشف المشكك (فورتنى) بانه كان يمتلك قدرة غريبة تعرف بالتكهن النفسي، وهي القدرة على معرفة تاريخ الشيء حال لمسه باليد.

واستناداً للرجل الذي ابتكر الكلمة، وهو طبيب امريكي يدعى (جوزيف رودز بوكانان)، -يعمل استاذاً للطب في كنتاكي- فان هذه القدرة نمتلكها جميعاً، ولكن عادة نارسها بشكل لا شعوري. وقد توصل الى الاعتقاد بوجود مثل هذه القدرة البشرية عام ١٩٤٨ عندما التقى بمطران يدعى (ليونيداز بولك) الذي يدعي انه يستطيع التعرف على النحاس الأصفر عند لمسه اياه -حتى في الظلام- لأنه يسبب طعماً خاصاً في فمه. وقد كان (بوكانان) مهتماً بعلم يعرف بـ(فراصة الدماغ)، وهو دراسة شكل الجمجمة بوصفه مظهراً دالاً على الشخصية، وقد بين اكتشافه ان (بولك) يمتلك ما يدل على حساسيته المفرطة. فقرر ان يجري اختباراً علمياً للطلبة الذين يمتلكون مثلها يمتلك (بولك)، فقام

بتغليف مختلف المعادن بالورق، وابتهج عندما اكتشف ان العديد من طليته يستطيعون استكشاف النحاس الأصفر والحديد والرصاص وغيرها من المعادن بمجرد ضغط أطراف أصابعهم على الورق، وكان باستطاعتهم تمييز المواد مثل الملح والسكر والفلفل والحل.

استتج بولكانان ان التفسير يكمن في ما يشبه (الجو العصبي) المحيط بأطراف الأصابع الذي بإمكانه ان يكشف المعادن مثلنا نستطيع ان نميزها عندما نتذوقها بطرف اللسان. وقد ظهر ما يؤكد كلامه عندما لاحظ ان العملية تبدو أفضل عندما تكون اليدان مرطوبتين بالعرق ذلك ان الجلد الرطب حساس أكثر من الجلد الجاف. لكن هذا التفسير بدأ غير واف عندما اكتشف ان أحد الافراد الذين يختبرهم وهو أكثرهم حساسية - يدعى (تشارلز أنان) - بإمكانه معرفة مضامين الرسائل المغلقة، وشخصيات كاتبها. وكان تفسير (بولكانان) لذلك هو ان (الجو العصبي) للكاتب يترك نوعاً من الاثر على الرسالة، وقد كان انان قادراً على التقاط هذا الاثر من خلال جوه العصبي. وبكلمات اخرى كانت حساسية (انان) تتطور بشكل غير طبيعي بنفس الطريقة التي تتطور فيها حاسة الشم عند الكلب البوليسي.

لكن هذه النظرية فشلت أيضاً عندما اتضح ان (انان) كشف عن نفس المشاهد عندما قدمت له صور في ظروف مغلقة (وكانت صوراً دغرية^(١)). وحتى لو قلنا جديلاً ان الصورة كانت على اتصال مع الجالس امام المصور وانها التقطت بعضاً من جوه العصبي، فان ذلك لم يعد مقنعاً عندما اكتشف (بولكانان) ان صور الجرائد أعطت نفس النتائج التي أعطتها الصور الدغرية.

قرأ الامتاز في علم الجيولوجيا (وليام دنتون) من جامعة بوسطن البحث

(١) daguerreotype : وهي طريقة قديمة في التصوير الفوتوغرافي على الواح فضية.

الأصلي (لبوكانان) حول التكهن النفسي فقرر ان يجرب بنفسه. كما كانت شقيقته آن حساسة جداً بل أثبتت انها أفضل من اثنان في مجال التكهن النفسي، فهي لم تكن قادرة على وصف شخصية كاتب الرسالة فحسب بل تستطيع ايضاً وصف مظهره الخارجي وما يحيط به. وقد جعل هذا (دنتون) يتساءل : أيمن ان نتطبع على الرسالة صورة الكاتب وما يحيط به، لماذا لا نتطبع الاشياء على الصخور المحيطة بها، تلك الاشياء المجاورة للصخور فترة سنوات. لذا بدأ دنتون عام ١٨٥٣ باختبار الناس الحساسين بعينات جيولوجية وأثرية، وفرح عندما وجد ان تاريخ العينة يمر امام الشخص الحساس مثل منظر بانورامي شامل دون ان يكون له أية معرفة مسبقة بالعينة ومن دون ان يراها. فعندما وضع في يد اخته قطعة من حجر بركاني من هاواي، اندهشت عند رؤيتها بحراً من النيران يغلي وهو يتحدر في هوة وقد رأت فيها رأت بحراً يعج بالسفن. أدرك عندها دنتون ان انفجار بركان كذف الحجر في عام ١٨٤٠ عندما كانت مجموعة من السفن الاميركية في هاواي. وأظهرت كسرة عظم وجدت في قطعة من حجر الكلس صورة لشاطيء فيه ديناصورات يعود الى ما قبل التاريخ. بينما اظهرت كسرة من أنية فخارية هندية صورة للهند الحمر. وتجلت من حجر نيزكي صور لفضاء تبدو فيه النجوم كبيرة ومشرقة بشكل غير طبيعي. كما تجلى من حجر صخري من نياغارا صورة لتيار شديد يقذف رذاذاً بشدة (تصورته بخاراً). واظهرت قطعة من الهوابط (وهي رواسب كلسية مدلاة من سقف المغارات) صورة لقطع من صخور مدلاة شبيهة بالدلاة الجليدية. ولكي يكون واثقاً من ان الذين استخدمهم للتجربة لم يلتقطوا أية إشارات لاشعورية ولم يميزوا العينات، عمد دنتون الى تغليفها بورق سميك. وقد وجد ايضاً أن اجراء التجربة على نفس العينة ولكن في وقت آخر سولنقل بعد شهر- سيتمخض عن النتيجة نفسها برغم ان الصورة لا تكون طبق الاصل.

وفي احد تجاربه المثيرة عرض دنتون لزوجته كسرةً من قرميد روماني مأخوذ من فيلا كانت تعود الى الخطيب شيشرون، فوصفت زوجته فيلا رومانية وصفوفاً من الجنود، ورأت ايضاً مالك الفيلا وهو رجل بدين ذو قسبات رقيقة له مظهر القائد. لقد خابت آمال دنتون، فقد كان شيشرون طويلًا ونحيفاً. ثم اكتشف في الوقت الذي بدأ فيه بكتابة الجزء الثاني من كتابه (روح الاشياء) ان الفيلا تعود ايضاً الى الطاغية سولا، وان اوصاف سولا تنطبق مع وصف زوجته. وثمة محاولة أخرى مؤثرة تمثلت في صورة أحدثتها قطعة من صخرة بركانية من بومبي. لم تكن لدى السيدة دنتون أية فكرة عنها ولم تكن تتبينها ولكن كان لديها انطباع قوي في انها تمثل بركان فيزوف وان حشداً من الناس يفرون بجلودهم من بومبي. وكان لدى ابن دنتون (شيرمان) رؤية اكثر تفصيلاً عن بومبي القديمة ويكملها بالكثير من التفاصيل التراثية التي ثبت انها صحيحة تاريخياً - كروية صورة لقارب تمثل مقدمته رقية بجعق.

لقد كان دنتون مهتماً بالموضوع بشكل كبير الى الحد الذي اعتقد فيه أنه اكتشف مع بوكاتان قدرة بشرية لم تكن معروفة في السابق وهي نوع من (تلسكوب يكشف الماضي) يجعلنا قادرين على احياء مشاهد عظيمة من التاريخ. فكل ما يحدث في العالم يسجل على ما يشبه الشريط السينمائي (على الرغم من ان هذا، بالطبع، لم يكن صورةً قد ظهرت لدنتون) ويمكن اعادته عند الرغبة.

في الوقت الذي كان فيه الدليل على وجود قدرة بشرية على التكهّن النفسي امراً مقضياً، لم يكن دنتون مدركاً لإمكانية أن يكون ذلك خادعاً. فالجزء الثالث من كتاب (روح الاشياء) الذي نشر عام ١٨٨٨ يحتوي على صور لمختلف الكواكب تتنافى وما نعرفه عنها في الوقت الحاضر. فتظهر في كوكب الزهرة على سبيل المثال اشجار عملاقة شبيهة بالنباتات الفطرية، وحيوانات تبدو وكأن الرسام هيرونيموس بوش قد ابتكرها. ويظهر المريخ في درجة حرارة الصيف

وفي احوالها ان جوة يصل الى درجة الانجماد وما هو اشد من ذلك انهم اصابوا
وعيون زرق وشعر اصفر، ويظهر في المشتري ايضاً ناس شقر ذوو عيون زرق
وظفائر تتدلى على صدورهم وهم القدرة على السباحة في الهواء كالبالونات. لقد
تطورت بشكل واضح عند شيرمان ابن دنتون (الذي كان مسؤولاً عن معظم
هذه الاوصاف غير الطبيعية) القدرة البشرية التي يدعوها يونغ بـ (الخيال
الفعال) اذ كان قادراً على التمييز بينها وبين قدراته الحقيقية على التكهن النفسي.

ان ما يؤثر في القاريء الحديث الذي يقرأ كتاب دنتون (روح الاشياء)
وكتاب بوكانان (دليل التكهن النفسي) (وله عنوان فرعي متفائل «فجر الحضارة
الجديدة») هو مداخلها العلمية الشاملة. وهذا ما أثر في معاصريها في البداية.
ولكن، لسوء الحظ، فان الفترة التي كانوا يعرضون فيها تجاربهم هي نفس الفترة
التي انتشر فيها حماس جديد ليهان بامكان الاتصال بالارواح عبر امريكا واوروبا.
وقد بدأ ذلك بظهور أشباح مزعجة غريبة في بيت عائلة فوكس في ولاية
نيويورك في أواخر الأربعينات من القرن التاسع عشر. وعند حلول عام ١٨٦٠
سانت هذه الظاهرة منتشرة على مستوى العالم وقد روعت العلماء مما جعل
معظمهم يستبعدونها ويعتبرونها محض وهم. وأخذ كل شيء يرتبط بها وراء
الطبيعة عن بعد يهدف الى نفس الاتجاه التشككي. فلم تنل أبحاث بوكانان
ودنتون الاهتمام الذي تستحقه. وقد توفي دنتون عام ١٨٨٣ وبوكانان عام
١٩٠٠ وكان يكتنف وفاتها غموض مشترك.

وقد قام بالتجارب الأساسية التالية حول التكهن النفسي الدكتور غوستاف
بيجنستر، الألماني الذي ذهب الى مدينة مكسيكو في الثمانينات من القرن التاسع
عشر. وقد كان يعتبر نفسه مادياً وواقعياً. وبعيد الحرب العالمية الاولى كان
بيجنستر يعالج بالتنويم المغناطيسي مريضة مصابة بالأرق اسمها ماريا ريزدي
زيرولد وذلك يوم بينما كانت مستلقية في غيبوبة في احدى جلسات التنويم

المغناطيسي، أخبرته ان احتها كانت تسترق السمع عند الباب ففتح بيجنستر الباب ووجد الأخت هناك. فبدأ بإختبار القدرات غير الطبيعية لما ربا ووجد انها تحت التنويم المغناطيسي تشاطره في حواسه فإذا وضع سكرأ أو ملحاً على لسانه أمكنها تذوقه، واذا حل عود ثقاب مشتعل بالقرب من أصابعه شعرت بحرارة اللهب. ثم بدأ يختبر قدراتها في التكهن النفسي. وعلى غرار ما حدث في الحالات التي تطرق اليها دنتون، فقد كان باستطاعتها ان تصف من أين أتت العيبة. فعند حملها صدفه بحرية، وصفت اندفاعه عتيفة وسريعة عبر الفضاء باتجاه الغلاف الجوي للأرض (انتي خائفة! ياإلهي!). وعندما أراد الدكتور والتر فرانكلين برنس اختبارها نيابة عن الجمعية الأمريكية للبحوث النفسية، وضع في يدها شيئاً شبيهاً بحبة فاصوليا بحرية كان قد وجدها على الشاطيء، فوصفت غابة استوائية، وقد اكد علماء النبات ان الحبة كانت تمثل جوة من شجرة نمت في غابة استوائية وقد حملتها الانهار الى البحر.

وثمة شخص بارز آخر قام بتجاربه في العشرينات من هذا القرن وهو الدكتور يوجين أوستي، وهو مدير معهد علم النفس التأملسي الذي تعرف فيه الكاتب الروائي باسكال فورثني على الرسالة المبعوثة من لاندرو القاتل بالجملة. وقد وصف أوستي في كتابه الكلاسيكي (القدرات الخارقة للطبيعة لدى الانسان) العديد من التجارب حول التكهن النفسي التي اجراها لمختلف الاشخاص الذين لديهم حساسية مميزة.

فقد عشر عام ١٩٢١ على صورة فوتغرافية لكبسولة زجاجية مغلقة تحتوي على سائل ما وجدت قرب المعبد الكبير في بعلبك. وعندما حملت مدام مورال الصورة في يدها، وهي من افضل الذين يستجيبون لمثل هذه المؤثرات لديه (كانت الصورة مشوشة جداً الى حد أنها قد تمثل اي شيء) قالت في الحال انها تذكرها بـ (مكان فيه اناس ميتون) وتذكرها بشيخ واحد على وجه الخصوص.

لقد (رأت) مكاناً واسعاً شبيهاً بكنيسة ضخمة، ثم أستمرت تصف الرجل الذي كان يمثل بجلاء ووضوح كاهناً أعلى. لقد كانت الكبسولة في الصورة تحتوي على دم الرجل الذي قدم نفسه قرباناً في أرض ما بعيدة، وقد وضعت في قبر الكاهن كتذكارة.

وبينما لم تكن لدى أوستي أية فكرة عما تمثله الصورة، فوجيء عندما علم ان المهندس الذي وجدها يستطيع ان يؤكد بأنها كانت قد اكتشفت في ضريح فخم في وادي البقاع.

وتشير هذه القصة مرة اخرى المشكله الرئيسية حول التكهن النفسي. فافتراض بوكانان الاصيلي، ومفاده ان التكهن النفسي هو ببساطة نوع من الاثارة للحو العصبي مما يجعلنا نعتبر المتكهن النفسي نوعاً من الكلاب البوليسية البشرية، لايمكن ان يكون مقنعاً إذا كانت النتيجة هي امكانية الحصول على المعلومات من صور فوتوغرافية لايمكن ان نتوقع منها حفظ اي نوع من الأثر. وحتى افتراض دنتون بأن كل شيء يمكن أن (يصور) بطريقة ما الاشياء المحيطة به، يبدو مبهماً. ففي هذه الحالة، يمكن لقطعة شارع روماني أن (تصور) مساحة محدودة فقط. وروية مدام دنتون للمحاربين الرومان تتمثل ببساطة برويتها سيقاناً مشعرة تمر فوقها.

والفرضية الاكثر احتمالاً هي ان القدرة البشرية المعنية هنا ما هي الا تلك القدرة التي تعرف قديماً بـ (الاستبصار) وهي القدرة الخاصة بمعرفة ما الذي يحدث في مكان آخر أو في زمان آخر. ولكن قدرة المطران بولك على تمييز النحاس الأصفر في الظلام ليست من الاستبصار في شيء. ومن المستحيل بشكل خاص، هنا كما في العديد من الاماكن التي فيها اشياء خارقة، رسم خطوط مقسمة على نحو مرتب.

لقد كان العديد من المتكهنين النفسيين من أمثال جيرارد كرويست ، وبيتر هيركوس ، وسوزان بادفيلد قادرين على استخدام قدراتهم في مساعدة البوليس على الكشف عن الجرائم : فقد كانت سوزان بادفيلد قادرة على مساعدة بوليس مدينة موسكو في القبض على قاتل اطفال دون ان تغادر منزلها في دورسيت . بيد ان الشيء اللافت للنظر هو أن كرويست يمقت ان يدعى بالمتكهن النفسي او المستبصر وتؤثر فيه كلمة أكثر غموضاً وهي (العارف بما وراء الروح) -Parag-nost ، وتعني ببساطة القدرة على معرفة ما يكمن وراء الحدود الطبيعية للحواس .

الاشباح المزعجة

الشبح المزعج أو «الشبح الضاج» هو واحد من الظواهر العويصة في موضوعة الأشياء الخارقة للطبيعة. فثمة آلاف من الناس لا يؤمنون بالاشباح بيد أنهم مجبرون على الاعتراف بأن الدليل على وجود الأشباح المزعجة من القوة بحيث لا يمكن تجنبه. والنظرية المناسبة لمثل هؤلاء المشككين هي أن الشبح المزعج ما هو إلا نوع من الأفكار الغريبة في العقل البشري، ليس له تفسير.

وإذا كان «الشبح المزعج» يمثل شبحاً أو «روحاً» كما يدل اسمه على ذلك، فإن الخاصية الرئيسية التي يتوسم بها هي كونه روحاً شريرة. فالأشباح المزعجة تطير الأشياء في الهواء وتفتح الأبواب وتغلقها وتطلقها، وتظهر بركاً من الماء ولكن ليس في أي مكان. وهي نادرة جداً. وقد يكون من المحتمل أن شبحاً مزعجاً ما يقوم في هذه اللحظة بالذات بفعالية ما ضمن مجال يحيط بقاريء هذا الكتاب ويمتد الى عدة أميال (انني أعرف حالة تحدث الآن وأنا أكتب هذه الكلمات ضمن مجال يمتد الى عدة أميال).

وقد سجلت واحدة من الحالات المعروفة والقديمة في سجل تحت عنوان (Annale Fuldenses) ويرجع تاريخها الى ٨٥٨ بعد الميلاد، حدثت في بيت ريفي في بنجن على نهر الراين. ويصف السجل «روحاً شريرة» ترمي الأحجار وتجعل الجدران تهتز وكأن رجالاً يضربونها بالمطارق. ويعتبر رمي الأحجار من أكثر الفعاليات التي يقوم بها الشبح المزعج. هذا بالإضافة الى إشعال الحرائق وهي من الفعاليات المفضلة لديه (على الرغم من انه لأسباب معينة لا يتسبب في حدوث ضرر خطير) ففي هذه الحالة قام بحرق محاصيل الحقل بعد ان جمعت بوقت قصير. وعلاوة على ذلك فانه يطلق صوتاً (وهي خاصية نادرة في حالات

الأشباح المزعجة) ويعنف الإنسان لقيامه بمختلف الأثام ومن ضمنها الزنا والخيانة الزوجية. لقد فشل الرهبان الذين أرسلهم مطران ماينز على ما يبدو في طرد الشبح المزعج، وفي حقيقة الأمر فإن التخلص منه بواسطة طقوس تعويذية ضرب من المستحيل. لقد بدأت ظاهرة الشبح المزعج تدرس بعناية بعد تشكيل جمعية للبحث النفسي عام ١٨٨٢ وقد لوحظ بعدها في الغالبية من الحالات وجود أطفال مرهقين في البيوت التي تحصل فيها مثل هذه الأحداث. وبدأ الافتراض الفائل بأن الأطفال هم «سبب» حدوث هذه الحالات معقولاً. ففي عصر فرويد كانت أكثر النظريات قبولاً هي ان الشبح المزعج ما هو إلا نوع من الظهور اللاواعي للطاقت الجنسية لدى المراهق. ولكن لم يقدم أحد نظرية في كيفية حدوث ذلك بالضبط.

في انكلترة حصلت حالة مثيرة جداً وهي واحدة من أقدم الحالات التي سجلت بشكل كامل والمشهورة بـ «الطبال الشبح في تيدورث». وقد حدثت في آذار (مارس) من عام ١٦٦١ في بيت يعود لقاض يدعى جون مومبسون. لقد كان أهل الدار يستيقظون طوال الليل بسبب أصوات عالية لطرق طبل. وكان القاضي مسؤولاً عن القاء القبض على متشرد يدعى وليام دروري الذي كان يجلب انتباه الآخرين في الشارع بضربه على طبل. وكان مومبسون قد صادر الطبل بالرغم من توسلات دروري، وعندما القي القبض عليه لحيازته أوراقاً رسمية مزيفة، هرب دروري من دون الطبل.

فبدأت الإزعاجات تحدث بعد هذا لأهل مومبسون واستمرت سنتين. لقد كانت الروح تقوم بغلاق الأبواب بعنف وتصدر أصوات لهاث كالتي يصدرها الكلب وأصوات خربشة كما تفعل الجرذان الكبيرة هذا بالإضافة لأصوات خرخرة كتلك التي تصدرها الهرة. وقامت الروح باصدار صوت وهي تصرخ «ساحرة، ساحرة!» وقامت بإفراغ الرماد والمبولة التي توضع في حجرة النوم

على أسرة الأطفال وطيرت مختلف الأشياء في الهواء. وقد اعترف دروري عام ١٦٦٣ لأحد زواره، وقد كان في السجن لسرقته خنزيراً، بأنه كان مسؤولاً عن الإزعاجات التي حصلت وقال بأنها سوف تستمر حتى يقوم مومبسون بارضائه والتخلي عن طلبه. ولكن يبدو ان الظاهرة اختفت في نهاية المطاف.

ونمة حالة مشهورة لشبح مزعج كان يتردد على بيت المبجل صاموئيل ويزلي في إيبورث لنكولنشاير (وهو جد الرجل الذي أسس الحركة النظامية) حيث قام «أولد جيفري» - وهو الاسم الذي كانت العائلة تطلقه على الشبح - باصدار تأوهات مروعة مما أبقى العائلة مستيقظة في الليلة الأولى من كانون الأول (ديسمبر) عام ١٧١٦ وقد أتبعها بعد بضع ليال بأصوات طرق عالية. وقد قام أيضاً بإحداث أصوات لوقع أقدام تسير في الدهاليز والغرف الفارغة. لقد تركزت الإزعاجات على ما يبدو على وني ويزلي التي تبلغ من العمر التاسعة عشر والتي عادة ما تكون نائمة عند بدء الإزعاجات وهي ترتعد في نومها. وكالعادة أخذت الإزعاجات تخفت تدريجياً.

وقد توقفت الحالة المشهورة بشبح «كوك لين» بعد أن زج برجل بريء في السجن مدة عامين. وتركزت الإزعاجات على اليزايث بارمنز التي تبلغ العاشرة من عمرها وهي ابنة موظف يعمل كاتباً يدعى ريتشارد بارمنز. كان في عائلة بارمنز اثنان من النزلاء وهما صاحب المنزل المحال على المعاش وليام كينت وزوجته فاني لاينز التي تزوجها زواجاً عرفياً إذ كانت اختها اليزايث زوجة كينت السابقة (وهذا هو سبب عدم زواجهما زواجاً شرعياً لأن القانون يمنع الإقتران بأخت الزوجة المتوفاة). وفي ليلة ما حيث لم يكن كينت موجوداً في

(١) Methodism : وهي حركة دينية إصلاحية قادها في أكتوبر عام (١٧٢٩) تشارلز وجون ويزلي ومحاولين فيها إحياء كنيسة في انكلترا.

البيت، طلبت فاني لايتز من الفتاة التي تبلغ العاشرة من عمرها ان تنام معها لتسعرها بالصحبة، وظلتا مستيقظتين لسماعهما أصوات خريشة وطرق صادرة من خلف الكسوة الخشبية للجدار الداخلي. وبعد هذا بفترة قصيرة توفيت فاني لايتز بسبب الجذري، فانتقل كينت الى مكان آخر، واستمرت أصوات الطرق الغريبة. وقد حاول قسيس يدعى مور أن يتصل بالروح مستخدماً شفرة طرقة واحدة لنعم وطرقتين لكلا. وبهذه الطريقة عرفت الروح نفسها بفاني لايتز متهمه زوجها بتسميمها بالزرنيخ.

لسوء الحظ لم يكن بارستز مدركاً أن الأشباح المزعجة غالباً ما تطلق الأكاذيب ولم يكن مستاءً عند سماعه أن كينت كان قاتلاً، فقد كان يضمّر له حقداً، وكان بصدد رفع دعوى عليه لإسترداد المبلغ الذي أقرضه اياه والذي فشل في إيفاءه. وبهذا يكون بارستز قد سهى عن حقيقة ما وهي ان اصوات الطرق بدأت قبل موت فاني لايتز فنترك السر يكشف فحواه. وبهذا طرقت أسماع كينت أخباراً تقول أن «روحاً ما» تتهمه بجريمة قتل. فجاء الى البيت في كوك لين لسمع بنفسه وما أن اتهمته أصوات الطرق بجريمة قتل صرخ مغضباً «أنت روح كاذبة».

لقد أصبح الشبح مشهوراً. بيد أن لجنة تضم الدكتور جونسون شرعت في الأمر، وارتأت ان تلزم مقنعة جونسون بأن الأمر كان مجرد خدعة. فقرر كينت بعدها أن يرفع دعوى ضد التشهير بسمعه. وكان عبء إثبات صحة الدعوى يقع على والد اليزابيث لأنه ولأسباب قانونية هو المدعي. وكان هناك اختبار آخر، فقد أخبروا اليزابيث ان الشبح اذا لم يظهر نفسه هذه المرة فإن والديها سوف يلقىان في السجن. ومن الطبيعي انها كانت متيقنة من ان شيئاً ما قد حدث ولكن الخدم كانوا قد شاهدوها وهم ينظرون من خلال شرخ، وهي تقوم بالطرق على لوح خشبي، فاتهموها بالدجل.

صدر الحكم على بارستز بالسجن مدة سنتين بالإضافة الى ظهوره ثلاث مرات بخشبة التشهير وهي آلة خشبية للتعذيب تدخل فيها يدا المجرم ورأسه ابتغاء التشهير به. وحكموا على زوجته بالسجن سنة كاملة، وعقوبة المرأة التي غالباً ما تقوم باتصال مع الارواح هي السجن ستة أشهر. هذا بالإضافة الى تغريم القسيس مبلغاً قدره ٥٨٨ باوناً، وكان مبلغاً ضخماً في تلك الأيام. بيد ان الجمهور المحتشد ابدى تعاطفاً واضحاً عندما كان بارستز ظاهراً على خشبة التشهير، حتى انهم قامو بجمع مبلغ له - وهو عمل غير اعتيادي في ذلك العصر القاسي - اذ كان الجمهور يتمتع برجم العامل المسؤول عن خشبة التشهير وفي بعض الأحيان يقومون بقتله. وما يدعو للأسف اننا لا نعرف مالذي حل بأبطال القصة بعد المحاكمة. بيد ان الواضح من الأمر ان عائلة بارستز سيئة الحظ قد عانت من ظلم كبير. فقد شهد معظم الشهود منذ البداية انه من المستحيل ان تكون اليزابيث هي التي قامت باصدار أصوات الطرُق.

لقد حصلت واحدة من أكثر الحالات شهرة في أمريكا في مزرعة فلاح يدعى جون بيل. وحالة «الساحرة بيل» غير اعتيادية وغريبة. فقد اختفى الشبح المزعج بعد ان تسبب في موت صحبته وهو بيل بعينه. لقد كان لبيل تسعة أطفال من ضمنهم «بتي» وهي بنت تبلغ الثانية عشرة من عمرها اذ تركزت عليها فعاليات الشبح بشكل مؤكد. وقد بدأت الإزعاجات عام ١٨١٧ على شكل أصوات خريشة من الجدران وطرقات بين حين وآخر ثم قامت أيد غير مرئية بسحب الشراشف من الأسرة وكانت ثمة أصوات اختناق بدت كأنها صادرة من حنجرة انسان ثم بدأت الأحجار ترمى والاثاث يتحرك، وصفت الروح بتي مراراً اذ كان خدوها يحمران بعد أصوات الضربات وجرت أيضاً شعرها. وبعد سنة تقريباً قام الشبح المزعج باصدار صوت أجش مبحوح غريب (ونادراً ماتبدو وكان «الكيان مجرب» على التحكم في وسيط غريب) اذ أصدر

تلميحاً مثل «لا أستطيع أن أتحمل رائحة الزنجي». وبعد الانتهاء من عروضه كانت بتسي منهكة جداً إذ من الواضح انها كانت مصدراً لطاقته.

بدأ بعدها الشيخ المزعج بمهاجمة جون بيل، فتصلب حنكه وتورم لسانه. وقام الشيخ المزعج، الذي بدأ الآن يصدر صوتاً اعتيادياً، بتعريف نفسه كهندي ثم كساحرة تدعى أولد كيت باتس (أحدثت بضعة أصوات) وقد بينت انها ستعذب جون بيل حتى يموت وقد فعلت ذلك فعلاً إذ خلعت حذائيه وضربته على وجهه وسببت له رعشات عنيفة في جسده وقد استمرت هكذا حتى تركته ذات يوم عام ١٨٢٠ في ذهول عميق وقد ادعت «الساحرة» انها أعطت «جارك العجوز» جرعة دواء لتقتله. وعندما مات بيل فعلاً ملأت الساحرة البيت بصرخات الانتصار، وعندها انتهت الإزعاجات.

عندما كانت العائلة ذات يوم عام ١٨٢١ تتناول العشاء، كان ثمة صوت عال في المدخنة وقد تدحرج شيء ما يشبه قذيفة المدفع من الموقد وتحول الى دخان وصاح صوت الساحرة «سوف أذهب وأبقى بعيدة مدة سبع سنوات» ولكنها ظلت بعيدة الى الأبد.

قال أحد الخبراء بالأشباح المزعجة ويدعى ناندون فودر بأن تفسير حالة «الساحرة بيل» يكمن في ان والد بتسي حاول اغتصابها وأضاف بأن «الشيخ المزعج» ماهو إلا «جزء من الشخصية» وقد انفصل عن الأجزاء الباقية. ولكن ليس ثمة دليل فعلي لأي من هذه الإدعاءات.

وقد حدثت حالة مشهورة اخرى في أمريكا في بيت المبجل ألياكم فيلبس عام ١٨٥٠ إذ بدأ الشيخ المزعج بتفريق الأثاث واخراج دمي غريبة من ملابس قديمة متروكة وقد كانت هذه الدمى نابضة بالحياة الى حد بعيد وكان يتم تشكيلها ببضعة دقائق بعدها دخل الشيخ المزعج مرحلة رمي الأحجار (يلوح ان

معظم الإزعاجات تحدث خلال عدد من المراحل المحددة) وقام بتهميم زجاج احدى وسبعين نافذة. والتهمت النيران الورق وتحطمت الأشياء وانقذف الى الهواء هاري الذي يبلغ الثانية عشرة من عمره وفي احدى المناسبات وجد موثقاً الى شجرة. وتعرضت شقيقته أنا التي تكبره بأربع سنوات للقرص والصفعات. وتوقفت الإزعاجات عندما رحلت الأم الى بنسلفانيا ليقضو الشتاء هناك.

لقد أدت سلسلة من الإزعاجات قامت بها الأشباح المزعجة في القرن التاسع عشر الى ظهور ولع شديد بالأرواحية وقد بدأت هذه السلسلة بأصوات طرق في بيت عائلة فوكس في هايدزفيل في ولاية نيويورك عام ١٨٤٨. كان من الواضح ان الإزعاجات قد تركزت على أبنية مارغريت التي تبلغ الثانية عشرة من عمرها. وقد أخبر الجار الذي قام بتوجيه أسئلة للروح (بالشفرة الإعتيادية طرقة واحدة لنعم وطرقتان لكلا) بأن سبب هذه الإزعاجات هو بائع متجول كان قد قتل في البيت (وجدت بعد عدة سنوات عظام بشرية وصندوق لبائع متجول مدفونة في القبو) وقد جعلت هذه الحالة مجموعة من الامريكيين يتبنون الأرواحية فجلسوا حول مائدة في الظلام وشبكوا أيديهم مع بعضها البعض وطلبوا من الأرواح تعريف أنفسهم. وقد قامت روح هايدزفيل بتوصيل إشارة ما معلنة فيها عهداً جديداً للاتصال بالأرواح. لقد اجتاحت الأرواحية في أول الأمر الولايات المتحدة ثم اجتاحت اوروبا.

وفي بداية الخمسينات من القرن التاسع عشر أولى الاهتمام لهذا الاتجاه الروحي الجديد تريوي فرنسي يدعى ليون دنيارد هايبولت ريفاليل عندما برهنت إبتسا صديقه انها محترفتان في (الكتابة الآلية) فقام بتوجيه عدة أنواع من الاسئلة الى (الروح) وكانت أجوبتها بناءً وجادة على غير المعتاد. فجمعها في (كتاب

(١) Spritualism : الإعتقاد بأن أرواح الموتى تتصل بالأحياء عبر وسيط عادة.

الارواح) الذي اصدره ريفاييل بإسمه المستعار الآن كاردك والذي اصبح انجيل الأرواحية رديحاً من الزمن. وعلى الرغم من ان انشقاقاً ما قد حصل لاحقاً ضمن الحركة فان العديد من ذوي النفوذ من المؤمنين بالأرواحية رفضوا فكرة كاردك بإمكانية التجسد مرة أخرى. وحدثت في باريس عام ١٨٦٠ سلسلة من الازعاجات الشديدة في بيت ما في ريودي نويرز، تمثلت في عمهسيم التوافذ وتحريك الاثاث بعنف. وقد طلب ريفاييل التحدث الى الروح المسؤول عن ذلك. فأوضح (الكيبان) الذي ادعى بانه يمثل بعظام واسمال بالية ومتوفى منذ فترة طويلة، بانه قد استخدم (الطاقة الكهربائية) لفئة خادمة في البيت ليقوم بالازعاجات وقد قال بان الفتاة لم تدرك ذلك اذ كانت في الحقيقة اكثرهم رعباً وكانت الروح تقوم بهذه الاشياء لمجرد التسلية ليس إلا. لقد كان (كاردك) مقتنعاً بأن الاشباح المزعجة ما هي إلا (أرواح ارضية) أي أنهم بشر ميتون ولكنهم لأسباب مختلفة لم يقدرُوا على الارتقاء الى ما وراء الحالة المادية المحضة.

وقد سجل ولتر هابل حالة من اكثر الحالات الامريكية إثارة للاهتمام في القرن التاسع عشر في كتابه (لغز أمهيرست العظيم) وهي تحدثت عن ساحر انتقل الى بيت عائلة تيد في أمهيرست في نوفاسكوتيا عام ١٨٦٩ ليتحرى عن شبح مزعج صب جل اهتمامه على فتاة في الثامنة عشر من عمرها تدعى أستر كوكس. وكانت الازعاجات قد بدأت في السنة السابقة عندما شهر صديق أستر بوب ماكنيل السلاح عليها أمراً إياها بالدخول الى الغابة لكي يعتصمها وعندما وقعت الازعاجات عليه فر هارباً ولم يعد الى الأبد.

وبعد فترة قصيرة بدأت أصوات حفيف شبيهة بأصوات الفئران تعكر صفو كل من أستر وأختها جين وتأرقهما الليل بطوله. وقد حدث ان قذف صندوق من الكارتون في الهواء وبعد ليلتين بدا جسد أستر متفخاً كالبالون وقد عاد سيرته الأولى بعد حدوث صوت شبيه بقرقعة الرعد. اما الشراشف فكانت

تتحرك بعنف حول الغرفة وإنضخت نخلة أستر مثل البالون وظهرت كتابة على الحائط أمام العديد من الشهود تقول (ستكونين ضحيتي يا أستر) وغالباً ما كانت أستر تشكو من (شعور بكهربة) تسري في جسدها. وعندما كان الشيخ المزعج يمزق بسرعته، تندلع نيران صغيرة، وتخلق الأشياء حول الغرفة ويتحرك الاثاث وتتحول أستر الى نوع من المغناطيس البشري فتلتصق بها السكاكين والمعادن الأخرى بشدة. وقد نجح هايل في الاتصال بالارواح التي كانت قادرة على ان تبرهن وجودها باخباره بالرقم الموجود داخل ساعته ويتاريخ العملات النقدية الموجودة في جيبه. وعندما أحترق مخزن الغلال، اهتمت أستر باحراقه عمداً فحكّم عليها بالسجن مدة اربعة اشهر. وانقطع ظهور الشيخ المزعج بعد خروجها من السجن.

لقد انشأت جمعية البحوث النفسية عام ١٨٨٢ لتدرس هذه الظاهرة السايكولوجية بشكل علمي. وكان من اكثر اعضاءها شهرةً فرانك بودمور الذي الف كتاباً قيمياً ذا جزأين عن تاريخ الأرواحية وكان مقتنعاً تماماً بأن الارواح المزعجة ما هي الا اعمال مزيفة يقوم بها الاطفال الذين يرمون الاحجار وكان راغباً برغم ذلك بالاعتراف أن حالة معروفةً حصلت في دورويستن في عزبة فسكاونت بورتمان ربما كانت حقيقية.

وقد حصلت بعد ذلك مراسلات كثيرة بين بودمور وأندرو لانغ الذي وجد أن شكوك بودمور لن تتوقف عند حد. فكان أمراً مؤكداً فوز لانغ في هذا الجدل.

وفي عام ١٩٠٠ قام سيزار لومبروسو المشهور باهتمامه بعلم الجريمة بالتحقيق في حالة من حالات الأشباح المزعجة حصلت في محل لبيع الخمر في ريزي. بناها هو واقف في قبو الخمر، ارتفعت القناني من الرفوف ببطء ثم

تهشمت على الأرض وقد ساور لومبروسو الشك في ان زوجة صاحب المحل هي التي كانت وراء هذه الإزعاجات بيد انها استمرت في الوقت الذي لم تكن فيه موجودة في المحل فتركزت شكوكه هذه المرة على نادل يبلغ من العمر الثالثة عشر. وصدق ظنه فقد توقفت الإزعاجات بعد طرد الصبي.

كان واضحاً للذين حققوا في هذه المسألة قديماً ان ظاهرة الشبح المزعج كانت مرتبطة بشكل كبير بشخص معين يحد ذاته وعادة ما يكون هذا الشخص مرهقاً. (لم تستخدم كلمة الشبح المزعج في الأيام الأولى من البحث النفسي الا نادراً على الرغم من ان السيدة كاترين كراو. قد استخدمتها لوصف مختلف الحالات في أفضل كتبها مبيعاً «الجانب المظلم للطبيعة» عام ١٩٨٤) ولم تنته الأربعينات من هذا القرن حتى أصبحت نظرية «العقل اللاواعي» معروفة للجميع. وفي جريدة علم النفس السريدي قدم ناندور فودور عام ١٩٤٥ نظريته التي بين فيها ان الأشباح المزعجة هي «أجزاء من الشخصية». وفي عام ١٩٤٦ لاقت مسرحية «الشبح المزعج» لمؤلفها فرانك هارفي نجاحاً ساحقاً في ويست اند، إذ استندت المسرحية الى حالة كانت قد حصلت في بيت بتعلي في بورشل بالقرب من فايف وكانت سبباً في حدوث أضرار تقدر بخمسين باوناً من جراء حريق. لقد حول هارفي الحالة في مسرحيته الى بيت راعي الأبرشية دارتمور «العقل اللاواعي» التي قدمها أول الأمر الدكتور ألفريد وترشتاين عام ١٩٣٠ عند شرحه لحالة الوسيطة النمساوية فريدا ويزل، اذ وصف زوجها اللاحق ان أشياء الزينة كانت تظهر من على رف الموقد حال وصول زوجته الى الرعشة. وقد توصلت الكونتيسة زو واسلكو سيركي الى نفس النتائج عندما اختارت شابة رومانية تدعى أليانور زوجن التي كان يحدث ان يصفعها ويلكمها باستمرار شبح مزعج وكانت آثار العض التي ظهرت عليها مبللة باللعاب.

وفي نهاية الأربعينات من هذا القرن لاقت نظرية «العقل اللاواعي» قبولاً

من المحققين النفسانيين الذين تملكهم رغبة في الاعتقاد بأن الشبح المزعج لم يكن وهمياً. وقد لخص هذه النظرية باحث في الـ (بي بي سي) (BBC) يدعى براين برانستون في كتابه الموسوم بـ «شيء لا يصدق» عام ١٩٧٦ :

(ارى ان لدينا الحق في الادعاء كفرضية معقولة ان ظاهرة الشبح المزعج يحدثها لاشعورياً فرد تكون نفسه مضطربة وبأن النفس المضطربة تؤثر في الجزء الأسفل في الدماغ، جذر الدماغ، الذي يحدث بدوره ظاهرة الشبح المزعج المميزة من قبل الجميع وغير المعروفة للعلم وتعتبر هذه الظاهرة صرخة معلنة للإنقاذ : كما تقول القصيدة

«اني لم أكن الوح بيدي بيد اني كنت أغرق» .)

ان نظرية برانستون لاتتفق مع حالة كان قد استشهد بها هو في الفصل الذي تحدث فيه عن الأشباح المزعجة. وقد حدثت هذه الحالة في نور ثغليت في كينت اذ يقول برانستون ان الأشباح هدت سكينه مختلف النزلاء ريثما خلعت الدار في النهاية. فالنزلاء السابقون وهم عائلة ماكستت كان لديهم صبيان وقد بدأت ظاهرة الشبح المزعج عندهم بأصوات خربشة كأصوات الفتران ثم أخذت الشراشف تسحب من الأسرة وأشياء الزينة تختفي وتظهر مرة أخرى . . . الخ حتى قرروا الرحيل من البيت عندما رأت السيدة ماكستت شبحاً بهيئة فتاة في السادسة من عمرها. ولم يكن للنزلاء الذين جاءوا بعدهم أطفال. وقد سمعوا أصواتاً غريبة في غرفة النوم وشموا رائحة كريهة عفنة ولكن بعد مرور ستة فقط استيقظوا فوجدوا ان احد اطراف السرير ترتفع في الهواء وكان يقف بجانبه شبح ذو لون وردي-برتقالي. كان شفافاً بعض الشيء يمثل امرأة دون رأس. فرحلوا عن البيت أيضاً، ولكن حتى عندما أصبح البيت فارغاً كان بمقدور الجيران ان يسمعوا أصوات طرق ويبدو أنه بدأ يوجه اليهم انذاراً عندما بدأ سريرهم

بالاهتزاز. ويبدو من هذا ان الشيخ المزعج بقي في البيت طوال الفترة التي استوجر فيه مرتين وظل حتى بعد ان أصبح البيت فارغاً.

وقد حقق مؤلف هذا الكتاب في حالة مشابهة^(١) حدثت في مدينة بونترفراكت بمقاطعة يوركشاير في بيت عائلة برتشارد اذ حدث ان تحركت الاثاث وأخذت أشياء الزينة تطير وتدفتت رغوة خضراء من الحنفيات واهتز البيت بقرععات رعديّة - وقد شوهد أيضاً شيخ يمثل على ما يبدو راهباً يرتدي السواد. لقد استهل هذا الشيخ فعالياته عندما بلغ الابن الاكبر فيليب الخامسة عشرة من عمره واستغرقت بضعة أيام وما ان بلغت شقيقته ديان الرابعة عشرة من عمرها بدأت الإزعاجات مرة أخرى وكانت هذه المرة اعنف من السابق (كانت ديان بعيدة عن البيت لقضاء عطلتها خلال ظهور الشيخ أول مرة). لقد تهشمت كل الأشياء القابلة لذلك في البيت وانقذت ديان من سريرها مراراً وتكراراً وهاجمها الاثاث المتحرك وطار صليب صغير عليه تمثال المسيح من على الحائط والتصق بظهرها مخلفاً علامة حمراء. ثم خفتت عروض الشيخ كما في السابق. لقد كانت ديان نفسها مدركة بأنه كان يستخدم طاقتها بشكل او بآخر وكانت تشعر بحدسها انه لم يكن يقصد ايذاءها.

ان حالات كهذه توحى بان الشيخ المزعج هو ليس ظهوراً للعقل اللاواعي لمراهق غير سعيد ولكنه - كما قال كاردك - يمثل كياناً حقيقياً أو «روحاً» يبقى ملازماً لمكان ما وقادراً على اظهار نفسه فقط من خلال الطاقة الفائضة لكائن بشري ما ليس بالضرورة أن يكون مراهقاً.

وقد توصل الى هذه النتيجة غي لايون بليفيير الباحث في ما وراء الطبيعة

(١) الأشباح المزعجة. دراسة حول فعاليتها المدمرة* مؤلفه كولن ولسون - الفصل الرابع -

الذي رحل الى ريبودي جانيرو في بداية الستينات من هذا القرن. وخلافاً
لانتكثرة وفرنسا فقد ظلت البرازيل مخصصة لترجمة «ألان كاردك» للارواحية وغدا
كشابه «كتاب الأرواح» و «كتاب الوسيط» من الكتب المقدسة الرئيسية لأكثر
المذاهب تأثيراً في البرازيل وتعني بذلك «الارواحية». لقد حقق كاردك في حالات
الاشباح المزعجة في المعهد البرازيلي للبحوث الفيزيائية الاحيائية- السايكولوجية
وبدا في تقبل الاعتقاد البرازيلي بأن الأرواح المزعجة ما هي الا أرواح يمكن أن
يسيطر عليها أطباء سحرة يقومون بإرسالها لازعاج شخص ما يمتقوه. فقد قام
شبح مزعج بمهاجمة فتاة شابة تدعى ماريا عدة مرات محاولاً خنقها واشعال
النيران في ثيابها. وقد نقل وسيط ما رسالة من الشبح المزعج تقول بأن ماريا
كانت ساحرة في وجودها السابق وقد عانى منها الكثير من الناس وجاء الآن
دورها لتدفع ثمن ذلك. لقد قامت ماريا بالانتحار بتجرعها السم في الثالثة
عشر من عمرها. ان كتابي بليفيير «البقرة الطائرة» و «الحدود المجهولة» يقدمان
دليلاً مقنعاً جداً بأن أغلب الازعاجات التي تحدث تعزى الى «الأرواح».

وفي عام ١٩٧٧ قام بليفيير وأحد أتباعه موريس غروس وهو عضو في
جمعية البحث السايكولوجي بالتحقيق في حالة حصلت في انفيلد شمالي لندن.
وقد جاء وصفها مفصلاً في كتاب «هذا البيت مسكون» اذ كان في عائلة هاربر
أربعة أطفال تبلغ اعمارهم على التوالي، ثلاث عشرة، واحدى عشرة، وعشرة،
وسبع سنوات وأحد الوالدين فقط وكان ثمة توتر نفسي جدير بالملاحظة. بدأت
الازعاجات باهتزاز الاسرة ويتحرك الأثاث. وقد حاول بليفيير حمل كرمي من
مكانه بواسطة سلك فانقطع السلك وقد قال الوسيط الذي جاء الى البيت بأن
هناك بضعة كيانات وقد ركزت فعاليتها على جانيت التي تبلغ الحادية عشرة من
عمرها. وأخيراً قام بليفيير وغروس بالاتصال مع الكيان بواسطة شفرة الطرقات
فقال الكيان بأنه يمثل نزيلاً سابقاً في البيت قبل ثلاثين سنة وانه الآن متوفي وبدأ

في كتابة رسائل بقلم الرصاص . وأخيراً أصدر صوتاً غريباً خشناً معرقاً نفسه بجو واطسون وفي مناسبة أخرى كان الكيان يدعو نفسه بيل هايلوك وادعى بأنه جاء من المقبرة المجاورة في منتزه دورانت . وعندما كانت توجه إليه أسئلة من نوع «هل تعرف انك ميت؟» كان يجيب باحد اجوبته المعتادة «أغرب عني» . وقد أمكن التعرف لاحقاً على بيل هايلوك إذ تبين انه مواطن محلي ولكنه متوفي في البيت في الوقت الحاضر . وفي نهاية المطاف قام المستبصر الهولندي دو ميلنغ بقضاء فترة معينة في البيت وبطريقة ما وضع حداً للإزعاجات وقدم تقريراً بأحداث «الرحلة الوهمية» التي التقى فيها بفتاة تبلغ الرابعة والعشرين من عمرها لها صلة بالحالة . وقد كان لابنة موريس غروس واسمها جانيت نفس العمر عندما قتلت بحادثة دهس بدراجة نارية عام ١٩٧٦ . ويخمن بليفير ان جانيت هي التي نهبته والدها بالحالة التي اقترح بدوره على جاره ان يتصل بجريدة ديلي ميل واقترح هذا بدوره على محرر الجريدة ان يجري اتصالاً بجمعية البحث السايكولوجي (لقد أصر كارديك على أن عقولنا تتأثر بالأرواح اكثر مما نتصور) ولكن مصدر الطاقة التي يحتاجها الشبح المزعج او الاشباح المزعجة هو الاطفال وبالدرجة الاولى من جانيت هاربر (لقد علق بليفير في أحد المراحل أن نصف محتويات المقبرة المحلية كانت تترد على البيت على ما يبدو).

ويبقى الرأي القائل بأن الارواح المزعجة عبارة عن أرواح تستخدم شكلاً من أشكال الطاقة البشرية غير سائد بين المحققين النفسانيين الذين يفضلون نظرية فودور الاكشر علمية . ومع ذلك فيبدو أن حالة (الشبح الطبال) التي حدثت في تيدورث تعزز رأي بليفير بأن ظاهرة الشبح المزعج يمكن أن تحدث بسبب السحر والعرافة وحسب الاعتقاد السائد فان الساحرات يدعين بان سحرهن يتحقق من خلال استخدامهن للارواح . والشيء الوحيد المؤكد هو أن رأي بودمور القائل بأن الارواح المزعجة تعزى عادة الى خدعة مقصودة، لا

يمكن الدفاع عنه في مواجهة الدليل. ويبين المشككون ان معظم الظواهر
السايبولوجية تحدث بشكل متقطع وبأنها تمثل إستثناء، وقد يكون من الافضل
تجاهلها. ولكن هنالك الآلاف من الحالات التي تمثل ظاهرة الاشباح المزعجة
قد حدثت فعلاً وهي مستمرة في الحدوث بشكل منتظم يسهل علينا تسجيلها
والتحقيق فيها. ولا يمكن لأي أمريء يفكر بالظاهرة بعقل متفتح أن يفشل في
التوصل الى القناعة بأن الشبح المزعج حقيقة واقعة تتحدى التفسير العلمي
المحض.

تغير الزمن

مارس العالم الكبير الراحل ايفان ت. ساندرسون تجربة غريبة في باريس التي تعود لخمس قرون منصرمة وليست باريس اليوم وان القصة التي مازالت متناقضة قد حدثت في هايتي .

وقبل ان يشرح ساندرسون في تفسير هذه التجربة (في كتابه الأشياء الكثيرة) فانه ماكان مهتماً البتة بقضايا السحر، أنه لا يؤمن بها في واقع الحال ولكنه كان دائماً ما يقول :

«حياتي واحدة وانني مهتم تماماً في التوصل الى أكثر الحقائق واقعية في هذه الحياة» .

كان ساندرسون يعيش هو وزوجته في قرية صغيرة تدعى بونت بيدت في هايتي ومعهم مساعدهم فريدريك ج. السوب الذي كان مهتماً في بحث احياي. وفي احد الأمسي الجميلة قرر الثلاثة القيام بجولة الى بحيرة اوزري في سياراتهم الرولز رويس القديمة . وبعد توقف قصير في طريق ترامي اندفعوا صوب طريق طيني سبخ وخرجوا من السيارة على محاور العجلات وبدأوا بالمسير الذي طال اكثر الليل حتى أخذ منهم كل ماأخذ . صادقتهم سيارة لطيب اميركي في طريقه لرؤية مريض ولم يتسع المجال للثلاثة فوعدهم بأخذهم في طريق العودة ومشوا على ضوء القمر . ثم (كما يقول ساندرسون : «فجأةً بينا كنا نتطلع الى الأرض المعبرة لمحنا ضياءً للقمر في غاية الوضوح وبيوتاً ذات ثلاثة طوابق مختلفة أشكالها كانت مصطفة على جانبي الطريق تاركة ظلالاً كثيفة تناسب وموقعها) .

كانت هذه البيوت خارج الطريق وكانت تبدو طيبة فيها كميات من الحجارة الكبيرة.

هذه البيوت تعود الى عصر اليزايث في انكلترة ولكن لسبب ما (أبقت) انها في باريس فهي ذات سقف متعرجة ورواشن ذات اروقة خشبية مثلثة الزوايا ونوافذ صغيرة مصنوعة من ألواح رصاصية.

كان المكان كله يعج باللون الأحمر القاتم والأضواء تضيء كأنها شموع مشتعلة.

كانت ثمة مصابيح ذات اطار حديدي تتدل من الأعمدة الخشبية البارزة في بعض البيوت وكانت جميعها تتمايل كما لو ان الرياح هي التي تهزها ومع ذلك لم نحس بأي نسيم بسيطة للهواء. يمكنني رسمه ولكن هذا لا يتخدم موضوعنا الآن.

كنت مندهشاً لذلك وأنا أنظر لما حولي فتوقفت زوجتي عن الحركة تماماً وأخذت تلهث. اصطدمت بها فكانت عاجزة عن الكلام فتوسلت اليها كي أعرف السبب. أخذت أخيراً بيدي مشيرة الى ما كنت أنظر اليه بالضبط وفي تلك اللحظة فقدت القدرة على الكلام.

أخذ أحدها يجر الآخر وسألتهما دون وعي : «ما الذي تعتقدان أنه قد حصل؟».

بيد أن جوابها أزعجني واثني لأتذكره جيداً : «كيف بلغنا باريس التي تعود لخمس قرون منصرمة؟».

لقد وقفنا حيارى لما نراه ونختار عبارات فردية ونشير ونتمساءل عن تفاصيل وهلم جرا.

وما يثير العجب اننا وجدنا أنفسنا نتأرجح الى الأمام وإلى الخلف وشعرنا بالتعب الشديد فناديت فريد الذي كان يتوارى بلباسه الأبيض على مسافة بعيدة .

لا أتذكر ماذا حدث بعدئذ لكننا حاولنا العدو نحوه وشعرنا بالاعياء فجلسنا عند صخرة كنا نعتقد انها لجامة كبيرة خشنة . عاد فريد أدراجه مسرعاً ليتساءل عما حدث ولكننا لم نعرف ما نقول له .

عادت زوجتي لوعيتها بعد أن شاهدت الضياء ولم ير فريد شيئاً ودهش هذياناً ولكنه لم يكن متشككاً وأصر على الجلوس في انتظار شاحنة .

ولما رجعوا الى البيت اعترضهم الدهشة فقد أعدت لهم الخادمة وجبة غذاء ساخنة كانت بانتظارهم وانا كبير من الماء الساخن اصررت ان تغسل فيه اقدام السيدة ساندرسون بينما اعد كبير الخدم حماماً ساخناً لساندرسون وفريد .

لم يفرا كيف عرفا ان ساندرسون ورفيقاه سيعودون مع تباشير الفجر وقال رجل في القرية بعد ذلك لساندرسون : (لقد رأيت أشياء، اليس كذلك ؟ انك لاتؤمن بها ولكن سترى المزيد منها ان شئت ذلك) .

لقد مارس ساندرسون نوعاً من تغيير الزمن الى الماضي وثمة العشرات بل مئات من الحالات المسجلة الاخرى واكثرها شهرةً دون شك قضية السيدتين الانكليزيتين النور جوردين وشارلوت موبرلي فعندما كانتا تنتزهان في حدائق فرساي في آب (اغسطس) ١٩٠١ وجدتا انها في فرساي عام ١٧٨٩ قبيل سقوط لويس السادس عشر .

بعد ذلك بعشر سنين سبب كتابها الذي يصف هذه التجربة ضجةً فقد كان جلياً ان السيدتين - اللتين كانتا عميدتين في جامعة اكسفورد - من الثقاة .

استخدم البروفسور س . أي . أم . جود عبارة غريبة الزمن المؤكدة عندما

تكلم عن مغامرتها ولم يحاول تفسير ميكانيكية (تغيير الزمن). وفي كتابي (الالغاز)^(١) قدمت مثلاً بارزاً جداً نقلته مباشرة من الشخص المعني وهي السيدة جين اونيل من كامبرج.

وفي عام ١٩٧٣ كانت هي اول من وصل الى مكان حادث خطير لتحطم حافلة وساعدت المصابين على الخروج من الحافلة المحطمة. بدأت بعدها تعاني من الارق واختبرها الطبيب ان ذلك سبه صدمة ما.

وفي احد العطل عندما كانت مع صديقها في نورفولك بدأت تشاهد أطيافاً لصور واضحة مفاجئة استمرت عدة ثوانٍ - وبعد رؤية احداها اخبرت صديقها: (أبتك في المقصلة) فأجابها صديقها: (ليس هذا بدهش فأجدادي من الهوجنوت^(٢) وعوقبوا بزجهم الى المقصلة).

ولكن ابرز الاحداث حصل عند زيارتها لكنيسة فودزنيكي اذ مكثت بعض الوقت تنظر لصوره كروسيفيكشن^(٣) (الصلب) خلف المذبح وعندما علفت عليها عند عودتها للفندق سأها صديقها: (اية صورة؟) وعندما زاروا الكنيسة في العام التالي وجدوا ان داخل الكنيسة يختلف تماماً عن ما شاهدوه في الزيارة الاولى ولم توجد صورة خلف المذبح فكتبت الى جوان فورمان الخيرة في تغيير الزمن وخلال اتصالاتها خبرها عالم اثاري ان ما رآته كان الكنيسة قبل تدميرها عام ١٥٥٣. لقد كان ساندرسون وجين اونيل مقتنعان ان ما رآه كان واقعاً وليس ضرباً من الخيال بالرغم من شعورهما بالصداع عند محاولتهما الهرب. وأحد رؤيا جين

(١) وهو الكتاب الذي ترجم بعنوان خفايا الحياة، ضمن منشورات دار الآداب، بيروت.

(٢) عضو حركة سياسية سويسرية كان يقودها هوجس القائد السويسري السياسي.

(٣) تمثيل لرمز السيد المسيح على شكل صليب.

اوينيل لشخصين يمشيان بجانب بحيرة فادركت دون سبب ان احدهم كان مارغريت روبر ابنة السيد توماس مور. ادرك ساندرسون وزوجته انها كانا ينظران الى باريس القرن الخامس عشر. لذا يتضح ان الرؤيا لم تكن مجرد خيال محسوس مثل سراب في الصحراء بل هو اتساع عقولهم يتشاطره ساندرسون وزوجته بسبب الشعور التخاطري لنوع يتطور عادةً بين العشاق المتزوجين ولكن هذا يفشل في تفسير رؤيتهم باريس في هايتي (لقد كانت هايتي فرنسية ولكن حتى القرن التاسع عشر).

وفي منتصف القرن التاسع عشر طور عالمان امريكيان نظرية تغيير الزمن وهما جوزف ودز بوكانان ووليم دنتون. لقد آمن بوكانان بسبب تجاربه مع طلابه ان الانسان يمتلك القدرة على قراءة تاريخ الاشياء واسماها (السايكومتري - منظار للماضي). اختبر دنتون طلابه بكل انواع العينات التاريخية ووجد ان الحساسين بينهم قد شاهدوا صوراً فكرية ذات صلة وثيقة بالاشياء التي يمكنها (كان دنتون يعلقها بواسطة ورقة صفراء سميكة لذا ليست لديهم فكرة عن مضمونها) فقطعة من حمم البراكين المتصلة اتت برؤيا بركان متفجر وان جزءاً من الحجر النيزكي استرجع رؤيا الفضاء الخارجي وجزء من سن الديناصور استرجع رؤيا الغابات البدائية. آمن دنتون ان جميع الناس يمتلكون هذه القدرة التي اسماها منظار الى الماضي.

كان واضحاً ان لتغير الزمن الذي وصفه ساندرسون وجين اوينيل صلة كبيرة مع الرؤيا السايكومترية ولكنها، دون شك ابعث بكثير من الصور والانبطاعات الفكرية.

هذا لايعني القول انها ليست صوراً فكرية فبعث تجربتها للحادث استمرت

جين اونيل في رؤيا الجرحى المصابين وهذه الرؤيا تعرف بالصورة الخارقة^(١).

امتلك العالم نيقولا تيسلا هذه القدرة الى الدرجة التي استطاع فيها انشاء محرك في دماغه يستطيع مشاهدته عملياً وهو يعمل . وبعد تجربة الصور الشمسية في كامل اليوم وجد اسحق نيوتن نفسه قادراً على رسم حلوسة مرئية للشمس بمجرد تخيلها . وتبدو ان هذه قدرة يمتلكها معظم الناس واكثرهم لا يعرفون البتة استخدامها .

قد نخمن ان قدرة جين اونيل المرضية (نتيجة حالة مرضية) قد نشطت القوة الكامنة واستمرت الى درجة ما في العمل غير المنتظم في الاشهر اللاحقة .

فاذا كانت صورة كنيسة القرن السادس عشر نوعاً من الصور الخارقة طافية امام ناظرها فليس ثمة سبب يدعوها لتشخيصها (هذياناً) ما لم تكن قد حاولت لمس الصور التي تعلو المذبح وان اكثرنا يقبل برهان حواسه دون السؤال عنه .

ان التفسير نفسه ينطبق على السيدتين موبلري وجوردن فقد شاهدتا رجالاً ونساء يرددون زي لويس السادس عشر (واقترضنا انها كانت بروفة) ولم تحاولا وهو امر طبيعي لمهم او حتى الحديث معهم (ولانها انكليزيتان فان الموقف كان يتطلب من يبدأ الحديث اليهما) .

وثمة تفسيرات في الزمن جمعته جوان فورمان ليرهن دليلاً آخر . كانت السيدة تورييل كلارك ، من وسلي - كام - بيوفورد في سري تقود دراجتها على امتداد الطريق الحديث في طريقها الى صلاة المساء عندما اصبح الطريق فجأة (عمر

(١) تتضمن كلمة خارقة هاهنا تذكيراً واضحاً جداً ودقة باللغة لصورة مرئية .

ميداني) وبدت كأنها تمشي فيه . كانت ترتدي ملابس راهبة وشاهدت رجلاً في زي فلاح يعود للقرن الثالث عشر تنحى جانباً ليفسح لها الطريق . شاهدت بعد ذلك بشهرين بينما كانت جالسة في كنيسة القرية ان الكنيسة قد عادت سيرتها الاولى بطابقها الارضي ومذبحها الصخري ومنافذها وناسكها ذوي الملابس السمرة وهم يرتلون نفس الاغنية الواضحة التي ترتل حالياً في كنيسة معاصرة .

كانت توريل كلارك تشعر وكأنها في مؤخرة الكنيسة تراقب الفعاليات لذا يتضح ان ماحدث هو تغير في وجهة النظر -وجدت نفسها تنظر من خلال عيون شخص آخر - عيون امرأة تمشي على طول الطريق وعيون امرأة واقفة في مؤخرة الكنيسة وعندما وجدت جين اونيل نفسها تنظر الى ابنة السيد توماس مور وهي تمشي بالقرب من بحيرة فتساءلت ان ثمة قرابة (عائلية) اذ ان اسمها الخاص قبل ان تتزوج كان مور . يبدو جلياً ثانية ان ما كانت تراه هو من خلال شخص آخر -هذا يفسر لنا كيف عرفت انها تنظر الى مرغريت روبر - ولان ساندرسون وزوجته ادركا انها ينظران من خلال عيون اشخاص آخرين . قضى ت . ليشرج الاستاذ الراحل والعميد المتقاعد في جامعة كامبرج أواخر سنوات حياته لدراسة الخوارق وتوصل الى استنتاج مفيد وهو ان الاسباح في الحقيقة هي نوع من تسجيل الاسطوانات وان العواطف المتأججة من شأنها ان تطيع نفسها في نوع معين من المجال المغناطيسي وان تسجيلها يمكن ان يحصل عليه شخص حساس لهذه الامور -مثل متباً جيد (يشمل التنبؤ⁽¹⁾ الحساسية حيال المجال المغناطيسي للماء) - فمثلاً مارس ليشرج شعوراً غريباً يندثر بالشر والكآبة في مكان اخفيت فيه جثة متسحر في شجرة مجوفة . عبرت جوان فورمان عن قناعتها في ان تغير الزمن له صلة معينة بالمجال الكهرومغناطيسي البشري . لقد كانت نفسها واقفة في ريف هادون هول في ديربي شاير وشاهدت مجموعة تضم اربعة أطفال يمرحون

(1) تعني في هذا السياق استخدام عصا خاصة تدعى عصا الاستنباه وإيجاد الاشياء بها .

ويلعبون . وعندما تقدمت نحوهم تلاشت المجموعة ولكنها عرفت بعد ذلك فتاة في صيف قديم يتدلى من الحائط . يسمح أكثر طلاب الخوارق لاحتفالية اخرى وهي ان ما يجري «الاتصال به» هو دماغ شخص ما عاش في الماضي السحيق . وفي عام ١٩٠٧ عينت كنيسة انكلترا المعماري فريدريك بلاي بوند لتولي مهمة التنقيب في دير كلاستبري ولم يعرف عماله انه كان مهتماً بالروحانية . حاول بوند وصديقه بارتلت الكتابة اللاارادية بهدف معرفة مكان بدء الحفر في ارض الدير وعندما سألوا كلاستبري كتب القلم الذي كانا يحملناه . «كل المعلومات ابدية ومتوفرة للعطف التفكيرى» . وبعيداً عن ذلك بدأ المتكلم الذي وقع نفسه -وليم النذير- باعطاء معلومات بالغة التفصيل عن مكان التنقيب ونتيجة لذلك حفر بوند كنيستين صغيرتين وكل منهما بالبعد المضبوط الذي اعطاه النذير وليم بينما سجل المتكلم الآخر جوهانس الملاحظة المهمة التالية:

«لم اتمسك بلأشيء؟ انه أنا وليس بأنا ولكن شطر مني يجيى في الماضي وتلزم بما تعشقه وروحي الداخلية وتسميه وطناً في هذه السنوات . ومع ذلك فأنا، جوهانسن ، في أجزاء عدة وافضل جزءه ينجز بقية الأعمال . . إلا ذلك الجزء الذي يتذكر بتصميم كأنه ذاكرة لما يراه» . وأفل نجم بوند عندما كتب كتاباً يصف فيه كيفية حصوله على المعلومات التي حققت نجاحاً باهرأ لعمليات التنقيب فطرده الكنيسة . ومع ذلك فان كتابه «بوابة التذكر» يبقى برهاناً مثيراً بحيث يستطيع عقل القرن العشرين ان يحصل منه بوضوح على نوع من الرجوع المباشر الى الماضي .

فكل المعلومات ابدية ومتوفرة للعطف الفكرى وان تعليقات جوهانسن تتضمن جزءاً مني يعيش في الماضي . . . وبصير مثل ذاكرة لما تراه .

لذا يبدو بإمكان تغير الزمن ان يتضمن اتصالاً مع الدماغ الذي يعيش في الماضي .

يذكر الكثير من الكتاب الذين يصفون تغير الزمن الشعور الغريب في عبور العتبة فعندما عادت المس جورديان بمفردها الى فرساي بعد اشهر من مغامرتها مع المس موبولي شعرت كأنها عبرت الخط وكانت في دائرة التأثير وشاهدت عمالاً يرتدون ملابس غريبة . اخبرت فتاة تدعى لويزا هاند جوان فورمان كيف انها عندما كانت طفلة دخلت كوخ جدتها ودهشت اذ وجدت نفسها في مكان يحوي اثاثاً بالية فاعتقدت انها اخطأت المكان، خرجت ثم عادت، ولكن المكان ما زال مختلفاً وعندما دخلته في المرة الثالثة عادت الاشياء سيرتها الاولى .

لقد ذكرت ايضاً الاحساس بعبور العتبة وشعور الصمت المقترن بها .

يبدو ان النظرية السايكومترية لسوكاتان وددتون تفسر ظاهرة تغير الزمن ولكن هذا بعيد جداً عن الحقيقة . ان من الممكن ايضاً تغير الزمن بشكل آخر ابي نحو المستقبل . تثير جوان فورمان قضية المعلم من هولت في نورفولك فعندما كان شاهداً في حادث مروري لاحظ ان المصبغة التي هي قيد الانشاء قد انتهت وتستخدم الان . اخبر زوجته التي ذهبت في اليوم التالي الى هنالك فوجدت ان المكان قد انجز نصفه . لقد شاهد المعلم المحل في حاله بعد ستة اسابيع . اثبتت اكثر قضايا رؤيا المستقبل في كتاب (قناع الزمن) الذي هو دراسة للاحلام . سبب كتاب ج . و . دون عام ١٩٢٧ (تجربة مع الزمن) ضجة بسبب درامته (للاحلام الاستباقية) فقد بين دون عدداً من الحالات حلم بحدوثها ولكنه قرأ عنها بعد ذلك في الصحف . مارس ت . س . ليثريج الكثير من التجارب الماثلة ولاحظ بامعان احلامه وكيف انه غالباً ما حلم باحداث تافهة لليوم التالي فمثلاً انه اوقف ذات يوم وهو يحلم بوجه رجل لم يره قط وكان الوجه يبدو محاطاً باطار

معين وكان يقوم بحركات بواسطة استخدام يديه في منطقة ذقنه كما لو انه يغسل وجهه قبل الخلاقة. وفي اليوم التالي، بينما كان يقود سيارته على امتداد الطريق الريفي، شاهد وجه الرجل الذي يحلم به فكان خلف زجاجة السيارة الامامية للسيارة القادمة -الاطار- ويدها كانتا تحركان عجلة القيادة التي كانت اسفل ذقنه مباشرة. ثير جوان فورمان العديد من القضايا المماثلة التي تجنح جميعها لنفس التفاهة كما لو ان لمحة المستقبل هي ضرب من الحوادث الشاذة. شاهد احد المدرسين في الوقت الذي كان فيه طريح الفراش بسبب احصى العالية، خيالاً غريباً يصور قنفاذ تنحرك في ارضية غرفة النوم وتبني عشاً عالياً من العيدان والقش. بعد ذلك بثلاثة اشهر كان يرزم صوراً خزفية صنعت له ليأخذها الى الفرن لقد رزمها بطريقة العش ذي الطبقات يتخللها القش. وقبل ان يبدأ عملية الرزم كانت العديد من القنفاذ الخزفية عند قدمه لكنه ادرك فجأة هذا الهديان. لقد مارس شعور (الاحتمية الميكانيكية الغريبة).

ذكر العالم ميشيل شالس من جامعة اكسفورد في كتابه عن طبيعة الوقت تجربتين من تجاربه الغريبه عن (التبصر). مضى ولد عمره ٢١ سنة الى بيته في احد الايام وسأل أمه عما اعدت للعشاء وعندما فعل ذلك مارس شعوراً (بالدرجة فو)^(١) فايقن ان امه ستجيب انها اعدت سلطه للعشاء وهذا ما فعلته.

ان هذا الطراز من التبصر شائع جداً، فمثلاً تقتبس جوان فورمان رسالة تسلمتها من رجل يعلم بيقين مطلق ان لاعب الكريكيت سيهزم قبل ان تغادر الكرة يد الضارب ويقول ان هذا يزعم الباتسبان تماماً الذي يشعر انه سبب ذلك. ثمة تفسير واحد لهذه القدرة هي نوع ما من (الكمبيوتر) اللاواعي الذي قيم بشكل سريع كامل الموقف-وقسفة الباتسبان ومهارة الضارب- (وشاهد) ان

(١) شيء مفرط أو مألوف بصورة غير مرضية وتتضمن ايضاً حالة اعتلال الذاكرة حيث يتعدر معها تذكر الكلمات الحقيقية.

فقدان نقطة كان امرأ لا بد منه ولكن التجربة الاخرى التي اثارها شالس تبين ان المشكلة اكثر تعقيداً الى درجة ما من هذه عندما يقول:

(قبل سنوات قلائل، كنت ادرس الفيزياء لطالب في قاعة المحاضرة في الطابق العلوي ولقد بلغت شطراً من التعليم كنا نناقش فيه اشعاعية المواد نصف الحية فراودني ثانية شعور بالدجة فو . عرفت اني سأقترح عليه الحاجة لضرب بعض الامثلة من كتاب معين في مكتبي واذهب بعدئذ لجمعها . حاولت ان امتنع نفسي قول هذا ولكن الشعور قد استفحل قيل ان استجمع قواي فاضطرت الى تهديم مخطط الدرس . اتجهت الى الطالب وسألته : هل انجزنا هذا الدرس سابقاً اعتقاداً مني انه يشاطرنى التجربة بيد انه دهش وأجاب بالنفي فجاهدت لاتجنب التجربة وان لا اذهب لجلب الكتاب . وبعد اتخاذ القرار اتجهت صوب الطالب وقلت :

«أعتقد ان من الأفضل ان اريك أمثلة من هذه، سأمضي لغرفتي وأحصل على الكتاب» .

ان ادراكي للتجربة نفسها حال دون تناسيها حتى عندما حاولت أن لا أكرر مخطط نموذجها السابق» .

ان في هذا تضميناً تحذيرياً في كلمات (مخطط نموذجها السابق)، ولكن هل من الممكن أننا نعمل مانضطر أن نعمله شئنا أم آيينا وان احساسنا بالرغبة الحرة ضرب من الخيال؟ . يواصل شالس تعليقه:

«في التجربة ذاتها يكمن عنصر التبصر، فالموقف مألوف جداً بحيث يعرف المرء ما سيحدث مستقبلاً فالمرء يجا ثانية في شطر من حياة شخص آخر دون أن يتنبأ أو يدرك بالحدث البعيد» .

يتضمن تفسير ج. و. دونس لمثل هذه التجارب ما يدعوه «الوقت المتسلسل» ويقترح بالأساس ان هنالك (أوقاتاً) عديدة. فعندما تقول «مضى الوقت» يعني اننا نقيسها بالنسبة الى شيء آخر وهذا الشيء يجب أن يكون ضرباً آخر من الوقت «الوقت رقم ٢» وهذا بدوره يقاس نسبة الى «الوقت رقم ٣»، واننا أيضاً نمتلك نفساً أخرى لا تكمن في اجسادنا وتعلقى على النفس الاولى وتتنبأ بالمستقبل، ويروي (ج. ب. برستي) في كتابه «الاسان والوقت» قصة توضح الالتلاف بين النفسين. حلمت ام شابة انها في اثناء عطلة في نجيم تركت ابنها الصغير على مقربة من النهر ومضت لجلب الحساء ولما رجعت اكتشفت انه قد غرق. وبعد ذلك بوقت مضت في اجازة في نجيم وعندما أوشكت ان تغادر لجلب الحساء تذكرت حلمها فجأة فاحتضنت طفلها قبل ان تغادر خيمتها.

ان المعنى المتضمن هاهنا مهم فنحن نمتلك درجة من الرغبة الحرة بيد انها صعبة الممارسة في العالم المادي «للوقت الاول» وهي مثل السباحة عكس التيار. ان مشكلتنا الانسانية ليس ان تبقى ملاصقة «للوقت الأول» للعالم المادي الخصب ولكن لتتعلم كيف نقضي وقتاً أكثر في العالم الفكري، عالم «الوقت رقم ١٢».

يرى برستي ان (دون) قد عقد بغير جدوى الامور في جدله للاعداد غير المحدودة من الأنفس مؤكداً ان هناك ثلاثة فقط، النفس الاولى المشتركة في الحياة فتقول مثلاً: «اعرف ان النفس الاولى لضجرة». في حين تقول ان النفس الثالثة: «اعرف النفس الثانية التي تعرف النفس الاولى الضجرة». ولكن مع ذلك قان النفس الاولى هي بليدة ومتعاطفة والنفس الاولى تجرب والثانية تدرك التجربة بينما تقسيم الثالثة هذه التجربة. يضرب برستي مثلاً آخر. ففي حادث طائرة هرعت النفس الاولى من المقعد وعرفت النفس الثانية بقرب وقوع حادث واعتقدت النفس الثالثة «انني اعرف مالذي يعتربك وانت تحرق حياً».

انها لا تكثر فهي تتماشى والتفسيخ الاخيرتين لرحلة قصيرة. وثمة تجربة أكثر من الملاحظات أهمية وفائدة تبرز من هذه الحسابات حول طبيعة الوقت. يورد (ر. هـ. ورد) في كتابه «مذكرات مدمن» تجربته تحت الغاز السني: «لقد تحولت بعد استنشاقات قليلة للغاز الى حالة من الوعي أكثر بدرجة كبيرة من حالة الإدراك الاعتيادية وتقدمنا الى أعلى من الوعي النير. وبالرغم من وجوب الكتابة بعبارات الوقت ولكن ليس للوقت حيز في هذه التجربة. وذات مرة استمرت فترة أطول بكثير من الفترة القصيرة الممتدة بين استنشاق الغاز والاحاطة به. لقد استمرت فترة طويلة وفي حالة اخرى لم تأخذ من الوقت غير لحظة واحدة.

ان ملاحظات ورد تؤكد ان طبيعة الوقت هي فكرية في اساسها ويقال ان الاحساس بالوقت ناتج من التداخلات بين العالم الجسدي و النفس العالية. وعندما يختفي هذا التداخل يتولد احساس بانعدام الوقت. هذا التداخل يتلاشى بسبب الانسحاب الى الداخل نحو مستوى ثان من الواقعية داخلنا، العالم الداخلي بواقعه الذاتي.

يقول ورد انه عندما اراد تسجيل حضور التجربة وجد نفسه يدور داخل . . وداخل . . وداخل . . مثل كسر عشري دوار. يقتبس ايضاً من تجارب صديق يسميه (أ) الذي كان في طريق العودة من المحطة عندما تعرض لعسر هضم خفيف وراودته فكرة: «انها تخص جسدي، جسدي وحسب، لا روحي فليس هنالك ثمة اي ضرورة لاحساس الروح بها، وعندما فكرت بها تلاشى الالم وهي بعبارة اخرى قد تخلقت وبدأ الشعور (الارتقاء داخلياً) فكان في البداية احساس لا يوصف في العمود الفقري بأن هنالك شيء يتصاعد وهذا الاحساس جزء منه سعيد وجزء آخر غير سعيد وثالث مريع . . . يرافقه شعور غريب للتثور الجسدي في الكينونة. . . لقد زاد كل شيء واخذ يرتقي لمستوى آخر».

ويلوح هنا ان نفس (أ) الشائثة قد قررت التدخل ونتيجة لذلك كان الاحساس بتخلف الالم قد حصل -فاذا كان لمة استنتاج عام (لتجارب غرابسة الوقت الجلية) فهي :اننا نخطأ الى حد ما في افتراضنا الطبيعي والمعقول ان العالم البدني هو الالساس أو ربما الواقع الوحيد. تبين تجارب تغير الزمن والتبصر ان العقل يمكن أن ينحدر الى ناقل آخر للحركة فيتخلص من تقييده الاعتيادي للموقف ويؤدي حالة التجرد الهادئة التي تتعدى الوقت .

ان الشيء المدهش لمثل هذه الفكرة هي تضمينها ان الوقت غير واقعي الى حد ما أو في الاقل اقل مما نفترض . ان الاحساس المشترك والعلم يدركان استحالة التنبؤ بالمستقبل ومن اية درجة في الدقة لانها لم تحدث بعد . كل (سبب) في عالم اللحظة الحالية يسبب تأثيرات متباينة فعندما نخن الغاز تبدأ اجزائه بالتحرك بصورة اسرع وتحدث عدد اكبر من الاصطدامات .

ان كل اصطدام يغير من اتجاه الجزيئات وهذا بدوره يؤدي الى مواقع مختلفة من الاصطدامات . لذا فمن المستحيل تحديد اية جزيئة ستصطدم بالآخرى في غضون عشر دقائق لأن كل شيء يعتمد على الصدفة وبنفس الطريقة فان الاربعة بلايين من الناس في هذه اللحظة يتفاعلون في طرائق لايمكن التكهّن بها وستحدد ما سيحدث في فترة اسبوع من الان . وفي حالة جزيئات الغاز يستطيع كمبيوتر معقد ان يتكهن بصورة نظرية ما سيحدث في اسبوع ولكن لا يوجد كمبيوتر يقوم بتكهنات مماثلة حول الناس . تناقض تجارب تغير الزمن والتبصر هذا التأكيد وهما يعينان ضمناً ان المستقبل ممكن بدرجة ما التكهّن به مسبقاً وهذا في الواقع ما يؤكد الماديون بالضبط .

إن الارادة الحرة وهم ، لذا يطبع البشر القوانين الميكانيكية ولكن هذا ليس بصحيح تماماً أو ان أم برستي لم تكن لتمتع طفلها من الغرق . وفي الحقيقة فان

وجود التبصر بالذات يعني ان المستقبل لايمكن التكهن به بالكامل فالتعرف على المستقبل كاملاً يتطلب الى درجة ما قدرة على تغييره. فبرغم ان ميشيل شالس انصاع لرغبته في الماضي للبحث عن الكتاب ومع ذلك لم يبذل جهداً ليحول دون ذلك . . . ليكشف انه لم يصمم بصورة تامة (لذا يفترض انه كان قادراً على التغلب على رغبته اذا ما شعر بحجمها. فمثلاً ان شعور (الدجّة قو) قد حذره انه سيواجه حادثاً خطيراً في طريقه الى المكتبة). انها لفكرة محيرة في ان الحياة مخطوطة الى حد ما ولكن ما يلوح اكثر اهمية هو الاقرار انه بطراز جهد صحيح نستطيع التملص من هذه المخطوطة. يجادل برستي وجهة نظر البروفسور كليرت رايل صاحب كتاب (مفهوم العقل). الذي يقول ان الانسان مجرد جسد حي وليس جسداً تحكمه النفس أو الروح ويسميتها شبح (الماكنة).

بيد ان تجارب (تغير الزمن) تؤيد برستي وتعارض رايل، وفي الحقيقة، لتأكيد وجهة النظر هذه، فاننا نمثلك ثلاثة ارواح كتمييز عن الجسد وان النفس الثالثة تستجيب بعنف لما يعنيه كانت (وهوسرل) بالانا العليا أو النفس التي تسبى الوعي.

جان دارك . . . هل عادت من الموت

أحرق الانجليز، في ٣٠ ايار ١٤٣١، جان دارك ذات التسعة عشر عاماً بعد أن اتهمت بالهرطقة، إذ اعتقدت أنها كانت رسولاً وهبته السماء لإنقاذ الفرنسيين من أعدائهم الانجليز الذين تحالفوا مع البورغنديين، أسريها. بدأت جان في الثالثة عشرة من عمرها تسمع اصواتاً أدركت فيما بعد أنها أصوات القديس (غابري) والقديس (ميشيل) والقديسة (مارغريت) والقديسة (كاثرين)، وتلك هي الاصوات ذاتها التي أخبرتها أن تمضي لفك حصار (اورليانز). غلبت الاثارة على معظم خدمتها القصيرة في الجيش، إذ حققت في سنة واحدة انتصارات متميزة وشهدت تسلم (شارل السابع) عرش الرايم، ثم أسرها البورغنديون وباعوها للانجليز لقاء عشرة آلاف فرنك. اتهموها بالسحر وأحرقوها وهي على قيد الحياة. وغرابة هذا الامر أن تلك لم تكن بالنهاية الحقيقية لهذه (الخادمة). فقد كتب اناتول فرانس يقول: «عندما مضى شهر على عودة باريس الى ولاء الملك شارل ظهرت هنالك في اللورين آتسة تبلغ من العمر ما يقارب الخمسة والعشرين عاماً تدعى (كلاود) وقد عرفت بنفسها لكبير الغواصين في مدينة (ميتز) بأنها (جان الخادمة)». كان هذا في ايار عام ١٤٣٦ اي بعد خمس سنوات من موت جان حرقاً. من الواضح أنها كانت محتالة أرادت التظاهر بأنها (جان الخادمة)، بيد ان ثمة دليلاً دامغاً شكك في صحة هذا الامر، فشقيقا جان الصغيران (بييت جين) و(بيير) ما فتتا يخدمان في الجيش ولا يشكان قط أن شقيقتهم قد أحرقوها في (روين) فحشا خطأهما صوب ميتز، وما أن سمعا أن امرأة تدعي انها جان قد عبرت عن رغبتها في مقابلتهم. لم يكن بييت جين بعيداً فقد كان رئيساً لكنيسة (فوكلورس). ويقول احد المؤرخين أن الشقيقتين ذهبا الخاضع لبطولة في قرية (لاغراندج اورمز) التي تبعد ميلين ونصف الميل

جنوبي ميتر. إنطلق الشقيقان الى الساحة لتحدي الفارس المدرع، الذي زعم أنه أختهما، وهو يعدو بسرعة حول مضمار الموانع ويخطف برشاقة أوتاداً من الأرض. ولكن عندما سأله جين بيتيت قائلاً: (من انت؟). رفع المحتال مقدمة الخوذة، ففغر الشقيقان ثغريهما مندهشين، فقد أدركا اختهما جان التي احاطها الناس الذين عرفوها في السنة التي قضتها في محاربة الانجليز وربما كان من الشفاهة أن تذهب الى مكان تكشف فيه حقيقتها وهي تدرك أنها محتالة (كان جون الميترى من أكثر الموالين اليها). أخذها شقيقاها في اليوم التالي الى (فوكلورس) حيث امضت اسبوعاً آمن بها خلاله جمع كبير من الناس من الذين رأوها قبل سبع سنوات عندما ذهبت وقتتذ الى مقابلة روبرت دي بوردي كورت، مالك المقاطعة، لتطلب منه إرسالها لمقابلة (دوفن) الوصي على العرش. امضت بعد ذلك ثلاثة اسابيع في مدينة صغيرة تدعى (مارفيل) ثم ذهبت في زيارة حج الى العذراء السوداء المدعوة (نوتردام ديلياس) والكاتبة بين (ليون) و (رايمز) ثم مضت للإقامة مع (البيزابيث)، دوقة لوكسمبورغ، في آزلون بيتا مضى شقيقها بيتيت جين لمقابلة الملك، وأعلن أن شقيقته جان ما زالت على قيد الحياة ولا نعرف رد فعل الملك ولكنه أمر صاحب خزائنه أن يمنح بيتيت جين مائة فرنك. وتبين إحدى وثائق حسابات كنيسة (اورليانز) ليوم ١٩ آب ١٤٣٦ أن المجلس الكنيسي قد خول بالدفع للساعي الذي جلب رسائل (جان الخادمة). وسجلات هذه الاحداث موجودة في العمل الأساس النموذجي عن جان دارك الذي كتبه (جولس كويشرات) في مجلداته الخمسة بعنوان (محاكمة جان دارك ورد اعتبارها) (١٨٤١) وقد تضمن كل الوثائق الأصلية.

تنص إحدى الوثائق أن معجزات جان عادت اليها في ٤ حزيران ١٤٣٧ وأصبحت بعدها تحت حماية الكونت (اولرش) في (دوقميرغ) الذي أخذها الى كولون حيث اضطلعت هناك بخصام بين اثنين من رجال الكنيسة حول

الأسقفية: الاول عينه رجال الكنيسة بينما عين البابا ثانيهما. اختار الكونت اولرش (اودارلك)، وقد صوتت جان لهذا الاختيار بيد أن صوتها لم يجد نفعاً عند المجلس البلدي لمدينة (بازل) الذي اعتبر (اودارلك) مغتصباً، فعين مرشح البابا.

أثارت ضيفة الكونت فضول قاضي التحقيق العام في كولون (علماً أن هذا حدث في قمة السحر) الذي اعتراه الحزن عندما علم أنها مارست السحر ورقصت مع الرجال وأكلت وشربت أكثر مما يجب. (ويلاحظ أن السحر أكثر شبهاً بتحضير الأرواح، فهي تمزق قطعة من غطاء المائدة ثم تعيدها سيرتها الاولى وتعمل الشيء ذاته مع الزجاج الذي تهشمه بالجدار). دعاها قاضي التحقيق للمشول أمامه غير أنها أبت الظهور، فأرسل رجالاً لجليها بيد أن الكونت أخفاها في بيته ثم سفرها خارج المدينة فحرمت كنيساً. وقابلت، عند عودتها الى (ارلون) وإقامتها مع دوقه لوكسمبيرغ، احد النبلاء ويدعى (روبرت دي ارموريس).

وبما أثار دهشة اتباعها أنها تزوجته (كانت جان الحقيقية قد أخذت على نفسها عهداً بالعفة). انتقلت بعدها الى بيت زوجها في ميتر وأنجبت له طفلين في غضون ثلاث سنوات قضتها معه.

ذهبت السيدة ارموريس في صيف عام ١٤٣٩ اي بعد سنتين، الى اورليانز حيث أقام لها قضاها وليمه وقدموا لها ٢١٠ ليفراً بمثابة شكر لخدماتها للمدينة إبان الحصار. والغريب في الامر أن هؤلاء المواطنين أنفسهم الذين دفعوا قداس وفاة الخادمة، (الذي توقف بعد عام ١٤٣٩) قبل ثلاثة أشهر، وهو دليل أنهم

(١) سميت بهذا الاسم لزوجها من ارموريس.

قد غيروا رأيهم في هذا الامر وقتئذ . ويقول أحد المؤرخين أنها قد غادرت اورليانز بعد اسبوعين الى تورس حيث أرسلت رسالة الى الملك عن طريق (غولم بيلر) الذي كان مضيف الخادمة قبل عشر سنين .

ويعيد ذلك ذهب الى (بويتو) حيث منحها الملك الذي توجهت على العرش إشرافاً رسمياً على مكان يدعى (مانس) . نقل الملك بعدها هذا الإشراف الى (جيليس دريس) ، رفيق سابق لجان في السلاح ، الذي كان ، منذ أيام قتاله مع جان امام أسوار باريس ، يمارس السحر الأسود في محاولة لإصلاح أقداره الناجمة من إفراطه . أصبح بعدها انساناً سادياً يتلذذ بقتل الاطفال وقدم في السنة التالية ١٤٤٠ للمحاكمة حيث حكم عليه بالشنق والحرق .

وإذا ما افترضنا انه صادق السيدة (ارموريس) (وهذا مؤكد ما دامت قد سلمته الإشراف) فيبدو انه قبلها كرفيقة سابقة في السلاح وأوكل اليها السلطة على الرجال المسلحين . وفي نهاية المطاف مضت جان في عام ١٤٤٠ الى باريس وقابلت الملك وواجهت اول نكسة في حياتها فقد اعلن الملك انها محتالة ويلوح انه فعل ذلك بعد المقابلة . وبقيناً انه حتى لو استطاع معرفة ذلك فانه لم يتطرق لهذا الموضوع في اثناء المقابلة . لقد حاول ايضاً ممارسة اللعبة ذاتها التي مارسها في اول لقاء بينهما قبل احد عشر سنة باخفاء نفسه حيث طلب من احد الرجال ان يتسمى باسمه ، لكن جان ، كما في المرة السابقة ، لم تتخذه . لقد سارت صوب الملك وركعت عند قدميه وعندئذ قال الملك : (الخادمة ، عزيزي أهلاً بك ثانية باسم الرب) ويبدو امراً غريباً ان يعتبروها محتالة بعد ذلك . وتذكر صحيفة (برجوازية باريس) انها اعتقلت واجبرت على الاعتراف امام الملائم انها محتالة وانها ذهبت الى اوربا في نحو عام ١٤٣٣ للبحث عن الغفران لضربها امها وتجنبت في الحرب لخدمة الاب المقدس وانها ارتدت زي رجل ويحتمل ان هذا قد هداها الى فكرة التظاهر بأنها الخادمة) بيد ان القصة ، ككل مشكوك بها الى درجة

كبيرة حيث ان (جان) عادت الى (ميترز) وأهلها موقنون انها الخادمة . اشار اليها بيير شقيقها في عام ١٤٤٣ بقوله : (جيان الخادمة اختي). ويذكر ابن عمها، هنري دي فولتن، ان بيتيت جين وبيير واخنتها كانوا يزورون قرية (سيرميس) ويقضون العيد مع الاقارب الذين يصدقونهم جميعاً. وبعد اربع عشرة سنة ظهرت في مدينة (سومور) وآمن بها، مرة اخرى، مسؤولو المدينة بانها (الخادمة) وبعد ذلك اختفت من التاريخ وربما لانها قضت بقية حياتها بهدوء مع زوجها في (ميترز)، ولكن ما قولنا في قصة الملك الذي اعلن انها محتالة وانها اقربت ذلك امام الملا؟. اولاً ان المصدر الوحيد لهذه القصة هو صحيفة (برجوازية باريس) وهو بحد ذاته امر غريب ان كانت الصحيفة ضالعة في مثل هذه الفضيحة المشهورة وعلاوة على ذلك فان البرجوازيين كانوا معادين لـ (جان) الاولى في الايام التي سبقت اعدامها ويذكر (اناتول فرانس) ان عامة الناس في باريس كانوا في حفي من الانفعال عندما وصلتهم الاخبار ان (الخادمة) ما برحت على قيد الحياة وانها عادت الى باريس وما زالت جامعة باريس معادية للـ (الخادمة) التي ادبت بالسحر وعقوبتها لا يبلغها الا البابا الذي لم يبد شيئاً من هذا القبيل بالرغم من الاتجاه السائد لاعادة اعتبار جان .

وفي ما يتعلق الامر بقضاة ورجال الدين في باريس فان عودة جان لم تكن الا إخراجاً لهم، كذلك الحال بالنسبة لرجال الكنيسة الذين كانوا يحاولون تبرئة الخادمة وقد نجحوا في ذلك واعتبرت قديسة عام (١٩٢٢) وفي هذه الحالة فان عودة بطلتهم هذه الى الحياة متروجة بعد عقبة في طريق حملتهم الوطنية .

ولابد ان الملك وجد نفسه معرضاً لضغط لا يطاق للإعلان ان جان محتالة ومع ذلك فلو انه اعلن اصالتها لكان الامر (رسمياً) ولا احد في فرنسا له الحق في التشكيك بهويتها . وعلاوة على ذلك ستبرز قضية الشك في الاعتراف العام بها . . . أما لو كان قد عبر عن شكوكه فيها لهدأت كل الفضيحة ولكان

بإمكانها العودة الى البيت والتواري عن الانظار ولصار كل شخص سعيداً ويبدو ان هذا ما حدث فعلاً. يسلم انا تول فرانس جداً ان السيدة (ارموسيس) كانت محتالة ولكنه يستخدم، في كتابه لسيرة جان دارك، سخريته المعروف بها ويعتبرها فلاحه مخدوعة وفرانس هو اساساً احد اتباع (فولتير) وفكرة انها محتالة حقاً هي ابسط التفسيرات ولكن تبقى تواجهنا مسألة واحدة وهي لماذا آمن الناس الذين يعرفون الخادمة انها هي نفسها السيدة (ارموسيس)؟ .

من الممكن التصور ان اخويها قررا الاستفادة من وجود اختها على قيد الحياة وشهرتها ولذلك صفحا عن المحتالة، ولكن كيف صدق رفاقها القدامى هذه القصة؟ .

لم تفصح السيدة (ارموسيس) أنها نجت من اللهب وكل الذي تعرفه انها انقذت وان شخصاً آخرأ قد مات عوضاً عنها وربما ساحرة اخرى . ومن السهل معرفة كيف حدث هذا إن امرأة أخرى قد أحرقت بدلها وبطريقة لم يتبصر فيها الجمع المتجمهر حولها.

الرجل ذو القناع الحديدي

توفي في الباستيل، في التاسع عشر من تشرين الثاني ١٧٠٣، سجين مقنع متأثراً بعرض أضنى جسده سريعاً، بعد أن توجب عليه قضاء أربع وثلاثين سنة في السجن. وقد بقيت هويته مجهولة حتى لمثل الملك «ابنيني دوجونكا» الذي كتب في يومياته: «عرفت فيما بعد انهم يدعونهم ام. دي. مارشيل». ودفن السجن المجهول بعيد يوم من وفاته باسم مارشيوولي وعفا عليه الزمن سريعاً.

شاعت شهرة هذا السجن بعد حوالي نصف قرن من الزمان في اعقاب كتاب فولتير الموسوم بـ (تاريخ لويس الرابع عشر) الذي ادعى فيه انهم نقلوا الى سجن جزيرة القديسة مارغريت، بعيد وفاة كاردينال مازارين (الذي حصل عام ١٩٦١) بأشهر قلائل، شاباً يرتدي قناعاً حديدياً أو ما شابه ذلك وهو قناع يتكون ذقنه من نوابض فولاذية تمكنه من تناول طعامه دون نزع القناع، وأصدرت الأوامر بقتله إذا ما نزع القناع. لقد سمحوا للسجين صاحب القامة الملكية وسمات هيئة أن يقتني ما يشاء، وقمة سعادته كانت في ارتداء ملابس الكتان الرقيق وأشرطة الزينة، وكان جلياً انه رجل رفيع المقام فقلما جلس حتى محافظ السجن في حضرته ومنعوا طبيبه المشرف من النظر اليه ايضاً. ويقول فولتير: «توفي هذا الغريب سنة ١٧٠٤ (وهنا أخطأ في السنة)، والغرابة هنا هو ان اوروبا لم تعلن بعد احتجازه أول الأمر في جزيرة القديسة مارغريت. عن اختفاء اي من متفذي شرائحها. ويذكر فولتير ان السجن كتب شيئاً ما ألفاه من نافذة السجن وأخذ صياد بدوره الى مدير السجن قائلاً: «أنت محظوظ».

أماطت قصة فولتير هذا اللثام عن كثير من الشائعات لم يجرؤ أحد على الجهر بها من قبل، بل ان السلطات سبق وأن منعت قبل خمس سنوات رواية

تحمّل عنوان «القناع الحديدي» لمؤلّفها «شيفاليه دي موهي» برغم ان أحداثها، التي وقعت في اسبانيا، لا تمت لقصة السجن المقنع بشيء أّنى كان. وهنا يطرح السؤال التالي نفسه : من هو هذا السجن المقنع وما الذي اقترّفه؟.

كشّف فولتير، بعد عشرين سنة تالية، في كتابه الموسوم بـ (قضايا موسوعية) الاجابة التي يعتقد أنّ فيها حقيقة الموضوع. اما نحن جبهة القراء، فحري بنا العودة للتاريخ الفرنسي لأنها السبيل نحو استيعاب أفضل لجوهر القصة. لقد شاع عن الملك لويس الثالث عشر أنه كان عقيماً لاينجب الاطفال وعلى علاقة سيئة بزوجته النمساوية (آن) التي كانت أقرب الى وزير الملك كاردينال مازارين وكانا على أنّم الود في السياسة وبقيناً انه كان عشيقها وربما تزوجته سرّاً بعد وفاة الملك وها هي ذي نظرية فولتير. أنجبت أنّ النمساوية طفلاً من مازارين، قبل ولادة لويس الرابع عشر، بقي أمره سرّاً لا يعلمه الملك. وغدا هذا الطفل أخ لويس الرابع عشر الأكبر وسينافسه بعدئذ على العرش فزج به في غياهب السجن وأخفى وجهه بقناع كي يبعد عنه شبه العائلة. . . . وبعد ما يربو على قرن من اكتشاف فولتير، اي في عام ١٨٤٧، نشر الكسندر روايته المشهورة (الرجل ذو القناع الحديدي) وهي إحدى تمّات رواية (الفرسان الثلاثة)، أضحت بعد ذلك أشهر الروايات عن اللغز ومنطلقاً لأفلام هوليوود الشعبية. ويروي دوماس أنّ السجن المجهول كان توأم لويس الرابع عشر وهذه النظرية ليست من بنات أفكاره فقد سبقه اليها عمل موسوم بـ (مذكرات دوّك ريشاليه) المنشورة عام ١٧٩٠، حيث ادعى كاتبه ان لويس الرابع عشر ولد في وقت الظهيرة بينما ولد أخاه التوأم في الساعة الثامنة مساءً ولما كان والده يتناول العشاء، وأخفي التوأم الأصغر لتفادي مشاكل الخلافة على العرش. بيد أنّ هذه المذكرات زورها الاب سولافي، سكرتير الدوق، وهذا ما يجعل هذه القصة مجرد بدعة. كتب الناقد الادبي سدني دارك في مقدمة الترجمة الانجليزية لرواية

دوماس: «لقد ربطت نظريات اخرى اكثر تطرفاً هوية السجين بدوق دونهاوث او الابن غير الشرعي لشارل الثاني وربطته مع بطريك ارمني معين ومع فوكيه، الوزير الطموح للويس الرابع عشر في صباه والذي كان أحد الشخصيات المركزية في رواية دوماس. وأكثر التخمينات تطرفاً هو ربطه بـ (مولير) والتي تقول انه بعد الانتاج الناجح لكوميديا مولير أقتع اليسوعي (تارتوف) لويس الرابع عشر بأن يأمر بإخفائه. وكل هذه ظنون وهمية رومانسية، ويقول المؤرخون الجادون في وقتنا هذا ان الرجل ذو القناع الحديدي هو ايطالي يدعى ماتيلو وهو وزير لدوق مانتاوا وقد أثار حفيظة لويس الرابع عشر عبر العلاقات الغرامية الغامضة». لم يكن سدني دارك على صواب فالرجل الذي يعتقد العديد من الدارسين انه السجين المقتنع هو ايركول ماتيوالي المولود عام ١٦٤٠ وكان وزير خارجية دوق مانتاوا. ان العلاقة الغرامية السرية التي اثارت حتى لويس الرابع عشر كانت ضرباً من النفاق، ففي عام ١٦٣٢ اشترت فرنسا قلعة في ايطاليا تدعى باينيرول أو بكنيرول وبعد ثلاثين سنة أو ما يقرب ذلك اعتقد لويس ان هنالك فرصة للحصول على قطعة من اراضي ايطاليا بنفس الطريقة وهي مدينة وحصن كاسبيل قرب تورين التي كانت تعود الى دوق مانتاوا ويتضح ان الدوق كان في عوز مالي وربما رغب في بيعها غير ان المفاوضات قد جرت في جو من الحذر الشديد لاسيما ان لويس كان على خصام مع اسبانيا في حين كان دوق مانتاوا محاطاً باصدقائه الاسبان، وفي الحقيقة ان ماتيوالي سمح بتسريب خبر الصفقة الى اعداء لويس وكانت نتيجة ذلك ان اخفقت الصفقة وغضب لويس لذلك ولكن لم تكن لديه الامكانية الكافية لعمل شيء مادام ماتيوالي داخل الاراضي الايطالية وبإيديء ذي بدء توجب اخفاء غضب الملك على ماتيوالي. ثم كان لابد من اغراءه للمعجىء الى بكنيرول ليتم انهاء الصفقة وحالما وطقت قدمه الاراضي الفرنسية القى القبض عليه ثم اودع في قلعة بكنيرول التي كانت بأمرأة محافظ يدعى سان مارس وبقي الموضوع برمته رهن الكتمان وتوارى ماتيوالي

ببساطة ولبث في السجن حتى وافاه الاجل ولم يكن ثمة احد يعلم جيداً متى حدث هذا، ولكن اقرب الاحتمالات انه بعد خمسين سنة اي في عام ١٦٩٤
ويقينا ان ماتيوبي كان مرشحاً لأن يكون هو السجين وهنا نذكر ان ايتين دوجونكا ممثل الملك في سجن الباستيل قال ان السجين المقنع كان يعرف به (أم . مارشيل) وعلمنا انه دفن بإسم مارشيوي ولكن اذا كان ماتيوبي هو الرجل المقنع فلماذا اذا ذهب الملك الى ما ذهب اليه في الابقاء على سرية هويته الاصلية بعد ان نقل الى جزيرة القديسة مارغريت ثم الى الباستيل؟ صحيح ان ماتيوبي اختطف في ايطاليا وهو ما اثار مشاكل دبلوماسية ولكنه في ذلك العصر العملي لم يكثر احد لمصير ماتيوبي بعد سجنه، ثم لماذا أخفي وجه ماتيوبي؟ لم يدرك العديد من الناس ذلك. اذا فهاذا عن نظرية التوأم التي ما زالت حتى هذا الحين اكثر الحلول شيوعاً لهذا اللغز؟ وفي الحقيقة ان هذه النظرية شاعت قبل نصف قرن من كتابة دوماس روايته، وبعد سقوط الباستيل ابان الثورة الفرنسية نشرت سجلاتها الارشيفية بعنوان (الباستيل العاري) وكان (أم . شارينتر)، رئيس اللجنة التي حققت في السجلات الارشيفية، قد درس كل وثيقة وقعت في يده تتعلق بالرجل ذي القناع الحديدي وكانت ثمة سجلات ملكية اطلع عليها ولم يعثر على اي دليل يثبت ان أن النمساوية قد انجبت ابناً غير شرعي أو توأمين، بيد ان شارينتر قد كشف النقاب عن بعض الحقائق المثيرة عن السجين القديم وعن اسطورة ملفتة للنظر تنص على ان الرجل المقنع كان ابناً غير شرعي لـ (آن) النمساوية من دوق (باكنغهام) الوزير المشهور لـ جيمس الاول وشارل الاول وكان دوق باكنغهام قد وصل الى السلطة محبواً على جيمس الاول الشاذ جنسياً وكان له تأثير قوي في شارل الاول ومن المعروف انه بذل قصارى جهوده لاغواء آن النمساوية عندما كان في فرنسا عام ١٦٢٦، ولكن من المشكوك فيه أنه كان قد نجح في محاولاته هذه فليس من اليسير لاثنتين بمثل شهرتهما ان يعثرا على فرصة للزنا، لكن الاسطورة التي سجلها (أم . شارينتر) تقول ان أن انجبت ابناً

للدوق عام ١٦٢٦ ، ويحمل سمات عائلية متميزة مشابهة لطفلها الاخير لويس الرابع عشر المولود بعد اثنتي عشرة سنة وهكذا اقتضت الحاجة لتثقيعه . هذه الاسطورة كان لها ما يدعمها فمصدرها مدام دي سينت كويتتين ، السيدة الثقة التي كانت خادمة ماركيز دي لوفواس وزير حرب لويس الرابع عشر واذا كانت (وكما تأكد عملياً) قد سمعت ذلك من الماركيز فيقينا انها تحوي قدراً كبيراً من الحقيقة وذلك صحيح . ولكن ربما العكس صحيح أيضاً وربما روى لها ماركيز القصة التي اراد لويس ان يصدقها الناس ، قصة قريبة جداً من الحقيقة ومرجحة غير ان ذلك قد يظلل غرابتها ، واذا كان الرجل ذو القناع الحديدي قد ولد في عام ١٦٢٦ فلا بد انه بلغ الثالثة والسبعين عند وفاته ، براهين أخر اثبتت ان السجين كان اصغر من ذلك بعشر سنين ويقول فولتير ان السجين كان شاباً أنيقاً وبحلول عام ١٦٦٩ ، وهو التاريخ الذي كشفت فيه سجلات الباستيل الارشيفية ان السجين السابق كان قد احتجز في البداية ، فان عمره يكون ثلاث واربعين سنة (في حالة ولادته عام ١٦٢٦) ، وهنا يعتبر شيخاً في اوروبا ذلك الزمان وليس شاباً كما وصفه فولتير . تمكن شاربتتر ، في الاقل ، من العثور على نزر من الادلة في سجلات الارشيف فقد كان السجين في بكنيرول تماماً مثل ماتيوولي ونقل الى جزيرة القديسة مارغريت كما هي حال ماتيوولي لكنه لم يكن هو ذاته حيث كشفت مصادر ارشيفية أخرى أن سان مارس ، محافظ بكنيرول ، قد تسلم اشعاراً وهو قرب (اكزايلس) عام ١٦٨١ ومضى برفقة (السجين القديم) بينما بقي ماتيوولي . وبعد كشف النقاب عن مصادر ارشيفية اخرى تفسح ان رسائل مختلفة قد بدلت بين وزير الحرب وسان مارس وقد عثر عليها في احد الملفات والا هم من ذلك ان هنالك رسائل من الملك برهنت بشكل لايقبل الشك ان اسم الرجل ذي القناع الحديدي هو بوستاش دوكر . وكتب ماركيز لوفواس (وهو والد الشخص الذي روى لخادمتها الحكاية الخيالية عن دوق بكنغهام) رسالة في تموز ١٦٦٩ الى سان مارس يقول فيها :

«امر الملك ان اكون مسؤولاً عن ارسال رجل يدعى (يوستاش دوكر) الى
بكنيرول وكان من الهمية ان يكون تحت حراسة مشددة وعليه الا يعطى باية
حال معلومات عن نفسه أو ان يرسل اي خطاب وتوجب علي ان اصغي الى ما
قد يروم قوله وأن اهدده بالقتل اذا ما فتح فاه» .

وتعوي سجلات الارشيف رسالتين من الملك نفسه تشيران الى الموضوع
عينه وهاتان الرسالتان توضحان شيئاً واحداً وهو أن يوستاش دوكر كان يعلم
سراً مرعباً وان الملك كان مصمماً ان لايعرف ذلك غيره، وعندئذ لم لم يحكم على
دوكر بالاعدام؟ ربما لان لويس الرابع عشر لم يكن متحجر القلب وقاس الى
تلك الدرجة وربما لانه يكن وداً له (دوكر) وزبها لأن الملك كان يتسنى ان يبوح
دوكر في يوم ما بسر عظيم وكان جوليس لير اول من قدم النظرية القائلة
ان الرجل ذا القناع الحديدي كان يوستاش دوكر مؤرخ عمل في ايام وزير
المالية، نيكولاس فوكيه، والذي حكم الملك عليه ايضاً بالسجن مدى الحياة
وكان فوكيه قد ولد في عام ١٦١٥ واضحى رغبة لدى كاردينال ريشيليو وعندما
توفي مازارين (حليف ريشيليو وخليفته) في عام ١٦٦١ توقع الجميع ان يصبح
فوكيه اكبر وزير عند الملك بيد ان الملك الشاب الذي لم يتجاوز الثالثة والعشرين
سأم فوكيه الذي حاول اغواء لويجي دي لانالييه ابنة الضابط التي اصبحت
خادمة الملك . وعين الملك (جان بابتست -كولبرت) وهو ابن حانوتي مساعداً
لفوكيه وكتب كولبرت بعد فترة قصيرة ان فوكيه كان يسلم الملك حسابات
مزورة بعد ظهيرة كل يوم ثم أخطأ فوكيه حين دعا الملك الى بيته الريفي الضخم
واستضافه بكل مظاهر الترف والالبة وعرف الملك ان كل هذا قد درته عليه
الاموال العامة فألقى القبض على فوكيه وحوكم بالسجن مدى الحياة في قلعة
بكنيرول وسمح للسجين القديم، يوستاش دوكر، في عام ١٦٧٥ ان يكون
خادماً خاصاً لدى فوكيه، ولا يمكن ان يكون هنالك الا سببان: إما ان فوكيه

ايقت حينها سر دوكر عن السجين القديم أو ان ذلك لايهمه مادام يوستاش نفسه لم يطلق سراحه، ولكن من هو يوستاش دوكر؟ وما الذي اقرهه؟. يبدو الشطر الاول من السؤال اسهل اجابة من الشطر الثاني، ففي اواخر العشرينات من هذا القرن شرع المؤرخ موريس دوفيفير باقتفاء اثار دوكر، فقد ذكر الطبيب الذي عالجته في الباستيل ان عمره يقارب الستين وهذا يعني انه ولد في اواخر عام ١٦٣٠ وقام دوفيفير بالبحث في السجلات بجهد منقطع النظير عن «دوكر» أو «دي اوكر» أو «دانكر» أو «اوكر» أو «دوكيه» لغرض مطابقة الاسم في كل قائمة ووجد في نهاية المطاف في سجلات المكتبة الوطنية اسماً لرجل يدعى «اوكر دي كافوي» احد اعضاء عائلة (بيكاردي) الصغرى وكان يوستاش (اوكر أو دوكر) ابن فرانسواز دي كافوس قائد مشاة (كاردنيل ريشيليو) وقد ولد في الثلاثين من آب ١٦٣٧ وكان احد ستة اخوة قتل اربعة منهم في احدي المعارك وكان الخامس لويس دوكر دي كافوي الذي اصبح احد اكثر اتباع لويس الرابع عشر ثقة، ولكن يلوح ان يوستاش كان الابن العاطل في العائلة، وكلما درس (دوفيفير) عنه زاد ثقة في ان يوستاش هو الرجل ذو القناع الحديدي. وكان فرانيواز دي كافواي والد يوستاش قد ذهب الى البلاط في نحو عام ١٦٢٠ طلباً للجاء وكما هو حال دوماس دارتكان فقد حقق شهرة لشجاعته. (كان دارتكان في حقيقة الامر شخصاً حقيقياً ورافق فوكيه الى سجن بكنبرول). وتزوج هذا الرجل من الارملة الشابة (ماري دي سيركان) واصبح قائد حرس كاردنيل في عام ١٦٣٠ وكانت ماري تتمتع بشعبيتها بحكم موقعها واصبحت صديقة لـ (ريشيليو) ثم صديقة للملك وخادمة شرف له ولذلك ترعرع ابناءها في البلاط وكان يوستاش الشاب زميل طفولة للويس الرابع عشر وهذا ما قد يفسر لنا عدم رغبة لويس في اعدامه وكان والده فرانسواز قد قتل ابان حصار بايوم عام ١٦٤١ غير ان منصب الارملة يؤكد ان الاطفال بقوا مفضلين في البلاط، لكن اربعة منهم لقوا مصرعهم في الجيش، أما يوستاش الذي كان جندياً ايضاً فقد خدم في سبعة

رحلات عندما كان في سن الحادية والعشرين ويبدو انه عندما بلغ الثانية
 والعشرين في عام ١٦٥٩ قد اشترك في حادثة غريبة جداً فقد كان حاضراً في
 قداس الجمعة الحزينة في قلعة رويسى والذي عمد فيه احد الخنازير واكل وكانت
 الفضيحة كبيرة وشوهت سير العديد من الناس، ولكن بلوح ان يوستاش قد
 نجا من العقاب ربما للاحترام الذي نالته والدته من البلاط غير انه تورط بعد
 ست سنوات في فضيحة اخرى اجبرته على الاستقالة من منصبه لقد كان ثمة
 خصام مع احد الخدم خارج قلعة (القديس جيرمن) وتشير احدي الروايات
 (وعلى لسان دوق ايتاين) ان الخادم كان مخموراً وقرر ان يضرب برمحه دوق
 ديفوار وهو يترنح امامه وثار الخصام، ثم قام رجل يدعى كافوي وقتل الخادم،
 وعد ذلك تدبيراً للمحرمات مادام المكان مقدساً بحضور الملك فيه، هرب دوق
 دينوار دون عقاب في حين اجبر كافوي على التخلي عن منصبه وحقيقة ان
 كافوي هذا هو يوستاش دوكر قد ايدها الحقيقة القائلة ان دوكر ايضاً نحي من
 رتبة قائد الحرس عام ١٦٥٦ بينما بقي اخواه (لويس) و (ارمان) يخدمان الملك
 وعقب مصرع الخادم توفيت والدته يوستاش وأعلنت في وصيتها ان الذي يجب
 ان يكون على هامة العائلة هو لويس دوكر وليس اخوه الاكبر يوستاش ويتضح
 انها كتبت هذه الوصية قبل اربعة عشر شهراً من مقتل الخادم، وكل ما نستطيع
 استخلاصه هو انها عدت يوستاش وغداً وتركت له معاشاً تقاعدياً مدى الحياة
 يساوي الف ليفرة سنوياً. ويلوح ان يوستاش كان في استقرار مالي وكان يشاطر
 اخاه في شارع (بوربون) القريب من مستشفى جارتى ولكن وجد لويس دوكر
 نفسه عام ١٦٦٨ مشكلة خطيرة فقد حاول اغواء سيدة تدعى سيدونيا
 كورسيلس فتصدى له زوجها وجرت بينهما مبارزة اعتقل في اثرها لويس، وكان
 وزير الحرب لوفاس معجباً ايضاً بسيدونيا فبذل جهده ليسجن لويس مدى الحياة
 ولكن انقذه كولبرت وزير المالية، غير ان لويس قضى السنوات الاربع التالية في
 الباستيل وعندما خرج من السجن ذاع صيته في العالم، ولكن اخاه يوستاش كان

في ذلك الحين في سجن بكنيرول ترى ما الذي اقترفه يوستاش؟ يقول دوفيفير في نظريته انه لعب دوراً ما في قضية السموم أو حتى في المرجحة التمهيدية لذلك عام ١٦٦٨ ، فقد بدأت قضية السموم عام ١٦٧٣ عندما طرقت مسامع نيكولاس دي لاريني، مدير الشرطة، شائعات عن سيدات ثريات اعترفن في الكنيسة انهن قتلن ازواجهن بالسم وقد قضى (لاريني) اربع سنوات ليكتشف خاتماً ساماً عمله العرافون والكهنة الذين يؤدون قداس الحزن وكانت العديد من سيدات البلاط، بما فيهن مدام دي مونتسبان، خادمة الملك مشتركات بالعملية الامر الذي شكل صدمة قوية للملك وكان هدف مونتسبان الحفاظ على حب الملك لها ولاضعاف تأثير غريمتهما، لويز دي لافليز، حيث شاركت في قداس للحزن وسمحت بتعرية بطنها في مذبح الكنيسة بينما قام كاهن يدعى كيبورك بقطع رقبة طفل فوقها. وفي احد الطقوس لتحضير جرعة الحب للملك، تخلط فترات من دم حيض المرأة مع السائل المنوي للرجل الذي يحصل عليه بالاستمناء في كأس القربان المقدس، وزرع هذا الامر الرعب في قلب الملك بحيث جعله يصدر الاوامر للتحقيق فيه بسرية تامة وفي غرفة تضيئها الشموع فقط سميت (الغرفة المضاءة) وأمر الايطرق مسامع العامة اي خبر عن الملك، واغلب كبار منفذي قضية السموم احرقوا احياءً بينما لحق العار بدمام دي مونتسبان. وفي باريس كان ثمة فرع ايضاً من السم في نحو عام ١٦٦٨ اي قبل سنوات من سماع لاريني تلميحات عن موضوع الخاتم السام. وقد اتهم مشعوذ يدعى ليساج ومساعده الاب مارييت بالسر وكثير الحديث عن جرعات الحب وقداس الحزن وسيدات البلاط وورد اسم دي مونتسبان اول وهلة ولكن بتحفظ شديد وحكم على ليساج بالاشغال الشاقة مدى الحياة بينما تمكن الاب مارييت من الهرب بعد الحكم عليه بالنفي تسع سنوات وساعده في ذلك اقارب متنفذون. واعترف كيبورك، في قضية السموم الاخيرة، ان قد مارس طقوس قداس حزن في بيت دوقة اورليانز لقاء مبلغ دفعه له جراح يسكن مع اخيه في

حي القديس (جبرمن) قرب مستشفى جارتى وهو المكان الذي سكنه بوستاش
دوكر وأخوه عام ١٦٦٨ وثمة قبس من برهان آخر من محاكمة الغرفة المضاءة
يشير الى جراح يدعى دوكر كان يجهز العقاقير، ويعتقد دوفيفير ان هذا الجراح
هو بوستاش دوكر وان هذا هو سبب اشتراكه في قضية ساج ومارييت الذي
ادى الى نفيه وأساط هذا البرهان اللثام عن ان بوستاش قد القي القبض عليه في
دنكرك بأمر خاص من الملك ويتضح انه كان يحاول الهرب الى انكلترا . . .
لذاك يمكن ان يكون دوفيفير على صواب، وقد يكون الجراح دوكر هو
بوستاش دوكر المشترك في قضية الشعوذة، بيد ان ذلك يخفق في تفسير سبب
تعامل الملك مع القضية برمتها يمثل هذه السرية. ومع ذلك فقد نفي الاب
مارييت وتوفرت له الفرصة للتفوه بها يعرفه من اسرار شريرة عن الملك وعن
دوكر. ومع ذلك تفشل نظرية دوفيفير التي تتهم دوكر بالشعوذة وبيع السموم
في ادانته، وثمة اكثر من احتمال يثير المتعة في ربط دوكر بلغز رينيه لي شاتو،
ويذكر هنري لنكولن في كتابه (الدم والكأس المقدسان) ان فوكيه، وزير المالية
المطروود قد يكون هو الرجل ذا القناع الحديدي وكما نعلم ان ذلك مستحيل
فسوكيه توفي في عام ١٦٨٠ أي قبل السجن القديم بثلاث وعشرين سنة غير ان
لنكولن اوضح ان شقيق فوكيه ارسل الى روما في عام ١٦٥٦ لمقابلة الرسام
بوسين ثم كتب الى فوكيه رسالة مثيرة عن سر سيفضي به اليه من خلال بوسين
الامر الذي سيثير اهتمام حتى الملوك وسيعود اليه بالفوائد، ويفترض ان هذا
السر له علاقة ما بشروة رينيس لي شاتو المخفية وكانت لوحة بوسين (رعاة
اركاديا) ذات مفاتيح مهمة لحل اللغز وقد حصل عليها لويس الرابع عشر
وحفظها في غرفته الخاصة اذ لا يستطيع احد رؤيتها فهل يحتمل ان فوكيه كان
يعرف سر رينيس لي شاتو وأن الملك قد سجنه في بكنيرول ولم يسمح له بالتكلم
مع شخص لاجباره على الاقضاء بالسر؟. وثمة احتمال آخر يتعلق بـ (رينيس لي
شاتو) وهو ما كشفه لنكولن من أن جزءاً مهماً من اللغز يتعلق بشخص غامض

يدعى (دير سيون) والذي كان هدفه إعادة سلالة ميروفنجيان الى فرنسا، كان الميروفنجيان، وهم احفاد الملك مورفيث، هي العائلة المشهورة في اللورين في القرن السابع عشر، وتزوج غاستون دي اورنيل، الاخ الاصغر للويس الثاني عشر من اخت دوق لورين وكانت ثمة محاولة لعزل لويس ووضع غاستون محله وهذا كان يعني عودة احفاد سلالة ميروفنجيان الى عرش فرنسا مرة اخرى، لكن هذه المحاولة قد اخفقت بالرغم من امكانية تبوأ ورثة غاستون العرش ما دام لويس الثالث عشر لاعتقب له. وكما نعرف فان آن النمساوية قد ادهشت الجميع بعد ذلك عندما حملت طفلاً اصبح فيما بعد لويس الرابع عشر...

وكتب لسكولن : «يرى الكتاب المعاصرون والمتأخرون ان والد الطفل الحقيقي هو (كاردينال ريشليو) وربما شخص آخر استخدمه ريشليو كحصان سفاد... لكن من هو جواد السفاد هذا؟»

المرشح الواضح هو فرانسواز دوكر دي كافوي... وهناك العديد من الروايات حول حمل لويس الرابع عشر، فعلى مسيل المثال كيف دبر ريشليو لجمع الملك والملكة وكيف اختلى لويس بآن النمساوية ابان عاصفة وكانت نتيجة ذلك ان حملت الطفل».

ويقيناً ان لويس الرابع عشر حملته امه في اثر لقاء واحد بينها وبين الملك وان ريشيه قد دبر الامر كي يكون لدى لويس سبباً يدعو الى التصديق ان الطفل هو ابته وتطرق الكثير من الكتاب الى الشبه بين لويس دوكر دي كافوي شقيق يوستاش الاصغر ولويس الرابع عشر وهذا الامر يمكن امتياعه اذا كان الاثنان في حقيقة الامر اخوين لا شقيقين.

وهكذا تكون لدينا في النهاية نظرية تلوح انها تفسر لغز الرجل ذي الفئاع

الحديدي، فقد كان فرانسواز دي كافوي جواد السفاد الذي اكّد ولادة وأرث العرش وهكذا حابت آمال الميروفنجيان (وأمر دير سيون) وكان يومئذ لويس دوكر يعلمان ان الملك اخوهم لايبهم وهذا يفسر لنا لم اصبح لويس محبوب الملك بعيد خروجه من الباستيل وقد كان يمكن الاعتقاد عليه في كتمان السر. أما الولد العاطل يوستاش فقصة مختلفة. فبعد سقوطه واستقالته من الحرس والحكم بالسجن على اخيه شرع يتكلم كثيراً وربما مارس شكلاً من الابتزاز للملك مثل قوله:

اطلق سراخ اخي والا... وهذا ما يفسر لنا السبب الذي دعا الملك الى زجه بعيداً الى بكنيرول في سجن انفرادي والتأكيد بعد ذلك على ان يرافق السجين القديم المحافظ سينت مارس عندما ينقل من سجن الى آخر والذي يمكن تصوره ايضاً انه اضحى متورطاً في امر ديرسيون ومؤامرة تنصيب احد الميروفنجيان على عرش فرنسا وهل ثمة سبب احسن لتبديل الملك من الكشف انه ليس بالابن الحقيقي للويس الثالث عشر؟.

وربما عرف فوكيه السر مادام له اتصال بأمر ديرسيون ويعتقد لنكون ان هذا هو السبب الذي ادى الى القضاء القبض على فوكيه وبما كتمته وقد بذل لويس قصارى جهوده ليحكم على فوكيه بالاعدام لكن المحكمة ابت ذلك وهذا ما يفسر لنا سبب السماح ليوستاش بالعمل خادماً خاصاً له (فوكيه) ولكن عندما سجن دوق لوزون، (احد معارف دوكر القداماء) بعد عمل طائش ابعد احدهم عن الاخر. وتفسر لنا هذه النظرية عدة اشياء كالسبب الذي دعا لوفواس وزير الحرب الذي يعرف السر تماماً الى اخبار خادته ان السجين المقنع هو ابن دوق بكنغهام وأن النسابة وهذا ليس بعيد عن الحقيقة فهي تفسر لم اصر الملك على اخفاء السجين، بيد انها تجعل السجين الابن غير الشرعي وليس الملك وقد تفسر ايضاً سبب اجبار دوكر للتقنع عندما يحوم حوله الناس فربما كان يشبه الملك اذ

ان من المستحيل تصور السب الذي يقع الرجل لو لم يكن في وجهه مفتاحاً
مهماً لسه ولا بد من الاقرار ان هنالك اعتراضاً عتيفاً ازاء هذه النظرية فعندما
اخبر الوصي، دوق دي اورليانز، لويس الخامس عشر بسر الرجل المقتنع ذكر انه
صرخ قائلاً: (سأحرره ان كان حياً). ترى هل ان الملك اعتقد بعدم اهمية حقيقة
ان جده هو ابن قائدة مشاة ريشليو؟ ربما لان عرشه الان في امان غير ان قصة
اخرى عن لويس الخامس عشر تصفي كثيراً من الشكوك على هذه النظرية،
فعندما سأل دوق دي شواسيل عن السجن الغامض احجم الملك عن قول اي
شيء ماعداً: (كل ما قبل من تخمينات كانت خاطئة) ثم اضاف مستدركاً عبارة
محبرة: (اذا كنت تعرف كل شيء عنه ستري انه عديم المنفعة). واذا كان هذا
التعليق صحيحاً وليس مجرد محاولة لتهدة فضول الدوق فان ذلك يشير الى ان
كل ما كتب في الالف الصفحات عن الرجل ذي القناع الحديدي كان زوبعة في
فنجان.

اصحاب السر

أحدث كتاب موسوم بـ «البوذية السرية» ضجةً هائلةً حتمت على ناشره السرعة لإعادة طبعه. هذا الكتاب من تأليف الفريد بيرس سينيت الرجل النحيف الأصلع الذي يعمل رئيس تحرير جريدة (بايونير) أكثر الجرائد الهندية رواجاً. وكان سبب هذه الضجة هو ادعاء سينيت في الصفحة الأولى من الكتاب بأنه حصل على معلوماته من «معلمين مخفيين»، رجال عاشوا في الجبال العالية من هضبة التبت ومازالوا خالدين فعلاً. كان لا بد من التمعن في هذا الموضوع بجدية لأنه صدر من رئيس تحرير جريدة كانت تعتبر الناطقة بلسان الحكومة البريطانية في الهند، ومن غير المنطق أن يتهم بجنون الايمان بالقوى الخفية وقد استحق رجل كهذا اهتماماً جاداً عندما بين انه:

«هذا الكتاب، ولأسباب سوف تغدو جلية بيننا تمضي حى النقاشات الحالية على قدم وساق، يحتوي على مجموعة مهمة جداً من تعاليم ما تزال مرية حتى الآن لم تتجاوز بها نطاق حالات من النوع الاعتيادي فحسب، بل أمست جاهزة لأخذ على كاهلي مهمة إبلاغها للعالم أجمع».

لقد تبني العديد من الناس موضوع سينت بجدية فعلاً. فقد قرأ الشاعر «و. ب. بيتس» الكتاب وسلمه لصديقه تشارلز جونستون الذي تأثر به الى الحد الذي حدها أن يتطلق في رحلة الى لندن للسباح له بأنشاء فرع في دبلن للجمعية الشيو صوفية، ناشري كتاب سينيت.

عرف جمهور العامة، وبعد ثلاث سنوات تقريباً، كيف حصل سينت على التعاليم التي ماتزال سرية حتى الآن، وشعر الشكوكيون انهم محصنون بتعايرهم

الساخرة.

ففي تشرين الأول (أكتوبر) من عام ١٨٨٠ استضاف سينيت وزوجته مدام بلافاتسكي في منزله، تلك السيدة الراقية التي أخبرته ان معظم معرفتها قد حصلت عليها من «معلميها المخفيين» الذين عاشوا في الهيبالايا. وقد اقنعت سينيت بعقريتها بعد قيامها بسلسلة من المعجزات الصغيرة. ففي أحد النزعات، عندما ظهر ضيف غير متوقع أمرت ضيفاً آخر أن يحفر بسكينة مائدة في جانب التلة، فأكتشف كوباً وصحن كوب من نفس النمط كمكملات للطقم الصيني.

وعندما قالت أحد النساء انها تتمنى ان تجد دبوس زينتها المفقود، طلبت مدام بلافاتسكي من بقية الضيوف ان يذهبوا ويحشوا في الحديقة، فوجد الدبوس في زهرة مطويماً بورقة. وعندما ابدى سينيت رغبته في الأتصال مباشرة مع (المعلمين)، وعدت مدام بلافاتسكي أن تعمل ما بوسعها. وبعد بضعة ايام لاحقة وجد سينيت على مكتبه أول رسالة من الرسائل التي أصبحت معروفة فيما بعد بـ (رسائل المهاتما). ومن هذه السلسلة من الرسائل حصل سينيت على علم (البوذية السرية).

هذه المعلومات عن رسائل المهاتما قد كشفها، ولسوء الحظ، تقرير عن الشيوصوفية نشرته جمعية البحث في المؤثرات الخارقة للطبيعة عند نهاية عام ١٨٨٥. كان هذا البحث ما توصلت اليه بحوث ريتشارد هودجسون، الشاب الذي تحدث الى مديرات منزل مدام بلافاتسكي وأدرك أن أغلب المعجزات كانت خادعة. كان دليلهم المقنع أنهم جعلن رسالة ما، معنونة الى هودجسون وتتضمن حوارهن الذي تحدثن به الساعة، تسقط من الهواء فوق رأسه. كان لتقرير هودجسون الاثر البالغ بالتدمير التام لمصداقية مدام بلافاتسكي وبخطيم اسطورة (المعلمين المخفيين) في هضبة التبت. بيد ان هذا القول لايلفي حقيقة

ن اشياء كثيرة ما برحت تقال لصالح مدام بلافاتسكي، وعودة نحو ادلة جمع من الراصدين يبين لنا انها كانت وسيطة روحية دون ادنى شك. فالكونتييسة (كونستانس وتشميستر)، التي استخدمتها مدام بلافاتسكي عام ١٨٨٤، وجدت الامر في مستهله مزعجاً بعض الشيء. لقد شاطرت مدام بلافاتسكي غرفةً وضعن في وسطها ستاراً، فكانت تسمع حالماً نغمض جفنيها رنين دقات تتخللها فترات توقف لمدة عشر دقائق ويستمر هكذا الحال حتى الساعة السادسة صباحاً. ويجوار سرير مدام بلافاتسكي كان ثمة قنديل متوهج، فإنسلت الكونتييسة خلف الستار لتطفئه، بيد انه اضيء ثانية حالماً رجعت الى فراشها. ومهما يكن فقد سمعت الكونتييسة صوت حك عود ثقاب او علية قذح. ثلاث مرات اطفأته، وثلاث مرات اضيء من غير ابطاء والدقات مستمرة ايضاً.

وعندما اطفأته في المرة الثالثة رأت يداً سمراء ترفع الفتيلة فأيقضت مدام بلافاتسكي التي باتت شاحبة ومصدومة وقد أوضحت أنها كانت مع (المعلمين) ومن الخطر ايضاؤها على حين غرة. ويصف تشارلز جونسون كيف جلس يراقب HPB (كما كان يدعوها المعجبون بها) وهي تنقر بأصابعها قمة الطاولة ومن ثم رفعت يدها مسافة قدم واحد او يزيد فوق الطاولة وواصلت النقر فاستمرت الاصوات كأنها تأتي من الطاولة، ثم استدارت باتجاه جونسون وبدأت ترسل (النقرات الوهمية) على ظاهر يده. «انني أشعر بها وأسمعها، إني أشعر كأنني أستلم إشارات من الموصل الرئيسي لماكنة كهربائية. إنها شبيهة بتدفق الزئبق خلال أصابعك».

هذا الامر قد يبدو برمته مجرد خدعة، ولكنه يلوح مستبعداً، فإذا كنا على استعداد لتقبل الفرضية التي تقول أن هناك وسطاء حقيقيون يمتلكون أو تمتلكهم قوى سحرية معينة، فمن المؤكد اذاً أن مدام بلافاتسكي كانت شخصاً من هذا النوع. وإذا كنا على استعداد لتقبل وجود وسطاء حقيقيين فالسؤال التالي

أذاً : هل ان قواهم هي نتيجة نشاط غامض للعقل اللاواعي؟ أو انهم يستخدمون قوة خارجية ما - كأن تكون فيض من (العقول اللاواعية الجماعية) أو ربما (الارواح) -؟. إن معظم دارسي الظواهر الخارقة خلصوا الى الإذعان، ولو على مضمض، بأن هناك قوة خارجية معينة بالرغم من أن معظمهم وجدوا أن تقبل وجود الارواح ضرب من المستحيل!.

لقد توصل الطبيب النفسي ولسون فان دوسن، الذي أجرى دراسةً على المئات من المرضى الذين يعانون من الهلوسات في مستشفى ولاية ميندوسينو، الى إستنتاج مهم وهو ان طبيعة الهلوسات وصفها في القرن الثامن عشر المتصوف ايمانويل سويد نبروغ. ويلوح في الافق أنها تنقسم الى نوعين كان يدعوها بـ (النوع الاعلى) و (النوع الادنى).

تلوح الهلوسات من النوع الادنى بليدةً ومقسمةً بالتكرار وهي شبيهة بعريضة المتبطل السكر في الحانات والذي يحب مضايقة الآخرين وتعذيبهم من أجل المتعة لاغير. بينما تلوح الهلوسات من النوع الاعلى (رمزية ودينية ومساعدة ومنتفة بصدق).

كان هناك مصلح أنابيب الغاز يعاني من هلوسة امرأة جميلة من النوع الاعلى أظهرت له آلاف الرموز. وكان فان دوسن قادراً على إجراء حوار مع هذه (المرأة) بمساعدة المريض. وبعد الحوار طلب المريض تفسيراً واحداً فقط لما كانوا يتكلمون بصدده.

إذا كنا على إستعداد لتصديق ذلك فنحن على إستعداد أيضاً للاعتقاد بأن (المعلمين المخفيين) لمدام بلافاتسكي ربما لم يكونوا من اختلاقتها، فقد أخبرت كونستانس وتشميستر أن الدقات التي كانت تترد من فوق سريرها كانت عبارةً عن (برقية روحية) تربطها بالمعلمين الذين كانوا يتجهدون فوق جسدها وهي

نائمة. وإذا كنا على استعداد للاعتقاد بأن المعلمين كانوا (ملائكة) كما يسميهم
سويد نبورغ أو هلوسات من النوع الأعلى كما يسميهم فان دوسن فإن القول بأن
HPB كانت خدعة عجوز سننبتها سريعاً وراء ظهورنا. إذ ينبغي علينا في
الأقل أن نأخذ بنظر الاعتبار الفرضية التي تقول أن ثمة شيء ما كان يحدث،
وهو إلى درجة ما أكثر تعقيداً مما نتصور.

لم تكن مدام بلافاتسكي هي التي اخترعت فكرة (المعلمين المخفيين)،
فالفكرة جزء من تقليد سحري قديم. ويقول المؤلف الموسيقي سيريل سكوت،
وهو من المؤمنين بالقوى الخفية، في كتابه (عرض شامل لمسألة الايمان بالقوى
الخفية في الوقت الحاضر) (١٩٣٥) الذي تناول فيه المعتقدات الأساسية للسحر
والعرافة والتنجيم:

«أولاً، يعتقد المؤمن بالقوى الخفية بأن الانسان في مرحلة تطور من نقص
نسبي إلى حالات عليا جداً من النشوء البدني والروحي.

ثانياً، إن العملية التطورية في كل أدوارها تديرها سلطة كبرى من مخلوقات
ذكية قد توصلت هي نفسها إلى هذه الحالات العليا».

ويتفق الآن العديد من المفكرين المعاصرين على ان الانسان مرتبط بعملية
تطورية تشمل عقله بالإضافة لجسده ويصر العديد منهم على ان العملية هي
ليست في مجملها مسألة تقنيات داروينية (انظر على سبيل المثال ان المتطوعين
لتجارب آرثر كويستلر في «العملية ما بعد التحولية») بل هي بشكل واضح
خطوة طويلة جداً من مذهب النشوء إلى الايمان بأن العملية التطورية تديرها
مخلوقات ذكية عليا.

ان هذه الخطوة في الحقيقة تناوفا (على اسس علمية محضة) العالم السبراني

ديفيد فوستر في كتابه الموسوم بـ (البشر الاذكيا) والتأكيد الأساسي لفوستر ينصب ببساطة على النشوء الذي يلوح بنظر السبراني انه يدل على تدخل من نوع ذكي. والسبرانية بصورة اساسية هو علم جعل المكاثن تنصرف وكأنها دالة على الذكاء وهي تعمل، على سبيل المثال، آلة الغسيل الحديثة التي تؤدي عدداً من العمليات المعقدة كتسخين الماء الى درجة حرارة معينة وغسل الملابس لفترة معينة وشطفها وتجفيفها بالآلة تدور بسرعة كبيرة... الخ. ولكن هذه العمليات مبرمجة في داخل الآلة ويمكن انتقاءها بمجرد تدوير قرص العداد أو ادخال نوع من الاقراص البلاستيكية - كل حافة منه تحتوي على برنامج مختلف- في شق صغير. ولكن بنظر السبراني تدل جورة البلوط مثل القرص البلاستيكي على نوع معين من البرمجة. هل يمكن ان تكون جورة البلوط مبرمجة بالانتقاء الطبيعي الدارويني فقط؟. يبين فوستر أحد القوانين الأساسية في برمجة الكمبيوتر وهو ان الذكاء الذي يعمل البرمجة لا بد أن يكون ذا نظام اعلى واكثر تعقيداً من البرنامج نفسه. وعلى نفس الشاكلة، من اجل تشغيل سيارة ما أو استعمال آلة طباعة كهربائية لا بد لعقلي ان يعمل اسرع من الآلة. واذا كانت الآلة تعمل اسرع من عقلي فسوف تكون النتيجة كارثة أو فوضى. في السبرانية يمكن ان يكون الضوء الازرق برنامجاً للضوء الاحمر، ولكن ليس العكس. وعلى نفس المبدأ يمكن أن يمثل ديكنز السيد بكويك ولكن لا يمكن أن يمثل السيد بكويك ديكنز. ويصر فوستر في مناقشته أن الطاقات المستخدمة في برمجة الـ DNA تحتاج الى أن تكون اعلى من أي شكل من اشكال الطاقة الموجودة على الارض. ويصر ايضاً على أن العملية تتطلب طاقات ذوات نظام مشابه لنظام الأشعة الكونية. مثل هذا الطرح يبين بشكل واضح في أحد معانيه أن تعقيد الحياة على الارض لا يمكن أن يفسره الا بعض المخلوقات الذكية التي تعيش في مكان ما خارج الارض. وقد نرفض هذا الطرح مبينين أن (الفطرة) قد تمثل تعقيداً شبيهاً بالذكاء الخارق. فالرياضيون الخارقون الذين بإمكانهم أن يحلوا المسائل المعقدة خلال ثوان لم

ذكاء منخفض الى درجة ما في ظروف أخرى. وليس ثمة حاجة تطويرية لعقل الانسان كي يحل مثل هذه المسائل. فلماذا يطور العقل مثل هذه القوة؟ وقد يبيننا العالم الفسيولوجي: يطورها كنوع من الانتاج الثانوي مثلما يمكن أن تستخدم وسيلة حساب بسيطة مثل محسبة الخرز لمضاعفة الاعداد الى ما فوق تصور البشر. ولكن هؤلاء الذين يؤمنون ان التطور مسيطر عليه من قوى عظمى، يستخدمون مثل هذه الامثلة كالرياضيين الخارقين ليبرهنوا على ان تطور الملكات العليا للانسان لايمكن ان تفسر بمصطلحات داروينية مجردة.

ومنذ عهد مدام بلافاتسكي (التي توفيت عام ١٨٩١) كان هناك العديد من المؤمنين بالظواهر الخارقة (انني استخدم الكلمة بمعناها الواسع وتعني هؤلاء المهتمين بالظواهر المتعذر تحليلها علمياً) الذين آمنوا أنهم كانوا على اتصال مع مخلوقات ذكية عالية. لقد أصبحت أليس بايلي عضوة فعالة في الجمعية الثيوصوفية بعد وفاة مدام بلافاتسكي وقد اقتنعت انها كانت على اتصال مع (مهاتما) سينيت (وتعني كلمة مهاتما «الروح الكبيرة») كوت هومي. وفي عام ١٩١٩ أسست مجموعتها بعد أن ضاقت ذرعاً من صراعات السلطة داخل الجمعية وانتجت عدداً كبيراً من الكتب أملتها عليها كينونة ما تدعى (التايتيان).

وقد استخدم الراهب ستيتون موسى، وهو عضو قديم في جمعية البحث في الظواهر الخارقة للطبيعة، (أسلوباً ألياً) لانتاج كميات كبيرة من نص مكتوب نشر بعد موته تحت عنوان (تعاليم روحية).

وبالرغم من ان موسى نشر مقتطفات منه في كتابه (التنور) فقد كان متردداً جداً عند اعترافه بان بعض (الارواح) التي أملتها عليه إدعت انها تمثل افلاطون، وأرسطو طاليس، وأنبياء (العهد القديم) الستة. وفي ذلك الوقت

كان هناك دليل قوي على أن هذه النصوص المكتوبة لم تكن ببساطة من نتاج عقله اللاواعي. ففي إحدى المناسبات رجا موسى من (الروح) أن تذهب الى خزانة الكتب وتختار الكتاب ما قبل الاخير على الرف الثاني وتقرأ الفقرة الاخيرة من صفحة ٩٤ ، ففعلت الروح ذلك بشكل صحيح ولكن لم يزل موسى غير مقتنع. فإختارت الروح كتابها وأملت عليه فقرة عن البابا ثم أخبرت موسى اين بإمكانه ان يجدها بالضغط. وعندما أخذ موسى الكتاب من على الرف، فتحته على نفس الصفحة. لقد كانت الروح تملئ هذه الفقرات والكتب ما تزال على الرف مغلقة.

وفي عام ١٩٦٣ بدأ مواطنان أمريكيان وهما جين روبرتس وزوجها روب في إجراء إختبار على لوح لإستحضار الأرواح^(١) أهمهما إياه (بيشنز وورث) وقد قامت مختلف الشخصيات بتعريف نفسها واعطاء رسائل، ثم بدأت تظهر للحياة شخصية ما عرفت نفسها بإسم (سيث).

«وقد كان بادياً من أول نظرة أن رسائل اللوح قد شرعت على حين غرة تزداد في مدى فهمها ونوعيتها. فوجدنا انفسنا نتعامل مع شخصية خارقة الذكاء مميزة الطباع ومزاج مميز، شخص طالما تكشف عن تبصر ومعرفة سايكولوجية جلية وهي من المؤكد فوق قدراتنا الواعية».

لقد استمر سيث يعطي عدداً من الكتب بعناوين مثل (مادة سيث) و (سيث يتكلم) وقد حققت شعبية هائلة. من المؤكد ان هذه الكتب تثبت لنا أن سيث، ان كان هيئة العقل اللاواعي لجين روبرتس أو هيئة (روح) حقيقية، ذو مستوى عال من الذكاء.

(١) ouija board : لوح يكتب عليه حروف الفبائية واشارات اخرى، يستخدم في جلسات استحضار الأرواح للحصول على رسائل قبل أنها تأتي من ارواح الموتى.

وعندما ألفت في ذلك الوقت جين روبرتس كتاباً يفهم منه شكلياً أنه يوميات ما بعد الموت للفيلسوف وليام جيمس، كان من الصعوبة بمكان أن يجعل الأمر محملاً الجدوية. فكتب جيمس مشهورة بـ «سريان مفعولها ووضوح أسلوبها» بينما تبدو كتابة المتصل روحياً بجين روبرتس شبيهة بكتابة الطالب الذي لم يتخرج بعد:

«يا له من اندفاع قوي من الصعب كبحه، حيث وضعه علماء النفس موضع المقارنة مع الحماسة التبشيرية، ذلك الاندفاع الذي أبصر النور لكل تلك التقلبات والانفعالات المدفونة في روح الإنسان، وأوثقوها بمقود أيضاً من أجل المواكبة العظيمة للتقدم والصناعة ومعالجة الطبيعة مادياً لمنفعة الإنسان».

ثمة عدم اتقان في الصنع هنا مما يجعله غير شبيه تماماً بتعابير جيمس العامة الشائعة. فجملته (وأوثقوها بمقود أيضاً) لا تمثل أسلوب وليام جيمس إذ كان سيقول بدل ذلك ببساطة (وسخرها...).

ومع ذلك فغالباً ما يتحدث سبب عن أشياء ذات أهمية كبيرة وعميقة. ومثال على ذلك تأكيد على أهمية العقل الواعي والقرار الواعي في كتابه (في طبيعة الحقيقة الذاتية):

انني أدرك تماماً أن العديد من تصريحاتي سوف تتعارض وما يؤمن به هؤلاء الذين يتفقون مع فكرة أن العقل الواعي عاجز نسبةً إلى غيره، وإن حلول المشاكل مخفية تحته أي في العقل اللاواعي. ومن الجلي أن العقل الواعي هو ظاهرة وليس شيئاً ما، وهو يتغير على الدوام، ويمكن أن يتركز أو يتغير بواسطة الأنا في اتجاهات متصلة بشكل موضوعي، وبإمكانه أن ينظر خارج الواقع أو يتجه نحو الباطن راصداً محتوياته... إنه أكثر مرونة مما تظن.

ان تعليقات مثل هذه على التقيض من مبادئنا الشائعة حول اللاوعي وشبكة الاعصاب الشمسية التي تحدث أثر الطراوة المجفلة. وهي ليست ذلك الحشو المبعثر الذي اعتدنا ان نراه في الكتابة الالهامية، بل هو ارتباط رؤيا ما بقوى العقل. واذا ما كان سيث يمثل جين روبرتس فهي اذاً فيلسوفة ذات تبصر جدير بالاعتبار.

وثمة تجربة نموذجية قام بها اللدني توني نيت على (وسيط روحي) يرى نفسه على اتصال مع هلوسات فان دوسن ذات النوع الاعلى. ففي عام ١٩٥٠ عندما كان عمره عشرين عاماً، بدأ يلعب في نوع بدائي من انواع لوح استحضار الأرواح وهو لا يزال في ريبه مما يقال عنه. وكان ثمة كأس على سطح الطاولة المصقول، فانقذف الكأس من الطاولة بشدة اوقعته على ظهره. فبدأ يمارس التكهن النفسي وأخذ يستلم (صوراً) من الاشياء التي تمسكها يده ووجد أن رؤاه عن تاريخ هذه الاشياء غالباً ما كانت دقيقة. وفي أحد الايام عندما كان يمارس التكهن النفسي راح في غيبوبة وأخذت (الأرواح) تتحدث من خلاله. وقد أستشهدت الروح التي ادعت بانها (فرويد) بجملة من كتاب ألماني ذاكرة رقم الصفحة المضبوطة. وقد كان توني نيت قادراً على اقتفاء أثر الكتاب في مكتبة لندن العامة حيث وجد أن الكلام المنقول صحيحاً. وتحدثت الروح التي ادعت إنها المغنية ميلبا عن حفلة موسيقية كانت قد أحييتها في بلجيكا، ومرة أخرى تبين أن ادعاءها مضبوط.

وابان عيد الميلاد عام ١٩٥٥ وجد توني نيت نفسه على اتصال بشخصية اسمها هيليو - أركانوفوس (هـ-أ للاختصار) الذي ادعى انه من سكان أطلنطس^(١) واسمه يعني كاهن الشمس الاعلى. فأسس توني نيت ورفاقه جمعية

- (١) شبكة من الاعصاب في فم المعدة وتسمى بالصفيرة الشمسية.
- (٢) القدرة المزعومة على اكتشاف شخصية امرىء ما أو صفاته عن طريق لمس شيء كان ذلك المرء قد لمسه.
- (٣) جزيرة خرافية في المحيط الاطلسي غربي جبل طارق زعموا أنها غارت في أعماق المحيط.

تدعى جمعية الاطلنطين وانتقلوا الى مدينة ريفية في ويست مالفرون. وقد قضت الكاتبة آني ولسون هناك ردهاً من الزمن، وبين كتابها الموسوم بـ (حيث يوجد الحب) والذي تتحدث فيه عن تجاربها مثلما بين سيث أن (هـ-أ) لديه الكثير من الاشياء المهمة والاصلية ليتحدث عنها. عندما يقرأ المتشكك هذه الاقوال، من الطبيعي ان يفترض ان هذه الاشياء اختلفها العقل اللاواعي لتوني نيت. ولكن اذا كان الحال كذلك فكيف يمكننا اذاً ان نفسر استشهاد فرويد بالجملة من الكتاب، والمعلومات التي حصل عليها من ميليا؟ اذا كنا على استعداد للاعتراف بان هذه المعلومات قد حصل عليها بطريقة لايمكن تحليلها علمياً أو بان آية معلومة يمكن الحصول عليها بطريقة من المتعذر تفسيرها علمياً كما في حالة مخطوطات غلاستونبري، فاذاً من الممكن بشكل جلي ان ينطبق نفس الشيء على اقوال سيث واقوال هيليو - أركانوفينوس.

لا تزعم كل (التعاليم السرية) انها ناشئة من كيانات منفصلة عن اجسادها، وانما ثمة تعاليم محفوظة على مر العصور من قبل مجتمعات سرية أو مجموعات دينية. لقد قضى جورج كارجيف وهو من مفكري القرن العشرين معظم فترة شبابه في البحث عن جماعة سارمونك الدينية مدعياً انه كان يتلقى تعاليمه الاساسية من جماعة دينية من الرهبان في جبال الهملايا الشمالية. ويعتمد جوهر تعاليم كارجيف على فكرة أن الوعي الاعتيادي هو ضرب من ضروب النوم أي ان كل الفعاليات الانسانية هي في مجملها آية. واذا ما تمنى الانسان ان يتوقف عن كونه آياً توجب عليه أن يبذل جهداً عظيماً من قوة ارادته.

وقد بين كتاب (في البحث عن ميراكلينوس) لأحد اتباع كارجيف ويدعى (ب. د. أوسبنسكي) أن تعاليم كارجيف السايكولوجية يكمن وراءها نظام كوني معقد الى درجة عالية، ليس له صلة واضحة بالتعاليم السايكولوجية اذ يلوح مستبعداً أن يكون كارجيف مخطئاً.

وقد بحث هذا العلم -علم الكونيات- بشكل مستفيض شخص آخر من اتباع كارجيف يدعى (ج. جي. بينت) في الجزء الرابع من مؤلفه (الكون الدراماتيكي) الذي أكد فيه وجود مجموعة من الأفكار الكونية تدعى (القوى الخلاقة) وهي المسؤولة عن النظام الكوني. إن هذه العقول الخلاقة يمتد تأثيرها لمديات زمنية تتجاوز فترة حياة الإنسان، ويسمى بينت الكون دراماتيكياً ليؤكد شعوره بأهمية الإرادة الحرة. ولأن الكون غير ميت ومجهول المصير فإن النتيجة النهائية غير مؤكدة. ومفتاح المنهج بأكمله هو الإرادة-الزمن وهذه هي المنطقية التي تكون فيها الإرادة حرة في إتخاذ القرارات التي تصيف شيئاً جديداً وأصيلاً لتقدم العالم. والقوى الخلاقة لها قوة أكبر من قوة الإنسان لإضافة شيء جديد وأصيل لتقدم العالم، ولكنها غير معصومة من الخطأ. وعلى الرغم من أن مهمتها الأساسية توجيه تطور العالم من بدايته الأولى الخالية من الحياة، فإنها وجهت التقدم بالتجربة والمحاولة واقعة بالأخطاء في بعض الأحيان لتعود أدراجها، وفي أحيان أخرى قافزة بوثبات واسعة إلى الأمام أي عندما خرجت الحياة من المحيط وبدأت مخلوقات الأرض. ويضيف بينت أن كارجيف يدعو القوى الخارقة بـ«الملائكة» ولكن هذا متعدد المعاني مما يجعل تجنبه أفضل.

إن وجود تقليد سري للتعاليم المخفية أشار إليه إدريس شاه في كتابه «الصوفيون» وكتب إدوارد كامبل المحرر الأدبي لمجلة «لندن إيمنتك نيوز» في معرض نقده لهذا الكتاب قائلاً:

«لقرون عديدة كان ثمة أسطورة غمريية في الشرق تقول إنه في مكان ما خفي، قد يكون في مرتفعات آسيا الوسطى، ثمة مجموعة من الناس يمتلكون قوى نادرة. وهذا المكان شبيهه في بعض جوانبه على الأقل بحكومة سرية تحكم العالم».

جاءت بعض جوانب هذه الاسطورة الى الغرب اثناء الفترة الصليبية وقد ظهرت هذه الفكرة من جديد بالمظهر الروزيكروشي^(١١) عام ١٦١٤ وقد قامت منام بلافاتسكي مع الدبلوماسي الفرنسي جاكليوت بعرضها من جديد في القرن الماضي مع بعض الاختلافات وتبناها أيضاً الكاتب الانكليزي تالبوت موندي وعرضها أخيراً الرحالة المنغولي أوسندوسكي عام ١٩١٨ .

في المخبأ السري لهذه الاسطورة، يعمل بعض الناس الذين تطوروا الى حالة فوق حالة البشر الاعتيادية كأوصياء على القوى الموجودة خارج هذا الكوكب. وخلال الأساق المنخفضة التي تخلط الشرق بالغرب بشكل غير متوقع في مسالك الحياة الاعتيادي، يعمل هؤلاء في المراحل الحرجة من التاريخ لاستخلاص النتائج الضرورية لمواكبة التطور الشامل للأرض مع احداثيات النظام الشمسي.

وقد ذهب كامبل في كتابه «أصحاب السر» (الذي أصدره عام ١٩٨٣ باسم مستعار هو ايرنست سكوت) الى القول بان العلم الغربي في الربع الأول من القرن العشرين الى مرحلة حرجة حسب بلغ مأزقاً حرجاً لا مفر منه، وفي الوقت نفسه كان ثمة شيء ما قادراً على تلك الحالة، قد ظهر بشكل غير متقصد وغير فضولي بالشرق. وقد ذهب الى القول بأن هذا التفسير تابع من مصدر أكثر تفوقاً من العقل الاعتيادي ويختلف عنه نوعياً. وأشار الى ان هذا «التدخل» يحدث في المراحل الحرجة من التاريخ الانساني وقد حدث فعلاً في كل الثقافات وكل العصور بشكل يتناسب مع المرحلة. ويشير كامبل الى مصادر هذا النفوذ أوالتأثير مسمىاً اياها «النواميس». ويقول انه في الفترة الواقعة بين عام ١٩٢٠

(١) Rosicrucian : الصفة من جمعية سرية اشتهرت في القرنين الـ ١٧ والـ ١٨ وزعمت انها تملك معرفة سرية للطبيعة والدين .

وعام ١٩٥٠ كان ثمة نية للكشف جهازاً عن ميكانيكية النوميس وكيف تعمل، وقد ذكر رجلان كانا على اتصال بـ «النوميس» وهما ج. جي. بينت ورودني كولف وكلاهما من أتباع كارجيف.

ويقترح كامبل تناظراً وظيفياً بين الإنسان الكائن العضوي وبين ثقافة متحضرة فيقول «ان الخلية المنوية تخلق فرداً جديداً. فلنفرض ان انساناً واعياً يخلق ثقافة جديدةً ولنفرض ان هناك انساناً قلائل مخفيين ضمن الحياة ولايمكن توقعهم قادرين على انتاج طاقة واعية، ولهذا السبب فهم على اتصال بنموذج من الطاقة الواعية خارج الحياة (يصطلح عليها بينت بالمستوى الخلاق)، ان مثل هؤلاء الناس الواعين بالنسبة للثقافة الانسانية كمثل الخلية المنوية التي تنتج الخلايا في جسد الانسان».

ثم يضع كامبل مخططاً بيانياً للأنظمة الحضارية أشار اليه رودني كولن في كتابه «نظرية التأثير الالهي» كما يلي : الانسان الاورنياسي^(١) ، والانسان الماكداثي^(٢) وانسان الشرق الأوسط والاقصى (مصر، سومر، والهند القديمة)، الانسان الاغريقي الروماني، والانسان المسيحي الاول، والانسان المسيحي القروسطي، وانسان عصر النهضة الاوربية، والانسان الحديث.

وعلى اساس هذا الترتيب أنجبت مصر عالم الاغريق وحمل الاغريق طاقة الاخصاب الى روما عن طريق الفلسفة الرواقية والايبيقورية^(٣). وفجأة ظهرت

- (١) Aurignacian : وهو انسان حضارة العصر الحجري القديم التي تمثلت بالأدوات المصنوعة بشكل دقيق من الأحجار والعظام، وبالرسومات والتوش.
- (٢) Magdalenian : وهو انسان حضارة العصر الحجري القديم التي تميزت بالأدوات المصنوعة من حجر الصوان والعظام والعاج وبالنحت على الشب والرسومات.
- (٣) مذهب فلسفي أنشأه زينون حوالي عام ٣٠٠ ق.م والذي قال بان الرجل الحكيم يجب ان يتحرر من الانفعال ولا يتأثر بالفرح أو الترح وان يخضع من غير تدمير لحكم الضرورة القاهرة.
- (٤) مذهب ايقرات الفيلسوف الاغريقي الذي قال بان المتعة هي الخير الاسمي، والفضيلة وحدها هي مصدر المتعة.

المسيحية الأولى في روما حيث ذلك الانجاز الذي يحفظ البصر والذي على ما يبدو لم يأت من أيها مكان، ولكن تلك المسيحية الأولى تعجرت في القرن الثامن داخل الكنيسة الفاسدة للبابوية الفروسطية. واستناداً الى كامبل فان الحضارة التالية التي تمثلها الكنيسة الفروسطية قد نشأت في كلونه التي ضمت كاتدرائيتها القوطية كل الكاتدرائيات القوطية التي تلتها.

وكان في كل واحدة من هذه الكاتدرائيات عرض لعلم شامل في الكونيات غير المرئية وموسوعة في علم الصخور ومكوناتها وموجز لموضوع مسيرة التطور والغاية منه. ويتفق كامبل مع مؤلف كتاب (سر الكاتدرائيات) ان الكاتدرائيات القوطية كانت تمثل كتباً مدرسية في الكيمياء القديمة. وقد كان الماسونيون الفروسطيون مفسرين لـ (نواميس). ويلاحظ كامبل ايضاً ان هذه الفترة كانت تمثل ايضاً فترة (العهارة الاسلامية) ويشير الى المهمة المشتركة من كلونه وتشارتر الى اسبانيا المسلمة التي عادت على الانسانية بمعرفة اللوغاريتمات والجبر والكيمياء القديمة.

لقد كان ذلك تحضيراً للمرحلة الاساسية القادمة التي يمثلها عصر النهضة الاوربية. وقد فتحت حضارة هذا العصر أخيراً الطريق أمام العصر الحديث وكانت بدايته منتصف القرن التاسع عشر اذ يشير كامبل الى أن سنة ١٨٥٩ هي السنة التي ابصر فيها النور كتاب (أصل الانواع). ويقول كامبل ان عصرنا الحديث وصل الى قمة تطوره حوالي عام ١٩٣٥ حيث ظهرت المواصلات البرية والجوية والراديو والسينما، ان هذه التطورات غيرت النظرة العقلية عند الجنس البشري كما فعل إختراع الطباعة في عصر النهضة الاوربية. وقد يستمر العصر الحديث ستائة او سبعائة سنة أخرى ولكن العصر الذي يليه سوف يعاني من آلام المخاض طويلاً قبل أن يشارف عصرنا على نهايته.

إذا ، فنقطة البداية بالنسبة لكامل هي (العقول الخلاقة) التي أثارها بينت . فهو يعتبر هذه العقول حقيقة وأن نشاطها يمكن ملاحظته في التاريخ البشري . ومن وجهة نظر (مجلس الإدارة المخفي) هذا فإن المسيحية الأولى اتخذت منعطفاً خاطئاً . فبرى كامل ان مهمة المسيح حدث ذو دلالة كونية ومحاولة لادخال طاقات معينة للعملية التطورية -طاقات الحب الخالي من الانانية . ويقول كامل بأن الآباء الأوائل رفضوا ذلك الجزء من الحكمة الذي ينطوي على الاساليب البارعة للفكر المتطور، وحجنتهم في ذلك أنه ليس ثمة شيء سوى المسيح ضروري للتطور الروحي .

وقد شعر أريوس الذي لا يؤمن أن الشعور الديني فطري أن في ذلك خطأ . ويتمثل كفره في اقراره أن الابن لم يكن مساو للاب -اعتراف باهت بان المسيح أرسل الى التاريخ في زمن خاص ولغرض خاص . وعندما رفض مجلس نيسيا هذا الرأي عام ٣٢٥ بعد الميلاد، أداروا ظهورهم لـ (النواميس الخلاقة) . ويقول كامل :

ظلت مسؤولية القوى الخلاقة عن التطور قائمة في ذلك الحين اذ كانت مجبرة على تحقيق مكاسب تطورية تتناغم مع النمو الحاصل في ما وراء الأرض . بينما توجب على وكلاتهم في الأرض (مجلس الإدارة الخفي) ان يبتكروا بيئة اجتماعية توفر الغرض الضروري . ومهمة كليهما (القوى الخلاقة وولاتهم في الأرض) تتمثل في رفع مستوى الوعي لدى الجنس البشري عامة ولدى أفراد معينين بصورة خاصة . لقد قرر الجنس البشري في الغرب بشكل لاشعوري ان هذا لم يعد ضرورياً .

(١) Nicaea :مدينة قديمة في الامبراطورية البيزنطية تقع في قرية ازنك الحديثة شمال غربي تركيا في الطرف الشرقي من بحيرة ازنك وقد عقد فيها مجلس الكنيسة عام ٣٢٥ بعد الميلاد .

لقد أقر د بيجي «محمد» مرة أخرى موضع قدم للقوى الخلاقة فتشكلت حوله مدرسة لتقل أفكاره شفوياً. (وهي مجموعة من الصحابة لا يتجاوز عددهم التسعين رجلاً قد أقسموا قسم الاخلاص ويقال انهم قد تبنا اسم الصوفيين). ويستدرك كامبل مؤكداً ان هذا لا يعني ان الصوفية مشتقة من الاسلام وان التعاليم الصوفية ترجع في حقيقة الأمر الى افلاطون وبقراط وفيثاغورس وهيرميس ترمسيجستوس، ولكن القصد الرئيسي من مناقشته واضح) وفي حينها فتح العرب اسبانيا وزرعوا البذور التي تفتت عنها عصر النهضة الاوربية.

وقد احتوى الفصل الذي تحدث فيه كامبل عن «روما بين المسيحية والاسلام» على مثال واضح عما يعنيه بتدخل القوى الخلاقة في التاريخ البشري. فلم تكن الاديرة في اوربا الغربية التي حافظت على المعرفة خلال العصور المظلمة لتنتفع كمراكز ثقافية حقيقية ذلك لأنها بعيدة ومن المتعذر الوصول اليها. ولكن تحول القديس باتك الى ايرلندا عام ٤٣٢ بعد الميلاد كان سبباً في اعادة احياء الثقافة السلتيه بنشره المسيحية هناك. فأصبحت ايرلندا مركزاً للمعرفة الى حد ما بحيث استؤجرت عام ٥٥٠ سفينة لنقل طلاب العالم من غالة الى كورك. لقد كانت المسيحية السلتيه تجل الآداب الوثنية، وقد وجه القديس كولومبا وتلميذه كولومبانيوس المد التبشيري الى اوربا مرة اخرى فأنشاء كولومبانيوس أكثر من مائة دير. وقد أخضعت روما أخيراً الكنيسة السلتيه عام ٦٦٤ للمجمع الكنسي في وايتبي ولكن الدافع لم يكن بالامكان تحطيمه، فقد عين راهبان سلتيان في قصر شارلمان صيدلين للحكمة. ويقول كامبل في أحد مناقشاته المثيرة (ان الكنيسة السلتيه حصلت على جزء من حكمتها من التقنيات ذات المنشأ النفسي). والنشوء النفسي هو مصطلح اخترعه دارسوا عالم الباراسايكولوجي (العقل فوق المادة). ويشير كامبل في مكان آخر من كتابه بأن هذا هو السر الأساسي في الكيمياء القديمة. ولكنه لم يوضح كيف كانت الكنيسة السلتيه تستخدم هذه

التقنيات حسب اعتقاده. ويضيف: أخذت مدارس العارفين في القرن التاسع بالإزدهار في قرطبة وطليلة. وكان لجهودهم التأثيرات البالغة الأثر التي يمكن تتبعها في العالم هذه الأيام. ولم يمثل الطبيب الرازي والعالم ابن سينا، وكلاهما فارسيان، سوى اثنين من عدد كبير من العلماء الذين وفروا المادة الأولية لحقنة الفكر التالية التي حققت بها أوروبا. فكانت من تلك البواعث الفكرية مدارس الفكر التي عرفت فيما بعد بالماسونية والتنويرية التي تمخضت عنها الثورة الفرنسية.

والفصول الخمسة التالية لكتاب «أصحاب السر» ترجمة للتاريخ الاوربي من وجهة نظر «التدخلين». اذ تبين ان القبلاية والتاروت والكيمياء القديمة أدوات نقل لـ «النواميس»، وتوضح المغزى التاريخي للتطهيرية وظهور التروبادور وأساطير الملك آرثر. ويقضي كامبل مرة أخرى أثر البذرة الأصلية لهذه الحركات معتمداً أصولها الصوفية.

وفي فصل عن كارجيف يعلق كامبل قائلاً:

«منذ أوائل الخمسينات، كان ثمة مادة غير معروفة حتى الآن قد أصبحت متاحة، ومن طبيعة الامور لايمكن أن يحدث ذلك بالصدفة، وإذا ماكانت قد تسربت فلأن هؤلاء المسؤولين عنها قد قرروا تسريبها.

لن ندلنا هذه التلميحات المبائة اذا ما انفصلت على شيء، اما اذا اخذت جميعاً بنظر الاعتبار فانها توحى في أول وهلة بطبيعة التنظيم المشتبه به منذ عهد بعيد دون ان تعرف ماهيته والذي له صلة بادخال الامكانيات التطورية في العملية التاريخية في مراحل حرجة معينة.

(١) فلسفة دينية سرية عند أحبار اليهود وبعض نصارى العصر الوسيط، مبنية على تفسير الكتاب المقدس تفسيراً صوفياً.

وعلى أساس الدليل الذاتي، قد يصح القول ان هذا التنظيم هو تعبير عن أحد المراكز التي لمح إليها بينت والتي تدير عملية التطور في الجنس البشري عامةً. ويذكر كتاب (الكون الدراماتيكي) بأن مراكز التحويل هي المناطق الأربعة الافتراضية التي كانت موجودة قبل ٣٥٠٠٠ إلى ٤٠٠٠٠ سنة، والتي كان فيها العقل البشري ينطوي على هبة الابداع وأصبح فيها الإنسان كائناً حكيماً. وقبل ١٢٠٠٠ سنة انسحبت هذه المراكز فترة ثمانين جيلاً استعداداً لظهور الإنسان الحديث. والفكرة هي أن أحد هذه المراكز الذي يعتبر مسؤولاً حالياً عن الغرب قد قرر أن يفصح عن خطته في النصف الثاني من القرن العشرين. وقد يكون التطور الفكري في الغرب الآن قد بلغ مرحلة يستطيع الادباء ان يوصلوا أنباءهم الى شأو بعيد عن طريق الإفشاء اليهم بأشياء شخصية أو سرية).

ويذكر كامبل ان المحاولات التي قام بها تلامذة كارجيف للاتصال مع الاديرة والمراكز التعليمية الأخرى التي حصل منها كارجيف على معرفته المكتنفة بالاسرار، قد باءت جميعها بالفشل.

كان يعتقد في الثلاثينات أن أوسبنسكي قام باتصال مع مفليفي (وهي مجموعة من الدراويش) طالباً اليهم ارسال شخص ما الى انكلترا، وهذا ما كانوا يتجنبونه ولكنهم أشاروا الى أنهم كانوا يستعدون لاستقبال ممثل عنه، وكان أحد تلاميذ أوسبنسكي الكبار مستعداً للذهاب الى الشرق عام ١٩٣٩ بيد أنهم تخلوا عن المشروع عندما إندلعت الحرب.

في عام ١٩٦١ كان ثمة صحفي يدعى عمر بيورك يبحث عن معلومات لمقال عن (التمارين الصوفية) أعطيت له كل التسهيلات للحصول على المعلومات. ومن ضمن هذه التسهيلات التي أعطيت لهذا الصحفي أنهم سمحوا له بزيارة

جمعية دراويش سرية كان موقعها يعرف باسم «كنجي زاغ» (وتعني ركن الغراب) في بلوخستان. وضع بعدها بيورك نتائج بحثه في مقال في مجلة «بلاكوود» في كانون الاول (ديسمبر) من عام ١٩٦١. وقد صادف أن رأى هذا المقال عضو في مجموعة كارجيف اللندنية فأدرك أن محاولة ما للوصول الى مصدر كارجيف كان سيكشف عنها النقاب في مجلة. بيد أن المجموعة اللندنية اتصلت مع «المصدر» الذي اخبرها انه من الحماقة الذهاب الى بلوخستان لأن مركز النشاط الحالي كان في انكلترا.

ويقول كامبل بان «مصدر» كارجيف هو التعاليم (النواميس) الصوفية. ومن باب الافتراض فان التعليق على «مركز النشاط الحالي» في لندن يتطوي ضمناً على ان هذا المركز يوجد في مجموعة يديرها إدريس شاه مؤلف كتاب «الصوفية». وفي الحقيقة فقد سلم بينت مركز تعاليمه في كومب سبرنك الى شاه. ويصف بينت في سيرته الذاتية «الشاهد» كيف أنه أخبره في عام ١٩٦٢ صديق قديم عن إدريس شاه وكيف أنه قدم الى انكلترا من أفغانستان ليتقصى عن اتباع كارجيف «ويكمل تعاليمهم».

وعند لقاءه مع شاه كانت انطباعاته عنه سلبية كان مضطرباً، يدخن بشراهة ويتكلم كثيراً، ويحاول اظهار انطباع جيد عن نفسه. ولكن عند المساء تغير رأينا فيه تماماً، فقد ادركنا انه ليس رجلاً موهوباً حسب وانما يمتلك شيئاً ما غير معروف يدل على الرجل الذي يحاول بشكل جدي أن يكون مقتنعاً.

ويقول بان شاه لم يدع بأنه معلم بل أن معلمه قد أرسله وبأنه مستود ب «حراسة النواميس». وقد ذهب بينت الى الاقتباس من الوثيقة التي اعطاها إياه شاه وهي عبارة عن «بيان عن اصحاب النواميس» التي نصت على «ان شكلاً سرياً وخصاصاً وخارقاً من اشكال المعرفة» موجود فعلاً ويمكن ان ينقل.

«الى البشر الذين توجه اليهم هذا الخطاب . . . ان هذه المعرفة يجمعها ويديرها ويوجهها ثلاثة اشكال من الاقراء . . . يدعون «السلطة غير المرئية» لأنها بطبيعة الحال ليس لها اتصال مع البشر الاعتياديين وبالتأكيد ليس لها اتصال متبادل مع بعضها البعض»

ويخبرنا بيت بعدها كيف اقتنعه شاه بالتخلي عن كومب سبرتك من دون شرط، وتلمس في وصفه بعض القسوة عندما يخبرنا كيف ان شاه باع البيت لقاء ١٠٠٠٠٠٠ دولار بعد مرور ستة فقط. ويبقى واضحاً انه بالرغم من العداء الشخصي الذي يكنه للشاه فان بيت لايشك في ان ما يقوله عنه ينطبق عليه تماماً.

وفي كل الاحوال فان قبول فرضية كامبل أو عدم قبولها غير مرتبط برغبة القاري» في تقبل فكرة ان ادريس شاه هو نموذج للـ «البشر المخفيين» وان بيت نفسه هو الذي اخترع عبارة «مجلس الادارة المخفي» في كتابه الكون الدراماتيكي».

ويلخص كامبل فكرته قائلاً :

«ان كتابة قصة الانسان الطويلة قامت بها عقول بارعة اعلى مستوى من عقل الانسان . . . والمسؤول عن هذه العملية على الأرض عقل بارع يعرف بـ «مجلس الادارة الخفي». وقد ينطبق هذا على المستوى الذي يرمز له في اسطورة القوى الخفية بالفرد (على سبيل المثال: الحاكم أو كاتب الأيام . . . الخ) ويتوازن إما مع مستوى القوى الخلاقة أو مع المستوى الذي دونه مباشرة.

وللتأثير في الطبيعة البشرية لعامة الناس تقوم السلطة التنفيذية ومرؤوسهم جنباً الى جنب بمحاولات موضعية لرفع مستوى الوعي للبشر الأفراد على وجه

الخصوص. وقد يرغب هؤلاء الأفراد الطبيعيين والمختارين بصورة خاصة في تأهيلهم للمشاركة في عمل السلطة التنفيذية. وتدعى العملية التي يتأهلون من خلالها بـ «العمل العظيم». وهذا بمئات الإرتقاء العمودي لمستوى أعلى ولكن لايعني الأرتفاع التدريجي مع المد التطوري».

في عام ١٨٥٧ قدمت المعلمة والكاتبة ديليا بيكن عملها الذي أثار جدلاً واسعاً تحت عنوان «الكشف عن فلسفة مسرحيات شكسبير» إذ اقترحت فيه ان شكسبير لم يكن في حقيقة الأمر سوى مجموعة من العلماء الاليزابيثيين يقودهم فرنسيس بيكن الذي كان هدفه التعبير عن أفكار جديدة تؤدي بطريقة أو بأخرى الى العذاب والسجن. وقد قوبل الكتاب بالسخرية مما أدى الى اختلال عقل ديليا بيكن و موتها بعد ذلك بوقت قصير. ويعبر كامل عن نفس النظرية في نقطتين في كتابه «أصحاب السر». ولاشك ان المشككين سوف يشعرون ان فرضيته تستحق نفس ما استحقته فرضية ديليا والاعتراض المستقى من الخبرة بالحياة هو ان الرجال الذين مثلوا نقاط تحول في التاريخ البشري مثل «محمد»، وكوزيمودي ميدسي، ودارون، وآينشتاين، لم يكونوا بشكل واضح أعضاء فيها يسمى بـ «مجلس الادارة الخفي». واذا لم يكن «مجلس الادارة الخفي» هذا يحتاج الى تفسير وجوده أو تأثيره على التاريخ فلماذا نزعج أنفسنا إذن في النظر في أمر مثل هذه الفرضية غير الضرورية؟

ومن جهة أخرى، لاحظ مؤرخوا الحضارات كيف ان بعض الأفكار ليس لها أساس في الواقع في فترات معينة. وقد ابتكر الألمان كلمة تعبر عن هذه الظاهرة وتعني روح العصر. ان كل اكتشاف أو اختراع أساسي يبدو وكأن شخصان قد أوجدها في نفس الوقت (نظرية النسوء، الفوتوغراف، النسبية، تسجيل الأصوات، التلفزيون).

وقد وضع البيابولوجي روبرت شلدراك نظرية «الرتين» ومفادها ان أية عملية صعبة حالما تتحقق، من تبلور مادة جديدة الى ابداع فكرة جديدة، فانها تنتشر مثل الموجة على سطح البركة وهذا يسهل العملية أينما تحدث. وتوحي أيضاً فكرة يونغ عن التزامن بأن هناك ارتباطاً ما بين العقل وعالم الأشياء المادية التي لم تساندها فلسفة العلم الغربية. ان مثل هذه الأفكار تشير الى ان ثمة حركة تبتعد عن الكون الميت لعلم القرن التاسع عشر وتقترب باتجاه «الكون الذكي» وهو عنوان كتاب وضعه الدكتور ديفيد فوستر. ومن الممكن القول ان «مجلس الإدارة الخفي» المسؤول عن التطور ليس سوى امتداد منطقي لهذه الفكرة.

ويذكر كامبل كتاب بيتس «رؤيا» كمثال للعمل الذي أهتمه «النواميس» وهذا العمل هو عبارة عن «نظام» للأشواع البشرية، عبر عنه بلغة أوجه القبر. وقد أصدرته جورججي زوجة بيتس عن طريق الكتابة الآلية. وقد وضعت المخلوقات المتصلة ببيتس مخططاً لرؤيتهم للتاريخ، الذي فيه الكثير على شاكلة ما موجود في كتاب «أصحاب السر». ولكن عندما أبدى بيتس استعداده لقضاء ما تبقى من حياته لتفسير وجمع هذا النظام المعقد، استلم الرد التالي:

« كلا نحن جئنا لكي نعطيك تداعيات للشعر»

وحتى لو اصبحت فكرة «مجلس الإدارة الخفي» مقبولة على هذا المستوى، فإنها ستبقى فرضية رائعة وخصبة.

الاجسام الطائرة المجهولة

كانت الصحون الطائرة ودون أدنى شك لغزاً كبيراً في الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية وإن النظريات التي وضعت لتفسيرها قد تراوحت من الاعتقاد انها كائنات خارقة نزلت من كوكب آخر (أو بعد آخر) الى الاعتقاد انها طراز معين لحادث ماوراء الطبيعة يعزى للأشباح. «من بين أكثر النظريات شيوعاً نظرية يونغ الذي اقترح ان الأجسام الطائرة المجهولة هي (اسقاطات) لعقل غير واع: وهذا هو الاسلوب العلمي الكيس للافصاح بعدم واقعيتهما المحسوسة. بيد ان معظم مؤيدي نظرية يونغ استحبوا الجهل - أو بالأحرى عدم المعرفة - بتغيير وجهة النظر الأخيرة - فقد أخبر ابن أخيه قبيل وفاته (اي وفاة يونغ) انه يؤمن ان اليوفو قد غدت كائنات حقيقية. بدأت قصة المشاهدات الحديثة في ٢٤ حزيران (يونيو) ١٩٤٧ عندما كان كينث أرنولد، رجل الأعمال، يستقل طائرته الخاصة بالقرب من قمة ريفر في ولاية واشنطن بعكس مؤخرة الجبل وشاهد تسعة أطباق مشعة كانت تشق طريقها بسرعة هائلة - قدر سرعتها بألاف الأميال في الساعة وهو أكثر بكثير مما كانت تبلغه الطائرات آنذاك. قال أرنولد «انها كانت تطير بشكل يشبه الأوزة ومتجهه أعلى وأسفل قمم الجبل وكانت تبدو كأنها (صحن ينزلق على سطح الماء). لذا أصبح يشار اليها بالصحون الطائرة». تناقلت الصحف الأمريكية قصة أرنولد واعتبرتها جادة سيما وانه يحظى بسمعة طيبة وانه كان في مهمة البحث عن حطام طائرة مفقودة وقت مشاهدته الصحون لذا لايلوح ثمة سبب لاختلافه مثل هذه القصة. بعد ذلك بأربعة أيام شاهد طياران وضابط استخبارات ضياءً مشعاً يقوم «بمناورة مستحيلة» فوق قاعدة ماكسويل الجوية في مونتغمري في الياما في حين شاهد طيار في نيفادا في اليوم نفسه تشكياً لأجسام طائرة مجهولة. وعندما سجلت

المشاهدات بدأت الصحف بابرار شهرة لقصص الصحن الطائرة وغدت مشاهداتها في نهاية العام مئات المرات-وهذا الرقم تضاعف الى آلاف بسرعة.

وفي آذار (مارس) في السنة التالية، أي عام ١٩٤٨ ، شوهد «جسم مجهول» فوق قاعدة كوومان الجوية في كتاكي. استدعت ثلاث طائرات من نوع ف-٤٨ متانج للتحقيق في الأمر فتقدمت احداها التي يقودها الكابتن توماس مانتل على الاخرتين. التفت راديو البرج منه مكالمة : «أرى فوقي جسماً معدنياً هائل الحجم، مازلت اتسلق نحوها، فما هو؟». ثم قال بعدها: «انه فوقي لكنني أقرب منه. انني أتخطى حاجز العشرين ألف قدم». بيد ان هذا كان آخر ما تفوه به مانتل. فقد تم العثور على بقايا طائرته على بعد ٩٠ ميلاً من القاعدة أواخر ذلك اليوم.

نشرت الصحف هذه القصة وكانت نبأ مشيراً «صحن طائرة يقتل طياراً». أعلنت القوة الجوية ان مانتل أخطأ في الاعتقاد انه جسم طائرة لأنه كوكب الزهرة - وهذه القصة أرادت بالأمر أن يغدو غير صحيح وغير مرجح. لكنها أظهرت بعد أيام نفس السر عندما أعلنت ان مانتل كان مصاباً بالهلوسة.

ويتضح ان دعايات الصحف كانت تسبب في حالات معينة من الهستيريا فاعتقد كثير من الناس انهم شاهدوا صحنواً طائرة في حين انهم لم يشاهدوا سوى بالونات جوية أو طائرات تحمل أضوية في مؤخرتها. ولكن أمن المعقول ان آلاف الأشخاص -بل في الحقيقة الملايين منهم- قد أخطأوا؟ أنصح كالب بول ان خمسة ملايين أمريكي قد شاهدوا صحنواً طائرة في حلول عام ١٩٦٦ وبعضها في أحياء قريبة.

وبعد مشاهدة أرنولد الحقيقية بأيام قلائل أبحرت سفينة لاندفوري كاستل في طريق موميازا الى مدينة تيب وفي الساعة الحادية عشرة مساءً شاهدت زوجة

ملك نيروبي عندما كانا على ظهر الباخرة مع سيدة أخرى ما ظهر كأنه نجم مشع يحاول الاقتراب من السفينة. فأشعلت الكشافات ناراً من خمسين ياردة من البحر القريب الى السفينة فشاهدوا جسماً حديدياً كأنه سيكارة مبتورة من المؤخرة الخلفية. كان بحجم السفينة أربع مرات ومتجهاً بنفس الاتجاه لكنه تواري بسرعة هائلة مطلقاً من مؤخرته المسطحة ألسنة لهب.

وبالرغم من التقارير المتزايدة من هذا القبيل وآلاف المشاهدات الجوية، مضت القوة الجوية في التأكيد ان مشاهدات اليوفو كانت خدعاً وحيلاً وأكاذيب مبيتة. تم الشروع في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٧ في تحقيق رسمي يعرف بـ «مشروع الكتاب الازرق» وكان الملاح ج. أ. هاتيل احد مستشاريه والذي بدأ متشككاً لكنه اقتنع فيما بعد من ان الصدق الواضح لمشاهدي اليوفو كان أمراً واقعاً. بيد ان القوة الجوية ظلت متشككة بشكل حازم واصبحت مسألة مساهمتها في التستر على القضية أمراً ملحاً فأصرت عام ١٩٦٥ بتشكيل هيئة علمية برئاسة الفيزيائي الشهير ادوارد موندن واشرفت عليها جامعة كولورادو. وعندما اصدرت الهيئة تقريراً عام ١٩٦٩ اتضح ان علماء جامعة كولورادو قد توصلوا لنفس استنتاج محققى القوة الجوية - نشرت احدى الصحف عنواناً يوجز تقرير النتائج البالغ ٩٦٥ ورقة بعنوان (الصحنون الطائرة غير موجودة) ومن بين الصعوبات الرئيسية ان المشاهدات كانت منافية للعقل تماماً لدرجة لا يمكن حملها على الجدل وان ساحة التحقيق برمتها اصبحت مسطاً جيداً لاصطياد المهومسين. ادعى العالم البولندي -الامريكسي الاصل- جورج ادمسكي في كتابه «هبوط الصحنون الطائرة» انه وعدد من مؤيدي الصحنون ذهبوا عام ١٩٥٢ الى صحراء كاليفورنيا وشاهدوا اشياء ضخمة تماثل السيكارة في الفضاء. طاف ادمسكي، مستخدماً آلة تصوير، حول المكان وشاهد صحنناً طائراً نزل منه رجل صغير ذو شعر أشقر منسرح على كتفيه. عرف نفسه بلغة الارشادات على انه من كوكب

الزهرة وانطلق بعدها في طائرته . شاهد اصداقائه اللقاء عن بعد وسجلوا بيانات موثقة عن هذه الواقعة . بين ادامسكي في كتابه الآخر «في مراكب الفضاء» رحلته في صحن طائر - السفينة الدورية - مع مكتشف من الزهرة ورجل من المريخ وأخر من زحل وحلقوا هذه المرة الى الفضاء على متن السفينة الأم . وفي مرة أخرى أخذ ادامسكي الى القمر حيث شاهد ارضاً خصبة النبات فيها أشجار وحيوانات ذات صوف من ذوات الاربع ارجل وشاهد ايضاً صوراً للزهرة على شاشة التلفاز فرأى فيها مدنًا وجبالاً وانهاراً وبحيرات .

توفي ادامسكي عام ١٩٦٥ اي قبل اربع سنوات من هبوط الانسان على القمر وبعد ثلاثة سنوات من اجتياز المجس الفضائي - ماريز ٢ - الزهرة وكشف انها تحوي في فضايتها على غاز الكبريتيك وان السطح ساخن جداً بحيث تتعذر الحياة فيها . ولكن لم يكتف ادامسكي لمثل هذه العقبات وادعى دائماً ان مجلساً فضائياً بسيطاً هو اقل ثقة من سكان الزهرة الحقيقيين ، وقضى سنوات حياته الاخيرة يحاضر بزهو الى مؤيدي البيوفو في كل ارجاء المعمورة . حظي احد اصداقاه ادامسكي وهوالدكتور جورج هانت وليامسن . الذي كان شاهداً للاتصال ، بنفس الشهرة . وفي كتابه الموسوم (الأطباق المتكلمة) يوضح كيف انه اتصل اصلاً مع سكان الصحون الطائرة من خلال الكتابة الأتوماتيكية وكيف كان بالامكان انشاء خط مباشر بواسطة مشغل راديو (الذي يسميه السيد آر) ، كان هؤلاء رجال الفضاء من كوكب المريخ ويدعون « المريجيون » وواضحوا ان الأرض كانت تواجه خطراً جسيماً من كوكب المريخ قد يدمر كيانها . « يتنازع الخير والشر في دوام وان التنظيم ضروري لانقاذ عالمك » .

كانت دوائر الاستخبارات الفضائية تراقب منذ خمس وسبعين الف سنة ومتأهبة الان لانقاذ العالم من خلال الافصاح عن كل اسرار الحياة المدهشة والرب - ومكان الخالق في السجل السماوي .

وفي كتابه الموسوم (اماكن سرية للأسد) يكشف وليامسن عن بعض
الاماكن السرية في مكتبة عظيمة في مدينة مفقودة في اعلى قمة لجبال بيرو حيث
يقع هناك معلم السيد المسيح وهو المتبقي الوحيد من سلالته يجيا ويعمل .

(هذا المعلم يبلغ من العمر الالف السنوات وكان يعيش على الارض في
الايام التي كان العمالقة يجوبونها). هذه المكتبة (حيث يشكر المؤلف احد
الاشخاص لترجمة وثائقها القديمة) تبين ان سكان النجم قد سكنوا الارض منذ
ثمانين مليون سنة قبل خلت قبل ظهور الانسان بفترة طويلة وساعدوا الانسان منذ
حينها على التطور.

ان وثائقهم موجودة في قبور وغرف سرية وان احد مراكب الفضاء مخفية في
قاعدة للهرم الاكبر الذي بني قبل ٢٤ الف سنة (وليس قبل اربعة الاف
وخمسة سنة كما يدعي علماء الارض المصريون).

كان سكان النجوم يتناسخون بصورة مستمرة باعتبار انهم قادة عظام أو
انبياء للبشرية وهكذا تغدو تيبتي زوجة الفرعون امنحوتب الثالث ملكة سبأ
وغدت نيفرتيتي ملكة غوانافير (زوجة الملك آرثر) وكذلك جان دارك بينما
يصبح الامير سيبي ولي العهد المصري اسايا في حين يغدو ارسطو البشر جون
وليناردو دي فانيشي .

ان كتاب (اماكن سرية للأسد)، هو تأريخ للارض طبقاً للوثائق القديمة
وذو قيمة ممتازة كتسليية تأريخية. ظهر في فرنسا عام ١٩٦٠ كتاب مدعش عنوانه
«صبيحة السحرة» لمؤلفه لومين بارلر وجارلز بيرجر واصبح من اكثر الكتب
مبيعا وترجم الى عدة لغات. ناقش هذا الكتاب عدة الغاز، السيمياء (الكيمياء
القديمة)، والتنجيم والسحر الاسود واثيياء غامضة من صنع البشر والهرم
الاكبر - ولكن جداولها الاكبر ان اكثر «المعرفة المفقودة» قد اتى بها زوار من

الفضاء الخارجي الى هذا الكوكب .

انه يناقش على سبيل المثال خرائط بيرى ريز التي تعود الى القرن السادس عشر والتي تظهر انتشاركتكا (على الرغم من انها لم تكتشف الا بعد ثلاثة قرون) وتظهر ايضاً منطقة الجسر بين سيبريا والاسكا، وهو الجسر الذي اختفى قبل الالف سنين مما مهد الطريق لمضيق بيرنغ، ويجادل ان مثل هذه الخرائط تبرهن ان الارض قد مسحت من الجو منذ اكثر من الفي سنة. هذا الكتاب يحمل الكثير من المفوات- فمثلاً يصف بيرى ريز الذي كان قرصاناً تركياً قطع عنقه عام ١٥٥٤- كضابط بحرية امريكي في القرن التاسع عشر. بيد انه سبب كثيراً من الدهشة وبدا كأنه يرر الاعذار، المتزايدة من «اليوفين» الذين كانوا يعتقدون ان الصحون كانت تظهر قبل قرون وانها مذكورة ايضاً في الكتاب المقدس .

وفي عام ١٩٧٦ حظيت «نظرية الملاحة الجوية القديمة» استقبلاً واسع السطاق في كتاب موسوم «ذكريات المستقبل» وترجم الى الانكليزية بعنوان «مراكب الرب» (نشرته احدى الصحف على شكل سلسلة بعنوان «أكان الخالق ملاحاً؟») وان مؤلف الكتاب، ارين فون دانكن، استعار مكتبة -ودون علم- من المؤلفين السابقين مثل وليمنس وييدكر وباولز ولكنه قدم «دليله» الخاص مع تأكيد فودي ثابت .

تتألف نقطة جداله أصلاً من التأكيد ان المشيدات القديمة المتنوعة -اهرم الأكبر (طبيعيّاً)، مواقع الجزيرة الشرقية، اهرام المكسيك واحجار الكرنك وستونهنج قد شيدت بمساعدة رجال الفضاء لأن تكنولوجيا بنائها كانت تتعدى مهارات من كان يعزى اليه تشييدها. انه يخلو من المعلومات تماماً، فمثلاً يضاعف وزن الهرم الأكبر خمس مرات ويثير أساطير من ملحمه كلكامش غير موجودة في ذلك العمل .

ثبت أن كثير من جدالاته الرئيسية خاطئة. فهو يؤكد أن مواقع الجزيرة الشرقية كانت ضخمة جداً بحيث يعجز المواطنون عن بنائها ولكن المكتشف ثور هيردل أقنع سكان الجزيرة الشرقية المعاصرين على نحت وتشيد تمثال في أسابيع قلائل.

يؤكد أن الأهرامات قد شيدها الملاحون القدماء لأن المصريين لم يمتلكوا حبالاً - لكن نصوص الهرم تظهر استخدام الحبل. إن ما ادعاه دانكن أن يكون صورة لرجل التقطت من سفينة فضاء في لوحة دفن بلانكو في غواتيمالا أظهرت الطلاب على أنها المخطوطة اللدنية للبا النموزجية، المليئة بالرموز الأساسية، والطيور والأصابع وغيرها.

وهو يجعل من خطوط تاركيا الغامضة في سهول بيرو أمثلة لبناءات يمكن فهمها عند ملاحظتها من الجو ويقترح أنها مطارات عملاقة لمركبة فضائية (وبحوزته صورة لمركبة فضائية في حالة هبوط) بدلاً من الخطوط قد رسمت من السطح الصخري للصحراء لأنها تتأثر بثبات لوحات عليها مركبة فضائية. تحولت «مواقع الهبوط» لتكون تفصيلاً من ساق طير - ركبته - ولم تكن كبيرة بما فيه الكفاية لإيقاف عجله. يؤكد دانكن أن هذا خطأ (ركب الحجر ولكنه سمح له بتصحيحه في طبعات تالية من هذا الكتاب). ذهب الأثري يظهر دانكن صورة ليكل نحت من الحجر ويود أن يعرف كيف تسجل للنحاتة القدماء معرفة الهياكل قبل أن تظهر أشعة أكس متناسياً أن كل مقبرة كانت تعج بمثل هذه الهياكل.

وفي هذا الكتاب أيضاً يدعي دانكن أنه قد أخذ إلى مدينة مدفونة حيث تفحص مكتبة سرية فيها كتب مصنوعة من أوراق حديدية. وعندما انكر صديقه، المكتشف جون موركز، قصة دانكن السرية مؤكداً أن المؤلفين الألمان

www.alkottob.com

للأعمال الشعبية غير الخيالية مسوح لهم باستخدام «مؤثرات معينة» - أي أكاذيب - على اعتبار انها طارئة لاثم الحقيقة - وبالرغم من هذه الاحراجات واصل دانكن نشر العديد من الكتب مساعد كل منها في تأسيس نظرية الملاحظة بعيداً عن كل شيء ممكن. من المؤكد ان التدفق المطرد لكتب اليوفويين أثار أكثر المحققين جدية للسرية أو العنف. ومع ذلك فشمة استثناءات بارزة ف (جي. الن. هاينك). كما لاحظنا كان عضواً في مشروع الكتاب الأزرق وان الدليل الذي درسه أفتعه أخيراً انه مهما حاول المهوسون والسذج والكذبة الفاضحون في اغماض الحقائق وفي كتابة «رسل الخداع» (١٩٧٩) يفسر انه بعد سنوات من دراسة التشابه بين ظاهرة اليوفو والظاهرة الحارقة للطبيعة: «لم اعد اعتبر الصحون الطارئة مجرد طراز لماكنة أو مقاتلة معها تداخلت قوة دفعها». عاد الأدراج بعدها الى حاسبه الآلي واختتم: «ان أكثر النتائج وضوحاً ان الظاهرة قد سلكت مسلك العملية المشروطة. ان منطقية الشرط تستخدم السخف والارباك لتحقية غايتها بينما تخفي اليتها وبدأت الاحظ تركيباً مماثلاً في قصص اليوفو».

ان السخف والارباك من أكثر المجالات اثاره وحيرة فيها يتعلق بقصص اليوفو. يخصص فالي فصلاً من كتابه «بعثة لامرئية» لدراسة قضية يوري كيلر النفساني الاسرائيلي «ذي الجوهر المرح» الذي اكتشفه العالم اندريجة بوخارج.

أثارت قدرات كيلر اهتماماً عالمياً فبدأ مؤكداً ان الكتاب الأول عنه سيغدو من أكثر الكتب مبيعاً. «صحيفة اللغز يوري كيلر» (١٩٧٤) أو شك أن بحطم سمعة بوخارج - مؤلفه - كمحقق جدي سيما وانه يبدو مليء بأحداث محيرة ومتنافية للعقل لايمكن شرحها. ومع ذلك فانها تقدم أدلة حيوية للغز «مخبرات الفضاء». وفي عام ١٩٥٢ كان بوخارج قبل ان يقابل كيلر بفترة طويلة، يدرس مع طبيب نفساني هندوسي يدعي فينود الذي استغرق في نشوة وبدأ يتخاطب مع صوت انكليزي: وأعلن هذا الصوت انه عضو من التسعة الحارقين في

المخابرات حيث يدرسون الجنس البشري منذ الاف السنوات بهدف المساعدة في تطور الانسان. وعندما انتقل بوخارج الى المكسيك بعد ثلاث سنوات التقى طبيباً أمريكياً وصلت اليه رسائل مطولة من مخابرات الفضاء - الشيء الغريب ان ثمة تواصلًا في الرسائل التي كانت تمر بالدكتور فينود. وفي عام ١٩٧١ التقى بوخارج بكليير الذي استغرق في نشوة حيث دخل «التسعة» القصة. تكلم صوت من فوق رأس كليير موضحاً أن المخابرات الفضائية قد يرجته منذ عمر الثالثة لمنع الكيان البشري من الغوص في كارثة. يمضي بوخارج في وصف مشاهدات اليوفو والسلسلة غير المنتهية من الاحداث المحيرة جداً لانها وببساطة لايمكن تصديقها. وبعد وقفة بوخارج مع كليير استمر التسعة في توضيح انفسهم من خلال الاوساط.

ان القصة منشورة في كتاب «بداية الهبوط على كوكب الارض» لمؤلفه ستيفورت هولرويد وهو اكثر غموضاً من كتاب بوخارج. ارسل التسعة بوخارج ورفاقه في محاولة عقيمة حول الشرق الاوسط ومناطق اخرى بعيدة بهدف الصلاة من اجل السلام وأكدت له المخابرات انهم قد جنبوا البشرية كوارث عالمية خطيرة.

وفي الحقيقة فان ذكر الاوساط ربما يقدم دليلاً للغز. ان الروحانية الحديثة بدأت في منتصف القرن التاسع عشر عندما بدأت الارواح في التعبير عن نفسها في السفينة الناقلة لفتاتين مراهقتين وبسرعة فان آلاف الاوساط احدثت من الاصوات الغامضة (احدها يطرق ايجاباً واثنين سلباً) مولدة ابواقاً والآت موسيقية أخرى تغوص في الفضاء، وتعزف بنفسها فيتج عنها اصوات واشكال روحية. لم يدرس اي شخص الظاهرة بتعمق ليؤمن انها كانت زيفاً بالكامل وعلاوة على ذلك فان النظرية التي تقترح انها نتيجة عقول غير واعية من المشاركين يجب عدم الاخذ بها لأن «الارواح» في كثير من الحالات كانت قادرة

على استخدام اوساط مختلفة لكشف اجزاء نفس الرسالة -الاجزاء التي تتداخل مثل الصورة المركبة من قطع موزاييك، وهكذا تشير بشكل قاطع الى وجود الصحن الطائرة وحتى «رجال الفضاء».

كان هانبل هو الذي صاغ عبارة لقاءات قريبة مع الصنف الثالث، وتعني اللقاءات مع الصحن على الأرض. يبدأ فصله يمثل هذه اللقاءات (في خيرة اليوفو، تحقيق علمي): «لقد بلغنا الآن مجالاً أكثر غرابة وصعب التصديق عن ظاهرة اليوفو. ولاكون صريحاً سأحذف هذا الفصل قدر المستطاع دون المساس بالترابط العلمي».

انه يمضي في الاخذ بنظر الاعتبار العديد من الحالات وبالرغم من انها تبدو منافية للعقل لكنها موثوق بها بدرجة يمكن تصديقها. والمثال التالي نموذج لحالة معينة:

شوهده صحن في ١١ آب عام ١٩٥٥ يهبط في مزرعة ريفية بالقرب من كيلي هوكسفيل في كتاكي. حذر نباح كلب عائلة ساتون الى وجود غرباء بالقرب من المزرعة، وشاهدوا رجلاً صغيراً مشعاً واسع العينين وذو ذراعين تمتدان فوق رأسه. اطلق رجلان من عائلة ساتون النار عليه من بندقيتهما مما اضطر رجل الفضاء ان يغير اتجاهه وفر هارباً وعندما ظهر رجل فضاء آخر من على النافذة اطلقوا عليه النار واسرعوا في الخروج للتأكد من اصابته، وعندما وقف احدهم تحت الجزء الواطيء من السقف، نزلت يد تشبه المخلب من عل ومست شعره فاطلق العديد من الرصاصات على المخلوق في السقف وبالرغم من اصابته بصورة مباشرة فانه نزل الى الارض وفر هارباً.

وفي الساعات الثلاث التالية بقي اهل الدار الاحد عشر وراء الابواب الموصدة يلاحظون بصورة متكررة رجال الفضاء من النافذة. فروا اخيراً من

الدار واحتشدوا في السيارات حائين الخطى الى اقرب مركز شرطة. لم تعثر الشرطة على اي دليل لرجال الفضاء الذين عاودوا الظهور حالما غادرت الشرطة. وفي اليوم التالي طلبت شرطة من الشهود وصفاً لما شاهدوا، فأظهرت الصورة التي رسمها كائنات صغيرة مدورة الرؤوس وذات عيون تشبه الطبق واذرع بضعف حجم الاقدام.

تعرضت العائلة لشتى انواع التوبيخ نتيجة القصة الا ان المحققين الجديين لم يراودهم شك من انهم قد سمعوا الحقيقة. ومن اكثر القضايا شهرة للقاء قريب مع النوع الثالث الذي حدث مع برني وبيتي هل، فعندما كانا في طريق العودة الى نيوهامبشاير من عطلة في كندا شاهداً صحناً طائراً وهو يهبط. بعد ذلك بساعتين وجدنا نفسيهما على بعد خمسة وثلاثين ميلاً من مكان المشاهدة دون ان يتذكرا ما حدث في هذا الوقت. استشارا خبيراً في فقدان الذاكرة وهو الدكتور بنجامين سيمون الذي وضعهم تحت تأثير التنويم المغناطيسي فوصف -كل على انفراد- ما حصل.

لقد اخذهما على متن «صحن» عدد من الرجال يرتدون زياً موحداً ويشبهون البشر (قال برني انهم يذكروه بالاييرلنديين ذوي الشعر الاحمر والوجوه المستديرة) وخضعوا لعدة تجارب وفحوصات طبية وحالات من انتزاع الاظافر والجلد ووضعت ابرة في سرة بيتي هل -نوما بعدها مغناطيسياً وطلب اليهما كتم ما حصل. كان الين هاين نفسه حاضراً عندما نوم برني هل مغناطيسياً وسمح له بالتحقيق معه فيها بعد.

ان ما يدعى قمة قصص الاتصال حصل لمزارع برازيلي يدعى فيلاس بوس البالغ من العمر ٢٣ عاماً، يدعي فيلاس انه في ١٥ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٥٧ كان يجوب مزارعه عندما هبط صحن طائر بيضوي الشكل أمام ساحته.

حاول الهرب لكن «اشباه رجال» اوثقوه بخوذ وسراويل وحملوه الى الصحن . نادى رجال الغضاء بعضهم بأصوات تماثل النباح . جردوا فيلاس بوس من ملابسه ونظفوه ثم اخذت عينة من دمه وجاءت امرأة فائنة عاريسة - يبلغ طولها حوالي ٤ أقدام الى الغرفة . اغرت فيلاس لممارسة الحب معها وكانت تتأوه على نحو يبعث على النفور بين وقت وآخر مما جعلته يشعر كأنه يضاجع حيواناً .

كانت قصة فيلاس بوس دليلاً واضحاً لطراز (الخدعة) لسبب واحد ، فحصه الدكتور اوليفوت فونتنس بعيد الاتصال ووجد انه تعرض لجرعة كبيرة جداً من الاشعاع ، وفي المنطقة التي ادعى انها غرزت فيها ابرة لأخذ عينة من دمه ، وجد الدكتور علامتين صغيرتين . وثقت قصة فيلاس بوس مع تفاصيل مقنعة في كتاب «اشباه الرجال» الذي اشرف على تحريره جارلس جادن . حاول الصحفي جون كيل الذي كان متشككاً حول الصحون الطائرة شأنه شأن هانتيك ، ان يجرب الوسيلة غير الاعتيادية لدراسة الموضوع بدلاً من الاطلاع على التقييمات الماضية .

شاهدت مصر عام ١٩٥٣ أول يوفو، وكان على شكل قرص معدني مستدير الاطار يحوم حول اسوان في وضح النهار فتولى عام ١٩٦٦ دراسة دقيقة للموضوع . وأذهله الرقم الكلي من المشاهدات ، فقد كان يتسلم يومياً ١٥٠ قصاصة . (في تلك الايام كانت قصاصات الصحافة تكلف بنسات قليلة للواحدة وبعدها بعشرين عاماً أصبحت تكلف باونداً لكل واحدة وهذه التجربة كانت خارج نطاق موارد اكثر الصحفيين) .

بالاضافة لذلك اتضح انها كانت نسبة قليلة من مجموع المشاهدات الكلي ، فآلاف الحالات لم تسجل . وهذه في الحقيقة يمثل عدم الاهمية الرئيسية لمقال كهذا

(لا يمكن الشروع في ايصال كامل قيمة المشاهدات ، فكل متشكك عليه المحاولة بتجربة القراءة فلنقل مئة حالة واحدة تلو الاخرى ليدرك ان نظرية الخداع تفشل في اقامة الدليل).

وما ادعش كيل ان العديد من المشاهدين الذين شاهدوا اليوفو من سياراتهم شاهدوها بعدئذ فوق بيوتهم : هذا الامر يبين ان رجال الفضاء لم يكونوا علماء محايدين أو مكتشفين يقومون بعمل مسح روتيني .

في السنة التالية ، ١٩٦٧ ، شاهد كيل عندما كان يقود سيارته في طريق لونغ ايلاند السريع حزمة ضياء في السماء قاطعةً طريقاً مجازي طريقه . وعندما بلغ هانتغتون لاحظ أن السيارات متوقفة على طول الطريق وان عشرات الناس كانت تحرق صوب اربعة اضوية تتمايل وتتسوج في السماء : وان الضوء الذي تبعه قد انضم اليها . كان كيل في طريقه للقاء العالم فيلب بوجهارت الذي شاهد يوفو يخلق فوق بعض الاشجار بالقرب من بيته الليلة الفائتة وعندما فحصها بالتلسكوب وجد انها قرص معدني تنيره اضوية مستطيلة . بيد ان قاعدة سفولك الجوية القريبة لم تعرف شيئاً عن هذا الامر . دهش كيل ، كهينك ، بسبب الشهود الذين قابلهم فقد كانوا من البشر الاعتياديين ولا يدفعهم سبب لإختلاف قصص عن اليوفو .

اقتنته دراسته للادب الواقعي ان ٩٨% من المشاهدات كان هراء ، لكن اكثر الشهود كانوا يقولون الحقيقة . جمع كيل حالات كافية تؤلف كتاباً ذات ٢٠٠٠ صفحة اقتضبت بشكل صعب قبيل طبعها .

ايقن كيل مع تقدم التحقيق ان اليوفو كانت حوالينا منذ آلاف السنوات وان العديد من التفسيرات التي تلاقي رواجاً كبيراً لمراكب الفضاء أو المراكب النارية هي على الأرجح وصف لها .

صور ملاح مكسيكي يدعى جوز بوفيليا عام ١٨٨٣ ، ١٤٣ جسماً دائرياً امام قرص الشمس مباشرة. وفي عام ١٨٧٨ شاهد فلاح من تكساس يدعى جون مارتين جسماً دائرياً ضخماً طائراً فوقه واستخدم في الحقيقة كلمة (صحن) في اللقاء الصحفي عن هذا الموضوع. بدأ الناس، وفي عام ١٨٩٧ في كل أرجاء امريكا بمشاهدة مراكب فضائية ضخمة أو طائرات تشبه السيكرة. (كان هذا قبل صناعة الانسان لمراكب الفضاء)، ان العشرات من مشاهدات اليوفو المبكرة قد دونت في تقارير الصحف أو الكتيبات :الفصل ٢٦ لكتاب تشارلز فورن «اللجنة» مخصص لاشياء غريبة وأضوية شوهدت في الفضاء. واكثر المشاهدات قناعة ادلى بها الرسام الروسي نيقولاس روبرخ في كتابه (هملايا آتني)، (١٩٣٠) فيصف كيف انه وفريقه راقبوا قرصاً فضائياً مشعاً عبر السماء بسرعة عندما كانوا في طريقهم من منغوليا الى الهند. وشأنه شأن الكثير من الصحنون الطائرة غير طريقه فوق المخيم. (وفي الكثير من التقارير عن اليوفو فأن الجسم على ما يبدو يتحدى قوانين الزخم بالتغير عند زاوية قائمة في سرعة هائلة). اختفى بعدها في قمم الجبال.

كان كيل مهتماً ايضاً بالمقارنة بين تقارير رجال الفضاء، ووصف الناس الذين يدعون ان لهم خبرات فائقة ان «الملاك» الذي اعلم جوزف سمث - مؤسس المورمون- للمضي والتنقيب عن الواح الذهب المقبور يلوح عمائلاً لطراز رجال الفضاء الذين وصفهم ادامسكي وآخرون. وابعان الحرب العالمية الأولى شاهد ثلاثة أطفال في أحد المروج بالقرب من فاتيا في البرتغال حزمة من الضياء المشع وكلمهم صوت نسائي (سمع اثنان منهم الصوت بالرغم من ان ثلاثتهم شاهدوه وهذا يبين ان الأمر يتعلق بارادتهم لا بالعالم المادي). بدأت الوفود بزيارة المنطقة كل شهر حيث ظهرت «سيدة الصلوات» (كما تلقب نفسها) للأطفال الثلاثة-الذين كانوا فقط قادرين على سماعها ورؤيتها. أعلنت السيدة

في ١٣ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١٧ انها مستقدم معجزة لاقناع العالم وهنا تفرقت غيوم ممطرة وهبط صحن طائر ضخم بين السبعين ألف المحتشدين . لقد هامت ودارت كأنها اليوفو التي شاهدها كيل وغيرت لونها خلال الموقع برمته : شاهدها الجميع لمدة عشر دقائق قبل ان تتوارى في الغيوم ثانية . شاهدها العديد من الناس من خلال بيوتهم . جففت الحرارة المنبعثة من الجسم الملابس الرطبة للمحتشدين . يثير كيل مثل هذه المشاهدات ومعجزات أخرى (مثل تلك التي حدثت في هيد بألمانيا) ويناقش في انها تبدو مشابهة لتفسيرات اليوفو التالية .

وهناك على ما يبدو مجالاً من أكثر المجالات فساداً في قضية اليوفو، فقد بدأ الشهود بكتابة تقارير مفادها ان «مسؤولي الدولة» قد بدأوا باستدعائهم وتحذيرهم يأخذ جانب الصمت . كان هؤلاء الناس يرتدون ملابس سود بالرغم من ارتدائهم بعض المرات ملابس عسكرية . لم يسمع ابي قسم حكومي بهذا الأمر . أغلق البرت ك . بندر من بريمبيورت في كونكتيكت فجأة مكتب الصحن الطائر الدولي عام ١٩٥٣ وأعلن ان ثلاثة رجال سمر ذوي عيون مشعة طلبوا منه الغاء بحوثه . لام الكثير من مؤيدي اليوفو الحكومة، وعندما نشر بندر تفسيره الكامل بعد ذلك بعشر سنين اتضح ان شيئاً غريباً ما كان مشاركاً: حضر الرجال الثلاثة الى شقته ونقلوه في أحد المرات الى قاعدة لليوفو في اناريكتيكا، أشار جاكز فالي، العالم الذي أصبح مهتماً بظاهرة اليوفو الى التشابه بين هذه القصة واساطير القرون الوسطى عن الجن (والجوهريات) . تعرض كيل نفسه بعد أن شرع بالتحقيق في المشاهدات الواقعة غربي فرجينيا حول جسم ضخم الذراع كان قادراً على السباق مع السيارات السريعة للمواجهة مع الكيانات العدائية الغامضة . التقط أحد المصورين صورته وفر هرباً في شارع فارغ: وبعد اعداد لقاء مع خبيرة يوفو اخرى تدعى كيري باركر اخبره احد الأصدقاء انها علمت باللقاء قبل يومين في حين لم يفكر هو في الأمر حتى . أخبره «المتصلون»

انهم كانوا مع شخص يود الحديث معه ويحظى بعد ذلك بأحاديث مع اناس يتكلمون بأصوات غريبة. يبلغ كيل في الكتابة الى عناوين اثبت التحقيق عدم وجودها ومع ذلك يتلقى ردود قسرية مكتوبة بحروف كبيرة. وفي احدى المرات مكث في فندق اختاره عشوائياً فوجد رسالة بانتظاره على المنضدة. وهو يقول في تنبؤات موثان «شخص ما في مكان ما يحاول البرهنة انهم يعلمون كل خطوة أخطوها ويتنصتون لكل مكالمة وسيطرون على بريدي وانهم ينجحون في ذلك». هذه الكيانات اعدت للعديد من التنبؤات مثل اغتيال الزعيم مارتن لوتر والمهجوم المبيت على روبرت كينيدي ومحاولة طعن البابا، ولكن يبدو انهم قد أخطأوا التاريخ. استنتج كيل ان كوكبنا الصغير مهد لتجارب اختراقات للقوى أو الكيانات من اتصال آخر للزمان والمكان. توصل الخبير البريطاني في امور اليوفو، برنسي ليبور ترنج (ايرل كلانكاري)، لاستنتاج مشابه على أساس التحقيقات يعبر عنها (في كتاب عملية الأرض) كما يلي:

«نشأ قوتان متعارضتان تماماً من الكيانات تهتم بنا. أولها السكان الحقيقيون للسماء الذين هم حولنا منذ غابر الأزمان وثانيها الذين يعيشون في منطقة اهلية لهذا الكوكب بالرغم من ان البعض يعتقد انهم يعيشون داخل الأرض. فشمعة حرب في السماوات بين هاتين الفئتين بيد انها ليست من طراز الحروب التي كنا رأيناها. انها تتعدى مسألة الشجار العقلي للسيطرة على عقول البشرية». توصل جاكز فالي اكثر الكتاب ذكاءاً وجدياً في هذا الموضوع الى نفي الاستنتاج، وفي كتبه الاولى مثل (تحليل الظاهرة وتحدي العلم) (ولغز اليوفو) فاته درس تقارير تتضمن ذكاء غير اعتيادي (والعديد من الجداول الاحصائية). وفي كتابه (جواز سفر الى ميغونيا) يشير الى ان الصور التي نكونها لعالم محتلي اليوفو تماثل اكثر المفهوم الاوسط لميغونيا، ارض فوق السماء، اكبر من كوكب مأهول.

توصل عام ١٩٧٧ الى استنتاج غريب وهو ان اليوفو بالاساس خارقة للطبيعة، ووجهة النظر هذه وردت في كتاب اسماء «بعثة لامرئية» التي هي مجموعة من العلماء منهمكين في دراسة اليوفو والذين يتالكهم الرعب والخوف بسبب الازاء العلمية المتحفظة. توصل فالي، خير الحاسب الآلي، الى ان ظاهرة اليوفو هي نظام سيطرة -اي انها مصممة للحصول على تأثير معين في عقول البشر.

وما أصبح جلياً لكل طالب هي ان قصص الارواح لايمكن ان تعتمد في التقييم لأنها تكون عادةً مليئة بالاكاذيب. حذر ايمانويل سويدنبرغ مثالي القرن الثامن عشر بأن هناك ثمة نظامين من الارواح: النظام الاعلى والنظام الاوطأ وإشار العالم النفساني ولسن فان دسن الذي درس مئات من حالات الهلوسة في مستشفى ولاية مينيدوكينو في كاليفورنيا الى ان المرضى كانوا كما لو انهم على اتصال مع عالم آخر أو نظام للكائنات. شعر الكثير ان هؤلاء الاشخاص الاخرين كانوا على قيد الحياة وتعرض جميعهم لمصطلح «الهلوسة». وأوضح ان حالات الهلوسة تنطبق على تقسيم سويدنبرغ: الارواح المساعدة (نسبة واحد الى خمسة لكل الحالات) والارواح غير المساعدة التي بدا غرضها في تسبب تعاسة للمريض أو قلق أو ألم مبرح.

ويقيناً انها خطوة كبيرة للشخص الاعتيادي الرشيد في الموافقة على الوجود الحقيقي للارواح المنفصلة او غير المجسدة. ومع ذلك فكل من يرغب في دراسة الدليل بصبر وتأتي سيتوصل الى هذا الاستنتاج دون شك. وان كل من حاول الكتابة الأوتوماتيكية أو لوحة الاويجا فمن المرجح ان يتوصل الى ان ثمة مخابرات قادرة على التجسيد في البشر.

يبدا ان السؤال حول الطبيعة الدقيقة لهذه الكيانات هو من اكثر الامور حيرة

لاسيما وان البعض يمكن حمله محمل الجد في حين لايمكن للبعض الاخر ذلك .
يتصرف الكثير منها كعناوين تقليدية في العصور الوسطى مفسحة عن اية
اكاذيب ترسم في عقولهم .

بعض هذه العقول -المعروفة بـ الاشباح المزعجة- تفصح عن وجودها من
خلال تطير الاشياء حول الغرفة أو التسبب في صدمات أو انفجارات غامضة .

ومن الخصائص المثيرة للعنفاريت انها تسبب حركة الاشياء بسرعة قصوى
لتغير اتجاهها فجأة بخلاف قوانين نيوتن في الحركة وهذه على ما يبدو احدي
خصائص الصحن الطائر .

ان اليوفو وببساطة وليدة حضارة خارقة معينة : فبعضها انحل الى هواء
كثيف واختفى البعض في الارض بينما توسع البعض الاخر كأنه بالونات
وإختفى بعدها .

ويبدو ان بعض رجال الفضاء يمتلكون قدرة على قراءة الافكار والتنبؤ
بالاحداث التي ستقع في المستقبل والكثير منهم مثل (تسعة) بوخارج بصرون ان
هدفهم هو تهيئة الجنس البشري لحدث معين مذهش مثل هبوط مركب الفضاء
على الارض وهذا المهبوط لم يحدث ابداً . ومع ذلك يلوح من البساطة ان اليوفو
صورة معادة لعنفاريت العصور الوسطى أو متصلات روحية للقرن التاسع
عشر . يؤمن فالي ان الظاهرة موجهة ابي مصممة لتعليمنا شيء ما . لقد عودنا
العلم الحديث والفلسفة على النظريات المادية للكون والى نظرية ان المخلوقات
الحية هي كنسبة ١ / بليون حادثة وان الواقع الانساني هو واقع اجسامنا
وعقولنا . يقترح يونغ في كتابيه (الصحن الطائرة) و (الاسطورة الحديثة
لللاجسام المرئية في السماء) ان اليوفو هي استجابة رجل معاصر لرغبة جامعة ذات
معاني دينية ويبدو ان فالي يتقبل في اقل تقدير المضمون الاساسي لهذه النظرية

ويؤمن أيضاً مثل يونغ ان التزامنيات هي أكثر مما تمت مشاهدته. وفي كتاب (رسل الخداع) يصف فالي اهتمامه بالعبارة الدينية المعاصرة التي تدعى (نظام ميلكيزيدك) والتي تؤمن ان عقائدها قد تم الحصول عليها من عقول خارج الارض. وكما (لاحظ موضوع التزامنية بدأ بجمع شتات كل ما يتعلق بالنبي المقدس ميلكيزيدك وطلب في شباط ١٩٧٦ من سائقة تاكسي في لوس انجلوس بطاقة الاستلام وعندما نظر اليها وجد توقيع م. ميلكيزيدك نظر الى هذا الاسم في دليل المشتركين بالهاتف في لوس انجلوس فوجد واحداً فقط).

هذا الامر يقود فالي نحو تأمل مفيد حول الواقع المخفي لهذا العالم ويشير الى اننا خاضعون لعلاقة الزمان بالمكان وان مفاهيمنا حول المعرفة تستند الى الزمان والمكان. وفي المكتبة فان نظام استرجاع المعلومات يستند الى نظام ابجدي بيد ان علماء الكمبيوتر المعاصرين قد طوروا عملية اخرى: فهم يدخلون الوثائق في أحد وسائل الحزن الكمبيوترية ويستند ارجاعها على اساس نظام معين يتكون من الكلمة المفتاح، ويختتم قائلاً: (ان حادث ميلكيزيدك يبين لي ان العالم منظم بصورة اقرب الى قاعدة معلومات عشوائية من التسلسل التعاقبي للمكتبة. وفي مكتبة الكمبيوتر يتسلم الطالب عشرين معلومة أو أكثر عن الموجات القصيرة أو الصداغ ولا يراوده شك حتى في وجودها.

يقتبس الكاتب الانكليزي جون ميشيل من يونغ في كتابه (رؤيا الصحن الطائر) (١٩٦٧) بعض الافكار، إذ يوافق ميشيل يونغ ان ظاهرة اليوفو مرتبطة الى درجة ما بالفراغ الديني في روح الرجل المعاصر. يقارن بين اليوفو والاساطير القديمة حول الآلهة الذين هبطوا بسفن فضائية، وان استنتاجاته ليست بالمختلفة عن فون دانكن الا انه يجادل بصورة أكثر اقناعاً وانه يمتلك مساهمة اصيلة في صياغة اليوفوي. درس في بحوثه كتاب الفريد واتكنز (طريق المر القديم) (١٩٢٥) الذي يناقش فيه واتكنز ان الريف كان مستفيداً من طرق

المضيق القديمة التي كانت في ما قبل التاريخ طرقاً تجارية وان هذه الطرق تجمع اماكن مقدسة مثل الكنائس ودوائر مجربة وجبال واسهاها وانكثرت الخطوط المرجة. يقول ميشيل ان الخطوط المرجة متطابقة مع الخطوط التي يسميها الصينيون خطوط التنين.

ان علم الصينيين في الضرب بالرمل (Shui Feng) هو بالاساس نظام ديني يتعلق بالمقارنة بين الانسان والطبيعة وتعتبر فيه الارض جسماً حياً. ان خطوط التنين هي خطوط قوة على سطح الارض وان احد اهداف الضرب بالرمل هو تركيز وحماية هذه القوة ومنعها من التسرب. أخطأ ميشيل حين عد خطوط التنين خطوطاً مستقيمة مثل طبقات دانكن - وفي الحقيقة ان الصينيين اعتبروا الخطوط المستقيمة مريبة لاسيا وان حصلتها الرئيسية انها ملتوية. بيد ان ميشيل قد تخطى دانكنز عندما قال ان الخطوط المرجة هي خطوط لقوة ارضية معينة، ويؤمن ان الانسان القديم اختار مواقعاً كان فيها تركيز هذه القوة عالياً على اعتبار انها مناطق مقدسة. يشير ميشيل ايضاً الى ان العديد من مشاهدات الصحن الطائرة تحدث في الخطوط المرجة وبالتحديد في نقاط التقاطع - فمثلاً في وارمنستر في والتشير وقعت الكثير من المشاهدات الحقيقية القريبة.

يشير ستيفن جينكن المحقق الجاد في كتابه «بلد غير مكتشف» الى ان نقاط العبور للخطوط المرجة تقترن مع كل انواع الحوادث الخارقة من الاشباح والاشباح المزعجة الى روى «عربية لجيوش الاشباح. ومرة اخرى يظهر لنا ترابط مفيد بين اليوفو وما وراء الطبيعة. وفي هذا السياق يستحق اثنان من المحققين الذكر وهما (ف. س. لوثيرج) و (ف. و. هولدي). كان لوثيرج عميداً متقاعداً من جامعة كامبرج واصبح مهتماً بعملية الاستنباه أو قدرة البندول في الكشف عن شتى المواد داخل الارض. وفي نهاية حياته (توفي عام 1971) غدا لوثيرج مهتماً بالصحن الطائرة ويبين في كتابه (اسطورة ابناء الرب)

(١٩٧٢) ان اليوفو قد تفرن بالصخور القديمة القائمة - وفي الحقيقة كانت هذه الصخور قد أنشأت في غابر الازمان كعفاريت للسفن الفضائية القديمة.

لم يعرف لوثيرج شيئاً عن الخطوط المرجة ولكن تحقيقاته قاده الى نتائج مماثلة لتناج ميشيل.

كان ف. و. هولندي طبيعياً وصحفيّاً صياداً واصبح مهتماً بلغز بحيرة نيس وكتب كتاباً يبين فيه انه كان يرقانة عملاقة أو دودة (مستخدماً الكلمة بمعناها في القرون الوسطى التين). وبعد سنوات من دراسة هذه الظاهرة وجد ان شبح بحيرة نيس واشباح البحيرة هي مجرد وهم كما وجد اليوفويون الصخور الطائرة واصبح مقتنعاً باطراد ان الصخور الطائرة واشباح البحيرة تعود الى ما اسماه (معرض لوحوش كاذبة). عبر عن هذه الفكرة في كتابه «التين والقرص» أما في كتابه (عالم الجن) فيقتنع هولندي مثل فالي بأن الاجابة على لغز اليوفو تكمن في «الحل الروحي» ويجب معرفة ان ثمة الكثير من الادلة التي تشير على هذا الاتجاه.

ومن ناحية اخرى سيكون من السابق لأوانه استبعاد احتمالية انها مرآكب فضائية من كوكب آخر وهو امر سيكون من الحماقة تجاهله.

لغز موت اللورد كشنر

احادثة أم جريمة قتل ؟

لم تحظ حادثة وفاة في القرن العشرين (باستثناء حادثة اغتيال الرئيس كينيدي) مثلما حظيت به حادثة وفاة اللورد كشنر بعدد الشائعات المفروضة. فقد ابهر وزير الحرب البريطاني كشنر في حزيران ١٩١٦ من سكايافلو جنوبي اوركني في طريقه الى ارشانغل في البحر الابيض وكانت مهمته مقابلة فيصر روسيا ومحاولة وضع الخطط لتفادي بعض الكوارث التي حلت بالجيشوس الروسية في السنة السابقة وقد غادرت سفينة صاحب الجلالة «هامبشاير» وعلى متنها كشنر في الساعة الرابعة وخمس واربعين دقيقة بعد ظهرية الخامس من حزيران ١٩١٦. وفي الساعة السابعة وخمس واربعين دقيقة اصطدمت هامبشاير، وعلى بعد ميلين غربي مارويل هيد بلغم شديد الانفجار زرعه الالمان وغرقت بعد خمس عشرة دقيقة ويتذكر احد الذين نجوا وهو فريد سمس انه رأى كشنر يقف على سطح السفينة فاقد الوعي ومتردياً معطفاً كبيراً بانتظار النهاية المحتومة. لم يعثر على جثة كشنر، واحاطت البحرية الملكية الحادث بجو من الكتمان مدة خمسين عاماً فقد كانت وفاته ضربةً لمعنويات البريطانيين اذ كان وجهه ذو الشاربين المتدليين من اكثر الوجوه المعروفة في بريطانيا العظمى منذ ان ظهرت على ملصقات التجنيد عبارة «بلدك بحاجة اليك». اضحى احد ابطال بريطانيا العظما منذ ان فتح السودان ثانية عام ١٨٩٦ وثأر لمقتل الجنرال غوردون في الخرطوم ورقى الى رتبة بارون مدينة الخرطوم بعد دحره اتباع المهدي عام ١٨٩٨ في ام درمان، واستخدم كشنر في حرب البوير «١٩٠٠ - ١٩٠٢» المعادل المحصنة والتعريفية النظامية لاراضي البوير لاضعاف مقاومة العصابات

وقد انتقدت وسائله بشدة، لكنه رقي الى رتبة فيكونت ومنح جائزة مقدارها خمسين الف دولار ووسام الجدارة.

وفي مستهل حرب ١٩١٤ رقي كشنر الى رتبة ايرل لخدماته المتميزة في الهند ومصر وعندما عين في رأس وزارة الحرب وضع على الفور الخطط لتوسيع الجيش البريطاني من عشرين فرقة الى سبعين وهذا سبب اصدار ملصقات التجنيد المشهورة، والمهمة الاخرى كانت توفير الذخائر لهذا الجيش الجرار واستت وزارة التموين في عام ١٩١٥ (متأخرة بعض الشيء). كانت روسيا في حزيران ١٩١٦ تعاني معضلة خطيرة وهي العجز والفساد اللذين صورهما بشكل واضح جداً رواثيو القرن التاسع عشر الروس، الامر الذي ادى الى أن تخسر روسيا الحرب بحلول اعياد الميلاد ١٩١٤، فالاموال التي تقرر انفاقها على الذخيرة قد مضت الى جيوب الوزراء والغنى وزير الحرب الجنرال سوخو ميلنوف عرضاً فرنسياً بالذخيرة لانه اعتقد ان الحرب ستضع اوزارها في اعياد الميلاد. لكنه طرد في اواسط عام ١٩١٥ بتهمة العجز ووعدت بريطانيا العظمى روسيا بالاسلحة لكن مصانع ذخيرتها استغرقت وقتاً طويلاً لانجاز ذلك في وقت قاتل الروس في معاركهم بالحراب وقدموا خسائر مرعبة بالارواح، ثم حاول لويد جورج اثاره المشاكل ضد النظام، فقد كره النظام القيصري وبدر الى ذهنه انه لو اعطى روسيا اسلحة فربما ستشهرها بوجه بريطانيا في المستقبل، وكان لويد جورج مشتركاً ايضاً بمؤامرة وزارة الحرب للتخلص من كشنر. وقبل مغادرة كشنر الى (سكابا فلو) اقترح احد اعضاء البرلمان في مجلس العموم ان يخفض مرتبه بينما هاجم اعضاء آخرون سياساته بشدة ولذلك غادر كشنر الى (سكابا فلو) مرهقاً وقلقاً كأنه قد شعر بدنو اجله وقد اخبر زميله وليم روبسون قائلًا: «اوصيك بـ (هيك) اذا ما اصابني مكروه». وبدا عليه، قبيل مغادرته انه قد ربح معركته مع اعضاء البرلمان الناقدين وترك الاجتماع مسروراً ونشطاً

ومتفاناً. ولاح الامن واهناً هناك وقال احد الصحفيين البريطانيين ان كل الصحافة البريطانية كانت تعرف سلفاً قبل شهر بالرحلة الى روسيا وقد نوقشت صراحة في دوائر البرلمان في شارع بتسبرغ. لم تتخذ اي اجراءات حماية خاصة ففي مساء الرابع من حزيران وهو اليوم الذي سبق رحلة كشنر وقف وحيداً على المنصة في كنتزكروس وقد تعرف عليه احد الحمالين، وقام بقية حاشية كشنر بالاتصال بكافة انحاء لندن في محاولة لتحديد مكان الخادم الذي ضل الطريق الى محطة اخرى وكان هذا الخادم كبير الالمية لكونه يحمل شفرة وزارة الخارجية، الى أن حدد مكانه في محطة باريليون. وصادف ان يأتي هو ومسؤول وزارة الخارجية «ج. ج. ادبون» لاحقاً في قطار خاص، وعندما وصل كشنر الى ترسو في اسكتلندة صبيحة اليوم التالي، كان الطقس رديئاً وبدا من الافضل تأجيل الابحار فترة اربع وعشرين ساعة ولكن كشنر رفض ذلك. واجتاز ترسو الى سكابافلو لزيارة الاسطول الكبير في أوك وتناول الغداء مع الادميرال سيرجين جليكو واخبر جليكو انه يأمل ان يقضي عطلة سعيدة في روسيا، وهكذا بدأ الطراد المشؤوم رحلته البحرية بعد ظهيرة ذلك اليوم وعلى متنه الابرل كشنر رائق المراج وقد رفض الانتظار عندما كانت كاسحة الالغام تنظف القناة مشيراً الى ان الطقس يبدو رديئاً لدرجة لايتمكنون فيها من الشروع بالرحلة قبل اربع وعشرين ساعة وليس باستطاعته التأخر يومين، ويعيد ان غادر سكابا فلو هبت العاصفة الشمالية الغربية مهيجة البحر، وفي نحو الساعة وخمس واربعين دقيقة حدث الانفجار وغرق الكثير نتيجة العاصفة وقد شبهها احد الناجين بانفجار مصباح كهربائي تبعه انفجار آخر وربما كان انفجار المرجل ثم خففت الاصواء وبقي هيس بخار متصاعد ووقع الرجال الذين في غرفة المحرك في الفخ عندما اندفع اليهم الماء وقد مات بعضهم عندما سمطهم الماء الحار وصعد الرجال الذين بترت اعضائهم الى سطح السفينة وكان انقطاع الطاقة الكهربائية كارثة حيث ان تقنية قذف قوارب النجاة تشتغل بالكهرباء وقد قذف

احد القوارب باليد وقفز اليه نحواً من خمسين رجلاً واستحال، بعد عدة ثواني،
اشلاء على جانب هامبشاير ونادى القبطان ساميل على كشر للقفز الى قارب
نجاة لكن ضجيج العاصفة حال دون ساعه وراح الرجال يقفزون من السفينة
باحزمة امان ولم ينج الا اثنا عشر من ٦٦٥، وقذفت طوافات كارلي الخشبية
التي تسع كل منها لسته وثلاثين رجلاً بيد انها واجهت صعوبة في الابتعاد عن
السفينة المشؤومة ولم ينج الا واحد في الابتعاد مسافة كافية لتفادي الانفجار
واغلب الرجال الخمسين الذين كانوا على متن السفينة قذفتم الامواج، وقرر
عدد من البحارة الانتظار في القوارب حتى تغرق السفينة أملاً ان يطفوا بعيداً
لكن حبال الاشرعة والصواري المقطوعة سقطت عليهم عندما مالت السفينة الى
جانبها. وبحلول الساعة الثامنة توارت هامبشاير، وبعد خمس ساعات كان
الرجال الذين نجوا على الطوافات الخشبية قد اكتسحوا الى فجوة بين المنحدرات
الصخرية . . . هزت انباء غرق السفينة بريطانيا واسدلت ستائر البيوت
والمحلات ذلك اليوم وأمر كل ضباط الجيش بازتداء شرائط الحداد، وعندما
اتصل الصحفي هانن سوافر باللورد نورثكليف، صاحب صحيفة الديلي ميل،
ليخبره بموت كشر قال نورثكليف: «امر حسن، فقد آن للحرب ان تمضي
لصالحنا». لم يساور العديد من الناس مثل هذا الشعور وبعد يومين نشرت
صحيفة التايمز، التي يشرف عليها نورثكليف، تعليقاً تختمل فيه ان الجواسيس
قد نقلوا تحركات اللورد كشر . . . واصدرت برلين، بعيد ذلك تصريحاً مفاده
ان جاسوسة كانت هي المسؤولة عن موت كشر. وقبل نهاية شهر حزيران
ساور اغلب اعضاء العموم البريطاني الاعتقاد ان ثمة لغز يتعلق بنهاية كشر
وكان معتقداً، على نحو اكثر شيوعاً، ان ذلك عمل تخريبي وكانت هامبشاير قد
رمت في بلفاست في شباط ١٩١٦ اي قبل غرقها بخمسة أشهر، وروى احد
الناجين قصة غريبة عن عودته الى السفينة في ظهيرة احد الايام ووجد جنوداً
يحيطونها اخبروه ان شخصاً كان يعبت بالمفاتيح الكهربائية في عمر الذخيرة.

لم يسمح كشر للنفوس الايرلندية بوضع شعار الفيشارة في ملابسهم العسكرية وذكر ان الجيش الايرلندي قد قطع على نفسه عهداً بقتله لكن هنالك مشبهون آخرون بما فيهم لورد اسكويث، رئيس الوزراء، ولويد جورج الذي كان سيخلف اسكويث بعد سقوطه في نهاية ذلك العام، لم يألف كثير من الساسة كشر وكتب السفير الامريكى ولترينج الى واشنطن، عشية مغادرة كشر الى سكابا فلو، قائلاً: «هناك في انكلترا امل وشعور انه ربما لن يعود من روسيا». ولم يكن لـ «لويد جورج» ولا اسكويث ولا لأولئك الذين شيع عنهم انهم مشبهون، مثل لورد نورثكليف ولورد هاردين وليدي اسكويث، اي باعث محتمل للتآمر على قتله. . وكان تريببلس لئكولن العضو السابق في البرلمان الذي اصبح جاسوساً المانياً قد اتهم ايضاً بانه الرجل الذي نظم الاغتيال بيد انه اعتقل في ليفربول بعد ترحيله من انكلترا في اليوم ذاته الذي سافر فيه كشر الى سكابا فلو. في عام ١٩٢١ كان ثمة المزيد من المزاعم المثيرة وكان اللورد الفريد دوكلاس، الصديق المقرب لاسكار وايلد قبل ثلاثين سنة، يملك مجلة محدودة الانتشار تدعى بلين انجلش وقد نشر في الثاني من تموز تفسيره المروع عن حقيقة غرق هامباير.

قبل موت كشر بستة ايام، أي في ٣١ ايار ١٩١٦، حدثت معركة جتلاند قبالة ساحل الدنمارك بين الاسطول البريطاني والالمانى واشتركت فيه ٢٤٨ سفينة وفقدت بريطانيا اربع عشرة سفينة وفقدت المانيا احدى عشرة سفينة وادعى الطرفان النصر وقد طلب آرثر بلفور، لورد الاميرالية الاول، من وستون تشرشل أن يكتب تعليقاً عن المعركة يظهرها كنصر لانظر له لانكلترا وفعل تشرشل، مؤلف العديد من الكتب، ذلك ووصف جتلاند انها المهلة نحو النصر الكامل وقد ارتفعت معنويات الانكليز ولم يحبطها ثانية الا خبر موت كشر بعيد ايام قلائل ويقول الفريد دوكلاس ان كل هذا كان خطةً سائئة مبرجة

وكان وعد بلفور متشائماً بعض الشيء في لهجته بهدف احداث هبوط حاد في الاسهم البريطانية في الوبل سترى. وقام اترىاء اليهود، بما فيهم الناشر السيد ايرنست كاسل، بشراء الاسهم بادننى الاسعار ثم رفع تعليق تشرشل قبيعة الاسهم كثيراً فندر على اليهود ربحاً كبيراً وقد ربح كاسل وحده (٤٠) مليون دولار ومنح تشرشل صكاً بمبلغ ضخيم مع بعض قطع الاثاث الشمينة وهؤلاء اليهود الاثرياء انفسهم دبروا عملية اغراق هامبشاير لأن كشر اراد أن يتأكد ان اليهود البلشفيين قد جردوا من مناصبهم في روسيا. نشرت هذه القصة في مجلة بلين انجلش وقدمت الى تشرشل الذي قرر ان يتجاهلها لكن صحيفة «الغارديان اليهودية» اتهمت دوكلاس بنشر الأكاذيب وقدمت فوراً ضده دعوى بحجة التشهير ودفع تعويضات ضئيلة تبعث على السخرية.

اسس بعدها دوكلاس لجنة اللورد كشر وجتلاند وعقد اجتماعاً جماهيرياً في الميموريال هول بشارع فارنغدون. (ويذكر روبرت كوت مؤلف سيرة «دوكلاس» ان كشر كان منحرفاً جنسياً ولمح دوكلاس انه هو وكشر اصبحا عاشقين عندما تقابلا في القاهرة عام ١٨٩٣).

اخبر دوكلاس، الجمع المحتشد في الميموريال هول، ان تشرشل كان محالاً وعشاشاً وقد قدم بعدها تفسيره المثير عن غرق هامبشاير وهو ان المدمرتين اللتين كانتا ترافقان هامبشاير قد أخرتنا بتعمد عدة ساعات. «وهذا غير صحيح فالدمرتان (بونتي) و (فكتور) قد جاهدتا ابان العاصفة جنباً الى جنب مع هامبشاير لكنهما اجرتنا على التفهقر رويداً رويداً بسبب هيجان البحر».

ويقول دوكلاس ايضاً ان قوارب النجاة قد أخرت في اوركني، (وهذا صحيح الى حد ما ويلوح انه عجز من السلطات البحرية التي انكرت علناً ابچار اي طراد في ذلك اليوم لتكتيم الامر). وتبنى الجمهور المتحمس قراراً يطالب

بإجراء تحقيق عام، لكن الصحف اللندنية تجاهلت ذلك وارسل دوكلاس خطبته الى رئيس تحرير صحيفة «يورد ستاندر» الذي لم ينشرها كاملة حسب بل اصدرها في كراس عنوانه (مقتل اللورد كشنر وحقيقة معركة جتلاند واليهود) وطبع منه ثلاثون الف نسخة ووزعت منه ستة الاف نسخة ولكن دوكلاس اعتقل في ٦ تشرين الثاني ١٩٢٣ واتهم بالتشهير. وكانت المحاكمة كارثة بالنسبة لدوكلاس ولم تعترض جهة الادعاء مشكلة في اثبات ان هبوط قيمة الاسهم في سوق المال انخفضت قبل اعلان بلفور وبعد اعلان الالمان انتصارهم واثبت ايضاً ان السير ارنست كاسل المتوفي حالياً لم يشتر أو يبيع اية اسهم في ذلك الوقت، وكان شاهد الدفاع الوحيد عن دوكلاس هو الكابتن هارولد سبندر، المحرر السابق في مجلة بلين انجلش، الذي ظهر انه كذاب ومشهود عليه بالجنون ثلاث مرات وخصم دوكلاس القاضي السيد جستس افري، برفض قراره لما لم يسمح لدوكلاس بالتعبير عن هذه القضية وقال: «ان ذلك اشع انواع الظلم الذي رأيت في حياتي». وحكم عليه افري بالسجن مدة ستة اشهر. وتواصلت الروايات عن القضية الحقيقية لهذا اللغز وثمة تقارير تفيد ان كشنر قد هرب وشوهد في مناطق متعددة في العالم وتفيد بعضها ان جثته غسلت في النرويج ودفنت في ستافنكر، أما في المجال الروحاني فقد ظهر كتاب يشير الى ان شبح لورد كشنر ادعى ان غلام السفينة، وهو الغلام الذي كان كشنر ينجذب اليه بشدة واطلق النار على نفسه فيما بعد، قد اقبل القمر الكايبينية على كشنر. (علماً انه لم يكن على متن هامبشاير اي غلمان). وكشف كتاب موسوم «الرجل الذي قتل كشنر (١٩٣٢)» لمؤلفه كلمنت وود ان كشنر قتله جاسوس الماني يدعى فرترز دوكوس الذي استفحل مقتله لكشنر ابان حرب البوير فخطط للمصعود الى ظهر هامبشاير متكرراً بزى ضابط ارتباط روسي وأعطى إشارة، باستخدام الضوء الومضي، الى غواصة المانية لاطلاق طوربيد والقى نفسه فيما بعد من السطح وانتشلت الغواصة.

ويرجع دونالد مكورمك، في كتابه «الغز موت كشنر» ان لويد جورج وراء جريمة القتل ويعتقده المسؤول عن تسرب المعلومات التي افشت سرية رحلة كشنر الى اركانجل ويقول مكورمك: «منذ سنين ولويد جورج يتآمر على وزير الحرب كشنر ودائماً كان يسرب معلومات من مجلس الوزراء بهدف تشويه سمعة كشنر واسكويت». ودونت السيدة اسكويت في يومياتها: «عندما اشرت الى ان شخصاً ما في مجلس الوزراء يكشف اسراراً، طلب مني الصمت». ولم يثر اي اخبار تقريباً عن موت كشنر الا بعد ان دبر لويد جورج مكايده ليخلفه وتآمر بعدها للتخلص من السير وليام روبنسون الذي ترأس مع كشنر وزارة الحرب.

ويزعم لويد جورج في مذكراته الحربية انه رام السفر الى روسيا برفقة كشنر لكنه عدل عن قراره عندما حدثت ثورة الفصح عام ١٩١٦ في دبلن وطلب منه اسكويت ان يساعد ايرلنده، وازداد ان هذا بلاشك قد أنقذ حياته. وقد وجد دونالد مكورمك ان هذه القصة برميتها غير قابلة للتصديق وعلق قائلاً: «ان لويد جورج كان جباناً يكره البحر وعلى خصام مع كشنر الذي رفض بالتأكيد شرف الإبحار مع رجل من ويلز لا يوثق به» وعلى أية حال يشير مكورمك الى ان مهمة لويد جورج الايرلندية انتهت في الوقت الذي أبحر فيه كشنر من سكايا فلو، وتفصح كل الأدلة ان لويد جورج أراد أن يترك انطباعاً انه لم يذهب الى روسيا... ترى لم أراد ان يترك هذا الانطباع؟.

قد يكون أحد البواعث الى ذلك هي الرغبة في ابعاد الشبهة عن نفسه ان كان مسؤولاً، بطريقة ما، عن اغراق هامبشاير.

ظهر كتاب مكورمك في عام ١٩٥٩ ولم يسمح له في حينه الاطلاع على سجلات قسم الاستخبارات البحرية. وفي نهاية المطاف استطاع تريفنر رويل، كاتب سيرة آخر، في عام ١٩٨٥ الحصول على اذن بالاطلاع على تلك السجلات

وكان ما اكتشفه يؤكد الشائعات التي تقول ان موت كشنر لم يكن مجرد حظ عاثر. واكتشف بعدها مكورمك ان أحد مراكز التصنت الألمانية في نيو منستر التقط اشارة بحرية، في ربيع عام ١٩١٦ ، من مدمرة بريطانية الى القيادة البحرية توضح ان قناة غربي أوركني قد مشطت من الألغام وعندما تكررت نفس الاشارة أكثر من مرتين أدرك الألمان انه لا بد من وجود سبب مهم حدا البحرية البريطانية ان تمشط القناة فأبلغوا القيادة بذلك. أرسل الأدميرال الألماني فون شير الغواصة (يو ٧٥) باصرة كورت بيتزن لزorc المزيد من الألغام في القناة التي مشطت مؤخراً فأغرق أحد هذه الألغام هامبشاير. واذا كانت الرواية صحيحة فان اللوم يوجه الى القيادة البحرية، ولو أرسلت الاشارة الى محطة شاطيء اوركني لما انتبه اليها أحد. واكتشف تريفل رويل ان استخبارات البحرية الانكليزية اعترضت اشارة فون شير وتمكنوا من قراءتها لاسيما وانهم حلوا الشفرات الألمانية، وعلمت الاستخبارات البحرية الانكليزية، في اليوم الذي تقرر فيه ان يبحر كشنر، ان الغواصة الألمانية ما برحت ترصد المنطقة فارسلت ثلاث اشارات بهذا المعنى الى الاميرال الأنكليزي جليكو الذي اخفق في نقلها الى كشنر. لم تقدم هذه المعلومات الى التحقيق عام ١٩١٦ ولم تذكر في الكتاب الأبيض للحكومة عن المأساة عام ١٩٢٦ .

وفي الحقيقة مضى جليكو في قوله بعد غرق السفينة: «كان من المستحيل عملياً زرع الألغام في ذلك الطريق، لأن فترة الظلام في خطوط العرض الشمالية لا تتعدى ساعتين مما يبعد توقع اقتراب اية سفينة معادية الى الشاطيء . واقتصر زرع السفن المعادية للألغام على المياه الواقعة الى الجنوب من اللسان البحري » . اثبتت تحريات رويل ان هذه بدعة وان جليكو عرف ذلك وسار بكشنر الى اجله المحتوم، وسجل ايضاً ان جليكو توسل الى كشنر ان يؤجل مغادرته بسبب ظروف الطقس وكان الاعتقاد ان يرفض كشنر ذلك. ويلوح هناك تفسيران

معتادان ، احدهما غير كاف بشكل اعتيادي وهو ان جليكو يتمنى شيئاً افضل .
ولكن ان كان يعرف ان الغواصة (يو ٧٥) امرت بزرع الألغام قبل اسبوع ، فلم
لم ينظف القناة فوراً، يحتمل ان يكون لويد جورج احد الرجال الذين قال عنهم
السفير الأمريكي انهم لا يهتمون بعودة كشنر من روسيا؟ وهل كان دور لويد
جورج في موت كشنر صدفة كما يزوح او انه شطر من مؤامرة لأرسال خصمه
الى موته؟ ويثبت الدليل ان موت كشنر، من دون شك، يمكن اعتباره قد
حصل على يد لويد جورج وجليكو ولكن من غير المرجح اننا سنعرف هل كان
هذا هو قصدهم حقاً!

لغز ماري سيليت

شاهدت سفينة دي كراشي الأنكليزية ، ظهيرة الخامس من كانون الأول ١٨٧٢ الهادئة ، سفينة ذات شرعين تسير بأضطراب بين أمواج المحيط الأطلسي في وسط الطريق بين ازورس وساحل البرتغال وعندما اقتربت منها لوحظ ان هذه السفينة تبخر بشراعتها وصاريتها فقط بيد ان الشراع كان مربوطاً الى الجانب الأيسر والسفينة تجنح نحو اليمين وهو دليل اكيد لكل بحار ان السفينة غير مسيطر عليها. ارسل مورهاوس ، قبطان دي كراشيا ، اشارة الى السفينة لكنه لم يتلق اي رد، فقد كان البحر هائجاً في اعقاب عاصفة هبت قبيل فترة مما جعلهم يقضون ساعتين للوصول الى اقرب مكان يمكنهم من قراءة اسم السفينة. كان اسمها ماري سيليت وكان مورهاوس يعرف هذه السفينة الامريكية ويعلم ان صاحبها هو القبطان بنيامين سبونر بريكس ، فقبل اكثر من شهر كانت السفينتان قد حملتا شحنة من رصيفين متجاورين في نيويورك ايست ريفر وشرعت بعدها ماري سيليت برحلتها صوب جنوا محملة بشحنة من الكحول الخام يوم ٥ تشرين الثاني اي قبل عشرة ايام من ابحار دي كراشيا صوب مضيق جبل طارق فيكون قد مضى عليها، وقتئذ، شهر والرياح تلعب بها بين امواج الاطلسي دون اشارة الى وجود الحياة فيها. ارسل مورهاوس ثلاثة من رجاله للتحقيق بامرة زميله الاول اوليفر ديفو وهو رجل ذو بأس وقدرة بدنية عالية وحالما تسلقوا سطح السفينة بعد جهد جهيد وجدوا ان متنها مهجور وبعد ان فتشوا داخلها لم يعثروا على شيء، ولكن لوحظ ان قوارب النجاة كانت مفقودة مما يدل ان القبطان بريكس قد قرر ترك السفينة، وكان ثمة كمية كبيرة من الماء تحت سطحها وقد نفخ اثنان من اشرعتها وكانت الصارية السفلى قد شدت من زواياها مما يؤكد ان السفينة صالحة للابحار ولا خطر عليها من الغرق، اذاً لماذا

غادرها طاقمها؟

أظهر التفتيش بعد ذلك ان صندوق البوصلة محطم وان البوصلة نفسها مكسورة ووجد اثنان من الابواب الداخلية قد خلعا وثقب احد براميل الكحول الخام، وكانت المخازن الامامية والخلفية تحوي تجهيزاً وافراً من الغذاء والماء. كانت صناديق البحارة باقية في اماكنها مما يدل على العجلة التي تم فيها اخلاء السفينة، غير ان التفتيش في غرفة القبطان كشف ان اجهزة الابحار وسجل سرعة السفينة كلها مفقودة وكان آخر ما مدون في السجل العام للسفينة بتاريخ ٢٥ تشرين الثاني يشير الى ان ماري سيليست قد مضى عليها في البحر تسعة ايام في الاقل دون طاقمها وهي الان على بعد (٧٠٠) ميل شمالي شرق آخر موقع مسجل لها. وكان في السفينة، برفقة القبطان بريكس وطاقم السفينة السبعة، سارة زوجة بريكس وصوفيا ماتيلدا ابنته ذات الستين. وعندما واجه مورهاوس لغز ترك الطاقم السفينة تملكه رعب كبير من شيء مجهول وعندما اقترح زويله ديفو أن يقود اثنان من بحارة دي كراشيا ماري سيليست الى مضيق جبل طارق كان مبلغ (٥٠٠٠) الاف باون المتوقع دفعه كأجور انقاذ السفينة هو الذي حدها ان يوافق في نهاية المطاف على خطة ديفو. ووصلت السفينتان معاً الى ميناء جبل طارق بعد ستة ايام. لقد استقبله الموظف الاثكليزي، بعكس ما كان يتوقعه ديفو من ترحيب كبير، بأمر القاء القبض الفوري على قبطان ماري سيليست وكان ذلك بالتحديد يوم الجمعة في الثالث عشر من الشهر. وقد حالف الحظ العائر ماري سيليست منذ شروعاها في الابحار وكانت مسجلة في الاصل باسم امازون وتوفي قبطانها الاول خلال ثمان واربعين ساعة واصطدمت في رحلتها الاولى بسياج لصيد الاسماك قبالة مين وتحطم بدنها. واثناء ترميمها شب حريق في وسطها وفي نهاية المطاف اصطدمت، في اثناء ابحارها عبر مضيق دوفر، بسفينة شراعية واغرقتها. حدث هذا في ايام قبطانها الثالث وعندما قادها قبطانها

الرابع اصطدمت خطأً بجزيرة كيبيج برنتون وتحطمت . ثم انقذت سفينة امازون هذه وانتقلت ملكيتها الى ثلاثة مالكين قبل ان يتاعها ج . أ . ج . وتشستر مؤسس انجح خط شحن بحري مازال يعمل في نيويورك ، وقد اكتشف وتشستر شرخاً جافاً في خشب السفينة التي سميت في ذلك الوقت ماري سيليت واعيد بناء اسفلها وطعم بالنحاس وزيدت متانة سطحها وتؤكد هذه الترميمات ان السفينة كانت في حالة ممتازة قبيل ابحارها صوب جنوا بقيادة القبطان المتمرس بريكس وهذا يساعدنا في تفسير سبب بقاءها مدة طويلة بين امواج الاطلسي الباردة بعد فرار طاقمها بقوارب النجاة . ويبدو ان الموظفين البريطانيين في جبل طارق يشكون ان الامر اما تمرداً أو مؤامرة امريكية وتستند النظرية الاخيرة الى حقيقة ان القبطان مورهاوس والقبطان بريكس كانا صديقين وقد تناولا العشاء معاً قبل ان تغادر ماري سيليت نيويورك ولكن حضيض فكرة التمرد بعد ذلك بشيء من التأيد ولتأكيد هذه النظرية عرض امام أنظار مجلس التحقيق علامة فأس في احد جوانب السفينة ووصف بدنها انه محاولة خائبة لاطهار السفينة كأنها صدمت بعض الصخور بالاضافة الى ان السيف الملطخ الذي وجد تحت سرير القبطان وكل ما قدم للادعاء يشير الى ان طاقم السفينة كانوا في حالة سكر فقتلوا القبطان وعائلته ثم فروا هرباً بزورق السفينة . . . وقد شعر الامريكيون بالاهانة مما عدوه وصمة عار في شرف الاسطول البحري التجاري الامريكي وادانوا بسخط هذه القصة واثاروا الى ان بريكس ليس ذلك الرجل العادل الذي لا يرجح ان يدفع بطاقم سفينته الى التمرد وحسب ، وانما كان يدير ماري سيليت وهي خالية من السوائل الا الكحول وحتى البحار الضامى لا يرجح ان يشرب اكثر من جرعة من الكحول الخام فقد يسبب له الاماً مزعجة في البطن تفقد البصر في النهاية ، واذا ما كان طاقم السفينة قد تمردوا ، فلماذا اذاً اضطروا لترك اقفاصهم البحرية وحاجيات مثل صور العائلة وأمواص الحلاقة والاحذية البحرية؟ والله زالت القيادة البحرية الانكليزية غير مقتنعة ، ولكنها اقرت ان

النظرية البديلة لو كانت صحيحة وان بريكس ومورهاوس قررا اطلاق ادعاء كاذب للتعويض سيكون بريكس، عندئذ، خاسراً لكونه شريك في السفينة وحصته من التعويض ستكون جزءاً يسيراً مما لو باعها بالطريقة الاعتيادية، أرغمت المحكمة، في اذار ١٨٧٣، على الاعتراف بعجزها عن تقرير سبب اخلاء سفينة ماري سيليست وهي المرة الاولى في تاريخها التي تحقق في التوصل الى نتيجة معينة.

كوفيء مالكي دي كراشيا خمس قيمة ماري سيليست وشحتها واعيدت السفينة نفسها الى مالكيها الذي لم يتوان في بيعها حال عودتها الى نيويورك وخلال احد عشر عاماً تلت انتقلت ملكية ماري سيليست الى اكثر من مالك غير انها لم تجلب الا الربح القليل لكل منهم وكان البحارة مقتنعين انها غير محظوظة وكان آخر من امتلكها هو القبطان جلمان. سي. باركر وقد اصطدمت وهو يقودها بسلسلة صخرية في جزر ويست انديز وطالب بالتأمين لكن مسؤولوا شركة التأمين ارتابوا في الامر وقدم باركر ومساعديه الى المحاكمة وكانت عقوبة محاولة اغراق السفينة في عرض البحر بشكل متعمد في تلك الايام هي الموت شنقاً، بيد ان القاضي الذي كان على علم بسجل (ماري سيليست) السابق المزدان بالحظ العاثر سمح باطلاق سراح طاقمها معزياً غرق السفينة الى اسباب فنية. وبعد ثمانية اشهر توفي القبطان باركر واصاب احد اتباعه من الجنون بينما انتحر الثالث، اما ماري سيليست فقد تركت تنهشم على سلسلة صخرية. وبعد عقد من الزمان تضائل الاهتمام بقصة السفينة، حيث لم يظهر اي دليل جديد وفرضت مراقبة شديدة على الموانئ البريطانية والأمريكية ابان المحاكمة عندما كانت الشبهات تحوم حول وقوع عملية الاحتيال ولكن لم يعثر على اي اثر لاقتراد الطاقم المفقودين. توجه ارثر دوويل، الطبيب المتأهل حديثاً ذو الثلاث وعشرين عاماً، الى ساوثي، احدي ضواحي بورتسموث في عام ١٨٨٢ وثبت

لوحةً باسمه، وكان يقضي معظم وقته، ابان الاسابيع الطويلة التي ينتظر فيها المرضى، بكتابة القصص القصيرة وشرع في خريف عام ١٨٨٢ بكتابة قصة جاء فيها: «في شهر كانون الثاني عام ١٨٧٣، دخلت السفينة البريطانية دي كراشيا مضيق جبل طارق وهي تجر السفينة الشراعية المهجورة ميرى سيليست التي انشلت في خط عرض ٣٨/٤٠ وخط طول ٧٠/١٥ غرباً». وتفتقر هذه الجملة الى الكثير من الدقة فالسنة كانت ١٨٧٢ ودي كراشيا لم تجر ميرى سيليست وارقام خطوط الطول والعرض ليست صحيحة واسم السفينة ماري وليست ميرى، ومع ذلك فعندما نشر تصريح جي. هابكوك جفسن في مجلة مونثل عام ١٨٨٤ اثار ضجةً حيث بدأ بسيرة ارثر دويل ككاتب ثم استخدم اسم اي. كونان وأخذها اغلب الناس انها حقيقة ومنذ ذلك الحين شاعت وعلى نطاق واسع الفكرة ان ماري سيليست استولى عليها السود الذين كانوا يضمرون الكره الشديد للبيض، وكان سوي فلود رئيس المحققين في قضية ماري سيليست ساخطاً جداً، فأرسل برقيةً الى وكالة الانباء اعلن فيها ان جي. هابكوك جفسن هو محتال كذاب ومن حينها ابدت مجلة كونهل استعدادها لدفع ثلاثين جنيهاً بدل ثلاثة لنشر قصص كونان دويل. كانت قصة دويل منطلقاً لاهتمام جديد بالغمز، وطوال السنوات العشر التالية ظهرت العديد من الروايات الملققة عن الايام الاخيرة لماري سيليست وكانت تتحدث عن كل ضروب القصص من التمرد الصريح الى الحوادث الكبرى كما لو ان الجميع قد سقطوا في البحر عندما وضعت منصة لمراقبة سباق للسباحة وانهارت تحتهم، أو قصة العثور على سفينة مهجورة تحمل سبيكة ذهب مما اغرى القبطان بريكس للهرب في سفينة اخرى تاركاً السفينة الام تتقاذفها الرياح. يدعي مؤلف آخر ان جميع افراد الطاقم اختطفتهم ذات القوة الغربية التي تسبب مطر الضفادع والاسماك الحية، ويضيف فورث قائلاً: «لدي مجموعة من الروايات لكذابين متميزين أو فنانين هزل يقلد بعضهم الاخر رويت في الثلاثين أو في الاربعين أو الخمسين سنة التالية بانهم

كانوا من افراد ذلك الطاقم» وحتى في يومنا هذا نرى ماري سيلبيست تبهر مراراً في مسلسلات التلفاز أو السينما وتقع في حبال الزمن أو يهجم عليها غرباء من الصحون الطائرة، وفي الحقيقة ان دراسة معمنة للحقائق تفسح ان حل هذا اللغز الخاص واضح المعالم، فالرجل المسؤول عن خلود اسطورة ماري سيلبيست هو كونان دويل الذي اكد ان زوارق السفينة ما زالت سليمة وأثارت مسألة اللادقة في هذه النقطة مشكلة بسيطة معاكسة لايمكن حلها فعلياً.

وفي الحقيقة اذا ما علمنا ان الزورق كان مفقوداً سيؤكد لنا حينها شيئاً واحداً في الاقل هو ان الطاقم هاجر السفينة وهم في عجلة من امرهم اذ لم يكن دولاب السفينة مربوطاً وهو اشارة الى ان السفينة قد اخلت بسرعة والسؤال الذي يطرح نفسه الان هو ما الذي حل بالجميع، وما الذي دفعهم الى ان يخلوا السفينة بمثل هذه العجلة؟.

كان القبطان جيمس بريكس شقيق ربان سفينة ماري سيلبيست مقتنعاً ان مفتاح الحل هو آخر ما سجل في يوميات السفينة حيث سجل ان سرعة الرياح انخفضت في صبيحة يوم ٢٥ تشرين الثاني عام ١٨٧٢ غداة ليلة من العواصف الهوجاء ويعتقد جيمس بريكس ان السفينة ربما توقفت في ازورس بفعل هدوء الرياح ثم بدأت بالانجراف الى الصخور الخطرة في جزيرة سانتا ماريا وقد لوحظت امارات تصادم على طول جانب ماري سيلبيست، وادعى المحققون البريطانيون انها كانت عملاً متعمداً قام به الطاقم المتمرد وهذه الصدمات ربما سببها احتكاك السفينة اثناء حركتها بصخرة مخورة مما اقع الطاقم انها على وشك الغرق. اما اوليفر ديفر فقد افترض ان بعض الماء شق طريقه، في اثناء العواصف، الى سطح السفينة ومخزنها مما اعطى انطباعاً بتسربه الى السفينة، وثمة تفسير آخر وهو ان دوامة بحرية صدمت ماري سيلبيست فالضغط الجوي في الدوامة منخفض وهذا ربما سبب انفجاراً في اغطية الفتحات دفع الماء المتجمع

بقوة الى البئر ذو المضخات وهذا اظهر السفينة كأنها قد هبطت ست أو ثمانى اقدم وبدأت تغرق بسرعة، وثمة اعتراضات رئيسية على هذه الاجوبة فاذا كانت السفينة قد احتكت اثناء حركتها بالصخور الخطرة قبالة جزيرة سانتا ماريا فأن زورق النجاة يفي لايصالهم الى الجزيرة اضافة الى انه لم يعثر على اي من الناجين أو اي حطام لزورق نجاة.

ويساند نظرية اوليفر ديفو امور كثيرة فقد تكررت حوادث الرعب في البحر، نذكر منها عندما واجهت سفينة القبطان كوك «انديفر» مصاعب قبالة ساحل شرق استراليا ارسل بحار السفينة لقراءة مستوى الماء في المخزن فأخطأ في القراءة وكان ما انتابه من هysteria نتيجة ذلك حذاه ان يغادر السفينة مع الطاقم عندما تمكن الرعب منهم . وفي مرة اخرى القت سفينة محملة بالخشب بكل حولتها الى البحر قبالة نيو فاوندلان قبل ان يدرك اي فرد ان من المستحيل ان تغرق سفينة محملة بالخشب، ولا يرجح ان القبطان بريكس، الكفاء، سيسمح بقراءة خاطئة تزوع فيه الرعب. والاعتراض على نظرية الدوامه البحرية هو ان السفينة، بصرف النظر عن الفتحات، لم تتعرض لاي ضرب من الدمار فلو كانت ثمة دوامة كبيرة تثير مثل هذا الرعب، يقيناً انها ستصيب السفينة بدمار اشد.

ولكن اللغز الحقيقي هو السبب الذي لم يحاول فيه طاقم ماري سيليست، اذا ما غادرها بقوارب النجاة، العودة الى متنها عندما رأوا انها لم تكن في خطر من الغرق. وثمة تفسير واحد يغطي كل الحقائق وهو ان بريكس لم يشحن سابقاً قط كحول خام ولائه بيوريتاني مستقيم من نيو انكلاند فانه يقيناً أساء الظن في الكحول وتباين درجة الحرارة بين نيويورك وازورس قد سربت بعض الكحول من البراميل وسببت العواصف الليلية تصادم البراميل بشكل عنيف مما ولد بخاراً في داخلها مفسجراً بفعل الضغط اغطية بعض البراميل. ومع ذلك فان

الانسجار ليس بمؤد اساساً وربما فجر الفتحات وطير اعطيتها الى السطح في
الاماكن التي وجد فيها ديفو ثقوباً، وعندما يتقن بريكس ان السفينة ستفجر
عن بكرة ايها أمر كل أفراد الطاقم بالنزول الى قارب النجاة ونتيجة لسرعته
احقق في اتخاذ التدبير الوقائي البسيط الذي يتقد حياتهم: ان يربط قارب النجاة
بالسفينة بامراس طولها بضعة مئات من الياردات. لقد كان البحر هادئاً جداً
عندما انزل القارب كما عرفنا ذلك من آخر ما سجل في سجل السفينة لكن دليل
الاشعة الممزقة يشير الى ان السفينة واجهت بعد ذلك عواصف هوجاء وقد
تشوق ان الرياح العالية قد دفعت ماري سيليت بعيداً في الوقت الذي جدف
الطاقم قارب النجاة بسرعة في جهد لا طائل منه للحاق بها وبقيّة القصة واضحة
في مأساتها.

وحش بحيرة نيس

تعد بحيرة نيس من اكبر البحيرات البريطانية اذ يبلغ طولها (٢٢) ميلاً وعرضها ما يقارب الميل وأقصى عمق يبلغ (٩٥٠) قدماً وهي جزء من الوادي العظيم الذي يجتاز اسكتلنده كشق عميق من شاطيء الى آخر وقد تكون نشأت قبل (٣٠٠) أو (٤٠٠) مليون سنة نتيجةً للهزات الارضية وعمقته الانهار الجليدية. وتقع في الطرف الجنوبي لنيس مدينة (غورت اغسطس) الصغيرة والى اقصى الشمال تقع مدينة (انيفونس). كان الوصول الى البحيرة، وحتى القرن الثامن عشر، متعذراً عملياً ما خلا بعض الطرق المتعرجة وبقيت على هذا الحال حتى عام ١٧٣١ عندما شرع (الجنرال ويد) بشق طريق من (فورت اغسطس) حتى الشطر الجنوبي من بحيرة نيس (بالرغم من ان فورت اغسطس لم تسمى بهذا الاسم حتى عام ١٧٤٢). ولم يكن هذا الطريق، الذي يؤلف تحويلة داخلية طويلة، باقصر مسافة تربط بين (فورت اغسطس) و (انيفونس) أما الطريق المباشر فيكون عبر الشاطيء الشمالي. وفي مستهل الثلاثينات دمر ذلك الطريق المنحدر كميات كبيرة من الصخور في الجوانب المحاذية الى بحيرة نيس ولم يكتمل الطريق الا في نيسان عام ١٩٣٣. كان السيد جون مكاي وزوجته وهما مالكا فندق (درومنادروشيت) عائدين من رحلة الى انفيرنس وكانت الساعة الثالثة بعد الظهر عندما اشارت السيدة مكاي قائلةً: «ما ذلك يا جون؟» كان الماء في بحيرة نيس في حالة اضطراب واعتقدت السيدة ان طائرين من البط يتقاتلان ثم ادركت ان المساحة المضطربة من الماء واسعة جداً وعندما توقف زوجها شاهدا حيواناً سخياً وسط الماء المضطرب ثم راقبا المخلوق وهويتجه صوب (رصيف الدوري) ولحا على الجانب المقابل من البحيرة في تلك اللحظة حديتين سوداويتين ترتفعان وتنخفضان في الماء بشكل متموج ثم دار المخلوق نصف دورة وتوارى عن الانتظار. لم يحاول (مكاي) وزوجته اشاعة القصة ولكن

الاخبار قد طرقت مسامع اليكس كامبل، الشاب الذي يعمل في البحر مراسلاً لصحيفة (انفيرس كورير) وقام بزيارة عائلة (مكاي) واستمرت حلقات تقريره الذي نشرته تلك الصحيفة في الثاني من مايس أكثر من اسبوعين بعيد الحادث ونقل عن رئيس التحرير قوله: «إذا كان كبيراً كما وصفاه فانه ليس بمخلوق وإنما وحش». وهكذا سمي وحش بحيرة نيس بهذا الاسم. وإذا ما توخينا الدقة فانها ليست بأول رواية عن الوحش تظهر مطبوعة وانما تعود الى كتاب «حياة القديس كولومبا» في نحو عام ٥٦٥م الذي يروي في الفصل ٢٧ (ج ٢٧، مجلد ٦) كيف وصل القديس الى معبد على ضفاف بحيرة نيس ووجد بعض الرجال يستعدون لدفن رفيق لهم قتله وحش مائي وهو يعوم في الماء. أمر القديس أحد أتباعه ان يعوم في البحيرة فطرق مسامع الوحش رش ماء متجه صوبه عندها اشار القديس بعلامة الصليب وأمر المخلوق ان يتعد فانصاع الوحش الخائف لأمره. ويصعب تحديد التقارير الأخرى التي ظهرت عبر القرون ويذكر نيقولاس وتشل في كتابه عن الوحش عدة مراجع عن (وحش) أوجني ماء في بحيرة نيس في الكتب القديمة بين عامي ١٦٠٠ و ١٨٠٠ ونشر بعده الكوماندر (روبرت غولد) كتابه عن الوحش فكتب اليه، في عام ١٩٣٤، الدكتور دي ماكنتزي مدعياً انه شاهد الوحش في عام ١٨٧١ ١٨٧٢ وانه يماثل قارباً مقلوباً تقريباً ويتحرك بسرعة كبيرة مضطرباً فوق سطح الماء. كتب اليكس كامبل ان مزارعاً صغيراً يدعى الاكسندر ماكدونالد قد شاهد الوحش عام ١٨٠٢ وروى ذلك لأحد أسلاف كامبل ويقيناً ان اشاعات من هذا القبيل قادت الى التشكيك في ان للمواطنين المحليين وخاصة أصحاب الفنادق منفعة مالية في تأكيد وجود الوحش وهكذا اصبح اسم وحش نيس أضحوكة في أواسط الثلاثينات. وفي الحقيقة ان أول تقرير (حديث) عن الوحش كتب عام ١٩٣٠ ونشرت الـ (نورثن كرونكل) ان ثلاثة شبان خرجوا في زورق يوم ٢٢ تموز من ذلك العام وشاهدوا قرب (دوروس) في الشاطيء الجنوبي على بعد ٦٠٠ ياردة

اضطراباً شديداً في الماء ثم ظهر مخلوق ضخمة يعوم باتجاههم تحت سطح الماء ثم انعطفت مبتعداً عندما صار على بعد (٣٠٠) ياردة منهم وعلق الشبان انه لم يكن قط سمكة قرش أو فقمة. وفي صيف ١٩٣٣ سجلت أعلى درجات للحر ومع انصرام الصيف اضحى الوحش معروفاً لكل القراء في الجزر البريطانية بينما كان في طريقه الى ان يغدو حدثاً عالمياً. شوهد الوحش في وقتنا هذا على اليابسة فبعد ظهره الصيف الهاديء من يوم ٢٢ تموز ١٩٣٣ كان السيد جورج سبايسر وزوجته في طريق عودتهما الى لندن بعد ان قضيا العطلة في هايلاندز. وفي قرابة الساعة الرابعة كانا في سيارتهما على الطريق الجنوبي من (انغريس) الى فورت وليم وشاهدا في منتصف الطريق بين دورس وفويرز على بعد مائة ياردة قبالتهم جسماً مماثل جذع الشجرة يفتش الطريق ثم ادركا انه يتحرك وان يزازتهم رقبةً طويلةً يردفها جسم رمادي يبلغ ارتفاعه نحواً من خمسة اقدام وذكر السيد سبايسر بعد ذلك انه هائل ومقبت ويتحرك باضطراب عبر الطريق ولم يتمكنوا من تحديد امتلاكه لسيقان لأنها كانا على منحدر وحالما بلغت سيارتهم المنحدر تلاشى الوحش في المنخفض المقابل وبدا كأنه يحمل شيئاً فوق ظهره ولم يشاهدا اي ذيل. وكان الرسم الذي خطه الكوماندر كولد وفقاً لتوجيهاتهم يوافق وما وصفه السيد سبايسر الذي قال عنه: «انه حلزون ضخم طويل الرقبة». وعندما سمع غولد هذا الوصف اعتقد انها خدعة ولكنه عندما قابل سبايسر وزوجته في لندن تأكد انها يرويان الحقيقة وما زال سبايسر وزوجته مرتبكين وقلقين وكان الاعتقاد سائداً ان الجسم الذي فوق كتف الوحش قد يكون جثة خروف. وفي عام ١٩٧١ قابل نيكولاس وتشل السيدة مارغريت كامرون التي ادعت انها شاهدت الوحش على اليابسة عندما كانت في سن المراهقة ابان الحرب العالمية الاولى وقالت: «ان جسمه ضخم وحركته بين الاشجار تماثل حركة يرقة الفراشة». وقدرت طوله بعشرين قدماً وان له قدمين قصيرتين ومستدقتين في المقدمة وانه يتهايل من جانب الى آخر عند دخوله الماء وشعرت هي وصديقاتها

بالغشيان والقلق لدرجة لم يستطعن بعدها تناول الشاي. قابل وتشل أيضاً جوك فوريس الذي ادعى انه شاهد في عمر الثانية عشرة الوحش في عام ١٩١٩ . فذات ليلة عاصفة كان هو ووالده في عربة يجرها حصان حيث جفل الحصان وشاهدا شيئاً كبيراً يعبر الطريق قبالتهم ثم سمعا صوت رشق الماء عندما غطس في البحيرة. التقطت اول صورة فوتغرافية للوحش نيسي في تشرين الثاني ١٩٣٣ فقد كان هاي غراي يسير في منحدر مشجر على ارتفاع خمسين قدماً من بحيرة نيس قرب فويرز وكان قد شاهد الوحش في مرة سابقة وحمل بعد ذلك آلة تصوير. كان غراي في صبيحة الاحد المشمس ليوم ١٢ تشرين الثاني ١٩٣٣ جالساً يتطلع الى بحيرة نيس ولمح في تلك الاثناء الوحش يرتفع فوق الماء على بعد مائتي ياردة تقريباً، رفع آلة التصوير والتقط صورة الوحش وهو يرتفع عن الماء بقدمين أو ثلاثة اقدام ولم تكن باوضح الصور فمن السهل التركيز على الظل الغامق فيها والتغاضي عن الجسم الرمادي غير الواضح للمخلوق فوق الماء. وكانت هذه واحدة من خمس لقطات وبدت اللقطة اقل اقناعاً وكان غراي متناقضاً في وصفه وترك الفيلم في آلة التصوير مدة اسبوعين، خشيةً لتعرضه للسخرية، واخذه بعد ذلك اخوه للتحميض. وظهر في صحيفة (ديلي ريكورد) الاسكتلندية و (ديلي سكتش) اللندنية في ٦ كانون الاول ١٩٣٣ مع تصريح لشركة (كوداك) للتصوير يشير الى ان الفيلم السالب لم يعدل عليه، غير ان عالم الحيوان (كراهام كير) من جامعة كلاسكو صرح بان الصور لا تدل تماماً على انها ابدأ لكائن حي. لقد كان ايذاناً ببداية مرحلة لفضح زيف الوحش التي ظهر فيها علماء حيوان برزوا الى الساحة حديثاً. وتواصلت المشاهدات. وكان الدكتور (جي. كيرتن) وزوجته يسيران بجانب التل خلف فندق (انفرمورستن)، في اليوم الذي سبق يوم التقاط (هاي غراي) صورة الوحش، حيث شاهدا الوحش يعوم مبتعداً عنهم ولاحظا ظهوراً مدوراً ذا حذبة في وسطه يشبه المنظر الخلفي لبطة في بركة ماء، وقد سجل (غولد) ان هذا هو المنظر

السادس والعشرين . في عام ١٩٣٣ وبعد اسبوع أي في العشرين من تشرين الثاني شاهدت الالسة (آن سمبسون) الوحش قرب (التساي) مستلقياً ودون حراك في الماء مدة عشر دقائق وقدرت طوله بنحو من (٣٠) قدماً ثم شاهدته يعوم تحت الماء صوب مركز بحيرة نيس بسرعة تضاهي سرعة زورق ذي محرك في المؤخرة . وفي ١٢ كانون الثاني عام ١٩٣٣ استعدت احدى شركات منتجي الافلام الاسكتلنديين «ارفين» و «كلايتون» لتصوير فلم عن الوحش في حالة حركة لعدة ثوانٍ ولسوء الحظ لم يظهر الفلم الا ظلاً غامقاً طويلاً يتحرك خلال الماء ، واكثر الصور الفوتوغرافية المأخوذة للوحش التقطت في نيسان ١٩٣٤ وهي صورة الطبيب الجراح المشهورة ، ففي الاول من نيسان ١٩٣٤ كان كينيت ولسن زميل كلية الجراحين الملكية يقود سيارته برفقة صديق له ومتجهين صوب الشمال وكانا قد استأجرا منطقة صيد قرب انفيرنس وقررا الذهاب اليها للتقاط بعض الصور الفوتوغرافية للطيور وجلب ولسن معه آلة تصوير ذات عدسة تقرب المناظر البعيدة . لقد اوقفنا سيارتهما ، باكراً في نحو الساعة صباحاً ، على قارعة ارضية تبعد ميلين شمال انفرمورسون وحالما شرعا يراقبان سطح الماء لاحظا امارات اضطراب فيه وهي نذير بوصول الوحش وصرخ صديقه (مورايز شامبرز) قائلاً : «يا الهي ، انه الوحش» فانطلق ولسن الى السيارة وجلب آلة التصوير ليلتقط اربع صور في دقيقتين بسرعة لم يتمكن فيها من النظر الى ما يصوره وبعد ذلك انسحب الرأس الافعواني بلطف الى الماء دون ان يتأكد ولسون هل كان قد التقط صورة للوحش فأسرع الى كيميائي لتحميض الفلم وثبت بعد اكمال الصور ان اثنتين منهما خاليتان وظهر في الاخرى الرأس على وشك الاختفاء في الماء بيد ان الصورة الرابعة كانت ممتازة وظهرت فيها الرقبة التي تماثل رقبة الديناصور وظهر الرأس صغيراً ايضاً . باع ولسن حقوق التصوير الفوتوغرافي الى صحيفة (ديلي ميل) ونشرت الموضوع في ٢١ نيسان عام ١٩٣٤ محدثة ضجةً واطلقت صرخات السخرية من المؤسسة العلمية التي وصفت

الصورة انها مزيفة واشارت الى ان الجراح الذي اخفى هويته قد يكون بدعة من المزيفين وفي الحقيقة ان ولن سمح بتعريف نفسه وظهر اسمه في كتاب موسوم (وحش نيس واخرون) لمؤلفه كوماندر غولد وظهر الكتاب فيما بعد في العام نفسه وتصدرت صفحاته الصورة الفوتغرافية التي التقطها الجراح . وحقيقة أن الصورة الفوتغرافية مأخوذة في الاول من نيسان قد زادت من الشك العام . وبعد عدة سنين ظهر محقق جديد عن الوحش وهو (تم دنسدل) الذي كبر الصورة الى حجم ذراع ولاحظ فيها شيئاً اقنعه بصحتها .

لقد رأى من مسافة ما دائرة باهنة من الحلقات متحدة المركز حول الوحش تلوح واضحة وثمة دائرة اخرى في الخلف كأن جزءاً آخرأ من جسمه تحت سطح الماء تماماً، اشار دنسدل انه لايمكن لأحد أن يتجشم عناء تزييف تفاصيل تتعذر رؤيتها بالعين المجردة، وفي عام ١٩٧٢ ظهر دليل آخر على أصالة الصورة عندما خضعت لعملية تعزيز بالعقل الالكتروني في وكالة الفضاء الامريكية (ناسا) وظهرت على الصورة المحسنة علامات لشعرات متدلية من الفك الاسفل .

وفي تموز ١٩٣٤ وقف على شواطئ نيس فريق مؤلف من اربعة عشر رجلاً مزودين بالآت تصوير وقد شغلهم (السير ادوارد ماونتن) لقاء باونين في الاسبوع لكل رجل مدة خمسة اسابيع واخذت خمس صور قيمة ظهر في اربع منها أثر مظلم قد يكون أثر الزورق واظهرت الخامسة رأساً مخفئ في «رشقة من الرذاذ» وقد تمكن الكابتن جيمس فريزر، مسؤول الحملة، من التقاط شريط تصوير بطول عدة اقدام من موقع فوق (كامل آر كوت) تماماً . وظهر فيه جسم يشبه قارباً مقلوباً مسطح القاعدة طوله خمسة عشرة قدماً . اختفى الجسم في رذاذ الماء المتطاير وقال علماء الحيوان الذين شاهدوا الشريط المصور ان المخلوق هو حيوان الفقمة واعترف الكابتن فريزر فيما بعد انه اضطر الى الرضوخ لقسط كبير

من السخرية. استمرت المشاهدات وظهرت المزيد من الصور ولكن رغبة الناس عامةً انقطعت عن موضوع الوحش ومال اكثرهم الى الشك في ان الوحش بدعة ساخرة ابتدعها الناس المتهنون اعمال السياحة في (هايلاند) ولو صح الامر فانهم قد نجحوا فعلاً حيث كانت فنادق بحيرة نيس مكتظة طوال ايام الصيف. وفي ٢٦ مايس كان الراهب (ريتشارد هوران) من دير القديس (بندكت) يعمل في محل زوارق الدير وطرق سمعه صوت جلبه الماء وشاهد الوحش ينظر اليه من مسافة ثلاثين ياردة تقريباً. كان له رقبة رشيقة وخطاً ابيضاً عريضاً تحت جبهته وأنف وفك بما يشبه الفممة وأيد رؤيته هذه ثلاثة اشخاص آخرون. وشاهدت الانسة (رينا ماكنري)، في كانون الثاني من السنة التالية، الوحش ايضاً من مسافة قريبة جداً ولاحظت ان رأسه يبدو صغيراً وان الجزء الاسفل من حنجرته ابيض وقال جون ماكلين، الذي شاهد الوحش في تموز ١٩٣٨، انه رأى من بعد عشرين ياردة فقط، الرأس والرقبة والوحش يتناول طعامه حيث يفتح فمه ويغلقه ويرجع رأسه الى الخلف فجأةً مثلما يتلع طائر الغاف السمكة تماماً وعندما غاص المخلوق رأى ماكلين وزوجته حديثين وقدرا طوله بشانتي عشرة قدماً تقريباً وقالوا ان جلده في الاجزاء القريبة كان بنياً قائماً كجلد الحصان الميتل. وتمكننا كل هذه المشاهدات من تشكيل صورة اوضح للوحش. قدم (اليكس كامبل) في تموز صورة ايدت ما كان يؤمن به لعدة سنين سابقة وهو انه لايد من وجود اكثر من مخلوق واحد فقد شوهد احدهما متمدداً قرب دير القديس (بندكت) بينما شوهد الاخر مثل حذبة كبيرة سوداء يعبر البحيرة ويتهايل فوق سطح الماء. وتشير عدة تفسيرات الى ان هذه الحيوانات بإمكانها الحركة بسرعة عالية. وابعان الحرب العالمية الثانية بهت الاهتمام بالوحش أو الوحوش بالرغم من استمرار المشاهدات. وفي عام ١٩٤٣ شعر القائد روسل فلينت، وهو يعبر بحيرة نيس في طريقه الى (سواستي) برجة قوية اقتنعت العواقم انهم اصطدموا بكتلة طافية وشاهدوا الوحش يختفي في الماء المضطرب وذكر في

اشارته الى القيادة البحرية انه تكبد خسارة في المقدمة اليمنى للسفينة بعد الاصطدام مع وحش نيس فسبب له بعض الحرائق. ونشرت صحيفة (ديلي هيرالد) في تشرين الثاني عام ١٩٥٠ قصة بعنوان «سر بحيرة نيس» تدعي فيها ان اعداداً من الالغام ذات قطر ثماني اقدام قد زرعت في البحيرة على عمق يناهز الميل في عام ١٩١٨ واشارت الصحيفة ان اخفض عمق للبحيرة هو سبعة اميال ويتضح ان هذه القصة تتضمن قسماً من الصحة فالالغام زرعتها في عام ١٩١٨ جلالة الملك (هيليك هيو غراي) الذي التقط بعد ذلك اول صورة فوتوغرافية للوحش من على سطح السفينة، بيد ان تلك الالغام لم يعثر عليها عندما أبحرت السفينة لجمعها عام ١٩٢٢ حيث لم يبق الا المراسي التي علق بها وربما تكون الالغام التي صممت لتعمر سنوات قليلة قد غاصت في القعر ومع هذا لم يتضح في اي من الصور الفوتوغرافية ابسط شبه بتلك الالغام وفي السنة التالية التقطت صورة اخرى للوحش بعدسة حطاب يدعى (لاشلان ستورات). لقد لاحظ لاشلان، عندما كان يحلب بقمرته في الصباح الباكر من يوم ١٤ تموز ١٩٥١، شيئاً يتحرك صوب البحيرة بسرعة، خاله زورقاً مسرعاً فاخطف آلة التصوير وأسرع الى الشل ليلتقط صورة للوحش وهو لايعد اكثر من خمسين ياردة من الساحل وكانت النتيجة ان اظهرت الصورة الفوتوغرافية ثلاث حذبات واضحة... وبعد اربعة اعوام كان بيتر ماكناب، مدير احد المصارف، في طريق عودته من عطلة قضاها في شمالي اسكتلنده ولما كان يصعد بسيارته قلعة اركوان شاهد في هدوء ودفء ظهيرة ١٩ تموز ١٩٥٥ اضطراباً في الماء الراكد قرب القلعة فاخطف على الفور آلة التصوير والتقط صورة فوتوغرافية اضيفت الى الصور التي التقطها الطبيب الجراح والحطاب واعتبرت احدي اللقطات التقليدية للوحش. كان بيتر متردداً وخائفاً من السخرية فلم يظهر الصورة الا في عام ١٩٥٨ اي بعد مرور ثلاث سنوات وكان الاهتمام بالموضوع قد احياه قبل ذلك افضل كتاب عن الوحش وهو كتاب (اكشر من اسطورة) الذي نشر في عام

١٩٥٧ لمؤلفته كونستانس وايت وهي زوجة مدير قناة كالدونيان وازداد اهتمامها بالوحش عندما طلب منها ان تكتب مقالة عنه في مجلة عملية حيث قابلت كل من صادفتهم من شهود واخرجت اول دراسة شاملة للدالة بعد كتاب روبرت غولد عام ١٩٣٤ . لقد اثار كتابها هذا اهتماماً واسعاً وغرقت المؤلفة بالمراسلات فعادت تارة اخرى اخبار وحش بحيرة نيس وكل ما فعلته السيدة (وايت) في بحثها الدقيق انها فندت الفكرة القائلة ان الوحش كان مزحةً أو من اختلاق مؤسسة السياحة الاسكتلندية وكل من يقرأ كتابها لايساوره ادنى شك في حقيقة وجود الوحش وانه يظهر نفسه بشكل متكرر. ونتيجة لذلك ظهر مباشرة جيل من «صيادي الوحوش» وكان احدهم فرانك سيرل، مدير مؤسسة للفواكه في لندن. لقد اشترى كتاب كونستانس وايت وقرر في عام ١٩٥٨ ان يجيم قرب بحيرة نيس ومنذ ذلك الحين اخذ يتردد مرات عديدة. وبينما كان يتحدث مع بعض الواقفين على رصيف للمشاة قرب انفر مورستن، ابصر جسماً داكناً يخترق سطح الماء وادرك انه شاهد الوحش.

كان استمتاعه بالوحش كبيراً لدرجة أن ترك خيمته في عام ١٩٦٩ ونصب اخرى قرب بحيرة نيس حيث مكث فيها اربع سنوات اخرى. وشاهد، في آب ١٩٧١ ذيل الوحش الغائص على مقربة منه وكان انطباعه عنه انه يماثل ذيل التمساح الامريكى ذي الاقدام السبع الداكن من الاعلى والناعم والأبيض من الاسفل. التقط اول صورة للوحش في تشرين الثاني ١٩٧١ وظهرت فيها حذبة معتمة في دوامة ماء واعترف انها لم تكن صورة نهائية حيث حصل، في السنوات الخمس التالية، على احسن عشر صور فوتوغرافية التقطت للوحش حتى ذلك الحين ظهر في احدها ما يشبه ربة الاوارة وظهرت في الاخرى الرقبة مع احدى الحذبات وقد نشرت هذه الصور في كتابه الموسوم «نيسي وستوات سبع من البحث عن الوحش» الذي صدر في عام ١٩٧٦ . وابتان ذلك اوضحت خيمته

التي تشرف عليها مؤسسة السياحة الاسكتلندية قبلة للزائرين وذكر في عام ١٩٧٥ انه استقبل نحواً من خمس وعشرين الف زائر في غضون ثمانية اشهر . وفي السابع من حزيران ١٩٧٤ وافقته زائرة من كويك ولحا منظرأ لاينسى فحالما اقتربا من سياج اسلاك شائكة قرب (فيورز) لفت انتباهها صوت تائر ماء فزحفا تحت السياج وطفقا يحدقان من خلاله فشاهدا اغرب مخلوقين رأته اعينهما . كانا طولهما يناهز القدمين ولونها رمادي قائم يشبه جلد الغيل الصغير ولهما رأسان صغيران وعينان نائمتان ورقبتان طويلتان وجسمان ممتلئان وذيلان يشبهان الاعمى ملفوفان على طول جسميهما وعندما حاول فرانك سيرل والفتاة التي ترافقه اختراق السياج اسرع المخلوقان الصغيران بالابتعاد بحركة تشبه حركة سرطان البحر وغاصا في البحيرة في غضون ثواني . يقول نيكولاس ونشل في كتابه الموسوم «قصة بحيرة نيس» الذي ربما يعد افضل ما كتب عن الوحش : «من المؤسف انه لمن السهل برهنة الحقيقة القائلة ان الصور الفوتوغرافية التي التقطت عام ١٩٧٢ قد زورت» واخرج السيد سيرل سلسلة اخرى مطابقة لللقطات الاصلية في كل المجالات التي ظهر فيها حدة اخرى ادخلت بعملية تركيبية أو باعادة تصويرها ويقول ونشل : «وبسبب المحتوى العالي المشكوك فيه في بعض الصور الفوتوغرافية التي صورها سيرل وتضارب الاراء المحيطة بالتقاطها فليس من الممكن قبولها صوراً اصلية لأجسام حية في بحيرة نيس» . وقرأ مهندس الطيران ، تيم دنسدل ، مقالاً في عام ١٩٥٩ عن الوحش في مجلة «افري بندي» مما اثار اهتمامه وقضى اغلب ذلك الشتاء وهو يقرأ كل ما يقع في يديه عنه . واطلع في شهر شباط على الصورة التي التقطها الطبيب الجراح فلاحظ فيها دائرة امواج اقنعت ان الوحش حقيقي .

وفي نيسان من تلك السنة شد دنسدل الرحال شطر بحيرة نيس لاصطياد الوحش بيد انه قضى خمسة ايام دون ان يشاهد فيها شيئاً وفي اليوم الذي سبق

عودته لاحظ، حال وصوله الفندق في فويزر، شيئاً ما في البحيرة وعندما استخدم منظاره رأى حذبة فأخذ آلة التصوير السينمائية وطلق يصور الوحش وهو يعوم بعيداً ثم يتجه شطر حافة البحيرة وعندما بلغها دنسدل كان المخلوق قد توارى. غير ان دنسدل تمكن من تصوير شريط بطول خمسين قدماً يظهر فيه الوحش متحركاً وعندما عرض على شاشة التلفاز اثار اهتماماً واسعاً ويقول (وتشل) ان هذا يشير الى مرحلة جديدة من قصة الوحش. بدأت اول بعثة علمية الى بحيرة نيس في حزيران في تحقيق مدته شهر. كانت تضم ثلاثين متطوعاً مع مقياس العمق الصوتي بالاضافة الى مجموعة الآت التصوير وشهدت في تموز حذبة بطول عشرة اقدام وتعقب مقياس العمق الصوتي جسماً ضخماً وهو يغوص في السطح الى عمق ٦٠ قدماً ثم يعاود الصعود واماطت البعثة اللثام عن اسراب ضخمة من سمك الشار في عمق مائة قدم مما يدحض الشكوك القائلة ان البحيرة لا تخوي اسماكاً كافية لبقاء الوحش وكانت نتيجة بحث البعثة ان هنالك سمكاً كافياً لعدة وحوش. لم يتحقق لمنظم البعثة، الدكتور دينيس دكر من المتحف البريطاني للتاريخ الطبيعي ما اراده فقد نحي من منصبه والسبب كما يعتقد انه اعرب عن ايمانه جهراً في وجود الوحش، واضحى دنسدل صديقاً حميماً لـ (نوركول ماكليود) الذي سبق ان شاهد الوحش، في شباط ١٩٦٠ خارج سطح الماء واعترف ان الرعب قد تملكه من حجمه الذي قدره بين (٤٠ - ٦٠) قدماً، ومن رقبته الطويلة التي تماثل جذع الفيل وهو يتحرك يميناً وشمالاً صعوداً ونزولاً ويجدف من الامام والخلف.

شاهد ماكليود الوحش مرة اخرى في آب ١٩٦٠ قرب الشاطيء حينما كانت عائلة مدير شركة (آر. هـ. لوري) في رحلة لها باليخت حيث شاهدوا الوحش على مقربة منهم مدة ربع ساعة واخذوا له بعض الصور الفوتوغرافية. ظلوا في بادئ الامر انه الوحش قادم اليهم وعلى وشك الاصطدام بهم لكنه غير

اتجاهه وتواري عن الانظار. وتقدم السيد بيتر سكوت وربشارد فتر من جمعية فنونا للوقاية بطلب الى عضو البرلمان، ديفيد جيمس، وناشده لمساعدتها في الحصول على عون حكومي لاجراء محاولة لمعرفة ما هو موجود فعلاً في بحيرة نيس. قررت هيئة المحلفين، في نيسان ١٩٦١، ان هنالك ادلة كافية لاجراء تحقيق حول بحيرة نيس وكانت نتيجة ذلك تشكيل (مكتب للتحقيق في ظاهرة بحيرة نيس) وهو مؤسسة خيرية، وفي تشرين الاول تم نصب اثنين من الانوار الكاشفة لمسح البحيرة كل ليلة مدة اسبوعين فكشفت ذات يوم جسماً يشبه الاصبع بطول ثماني اقدام يقف فوق الماء. قام فريق آخر، في عام ١٩٦٢، باستخدام السونار وصوروا عدة اجسام ضخمة وكانت تسجيلات السونار قد سبقت ظهور الوحش من سطح الماء. اخضع الفلم في عام ١٩٦٦ للتحليل في استخبارات القوة الجوية التي اشارت الى ان الجسم المصور هو بالتأكيد ليس بزورق أو غواصة ثم اخضعه للتحليل خبراء وكالة ناسا في جهاز تعزيز الصورة الالكتروني واكتشفوا ايضاً ان هنالك جزأين آخرين من الجسم اخترقا سطح الماء قرب الحدبة الرئيسية. ظهر، في آب ١٩٦٢، صياد آخر للوحش وهو (أف. و. هوليداي) الذي اوقف شاحنته قرب البحيرة في الشاطئ الجنوبي قبالة قلعة (اركوارت) وعندما حل المساء تملكه شعور ان بحيرة نيس ليس مكاناً اعتيادياً للسكع، وبعد ليلتين تناهى الى سمعه، في سكون الليل، صوت تصادم الامواج وهي تتكسر على الساحل الصخري بالرغم من عدم وجود صوت محرك زورق، وبعد يومين تمكن من رؤية اول مشهد للوحش فعندما كان على قمة تل قريب من البقعة التي صور فيها (دنسدل) شريطه عام ١٩٦١ رأى، على حين غرة، جسماً اسوداً متلألئاً يرتفع عن الماء بثلاث اقدام ثم غاص بحركة تشبه عوم فرس النهر وما برح يشاهد هيئة الحيوان فوق الماء وقدر طولُه بنحو من ٤٥ قدماً فاضطر الرجل الى الطرق على أحد الدعائم المجاورة فاخفى المخلوق، ومنذ ذلك الحين طلق هوليداي يتردد الى البحيرة كل عام ولكن لم مجالفه الحظ

طيلة عامي ١٩٦٣ ، ١٩٦٤ ثم شاهده مرتين في عام ١٩٦٥ ففي المرة الاولى
رآه يبدو كقارب مقلوب من ثلاثة مواقع مختلفة وعندما اسرع بسيارته بمحاذاة
البحيرة شاهده بشكل افضل ، خلص بعدها الى نتيجة عن طبيعة الوحش وهي
انه ببساطة ليس الا نسخة عملاقة من يرقة الحدائق المنتشرة التي هي من اسلاف
الخباز أو الاخطبوط . وبرهن هوليداي ، في كتابه الموسوم (دودة بحيرة نيس
العظيمة) ان الوحش هو نوع من «الفريغاريوم» الذي هو مخلوق يشبه الى حد
قليل الغواصة وذو ذيل عريض واعتقد ايضاً ان هذه الوحوش كانت في السابق
اكثراً وفرة في الجزر البريطانية واشتهرت بانها ديدان وانها سبب اسطورة التنين
وفي الكتاب صورة فوتوغرافية لشبه جزيرة تدعى (رأس الدودة) في (ساوث
ويلز) ويقول انها سميت بهذا الاسم لأنها تشبه دودة الاسطورة ودودة بحيرة
نيس . قابل هوليداي ، في عام ١٩٦٣ ، اثنين من صيادي السمك شاهدهما
الوحش من مسافة (٢٠) أو (٣٠) ياردة وقال احدهم ان رأس الوحش ذكره
برأس الكلب البلدوغ الضخم حيث كان عريضاً وبشعاً جداً ويعلمو رقبتة هدب
يشبه الشعر الاسود الخشن .

اشار هوليداي ، في خطابه الى دنسدل ، قائلاً : «عندما يصادف الناس هذا
الحيوان المثير عن كثب يتملكهم الرعب ، ثمة شيء غريب في وحش نيس ، ليس
بذي صلة بحجمه أو مظهره . امرغريب ، اليس كذلك؟» لقد اثار الوحش
فضول العديد من الناس الذين شعروا بالرعب عندما لمحوه . ترى لماذا ترتبط
القناني والديدان غالباً بالطاقات الشريرة في ميثولوجيا القرون الوسطى؟ اخذ
شعور هوليداي يتفاقم فليس من قبيل الصدفة ان تكون الوحوش صعبة على
التصوير الفوتوغرافي . وذات مرة اختفى الرأس الذي يصوره حالما وضع اصبعه
على زر آلة التصوير وفي هذه الحالة أما أن الوحوش تمتلك شعوراً تخاطرياً
بالحذر من ترصد الانسان أو ان لها علاقة بما يسميه يونغ التزامنية أو التصادفية

المقصودة. وسبق هوليداي، المراسل الصياد، ان شاهد الاطباق الطائرة ومكنسة الشبح الضاح واثار اهتمامه ان دار (بولسكن) الكائنة قرب فيورز كان يستأجرها الساحر المشهور اليستر كروبي في السنوات الاولى من القرن العشرين والذي كان متدباً لإجراء طقوس (ابراملين) السحرية المطولة، وادعى كروبي نفسه ان البيت كان يعج بالارواح الوهمية عندما كان يجري الطقوس التي تستمر شهوراً عدة حيث كانت هذه الارواح تدفع سائق السيارة الى معاقرة الخمر وتدفع المتبصر الى المتاجرة بشرفه، وقد فشل كروبي في اتمام الطقوس. . . ويرى هوليداي ان الحظ العائر قد رافقه منذ ذلك اليوم وبرغم انه لم يصرح بها فانه كان يستمتع بالشك الذي يحوم حول الوحش من ان كروبي قد سحره، وكان يعتقد انه ضرب من السطابق أو التزامن الذي يعاود ظهور مخلوق مرتبط بروح شريرة قرب دار (بولسكن) في (فويرز) ويعتقد ان الغرابة في الموضوع ان يعثر طلبة امريكان قاموا باكتشاف مقبرة قرب دار (بولسكن) على نسيج مزخرف ومواقع محار تحت لوح احد القبور. والنسيج، الذي قد يكون من اصل تركي، قد طرزت فيه رسوم مخلوقات تشبه الدودة ولم يعلوه العفن الفطري مما يوحي انه قد دفن منذ امد قريب ويشك هوليداي انه قد تم استخدامه في بعض الطقوس السحرية وان هذه الطقوس الغيب على حين غرة عندما دخل شخص ما فناء الكنيسة ويبدو الامر كأن سحراً اسود لم يزل يمارس قرب دار (بولسكن). ذهب هوليداي، بعيد ذلك، لتناول العشاء مع صديق له قرب بحيرة نيس وقابل هناك امريكياً يدعى الدكتور (دي) الذي كان في انكلترا يفتش عن شجرة عائلته فأخبره الدكتور (دي) انه اكتشف ان احد اسلافه في العصر الاليزابيثي يكتى بالاسم نفسه وثمة مصادفة اخرى وهي ان (جون دي) الساحر الاليزابيثي قد نشر طقوس «ابراملين».

ووصف هوليداي، في رسالة كتبها إلي في عام ١٩٧١، انه وجد نفسه في

احد الايام يشاهد كلمة (دي DEE) بحروف صفراء كبيرة حيث كانت (البلدوزرات) المنهمكة في توسيع الطريق قد قشطت التربة المناسبة الى البحيرة وشكلت التربة الصفراء النصف العلوي من الحروف بينما شكل انعكاس النصف الاعلى من المياه الساكنة، الجزء السفلي من الحروف. وخلص هوليداي الى استنتاج غريب حول وحش البحيرة حصل نتيجةً لتحققات اجراها في ايرلنده عام ١٩٦٨ حيث تظهر وحوش كثيرة في البحيرات في «غالواي» تماثل الى حد بعيد وحش بحيرة نيس شاهدها اناس نقاة منهم اثنان من القساوسة. وفي احدى المرات اخفق هوليداي، بعد مضي اسبوعين من المراقبة الدقيقة التي بلغت محاولة اصطياد الوحش بشبكة في بحيرة «ناهوين»، في العثور على اي دليل على وجود الوحوش وما حيره ان البحيرات الايرلندية اصغر جداً من اعالة وحش بطول خمس عشرة قدماً وشرع يسأل هل كان المخلوق كائناً من لحم ودم؟. يعتقد يونغ ان الاطباق الطائرة هي تصور من العقل اللاواعي للانسان وان الانسان المعاصر يحاول اعادة خلق الرموز الدينية المفقودة ويسأل هوليداي أيعقل ذلك؟ أيعقل ان وحوش البحيرة هي ضرب من التصور؟ لقد تحلى هوليداي، بحلول عام ١٩٧١، عن فكرة ان وحوش البحيرة هي مجرد بقايا ما من قبل التاريخ ثم عاد الى وجهة النظر الشاذة التي تفيد ان ثمة تأثير في العمل بحول دون التوصل الى حل نهائي للغز تماماً كما هي الحال في الاطباق الطائرة، بيد أن هذا الرأي نال قسطاً من التأكيد في عام ١٩٧٢ عندما اطلع على مناظرة صحفية بين رجل الدين (دونالد اومانند) وخصم يعتقد ان وحش نيس هو مجرد حيوان مجهول الهوية، كان (دونالد) قد ورث من اسلافه حاسة الاستبصار (التنبؤ) ولا يساوره ادنى شك في حقيقة وجود الطاقات الشريرة أو المؤذية وغالباً ما كان يتعوذ للتخلص منها وقد لمح الوحش اول مرة في بحيرة «لونغ» في روس شاير عام ١٩٦٧، وفي حزيران ١٩٦٨ كان يقود زورقه في فيورد بالترويج وشاهد وحشاً آخرأً مبعماً شطره فاخبره القبطان الترويجي الذي كان

برفقته الا بخاف قائلاً: «لن يتعرض لنا، فهم لا يؤذون احداً». وفي الحقيقة ان الوحش قد غاص قبل ان يصل الزورق بيد ان القبطان «جان اندرس» كان مقتنعاً ان هذه الوحوش شريرة اصلاً وانها تسبب الاذى لشخصية الانسان أو الى روحه كما يقول دوماند.

حضر دوماند، في عام ١٩٧٥، مؤتمراً للطب النفساني تحدث فيه طبيب نفساني سويدي بارز عن وحش بحيرة «ستور سجون» وذكر انه على قناعة ان هذه الوحوش ذات تأثير حاقد في الكائنات البشرية خاصة في اولئك الذين يصطادونها أو يتصيدونها بانتظام ويعتقد ان تأثيرها قد يسبب مأساً داخلية وانحطاط خلقي لذلك آمن اوماند بالنظرية القائلة ان وحوش البحيرات ربما ليست بمخلوقات حقيقية وانما اسقاطات لشيء من زمن ما قبل التاريخ . . . كتب هوليداي رسالة الى اوماند وكانت النتيجة ان مضى الاثنان الى بحيرة نيس في حزيران ١٩٧٣ وجدفا معاً وسط البحيرة واستعدوا اوماند للبحيرة وذكر هوليداي انها شعرا بالاعياء عندما انتهت التعويذة وتعززت شكوكه في وجود قوى خطيرة. وبعد يومين مضى هوليداي لقضاء ليلة مع قائد جناح متقاعد يدعى كاراي وشرع يتحدث لزوجته كاراي عن صحفي سويدي يدعى (جان اوف سند برج) الذي كان يتجول في غابات خلف فوبزر وشاهد مركبة غريبة في فحة خالية من الاشجار وبعض الرجال غربيي المظهر ثم اقلعت بسرعة كبيرة وعند عودته الى السويد ازعجه رجال يرتدون الملابس السود ويدعون انهم موظفون وغالباً ما يضايقون اولئك الذين على اتصال بالصحن الطائرة، ويقول هوليداي انه قرر الذهاب لرؤية معط المركبة وحذرنه السيدة كاراي من ذلك وفي تلك اللحظة طرقت سمعها صوت ضارب يشبه الاعصار خارج النافذة وموجات من الضربات العنيفة وثمة شعاع من الضوء دخل من النافذة وتركز على جبهة هوليداي، وبعد هنيهة سكن كل شيء والغرابة في الامر ان السيد

كاراي الذي كان يصب الشراب على مسافة اقدم قليلة من زوجته لم يسمع أو لم يشاهد شيئاً. وفي صبيحة اليوم التالي شاهد هوليداي، وهو يسير صوب البحيرة، رجلاً متشحاً بالسواد، بها فيها نظارة وخوذة، ويقف بالقرب منه وعندما اجتازه التفت وشاهد ما أدهشه فلقد توارى ذلك الرجل فاسرع هوليداي الى الطريق ناظراً في كل الاتجاهات فلم يكن ثمة ملتجئ. يمكن ان يقصده الرجل. وفي السنة التالية اصيب هوليداي. في نفس المنطقة تقريباً، بنوبة قلبية وعندما نقل بعيداً نظر في جانب النقالة انهم قد اجتازوا لحظئذ البقعة المحددة التي رأى فيها الرجل المتشح السواد. وبعد خمس سنوات توفي هوليداي متأثراً بنوبة قلبية. وقبل وفاته بسنة تقريباً ارسل لي نسخة مطبوعة على آلة كاتبة من كتابه «عالم الجن» الذي حاول فيه تبرير المشاهد الغريبة التي جمعها تدريجياً منذ شروعه بتصيد وحش نيس وقد ناقشها في كتابه الثاني «التنين والقرص» الذي يربط فيه بين اقراص الصحون الطائرة والديدان كرموز للخير والشر ثم ادهشني انه غير رأيه في نشر الكتاب وأشك ان وراء ذلك سببين، فقد كان فريق التحقيقات من اكااديمية العلوم التطبيقية في مؤسسة (ماسا شوست) للتكنولوجيا، برئاسة الدكتور روبرت. هـ. راينز، قد التقط صوراً فوتوغرافية متميزة تحت الماء في عامي (١٩٧٢ - ١٩٧٥) وظهر في احدى صور عام ١٩٧٢ جسم واضح يشبه الزعنفة الكبيرة ربما بطول ثماني اقدام بينما ظهر في احدى صور عام ١٩٧٥ مخلوق واضح طويل الرقبة وله زعنفة امامية وكان هذا امراً مؤثراً ذلك ان دليل السونار الذي هو موجات فوق صوتية منعكسة ومرتدة من المخلوق اوضح ان هذا ليس خطأ صوتية أو قطعة حطام طائفة أو طفيليات بحيرة. وربما خشي هوليداي، في الوقت الذي فكر بنشر كتابه «عالم الجن» من احتمال تحطئة افكاره بظهور برهان جديد يثبت الوجود الحقيقي للوحش بعيداً من كل الشكوك، وخلاصة كتاب «عالم الجن» لم تكن دقيقة كما يجب فقد كان يحاول تفسير تغير وجهات نظره بشكل مروع منذ عام ١٩٦٢ وقضى وقتاً طويلاً يمعن النظر في

الخوراق، وعلى اية حال قرر الا ينشر الكتاب. وكتب نسخة مطبوعة اخرى عن وحوش البحيرات (نشر كتاب «عالم الجن» مؤخراً في امريكا) وهذا تفسير لفعاليات هوليداي قد يبدو على درجة من الاستطراء، ويوضح، في الوقت ذاته، المعاناة الكبيرة التي تحملها صيادوا الوحش في السبعينات والثمانينات وعندما كتب غولد كتابه عام ١٩٣٤ بدا مفتاح حل مشكلة الوحش وشيكاً لكنه استبعد بعد ذلك وكان كتاب كونستانس وايت قد انعش موضوع اللغز، وعندما اشترك مكتب تحقيقات بحيرة نيس مع فريق أكاديمية العلوم التطبيقية وقاموا باستخدام احدث التجهيزات العلمية لاح اللغز كأنه يوشك ان يحل الى الابد، ولم يستفز الامر الى دليل قاطع حتى وقت كتابة هذا الكتاب، اي بعد احد عشر عاماً على الصورة التميزية للوحش تحت الماء. اختتم نيكولاس وتشل كتابه «قصة بحيرة نيس» عام ١٩٧٥ بفصل عنوانه «الحل» وصف فيه بهجته عندما اتصل به راينز من امريكا ليصف له الصورة الملونة للوحش قنائلاً: «سيفقد العالم، مع التصديق الرسمي لاكتشاف الحيوانات في بحيرة نيس، احد اكثر الغازة شيوعاً»، وأوضح انه من غير المقبول الان الاعجاب بقصر نظر المؤسسة العلمية لنظرتها المشككة نحو بحيرة نيس. ويتضح اليوم ان وتشل كان متعجلاً في رأيه فما انفك اغلب الناس يعدون قضية وجود الوحش قائمة وما برح غالبية العلماء يعتبرون الموضوع برمته ضرباً من المزاح. وفي عا ١٩٧٦ نشر ردي ماكال، مدير مكتب تحقيقات بحيرة نيس وبروفسور علوم الاحياء في جامعة شيكاغو، أكمل التفسيرات العلمية واكثرها اتزاناً حتى ذلك الحين بعنوان «وحوش بحيرة نيس» وتفحص بدقة بالغة البراهين ومع ذلك خلص الى انه قد ثبت الان ان كائنات من الحيوانات المائية تقتات على الاسماك في بحيرة نيس، واذا كانت المؤسسة العلمية راغبة في تغيير رأيا فلا بد ان يغيرها هذا الكتاب بالرغم من عدم ظهور تأثير فعلي، واتضح شيء واحد وهو ان تشاوم هوليداي من الوحش ليس له ما يبرره وحتى في الوقت الذي كتب فيه كتابه «التنين والقرص» كان راينز يلتقط

احسن الصور الفوتوغرافية للوحش داخل الماء. وهكذا يلوح ان ثمة سبباً يدعو الى الاعتقاد ان العالم سيتمكن في نهاية المطاف من حل قضية اثبات وجود الوحش بشكل لاترقى اليه الشكوك وتتلخص معضلات الامساك بالوحش سواء في فلم أو شبكة في الوصف الذي كتبه دينس ستاسي من سان انتونيو في ولاية تكساس عن مصادفته لـ (وحش نيس):

«ذهبت في عام ١٩٧٢ الى البحيرة للبحث عن وحش نيس وكانت فكرتي ان اُخيم بمحاذاة الشاطئ لما يقارب الاسبوعين واشاهد ما يمكن مشاهدته وكان يساورني شعور فطري بالشفقة اني سأرى الوحش والتقيت ببعض طلبة جامعة اكسفورد الذين كانوا يمضون عطلتهم هناك وبقيت معهم قرب (درومنا روشيت) وكنت في كل يوم اخطف آلة التصوير وأيمم شطر حافة البحيرة واشاهد المناظر الخلابة ما خلا احد الايام الذي كان فيه الجو بارداً وكثير الرذاذ حيث سرنا جميعاً بين اشجار الصنوبر وتحوّلت بعدها برفقة طالبة مبتعدين عن الآخرين واتجهنا صوب البحيرة وبينما نحن تحت الاشجار صفت السماء بشكل ليس له نظير وسكنت الريح وعندما بلغنا البحيرة كانت السماء صافية كالمرآة وظهر وحش بحيرة نيس، على بعد ثلاثة ارباع الميل عبر البحيرة، برقبته التي يقارب طولها ستة اقدام ورأسه فوق الماء وثبتنا فوق صخرة صغيرة واطنة مظلة على الطريق وشاهدناه معاً في اللحظة ذاتها وتعثرنا حتى تصادمت اكتافنا ونحن نشير اليه وكل منا يقول للآخر: «انظروا! هل ترى الذي اراه؟» كانت آلة التصوير قياس ٣٥ ملم ليست معي أما مرافقتي فقد كانت تحمل آلة تصوير صغيرة من طراز رخيص وكان الوقت مناسباً لأخذ لقطة ولكن كل ما ظهر في الصورة اثر ابيض في الماء على بعد مائة قدم تقريباً خلفه وحش نيس «او مهما كان ذلك» الذي ظهر واضحاً اراه انعكاس صور الاشجار الاسود في الجهة المقابلة من البحيرة. انه نيسي نفسه وكان رأسه على شكل زاوية كما وصفوه ويقول البعض

انه يشبه الحصان وله شكل الوند وانه اشبه برأس الافعى ذات الاجراس على شكل خرطوم مربع ينحرف الى الخلف بشكل واضح نحو الفكين وطول الرقبة فوق الماء بما فيها الرأس خمس الى ست اقدام والانطباع الذي يؤخذ عنه كالانطباع الذي يؤخذ عندما تنشر الافاعي والعناكب رواثها الخاصة التي ليس فيها خطورة على احد كقوة، والذي اعتبه انه قد خلف فعلاً اثرأ في الماء وهو يرفع موجة صغيرة على كل جانب من رقبته وبين الفينة والاخرى يرفع رأسه الى الاعلى ويخفضه الى الاسفل ثم يجني رأسه. كان يلتهم طعاماً حيث ينزل الجزء الاسفل من الفك الى الماء مباشرة بيد انه في الحقيقة ابعده من ان يتم التأكد من ذلك بشكل مطلق وعندما يتاور بالحركة فان الرأس يلوح للعيان متأرجحاً من جانب الى آخر. كان يعوم عندما شاهدناه اول وهلة وبعد ما لا يزيد على الدقيقة غاص بسهولة الى الاسفل في الماء كالشخص النازل في ممر دائري للتزحلق على الثلج أو كما تغطس الغواصة في الماء. وكل الكلام الذي سبق هو رسالة الى المؤلف (كولن ولسن) بتاريخ ٢٠ ايلول ١٩٨٠ ويشير هوليداي ان بعض النقاط التي وردت في هذه القصة تعزز آراءه المشابهة لآراء يونغ، كان دينيس ستاسي قد توقع ان يرى الوحش ولكن الحظ لم يحالفه عندما كان يجوب البحيرة بألة تصويره، وصادف في احد الايام ان قرر ترك عملية المراقبة وبقيناً ان الوحش كان يراس احد لعب يونغ في الاحتفاء ومع ذلك فكلنا يساوره الشعور ذاته في ان هنالك ايام سعيدة وايام غير سعيدة وكل شيء يسير على ما يرام أو العكس، وتجربنا الفطرة ان هذا شيء غير موضوعي فوجهة النظر التشاؤمية توقظ مستوى جديداً من الحذر والاحتراس يعجل في حدوث المشاكل ويتضح من رواية ستاسي أو روايات الآخرين في الصفحات السابقة هو ان مخلوق بحيرة نيس يظهر على سطح الماء بشكل متكرر وخاصة في الايام الهادئة ومادام العلم قد ابتكر وسائل للكشف عن وجود الطائرات والقذائف المسيرة بمحرك نفاث وهي في الجو وعن الغواصات وهي تحت الماء فيقينا أنه من السهل تصميم نظام

للكشف عن كل الاجسام التي تتحرك على سطح بحيرة نيس في الايام الهادئة
وتصويرها بشريط واليوم في عصر اشعة اليزر والمراقبة الالكترونية يلوح من
غير المفيد ان نتظر فرصة مشاهدة الوحش كالتي وصفت في اعلاه ويتضح ايضاً
ان محاولات اصطياده بواسطة الزوارق التجارية والقوارب والطائرات المروحية
والانوار الكاشفة هي فاشلة بحد ذاتها ما دامت تسبب ازعاجاً يدفع المخلوقات
للإختفاء في البحيرة وعندما يتم تحديد هوية الوحش وتصنيفه علمياً فانه
يقيناً سيكون ثمة ضرب من الهبوط المفاجيء وستفقد بحيرة نيس اكثر صناعتها
السياحية في ضربة واحدة ونصف الاثارة في الوحش تعود الى فكرة انه مرعب
وخطير وفي الحقيقة ان كل الادلة قد اشارت الى ان الوحش مثل الحيوان
الاسطوري «الحوت القاتل» سيثبت في النهاية انه خجول وانيس وهاديء ولا
يؤذي الانسان.

فولكانيلي والغاز السيمياء

ظهرت في باريس، في خريف عام ١٩١٦ ، طبعة محدودة من كتاب موسون «الغاز الكاتدرائيات» سمي مؤلفه في صفحة بـ فولكانيلي فقط وقد كتبه رجل يدعي انه يمتهن السيمياء (الكيمياء القديمة) فكان كتابه هذا في صيغة خطاب وجهه الى اتباعه السيميائيين . وفحوى نظريته ان الكاتدرائيات القوطية ليست مجرد معابد للديانة المسيحية وانما «كتب من حجر» تحتوي صفحاتها على اسرار الكيمياء ورموزها ويرى فولكانيلي ان كلمة قوطي ليست مشتقة من الشعب الجرمانى المعروف بالقوطي وانما من كلمة (اركون) التي تعني اللغة التي يستخدمها اولئك الذين لا يرغبون في ان يفهم الآخرون كلماتهم .

شرح في فصول الكتاب الآخر «الاسرار الحجرية» لكاتدرائيات نوردام دامينز وبوركز، وكتب مقدمة الطبعة الاولى شخص يدعى (يوجين كانسليت) اوضح فيها ان سيده، مؤلف الكتاب، مخف الان، فهذا الانسان الذي بلغ من المعرفة اوجها، لا يمكنه ان يعصي اوامر القدر: «لا فولكانيلي بعد اليوم» .

يشكر بعدها كانسليت الفنان جوليان شيمان الذي انتدبه سيده لتخطيط الرسوم التوضيحية لكتابه . وبالرغم من نشر الكتاب في طبعة من ثلاثمائة نسخة فان شهرته قد اضطردت في الانتشار الامر الذي تطلب نشر طبعة اخرى في عام ١٩٥٧ . اعترف كانسليت في مقدمته الجديدة ان فولكانيلي هو اسم مستعار اختاره سيده لاختفاء هويته وقد استشهد برسالة طويلة من فولكانيلي الى سيده يهنئه فيها على تحقيقه اخيراً (هدية الرب) أو العمل العظيم وهو حجر الفلاسفة في السيمياء . وعندما ترجم الكتاب الى الانكليزية في عام ١٩٧١ تضمن مقدمة اخرى كتبها وولتر لانك وهو الاسم المستعار لادوارد كامبل اعلن فيها انه قابل كانسليت وعلم انه قد شاهد فولكانيلي بعيد حادثة اختفائه في عام ١٩٢٢ وبالرغم من ان المقابلة تمت بعد ثلاثين سنة من الاختفاء فان كانسليت يذكر ان

سيده كان يبدو اصغر بثلاثين سنة من آخر مرة رآه، كان فولكانيلي، في عام ١٩٢٤، في العقد الثامن من عمره والان يبدو بعمر الخمسين والاغرب من ذلك ان فولكانيلي يرتدي زي امرأة في هذه المرة. وفحوى القصة ان كانسليت تسلم اخطارات من فولكانيلي وقام برحلة الى هضبة في الجبال حيث استقبله هنالك فولكانيلي بزبه النسائي الاعتيادي.

وبعيد ايام نزل كانسليت، مع تباشير الصباح الباكرة، ووقف في الباحة فشاهد مجموعة من ثلاث نساء يرتدين ازياء القرن السادس عشر وعندما مررن بالقرب منه مبرز من بينهن فولكانيلي وتذكر كانسليت ان احد الرموز الاساسية للسيمياء هو التخث الذي يستخدم في بعض الاحيان رمزاً «للعمل المتكامل» الذي هو الحصول على حجر الفلاسفة.

تري هل اخبره فولكانيلي انه قد حقق الان هدف الحياة؟. عندما ظهر كتاب (لغز الكاتدرائيات) باللغة الانكليزية كان فولكانيلي قد بلغ منزلة اسطورية كما هو حال (الكونت دي سانت جيرمان) وذلك كان يعزى بشكل كبير الى الدور الذي لعبه في عمل اكثر رواجاً وهو كتاب (صبيحة السحرة) الذي ألفه لويس بولز و جال بيرغر في عام ١٩٦٠ وقد ادى بشكل كبير الى احياء السحر في الثلاثينات. يقول بولز ان صديقه بيرغر افضى لأستاذه عندما كان يدرس الكيمياء في عام ١٩٣٣ عن رغبته في دراسة السيمياء لكن طلبه هذا رفض على الفور فادعى الطالب ان احد اشكال السيمياء -الطاقة النووية- يمكن التوصل اليها لكن الاستاذ اكد له استحالة الامر ومع هذا واصل بيرغ دراسة السيمياء. عمل بيرغ من عام ١٩٣٤ حتى ١٩٤٠ مع اندريه هيلروتر الفيزيائي البارز الذي توفي في (بوشنولد) ولم يصادف بيرغر من بينهم أي كيميائي حاذق. . . ان الرجل الذي نتحدث عنه قد اختفى في وقت سابق دون ان يخلف أي اثر ملموس يشير الى انه يمجا سراً وقد انقطع كل اتصال بينه وبين القرن الذي عاش

فيه . . ولا يظن بيرغر الا انه الرجل الذي كتب، مستعيراً اسم فولكانيلي، كشافين غربيين جدريين بالاعجاب هما «الفلاسفة» و «لغز الكاتدرائيات». . . يروي بولز كيف تهباً لبيرغر، في ظهيرة أحد ايام حزيران من عام ١٩٣٧، انه في حضرة فولكانيلي وطلب هيلبروبر من بيرغر ان يقابل «السيمبائي» في مختبره (غاسورد) في باريس. اخبره ان بحوث هيلبروبر في الطاقة النووية كانت قاب قوسين او ادنى من النجاح ثم قال له: - ان البحث الذي تعمل انت وزملائك به مخوف بالمخاطر الرهيبة لكل الجنس البشري فالنشاط الاشعاعي قد يسمم الغلاف الجوي المحيط بالكوكب وان غرامات قليلة من المعدن تنتج طاقة تكفي لتدمير مدينة عن بكرة ابيها. فالسيمبائيون عرفوا ذلك منذ امد طويل. ثم التقط كتاب تفسير الراديوام لمؤلفه (سودي) وقرأ بصوت عال فقرة تقول ان الحضارات السابقة (اطلنطس) قد دمرها اشعاع ذري.

بيد ان الجزء الاكثر امتاعاً من الرواية هو اجابة السيمبائي عن سؤال بيرغر حول طبيعة بحوثه فهو يقول:

«استطيع ان أروي لك الكثير عن هذا: فمثلاً انت تدرك ان دور المراقب العلمي في العالم الرسمي هذه الايام يزداد اهمية يوماً بعد آخر. . . وسر السيمياء ان ثمة طريقة لمعالجة المادة والطاقة لانتاج ما يسميه العلماء المعاصرون (حقل القوة) هذا الحقل يخدم المراقب العلمي ويضمه في موضع مميز ازاء الكون ومن هذا الموضع يكون على مقربة من الحقائق التي يخفيها عنا الزمن والفضاء والمادة والطاقة وهذا ما نسميه (العمل العظيم) ولكن ما قولك في حجر الفلاسفة وتزوير الذهب؟ هذه مجرد تطبيقات وحالات خاصة».

الشيء الاساس ليس تحويل المعادن الى ذهب وانما المهم هو الشخص الذي يجرب، وثمة سر قديم هو ان رجالاً قلة استطاعوا اجراء التجربة مرة في القرن.

اشار جاك سادون، التلميذ المعاصر الاخر الذي يدرس السيمياء، الى الموضوع نفسه في كتابه (السيمائيون والذهب) ويقول: «ان مسحوق تحويل المعادن الى ذهب مجرد تجرية تجري في نهاية (العمل العظيم) ليؤكد ان المادة التي انتجت هي حقاً حجر الفلاسفة... وهدفهم من تحويل المعادن الى ذهب هو تحويل انفسهم باخذ جرعة مماثلة من الحجر مرتين في السنة».

عندما يتلع السيمائي هذه الجرعة يفقد كل شعره واطافره واسنانه لكنها تعاود النمو من جديد بشكل اقوى واصحى ويصغر سنه ولن يحتاج للطعام بالرغم مما قد يتناوله للمتعة.

يساور اغلب القراء المعاصرين الشك حول كل هذا وكان الكتاب الوحيد ذو الحجم الاعتيادي حول سيد كانسليت للغز هو كتاب (ظاهرة فولكانيي ١٩٨٠) لمؤلفه كينيث راينر جونسون الذي يقوض فيه كثيراً من الشك فهو يروي كيف اثارت في الثلاثينات كتب فولكانيي «وخاصة كتابه الثاني (اماكن اقامة الفلاسفة) وهو توسيع لافكار الكتاب الاول» اهتام طالب يدرس السحر يدعى روبرت امبلين فشرع يحاول اقتفاء اثره وطلب من الناشر جان شميت موافقته على الاستشهاد بكتب فولكانيي في عمله الخاص «في ظلال الكاتدرائيات» وروى له شميت كيف زاره في مستهل عام ١٩٢٦ رجل قصير القامة طويل الشارب حيث أخذ يتحدث ل شميت عن فن العمارة القوطي وادعى انه نوع من الرموز المعروفة (باللغة الخضراء) وواصل نقاشه حول ما تحويه تلك اللغة من تلاعب بالكلمات والالفاظ الامر الذي يدل فعلاً على العمق الفلسفي السحيق وانها اللغة العريقة للسيمياء «لغة الطيور» اي لغة المطلعين ثم انصرف ذلك الغريب.

ظهر كانسليت بعد اسابيع قليلة في مكتب شميت وترك عنده مخطوطة «لغز

الكاتدرائيات»، قرأها شعبي وميز فيها أسلوب حديث الزائر السابق وقرر نشرها. وبعد مدة قصيرة زاره كانسليت ثانية ومعه الفنان جان جوليان شامبن المكلف بتخطيط الرسوم التوضيحية للكتاب. ميز شميت في وجه شامبن صورة زاتره السابق واطهر كانسليت لـ شميت احترامه غير الاعتيادي واعجابه فيه مخاطباً اياه مرة بـ (السيد) واخرى بـ (سيدي) وأشار كانسليت ايضاً الى ان فولكانيلي هو شامبن وغالباً ما كان كانسليت يصر ان شامبن كان مجرد رسام ولكن هذا يتناقض ومقالة نشرتها مجلة السحر الشعبي وقد تضمنت وصفاً لرسم مزدان بالرسوم السيميائية، واعترف كاتب المقال ان الوصف كان بقلم شامبن نفسه وروى جولس بوشر، وهو الكاتب نفسه، قائلاً لأميلان ان في حوزة شامبن علبة بسكويت تحوي مادة صمغية غالباً ما يستنشق منها شامبن الرائحة بعشق ويروي لـ بوشر ان فيها وصفة سحرية تمكنه من الحصول على (بصيرة حدسية في المعرفة التي يبحث عنها) وذكر بوشر ايضاً انه يقوم بتجارب الخروج من البدن عندما يريد ذلك. توفي شامبن في عام ١٩٣٢ في اواسط الستين من العمر وروت صاحبة الفندق السابق الذي كان يقيم فيه اميلان ان كانسليت وشامبن كانا يقسمان في غرف من شارع ٥٦ في روشورت وكان كانسليت يعامل شامبن باحترام شديد ومخاطبه بالسيد ولذلك فقد اتضحت النتيجة المنطقية وهي ان شامبن كان سيد كانسليت أي فولكانيلي. ولا يساور بوشر، الذي كان ايضاً تلميذ شامبن، اي شك ان شامبن وفولكانيلي هما الشخص عينه، وعندما كان شامبن يصحح في تجربة طبع كتاب «الغز الكاتدرائيات» كان ساخطاً جداً على الاخطاء المطبعية وقد اعيدت تجارب طبع الكتاب ثماني مرات باطلاع مؤلفها ويذكر بوشر ان شامبن كتب مقدمة الكتاب وطلب من كانسليت ان يوقعها باسمه. أما كانسليت فينكر كل هذا مدعياً ان شميت لم يقابل شامبن قط وانه هو الذي كتب المقدمة، ويصح ايضاً نحو رفض ادعاءات بوشر حول معرفة شامبن جيداً، ولكن اذا كان شامبن وكانسليت هما اللذين لفقنا شخصية

فولكانيلي بينهما فان الامر يندو صعب الاستيعاب اذ لم يصير الشخص، الذي تجشم عناء ابداع اسطورة معاصرة لاختلاف عن اسطورة سانت جيرمان، ان الموضوع كله هو لغز غامض؟.

تبدو ادلة كينيث راينر جونسون عن هوية شامبن - فولكانيلي غير مقنعة ايضاً فهو يعتقد ان شامبن كان شخصاً معروفاً بمزاجه العملي وادمانه الكحول وثمة مثال عن روحه المرحة يروي جونسون حيث اشار شامبن الى تلميذ ساذج في ان الخطوة الاولى في السيمياء هي املأ حجرتك باكياس الفحم وبعد ان حمل التلميذ كيساً بعد الاخر وهو يصعد السلالم حتى لم يبق في الغرفة الا مكان سريره اخبره شامبن ان البحث عن حجر الفلاسفة هو مجرد اضاعة للوقت ومن الافضل ان ينسأ، وهذا ما يوحي ان مزاج شامبن هو صبياني وعنيف والشخصية التي يتحدث عنها جونسون لانشبه مؤلف «لغز الكاتدرائيات» مما يثير حولها السؤال «لماذا؟».

يبدو ان الانغماس في السحر والشعوذة يتطلب مزاجاً خاصاً ويمكن ملاحظة ذلك في عدة حالات من باراسيلس وكورنيس اكريبا الى ماشرس واليستر كراولي، فكل هؤلاء لهم مزاج العبقري (الباحث عن الحقيقة) والمحتمل الواثق من نفسه، وتفصح الروايات الحديثة ان الخبير الكبير، سانت جيرمان، كان تافهاً وثرثراً ومتكبراً ويبدو ان هذا الامر سائد بين هؤلاء الخبراء بدون استثناء.

ولكن هل هذا يعني ان السيمياء يمكن اعتبارها ضرباً من الخيال أو اضاعة للوقت؟ والجواب القطري الصحيح سيكون، ودون شك، ايجاباً ولكن الفطرة قد تقودنا بسهولة الى الخطأ كما هو الحال عندما نخبرنا ان الشمس تدور حول الارض أو ان المادة صلبة. ودراسات يونغ في السيمياء قادت الى نفس النتيجة

التي توصل اليها السيميائي الغامض (بيرغر) وهي ان الغرض الاساس من السيمياء هي تحويل نفسه، وبعبارة اخرى انها مثل رياضة اليوغا والتصوف اي انها ضرب من التهذيب الروحي، والفرق الاساس بين يونغ وفرويد ان فرويد يعد العالم مقسماً الى اناس مرضى و (طبيعيين) بينما كان يونغ مولعاً على الدوام بالناس (فوق الطبيعيين) -القدسيين والعباقرة- واراد ان يجد علاقة ترابطية بين ذلك في السيمياء، وكما فعل بعض الباحثين في السابق راح يعدها (ديناً غامضاً) ولكنه توصل، بعد دراسة مناهج السيمياء الغامضة عدة سنوات ومحاولته تفسيرها وكأنها مليئة برموز الاحلام، الى النتيجة المخيبة وهي ان السيميائي يظهر في تجاربه ما تتسلط عليه من افكار كما هو الحال عندما يترآى لنا اشكال الوجوه في الغيوم وبهذا تصبح السيمياء نوعاً من المرآة يرى فيها اعماقه المخفية، وبمعنى آخر انها ضرب من خداع النفس اللاواعية. توصل يونغ في عمله الاخير عن التزامية الى بعض المفاتيح الحيوية لهذه المعضلة ويقصد يونغ بالتزامية التوافق الهادف ومثال على ذلك عندما نسمع اول مرة اسماً ثم يطرق سمعنا ست سرات في الاربع والعشرين ساعة التالية تماماً كأن القدر يحاول ان يؤكد لنا اننا حفصناه عن ظهر قلب وقد بذل يونغ جهداً لايجاد تفسير علمي لمثل هذه التوافقات. تحدث بعدها عن (مبدأ الترابط السبي) وعن مبدأ اللادقة عند هايزنبرغ.

ويقول بعض النقاد ان يونغ يحاول فقط وضع افكار (سحرية) في اطار مصطلحات علمية، ولكن المتفق عليه ان كلمة السحر (occultism) هي العبارة المنسوبة الى هرمرز ترسمجنس الذي سمي باسمه فن السيمياء (Hermetic) وهذه العبارة هي:

«كما في الاعلى، في الاسفل» والتي تعني ان شكل الكون الاكبر يتكرر في الكون الاصغر للروح الاساتية. يستهل جاك سادون كتابه «السيمياء والذهب»

باقتباس ترجمة لما يسمى بـ (الوح هرمز الزمردى) الذي كتبه فولكانيلي قائلاً:
«كما في الاسفل في الاعلى وكما في الاعلى في الاسفل. بهذه المعرفة وحدها
تستطيع عمل المعجزات». وما يمكن ان ندعوه تفسير يونغ لهذا المبدأ هو ما
يلي:

من البديهي ان الاحداث الخارجية تؤثر في عقولنا أو (ارواحنا) ولكن قد
يكون المبدأ الاساس للسحر هو ان الروح الانسانية تستطيع ان تؤثر في الاحداث
الخارجية ربما بواسطة عملية حث لاختلف عن ملف الحث الكهربائي التي تقوم
على المبدأ التالي: عندما يمر التيار الكهربائي في ملف الاسلاك فانه يولد (مجالاً
كهربائياً) حول السلك وعندما يلف ملف اسلاك آخر بدوائر اكثر حول الاول
فان تياراً قوياً جداً سيجري في الملف الثاني. فمثلاً تكون الاجهزة الكهربائية في
الولايات المتحدة مصممة للعمل بقوة ١٢٠ فولت بينما تكون الفولتية في المملكة
المتحدة ضعف هذا الرقم فلذلك لو اردت ان تستخدم آلة حلاقة امريكية في
المملكة المتحدة أو العكس فان عليك فقط ان تشتري محولة صغيرة أما ان ترفع
الفولتية من ١٢٠ الى ٢٤٠ فولت أو تخفضها من ٢٤٠ الى ١٢٠ فولت. وهكذا
يمكن تفسير قانون «كما في الاعلى، في الاسفل» في ان الروح البشرية في الظروف
الصحيحة تولد ذبذباتها الذاتية في العالم المادي وإحدى النتائج هي التزامنية أو
التصادفية وكذلك فان (محولة الدماغ) يمكن استخدامها في الغرض المعاكس اي
لتخفيض التيار الحيوي الى مستوى اوطأ وهذه في الحقيقة مشكلة اغلب البشر
فنحن نستخدم محولة الدماغ في طريقة خاطئة، وغالباً ما يسبب احساس غامض
عام بالاحباط أو بالتشاؤم عملية حث (سلبية) في البيئة ونحن جميعاً اعتدنا
الشعور نفسه بأن ذلك مجرد (يوم من تلك الايام) وكيف في ايام معدودة يبدو ان
كل شيء يسير على غير ما يرام وعلاوة على ذلك ندرك جميعاً بالفطرة ان ذلك
يعود الى آرائنا السلبية، ولكننا ننسب ذلك عادة الى الحظ السيء. وعكس هذا

الشعور أي ان الامور يسيرها القدر بالطريق الصحيح وبطريقة غريبة نوعاً ما فان التفاضل الذي يولده هذا الحدس يولد (السرديبية) وفي مثل هذه اللحظات فاننا سنملك قبساً من البصيرة المثيرة: أي لو استطعنا ان نتعلم كيف نخلق هذا التفاضل حسب ارادتنا لإستطعنا بطريقة أو باخرى تسيير الاشياء في الطريق الصحيح.

ويدرك كل فرد الوجه الاخر للعملة نفسها اي ان الناس المتشائمين الذين (يتوقعون الاسوأ) يستقربون الى انفسهم بطريقة او اخرى الحظ السيء... ومع ذلك فان الشعور بأن المواقف العقلية الصحيحة تولد الحظ السعيد هو امر مقلق وغريب يبدو كأنه يغري القدر...

وكل هذا الذي اتناقشه تضمنته نظرية يونغ في التزامية وتضمنه أيضاً (قانون السيمياء) «كما في الاعلى في الاسفل» واذا كان هذا القانون أيضاً هو نقطة الشروع في السيمياء فمن الخطأ الاعتقاد ان السيمياء هي شكل مضلل من الكيمياء هدفها تحويل الرصاص الى ذهب ويتضح ان سادون كان مصيباً، فالتحويل هو رمز لشيء آخر. ولكن لو كان التحويل مجرد اسم آخر للبصيرة الغامضة التي ترادف التنوير فلماذا اذاً يضعون الوقت بين الدوارق والبوتقات في المختبر؟ ويتجلى من المعنى الضمني ان السيمياء هي وسيلة كاليوغا وتعاليم زن (Zen) وربما اعتقد السيميائيون القدامى ان الرصاص يمكن تحويله بعملية كيميائية دقيقة لكن نظرائهم المعاصرين يعرفون ذلك بشكل افضل ويدركون ان السيمياء هي بالاساس رمز للحياة الفعلية التي نعيشها. يبدأ السيميائيون التقليديون بما يسمى المادة الاولى (التي يعتقد البعض انها الملح ويقول الآخرون انها التراب أو حتى الماء) والتي لا بد من خلطها مع (نار سوية) وتسخن في اناء محكم الغلق ويجب قبل كل شيء ان يسود ثم يبيض ويمزج مع الزئبق (ولكن ليس بالضروري ان يكون زئبق السيميائي) ثم يذاب في حامض وبعد عملية

الشعور أي ان الامور يسيرها القدر بالطريق الصحيح وبطريقة غريبة نوعا ما فان التفاضل الذي يولده هذا الحدس يولد (السرديبية) وفي مثل هذه اللحظات فاننا سنملك قبساً من البصيرة المثيرة: أي لو استطعنا ان نتعلم كيف نخلق هذا التفاضل حسب ارادتنا لإستطعنا بطريقة أو بأخرى تسيير الاشياء في الطريق الصحيح.

ويدرك كل فرد الوجه الاخر للعملة نفسها اي ان الناس المشائمين الذين (يتوقعون الاسوأ) يستقربون الى انفسهم بطريقة او اخرى الحظ السيء... ومع ذلك فان الشعور بأن المواقف العقلية الصحيحة تولد الحظ السعيد هو امر مقلق وغريب يبدو كأنه يغري القدر...

وكل هذا الذي اتناقشه تضمنته نظرية يونغ في التزامنية وتضمنه أيضاً (قانون السيمياء) «كما في الاعلى في الاسفل» واذا كان هذا القانون أيضاً هو نقطة الشروع في السيمياء فمن الخطأ الاعتقاد ان السيمياء هي شكل مضلل من الكيمياء هدفها تحويل الرصاص الى ذهب ويتضح ان سادون كان مصيباً، فالتحويل هو رمز لشيء آخر. ولكن لو كان التحويل مجرد اسم آخر للبصيرة الغامضة التي تترادف التنوير فلماذا اذا يضعون الوقت بين الدوارق والبوتقات في المختبر؟ ويتجلى من المعنى الضمني ان السيمياء هي وسيلة كاليوغا وتعاليم زن (Zen) وربما اعتقد السيميائيون القدامى ان الرصاص يمكن تحويله بعملية كيميائية دقيقة لكن نظرائهم المعاصرين يعرفون ذلك بشكل افضل ويدركون ان السيمياء هي بالاساس رمز للحياة الفعلية التي نعيشها. يبدأ السيميائيون التقليديون بها يسمى المادة الاولى (التي يعتقد البعض انها الملح ويقول الآخرون انها التراب أو حتى الماء) والتي لا بد من خلطها مع (نار سوية) وتسخن في اناء محكم الغلق ويجب قبل كل شيء ان يسود ثم يبيض ويمزج مع الزئبق (ولكن ليس بالضروري ان يكون زئبق السيميائي) ثم يذاب في حامض وبعد عملية

تدعى (الاسد الاخضر) يصبح في النهاية احمر وهو حجر الفلاسفة. وبالنسبة لكل البشر فان المادة الاولى هي عالم تجاربهم اليومية فالمفاجآت السارة والمحفزات الطبيعية الممتعة وبريق (الاحساس بالعطلة) يمكن ان يحول التجربة اليومية الى ما يسميه جي. بي. بريستي (البهجة) والى الشعور الغريب ان كل هذه الامور على ما يرام وعندما نعيش هذه اللحظات فاننا غالباً ما نجد انفسنا بازاء البصيرة ذاتها التي تبدو منافية للعقل وهي ان التجربة السارة التي قدمت البصيرة لم تكن ضرورية وكان علينا تحقيقها بالارادة. وكل العملية الكيميائية في السيمياء قد تبدو نظرية لهذه التجربة. يشير كانسليت ان فولكانيلي لم يجرب قط (العمل العظيم) ريثما اقتنع ان كل ذلك ممكن ويلوح ان هذ هي الخطوة الاولى في العملية التي ناقشها: خلق حالة التفاوض والحالة الواقعية والذي تضمنته المناهج الكلاسيكية في السيمياء هو ان السيميائي لا بد له بطريقة أو باخرى ان يعزز العملية الكيميائية بعملية نفسية ولا يتم التحويل الا عندما يتوصل السيميائي الى الحالة الذهنية الصحيحة أو (الحث الايجابي) والهدف الاساس من العملية ليس مجرد حجر الفلاسفة وانما الحالة الذهنية التي يمكن بها انتاج حجر الفلاسفة والغرض الاساس من العملية الكيميائية هو ان يدرك القائم بالعملية ان بمقدوره السيطرة على حالته العقلية. واستخدام الرموز الجنسية في السيمياء قد يكون اشارة خفية الى ان اقرب الكائنات البشرية تتوصل الى هذه السيطرة بالاعتماد بشكل اساس على العنصر العقلي في العملية الجنسية. وعليه ليس هنالك ترابط أكان فولكانيلي موجوداً فعلاً أم انه كان جان جوليان شامبن أم ان كانسليت قد لفته. ويدرك الخبراء انفسهم هذا المبدأ الاساس عندما يؤكدون على عدم ذكر اسم المؤلف ويلوح على كل المناهج التقليدية انها تتفق ان التحويل الفيزيائي هو شيء ممكن لا جدال فيه ومع ذلك يمكن اعتبار هذه النتيجة عرضية لاعلاقة لها بالموضوع ويصرح سادون ان هذا هو الذي يبين لنا لماذا لم يتجشم الكيميائي الناجح عناء تصنيع كميات ضخمة من الذهب.

المعجزات في سانت ميترد

ان الاحداث الغريبة التي طرأت في كنيسة باريس الصغيرة في سانت ميترد للفترة بين (١٧٢٧ و ١٧٣٢) تبدو صعبة التصديق ومنافية للعقل بحيث توهم القاري المعاصر على انها من محض اختلاق، لكن هذا يبدو خطأ بسبب الوثائق الكثيرة بضمنها تفسيرات لكاترة وقضاة وشخصيات اخرى ذات تأثير يشهد على عبقريتهم. وقيناً ان المعجزات، قد حصلت دون ان يكلف أي طبيب أو فيلسوف أو عالم عناء الشروع في تفسيرها. استهلكت سلسلة المعجزات مع مراسيم دفن فرانسوا دي بارس ديكون باريس في ايار ١٧٢٧ الذي كان يناهز السابعة والثلاثين من العمر، لقد كان يبجل كرجل دين يمتلك قوة في العلاج، وهذه القوة مهما تنوعت فلقد اسبغها عليه الله.

كان فرانسوا خليفة البشوب كورنلس جنسن الذي علم ان ما يتقد الرجال هي الرحمة الالهية وليست خاصة افعالهم. سار حشد كبير في جنازته ذرف اكثرهم الدمع ووضعت الجثة خلف المذبح الكبير لسانت ميترد وانطلق الحشد بعد ذلك واضعين الزهور على جثته.

ساعد احد الاباء طفله الاعرج على الامتناء على التابوت، وعلى حين غرة اصاب هذا الطفل اضطراب فبدأ كأنه مريض. حاول البعض سوجه الى زاوية هادئة في الكنيسة لكن هذا الحشد توقف فجأة. فتح الولد عينيه ناظراً الى ما حواله بدهشة ووقف بعدها متصباً.

(١) البشوب (Bishop): مرتبة دينية اعلى من الاسقف وله سلطة وادارة على الاسقفية والكنيسة.

بانت على عيائه ابتسامة ثم بدأ بالقفز الى الاعلى والاسفل والغناء والضحك
مما اثار دهشة الحاضرين . وجد والده ان الامر لا يصدق فالولد يستعين بقدمه
اليمنى الملتوية الخالية من العضلات . ادعى بعد ذلك ان الساق قد اصبحت قوية
شأنها شأن بقية السيقان الطبيعية للاخرين . انتشرت الانباء بسرعة فاندفع الى
الكنيسة في ساعات قلائل العرج والجذم والحذب والعمي .

وفي البداية صدق حفنة من المحترمين قصص علاج المعجزات - فأغلب
اتباعه ليكون كانوا من الفقراء بينما استحب الاغنياء ان يتركوا القضايا الروحية في
متناول اليسوعيين الاكثر تهذيباً وديوية . تبين بسرعة ان الجهل والسذاجة
لا يمكن استخدامها كغطاء لتفسير جميع قصص الاعاجيب فالاصابع المشوهة
كانت تستقيم وتختفي الاورام الخبيثة وحالات السرطان دون أثر بينما توقفت
الجروح والقروح الفظيعة .

اعلن اليسوعيون ان المعجزات كانت إما زيفاً او من عمل الشيطان مما حدا
بالكثير من اثرياء باريس ان يرفضوا تصديق حدوث اي شيء غير اعتيادي في
كنيسة سانت ميدرد . بيد ان بعض العقلاء قد ساقهم فضولهم فعادوا من
الكنيسة وقد اعترتهم الدهشة وفي بعض الاحيان سجلوا شهادتهم بينما حاول
البعض مثل فيلب هاكوث تفسير هذه الاحداث بالاستعانة بالاسباب الطبيعية -
هاجم الاخرون مثل بيني دكتن برنارد لويس دي لانيست اولئك الذين فسروا
الاعاجيب على اسباب بيولوجية ولكنهم عجزوا عن كشف اي خديعة أو خطأ
يؤخذون عليه أو اي غلط من المشاهدين . ان تراكم الشهادات كان جد كثير
بحيث اشار اليها ديفيد هيوم احد اعظم الفلاسفة في كتابه (تحقيق عن الفهم
البشري) (١٧٥٨):

«من غير الممكن ان تعزى عدة معجزات الى شخص واحد ولكن الشيء

الغريب ان هذه المعجزات اثبتت حدوثها في المكان حالاً قبل ان يعاود القضاة الشقاة اختبار الشهادات التي ادلى بها شهود الثقة والتميز في عصر متعلم
فاين نجد مثل هذه الظروف الملائمة لحصول حقيقة واحدة؟» .

ومن بين من حققوا في الحوادث محام يدعى لويس ادريان ديبيج وعندما اخبر صديقه القاضي لويس باسل دي مونتغيرن عما شاهده اكد له الاخير انه قد خدع بحيل الشعوذة، نوع من الحيل ينجزها السحرة في اراض مخصصة لهذا الغرض .

بيد انه وافق في نهاية المطاف على الذهاب مع ديبيج الى الكنيسة بهدف مشاهدة الطريقة التي خدع بها المحامي فانطلق في صبيحة السابع من ايلول (سبتمبر) ١٧٣١ . لقد غادر دي مونتغيرن الكنيسة وقد تغير حاله لانه ود لو يسجن على ان ينكر ما شاهده ذلك اليوم . الشيء الاول الذي شاهده القاضي عندما دخل الكنيسة عدد من النسوة منحنيات على الارض ويلوين انفسهن الى اشكال غاية في الترويع وبعض الاحيان ينحنين الى الخلف حتى تتصل مؤخرة رؤوسهن باقدامهن .

كانت النسوة يرتدين ثياباً تحتية طويلة مثبتة حول كاحلهن .

شرح ديبيج ان ذلك كان اجبارياً على جميع النسوة اللاتي يرغبن بتعريض انفسهن لقوى ديكون المعجزة . وفي الايام الأول عندما اخذت النسوة بالاتصاف (الوقوف) على رؤوسهن أو انحناء اجسامهن بصورة متشنجة فان الشباب المتلهفين اخذوا بالتردد الى الكنيسة لمشاهدة المنظر . دهش مونتغيرن عندما شاهد الفتيات والنسوة يضربن بصورة سادية - كان هذا في الاقل ما ظهر اول وهلة .

كان الرجال يضربون بقطعة صلبة من الخشب والحديد بينما اضطجعت
اخريات على الارض وقد وضعت عليهن حمولة ثقيلة. عريت احدى الفتيات
حتى منطقة الخصر فأخذ احد الرجال يجر حلمتي ثديها بملقطي حديد بصورة
عنيفة. قال ديبيج ان هؤلاء النسوة لم يشكين المأ بل على العكس فان الكثير قد
توسلن لضربات اكثر وعولجت الكثير منهن من الامراض والتشوهات بمثل هذه
الطريقة الرهيبة وفي مكان اخر من الكنيسة شاهدا فتاة جذابة ذات حدود حمر
تبدو بعمر التاسعة عشر كانت تجلس بالقوب من طاولة وتأكل. بدا هذا الامر
اعتيادياً ريشا تفحص مونتغيرن الطعام الموضوع على الطاولة وادرك من مظهره
ومن الرائحة المنبعثة انه كان برازاً بشرياً. وبين لقم هذه الوجبة الممرضة كانت
تعاطى شرباً اصفر شرح ديبيج انه كان بولاً.

لقد قدمت الفتاة الى الكنيسة لتعالج من حالة تدعى اليوم العصاب فكان
عليها ان تغسل يديها مئات المرات يومياً وكانت شديدة الحساسية فيما يتعلق
بغذائها أي انها لاتأكل البتة اي غذاء يللمسه انسان آخر.

وان ديكون في الحقيقة قد عاجلها كانت تتناول لعدة ايام البراز والبول بكل
امارات الهجة.

ان مثل هذه الامور لاتبدو غريبة في المصححات العقلية ولكن ما بدا غريباً -
وفي الحقيقة منافياً للحقيقة- انها بعد احدى الوجبات فتحت فاهها كما لو تشكي
المأ فخرج الحليب مدراراً.

جمع ديبيج قليلاً منه فاتضح انه كان حليب بقر تماماً. كان على مونتغيرن،
بعد الفرار من متاوله البراز ان يتحمل محنة شاقة. ففي احد اماكن الكنيسة تطوع
عدد من النسوة لتنظيف الجروح المتقيحة عن طريق مصها. وعندما حلت احدى
النساء ضمادة قدرة من ساق فتاة صغيرة، انبعثت منها رائحة فظيعة، مما جاهد

مونتغرين كثيراً لمنع نفسه من التقيؤ، كانت هذه القدم مليئةً بالقروح بعضها كان كبيراً في العمق بحيث يترآى العظم للناظر.

ان المرأة التي تطوعت لتنظيفها كانت احدى المضطربات -وقد عولجت بصورة مذهشة واهتدت بواسطة التواء جسمها وإختيار الله لها لتبين الطريقة التي يتغلب فيها الانسان على الاشمتزاز. ومع ذلك فانها تراجعت عندها شاهدت وشمت قدماً مصابة بالفرغينيا فحدقت بعينها صوب السماء وصلت لحظة بصمت ثم حنت رأسها على الجزء الذي يغطي الفخذين والركبتين وابتلعت المادة العفنة.

وعندما حركت رأسها الى اسفل قدم الفتاة لاحظ مونتغرين ان الجرح بات نظيفاً وأكد ديبياج ان الفتاة ستشفى تماماً عندما يكتمل العلاج. وما شاهده مونتغرين في المرة التالية زرع مقاومته واقنعه انه كان شيئاً ذا اهمية كبرى، فقد قدمت فتاة تبلغ السادسة عشر من عمرها تدعى غابريل مولر وان الاهتمام الذي اثارته اقنع مونتغرين انها كانت مشهورة حتى بين السحرة الحارقين. قد اسدلت ثوبها واضطجعت على الارض وتنورتها حول كاحلها ووقف اربعة من الرجال يحمل كل واحد منهم قضيباً حديدياً امامها، وعندما ابتمت الفتاة لهم اخذوا بطعنها ودفعوا معدتها بأقاضيهم، منع مونتغرين نفسه من التدخل ولما اجتازت القضبان معدتها واخذ يبحث عن قطرة دم على ملابسها لم يكن ثمة دم وبدت الفتاة هادئة ورتيبة. وضعت القضبان بعد ذلك اسفل ذقنها دافعةً رأسها الى الخلف فبات مؤكداً انها ستخترق فمها ولكن عندما ابعدت القضبان بدا اللحم غير متأثر بالعملية. اخذ الرجال بعدها مجارف ذات نهايات حادة ووضعوها قبالة صدر الفتاة واخذوا يضربونها بكل ما أوتوا من قوة، لكن الفتاة مضت في ابتسامتها اللطيفة. بدا الصدر الذي اصبح محصوراً بين المجارف كأنه مقطعاً، لكنه كان سداً متيناً لهذا الهجوم.

وضعت الحافة الحادة للمجرقة صوب رقبته وأخذ احد الرجال يستخدم كل قوته لقطعها لكنه كان عاجزاً حتى على ان يعجها. لقد دهش مونتغيرن وهو يشاهد الفتاة تضرب بهراوة حديدية تشابه يد الهاون، رفعت صخرة تزن (٢٥ كغم) فوق رأسها وأسقطت تكراراً من ارتفاع عدة اقدام.

شاهد مونتغيرن في نهاية المطاف ركبته قبالة نار ملتهبة ودفعوا برأسها الى النار.

كان يتحس الحرارة من موقعه ومع ذلك لم يتأثر شعر الفتاة وحاجبيها. وعندما التقطت فحمة مشتعلة لتأكلها لم يتحمل مونتغيرن المشهد وفر هارباً.

كمر مونتغيرن زيارة الكنيسة ريثما تيسرت له المادة الكافية للجزء الاول من كتاب مدهش. قدم هذا الكتاب الى الملك لويس الخامس عشر الذي اصيب بصدمة فزج به في غياهب السجن. شعر مونتغيرن ان عليه تحمل الموقف وان يزيد كتابه جزئين مليونين بالشهادات العلمية المتعلقة بالمعجزات في أعقاب اطلاق سراحه... وفي السنة التي تلت سجن مونتغيرن، اي عام ١٧٣٢، قررت السلطات الباريسية اغلاق الكنيسة لأن الفضيحة اصبحت لا تنطق.

بيد ان المرضى اكتشفوا ان باستطاعتهم انجاز المعجزات في اي مكان واستمروا في عملهم. دهش العالم والمتشكك العنيد لاكوندامين عندما شاهد عام ١٧٥٩ فتاة تدعى الاخت فرانسوا مصلوبة على صليب خشبي حيث دقت مسامير في ايديها واقدامها لبضع ساعات وطعنت من الجانب برمح. لاحظ ان ذلك قد أدى الفتاة وان الجروح نزفت دماً عندما ازيلت المسامير ولكن لم يتأثر من المحنة التي تقتل العديد من الناس.

ولكن ما الذي نقوله الان عن سر هذه المعجزات من وجهة نظر القرن العشرين؟ يؤمن بعض الكتاب انها نوع من التويم المغناطيسي وهذا ربما يفسر تناول اليراز والمرأة التي تمتص الجروح المتقيحة لكنها تلوح اقل اقناعاً في تفسير قدرة غابرييل مولر في التحمل.

فهذا الامر يذكرنا في وصف مناسبات الدراويش. يقول جي. ج. بنيت في سيرته الذاتية (شاهد) انه لاحظ في احدى مناسبات الدراويش كيف ادخل سيف ذو حافة حادة الى معدة رجل عار واخذ رجلا ثقيلا الوزن يقفز ان اعلى الرجل دون أن يتأثر بشيء.

ان ما يبدو هنا هي قوة العقل فوق الاشياء وهي اقوى من التويم المغناطيسي غير المفهوم لحد الان لكنه يستحق الاهتمام الجاد به.

ومن النافي للعقل ان نتوقف عن ملاحظة التفسيرات العلمية لمعجزات سانت ميارد لكن علينا ان لا نخدع انفسنا الان بالموافقة على تفسيرات (مشككة) خارقة.

محتويات الكتاب

- ١- مقدمة الترجمة ٣
- ٢- أطلنطس .. القارة الغارقة ٥
- ٣- مقبرة باربادوس .. لغز التوابيت المتحركة ٢٧
- ٤- مثلث برمودا ٣٢
- ٥- اختفاء اجاثا كريستي ٤٢
- ٦- آثار اقدام الشيطان ٤٧
- ٧- لغز ايليان مور .. الجزيرة التي يختفي فيها الرجال ٥٢
- ٨- الكفن المقدس في تورين ٥٧
- ٩- الرجل الرمادي في قمة بن ماكدوي ٦٩
- ١٠- كاسير هوز .. الولد القادم من اللامكان ٨٣
- ١١- لغز التوائم المتطابقة .. عقل واحد في جسدين ٩٢
- ١٢- أين الموناليزا؟ ١٠٠
- ١٣- حفرة المال .. من دفن الكنز ١٠٧
- ١٤- أكثر المخطوطات غموضاً في العالم .. مخطوطة فويتش ١٢٧
- ١٥- اورفيربوس .. والآلة ذات الحركة الدائمية ١٣٥
- ١٦- هل كان روبن هود موجوداً حقاً؟ ١٤٣
- ١٧- سانت جيرمن الخالد ١٥٣
- ١٨- من هو شكسبير؟ ١٦٣

١٧٩	١٩- احتراق البشر تلقائياً
١٨٥	٢٠- انفجار تنغاسكا العظيم
١٩٢	٢١- من هو هاري ويتكف
٢٠١	٢٢- اندروكس .. الرجل الذي خلق الحياة
٢٠٩	٢٣- لعنة القراعة
٢٢١	٢٤- التكهن النفسي .. تلسكوب يكشف الماضي
٢٢٩	٢٥- الاشباح المرعبة
٢٤٥	٢٦- تغير الزمن
٢٦١	٢٧- جان دارك .. هل عادت من الموت؟
٢٦٧	٢٨- الرجل ذو القناع الحديدي
٢٨١	٢٩- اصحاب السر
٣٠٥	٣٠- الاجسام الطائرة المجهولة
٣٢٧	٣١- لغز موت اللورد كيشتر .. احادثة ام جريمة قتل؟
٣٣٧	٣٢- لغز ماري سيليست
٣٤٥	٣٣- وحش بحيرة نيس
٣٦٦	٣٤- فولكانيلي والغاز الكيمياء
٣٧٦	٣٥- المعجزات في سانت ميرد
٣٨٣	المحتويات

ثبت أن كثير من جدالاته الرئيسية خاطئة. فهو يؤكد أن مواقع الجزيرة الشرقية كانت ضخمة جداً بحيث يعجز المواطنون عن بنائها ولكن المكتشف ثور هيردل أقع سكان الجزيرة الشرقية المعاصرين على نحت وتشبيد مثال في أسابيع قلائل.

يؤكد أن الاهرامات قد شيدها الملاحون القدماء لان المصريين لم يمتلكوا حبلاً - لكن نصوص الهرم تظهر استخدام الحبل. ان ما ادعاه دانكن ان يكون صورة لرجل التقطت من سفينة فضاء في لوحة دفن بلانكو في غواتيمالا أظهرت الطلاب على انها المخطوطة الدينية لمايا النموذجية، المليئة بالرموز الأساسية، والطيور والأفاعي وغيرها.

وهو يجعل من خطوط تازكا الغامضة في سهول بيرو أمثلة لبناءات يمكن فهمها عند ملاحظتها من الجو ويقترح انها مطارات عملاقة لمركبة فضائية (ويحوزته صورة لمركبة فضائية في حالة هبوط) بيد ان الخطوط قد رسمت من السطح الصخري للصحراء وانها تتناثر بثبات لو حطت عليها مركبة فضائية. تحولت «مواقع الهبوط» لتكون تفصيلاً من ساق طير -ركبته- ولم تكن كبيرة بها فيه الكفاية لايفاف عجله. يؤكد دانكن ان هذا خطأ ارتكبه المحرر ولكنه سمح له بتصحيحه في طبعات تالية من هذا الكتاب. «ذهب الآفة» يظهر دانكن صورة لهيكل نحت من الحجر ويود أن يعرف كيف تسنى للنحاتة القدماء معرفة الهياكل قبل ان تظهر أشعة اكس متناسياً أن كل مقبرة كانت تعج بمثل هذه الهياكل.

وفي هذا الكتاب أيضاً يدعي دانكن انه قد اخذ الى مدينة مدفونة حيث تفحص مكتبة سرية فيها كتب مصنوعة من أوراق حديدية. وعندما انكر صديقه، المكتشف جون موركز، قصة دانكن السرية مؤكداً ان المؤلفين الألمان

(نيوز لندن) تقريرا لعالم التاريخ الطبيعي والمشرح (ريتشارد اون) اعلن فيه بتعصب انها آثار الاقدام الخلفية لحيوان الغرير (وهو حيوان ثدي يحفر جحره بالأرض) ويقترح ان اعدادا كبيرة من هذا الحيوان تخرج من سباتها ليلا بحثا عن الطعام ولكنه لم يوضح اسباب حجلان هذه الحيوانات على قدم خلفية واحدة (ويعد مرور خمس سنوات كان هذا العالم متعصبا ومخطئا في ذات الوقت حول نظرية دارون في اصل الاجناس).

وكتب مراسل اخر وكان طبيبا انه امضى مع طبيب آخر وقتا طويلا في محاولة لاكتشاف خصوصيات (اكثر الانطباعات نفردا) (يحب الفيكتوريون هذا النوع من التزييق اللفظي) وأدعى (ان اضافة دقيقة اكثر في فحص هذه الآثار سيجعل من الممكن تمييز اثار الاصابع وراحات الاقدام لاي حيوان ما). اما مرشحه فكان كلب البحر. ويرى الصحفي (أوريشر) ان هذه الآثار تعود دون ادنى شك الى طائر (الحباري الكبير) وهو طائر مغالبه الخارجية مدورة حسب ادعائه. وادعى آخر وهو من مدينة (ساوبيري) أنه رأى مؤخرا آثار فأر في مزرعة بطاطا وانها تشبه تماما هذه (الاقدام الشيطانية) مضيفا ان هذه الفئران كانت تقفز على الجليد لتسقط بكامل ثقلها مولدة آثارا تشبه حوافر الحصان. ويظن مراسل اسكتلندي ان هذا المجرم ربما يكون ارنبا وحشيا او قطا قطبيا. ان هذه التفسيرات جميعها هي اقل سداجة مما تبدو عليه اذ قد تنجح في توضيح اكثر الخصائص غموضا لهذا اللغز وهي ان هذه الاقدام يتبع احدها الاخر بنسق منتظم وكأنها نتاج حيوان احادي الساق ولكنها فشلت في ذات الوقت في شرح سبب استمرارها ما يعادل اربعين ميلا.

وربما تكون اكثر الفرضيات احتمالية هي تلك التي قدمها فيما بعد (جفري هاوسهولد) في كتاب صغير ضم كل ما يتعلق بالمسألة وعلق ادناه في رسالة بعثها الى المؤلف:-